

العُصُور
٢٨-٩-٥٨

العدد ٥ مجلد ١ شعاع الحكمة يجذبنا إليك يناير ١٩٢٨

عصر الاستكشاف البحرى

وتأثيره في تطور الافكار الانسانية



ليس فى مستطاعنا ان نلم بتاريخ ذلك العصر الذى نشط فيه الرواد الى استكشاف الكرة الارضية وبقاعها المجهولة الماما تاما فى عجالة قصيرة نريد بها أن نظهر تأثير الاستكشاف فى تطور الافكار الانسانية. فان تاريخ ذلك العصر مملوء بكثير من الصور التى ان اردنا ان نتكلم فيها باطناب اضطررنا الى ان نكتب أكثر من فصل . لهذا نمضى فى البحث غير عامدين الى الشرح الوافى بل مجتزىء بامثال نضربها فى قالب تاريخى فنقرب الفكرة من الاذهان بقدر المستطاع

لقد كان للحروب الصليبية اثرها فى ايقاظ النزعة الى اقتحام مخاطر البر والبحر . ولقد زاد الى أثرها وضاعف من خطرها ، تلك الروايات التى كان يرويها المحاربون والذين ذهبوا ليحجوا الى بيت المقدس عن غرائب الشرق وكنوزه الكثيرة ، وكان للحروب الصليبية نتائج تجارية عديدة الصور متنوعة الاشكال ، وكان لهذه النتائج آثار حولت غريزة المخاطرة واقتحام

الحوائل الى اغراض عملية صرفة ، وعلى الاخص فى ايطاليا ، مهد حركة التجديد الاوروبى فى العصور الوسطى ، حيث ظهرت نتائج تلك الحملات الدينية فى ثوب مادى صرف ، در على ايطاليا الغنى والترف الكثير . فكان من الطبيعي أنه يبدأ عصر الاستكشاف البحرى في أوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، وكان لزام ان يكون الايطاليون أول رواده .

غير ان عصر الاستكشاف الحقيقى لم يبدأ الا فى أواخر القرن الخامس عشر. وكان السبب فى هذا ازدياد ضغط المسلمين على العالم المتمدين وامتلاكهم لمنافذ البحار . فان المسلمين لما استولوا على الدنيا سدوا منافذها على أهل أوروبا ومنعوا عليهم حرية المرور الى الشرق ، حتى ان النفوذ التركى في شرق البحر الابيض المتوسط قد هدد مدن ايطاليا بالخراب العاجل ، وكانت تعتمد فى تجارتها ورفاهيتها على غلات الشرق وعلى ماينتج من ثمرات . وهنا بدأ الناس يفكرون فى هل من الممكن ان يجدوا طرقاً أخرى الى الشرق لا يكون للمسلمين وللاتراك على الاخص اقل نفوذ فيها ؟ حتى لقد بدأت فئه من الرجال العاملين يفكرون في امكان الوصول الى الهند اذا ضربوا نحو الغرب من طريق جبل طارق فى خط مستقيم

وكان اول المعتقدين بصحة هذه النظرية بحاراً من جنوا يدعى خريستوف كولمبوس استعان بتعضيد ملك اسبانيا وملكتها ، وأبحر فى سنة ١٤٩٤ مستقلا متن المحيط الاطلانطيقى ، فاستكشف امريكا ، وكان يظن أنه بلغ الى الهند اقتناعا بنظريته الأولى

ولقد احدث استكشاف كولمبوس اشكالا سياسيا كبيرا ، اذ بدأ النزاع بين اسبانيا والبرتغال ايهما لها حق الملكية فيما يستكشف من بقاع الارض . غير أن البابا الاسكندر السادس فض الخلاف بخط وهمى ، سمى فيما بعد خط التحديد ، قطعه رأسيا فى وسط المحيط الاطلانطيقى ، وجعل كل ما يستكشف شرقى هذا الخط من نصيب البرتغال ، وكل مايستكشف غربيه من نصيب اسبانيا ، لان البرتغال كانت فى ذلك الحين قد استكشفت كل شاطىء افريقية الواقع على المحيط الاطلانطيقى الى رأس الرجا الصالح ، فكان من صالح البرتغال ان تمعن فى استكشافاتها نحو الشرق . وكان هذا سببا في رحلة فاسكودى غاما

الذى استطاع ان يدور حول رأس الراجا الصالح فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٤٩٧ وامعن فى السير حتى بلغ كاليكوت Calicut فى مايو فى سنة ١٤٩٨، وهى مدينة تقع على شاطئ بلاد الهند الغربى . فكأن البرتغال قد استفادت فائدة كبرى بذلك الخط الوهمى الذى رسمه البابا وصدر به منشوراً بابوياً مقدساً .

ولقد اتضح لاهل اسبانيا بأنه لزام عليهم اذا ارادوا أن يحتفظوا بتفوقهم الاستكشافى أن يمضوا في السير غربا حتى يمكنهم أن يبلغو شاطيء آسيا الشرقى من الطريق الذى سلكه كولمبوس . وهنا تحطمت تلك الاحلام التى شادها كولمبوس برحلاته الاولى، اذ اتضح للناس أنه لم يبلغ الهند وانما استكشف قارة كبرى هى أمريكا تقع بين أوربا وآسيا . ولهذا شغلت العقول فكرة اخرى فى امكان الوصول الى آسيا بالدور حول امريكا كما امكن الوصول الى الهند بالدور حول افريقية

كان بطل هذه الآونه فرديناند ماجلان . فقد اعتقد انه لابد من أن يوجد فى طرف امريكا الجنوبى طريق يؤدى الى خليج « ملاقا » وكان ماجلان بورتغاليا مولداً ولكن ملكه أساء معاملته فهرع الى اسبانيا ولجأ الى الملك شارل الخامس الذى احسن وفادته ووضع تحت امرته عددا من السفن بدأ بها رحلته من اشبيلية فى اغسطس سنة ١٥١٩ ، و اخذ سمته الى باتاغونيا ، وما زال يحارب الامواج والاهوال حتى اخترق ذلك المضيق الذى يحمل اسمه حتى الآن . ومالبث غير قليل حتى كانت سفنه تجرى من ذلك المحيط العظيم الذى سماه المحيط الهادى لما صادف فيه من طيب الهواء واعتدال المناخ . ووصل الى جزائر الفيليبين فى ابريل سنة ١٥٢١ ، وهنالك قتل . ولا يعلم احد أكان قتله من يد الهمج الذين صادفهم فى هذه الجزر ، أم بيد اتباعه الذين تمردوا عليه فى تلك البقاع النائية . غير أن احد ضباطه وكان يدعى «سباستيان دلكانو » قدام ما بدأ به ماجلان، وعبر المحيط الهندى ودار حول رأس الرجا الصالح ووصل الى اسبانيا فى سبتمبر سنة ١٥٢٢ ، فأتم بذلك عملا من اكبر الأعمال التى قام بها الانسان فى التاريخ ، اذ ساح حول الارض لأول مرة فى عمر الدنيا .

ولقد تبع هذه السياحات الثلاث سياحات اخرى اقل منها شأناً ، وأن كان كل منها ذا أثر في استكشاف ركن من الارض ، وفى ازدياد معرفة

الانسان بدخائلها التى ظل على جهل بها حتى عهدقريب . وهنا نرجع الى غرضنا الاول متسائلين ! باية وسيلة من الوسائل اثرت هذه الحملات الاستكشافيه فى لمعرفة الانسانية بما ظهر أثره فى تحويل تيارات الفكرخلال التاريخ ، وبما كان سببا فى هدم القواعد التى قامت عليها العلوم والمعارف فى العصور الوسطى ؟

* * *

ظهرت أول الآثار التى احدثها الاستكشاف الجغرافى فى حو السياسة العالمية . فان جغرافية الأرض الحديثة قد هدمت العلاقات السياسية الدولية وقضت على الروابط التجارية التى كانت معتبرة بين الدول كقواعد أولية . فحتى ذلك الوقت كان البحر الابيض المتوسط معتبراً مركز العالم المعمور . ولقد كانت مظاهر الغنى والجاه والعظمة العالمية وقف على الامم التى عاشت حول شواطئه ، والامم التى كانت لها منافذ سهلة تؤدي اليه . غير أن الحالة قد تغيرت الى النقيض . فبعد أن كانت ايطاليا مهبط الثروات الضخمة لأنها اكثر الامم بروزاً فى مياه البحر الابيض المتوسط ، اصبحت الامم التى تستطيع أن تعبر المحيطات العظمى كاسبانيا و فرنسا وانجلترا ، اكثر الامم جنياً لغلات البلاد المستكشفة حديثاً على شواطىء المحيطات العظمى التى تمخرتها السفن . ولا خفية في أن انجلترا لم تلق بنفسها بين احضان الحركة التجديدية فى أوربا الا من بعد أن استقوت على أهلها فكرة الاتجار على ظهر المحيطات العظمي ، فاحتكت باواسط أوربا خاصة ، وعنها اخذت مبادىء التجديد الحديث .

وليس من شأننا هنا أن نمضى فى ذكر الآثار التى خلفها الاستكشاف البحرى فى السياسة الدولية باطناب من القول ، وان كان من الواجب أن نلمح اليه بلمحة نكتفي منها بما ذكرنا .

أما اذا رجعنا الى تأثير الاستكشاف على صور الفكر وعلى المعرفة الانسانية فاننا نجد أن أول ما أثرت الحقائق التى وقع عليها المستكشفون ففي المعتقدات المذهبية الرسيخة التى عكفت عليها الكنائس فى العصور الوسطي . فان الفكرة فى شكل الارض تغيرت تغيرا تاما . فقد ظن البعض أنها مسطوحة ، وزعم البعض الآخر أنها محدودبة . غير أن فئة من أهل هذه العصور من اعلامها البرت الكبير Albertus Magnus والقديس ازيدور الاشبيلى وفنست بوفيه

الانسيكلوبيذى المعروف ودانتى الشاعر الخالد، قدقبلوا فكرة أنها كرة. غير أن هؤلاء بانفسهم قد رفضوا الاعتقاد بفكرة أن الارض مأهولة من جانبها الآخر، باعتبار أن هذه الفكرة مضادة لما جاءت به الكتب المقدسة. وعلى الرغم من أن هذه الفكرة قد بشر بها كتاب من أهل العصر الوثني أمثال بلينيوس وشيشرون وغيرهما، فانهم أزاء هذه الفكرة قد رجعوا الى فكرة آباء الكنيسة، الذين اجمعوا ماعدا فئة قليلة منهم، على أن الاعتقاد بوجود الانتيبود Antipode ويقصد بهم الاناسى الذين يقطنون الجهة المقابلة من كرة الارض، هرطقة صريحة وكفر بل تجديف، ومن بعد لعنها وحرمها البابا «زكريا» ولقد داستند هؤلاء الى مقاطع في الكتب المقدسة منها «. بلى . الى كل الارض خرج صوتهم والى اقاصى المسكونة أقوالهم» (١) وهنا يقول القديس أوغسطين بانه مادام المبشرون بالدين المسيحى على مقتضى هذه الآية لم يصلوا الى الناحية الاخرى من الارض ليسمعوا أهلها هذا الصوت الآلهى، فلا يمكن أن يكون في تلك البقاع اناسى تأهل بهم. وكيف يمكن للقاطنين في تلك البقاع أن يروا المسيح فى هبوطه الثانى، مادام المعتقد ينص على أن كل أهل الارض سوف يرونه هابطا عليهم؟

ولقد ظلت هذه الفكرات مؤثرة أثرها المحتوم حتى عصر كولمبوس. فان اللاهوتى الاسبانى «توستاتوس» Tostatus قد نفي فكرة الانتيبود بقياس منطقي فقال «لقد أمر الحواريون أن يذهبوا الى كل أقطار المسكونة وان يبشروا بالاناجيل لكل انسان. غير أنهم لم يذهبوا الى هؤلاء الذين نسميهم الانتيبود. لهذا لايمكن أن يوجد شيء من هذا فوق كرة الارض»

ولقد كان لهذه المعتقدات آثارها المادية، فضلا عن آثارها النظرية فان «بطرس أبانو» قد اتهم بالهرطقة لانه اعتقد بما يضاد مذاهب اللاهوتيين ازاء هذا الامر وحوكم امام محكمة التفتيش فى سنة ١٣١٦. ولما أحرق «شيكو داسكولى» فى فلورنسا سنة ١٣٢٧ كان اعتقاده بوجود الانتيبود احدى التهم التى أدت الى محا كمته والحكم عليه بالاحراق حياً. لهذا نرى أن عظماء المستكشفين لم يفصلوا فى الخلاف الذى قام على شكل الارض فصلا تاماً لاغير، بل برهنوا ايضاً على ان فى الجانب المقابل من كرة الأرض اناسى، اى فى تلك البقاع التى اعتقد اللاهوتيون انها

«١» من الرسالة الي الرومانيين ص ٢١٤ طبعه المطبعة الامريكانيه

غير مأهولة . بل وقعوا على امم غير تلك الامم التي اعتقد اللاهتيون انها تنسلت عن ابناء آدم الثلاث، حام وسام ويافث. ولقد كان السهم الذى سدده المستكشفون الى المعتقدات القديمة صائباً فاوهي من قوتها وأوهن من قواعدها ، والتى في روع الناس أن مبدأ العصمة الذى طالما تدرعت به الكنيسة فى سبيل بسط سلطانها على الممالك والامم فاسد من اساسه .

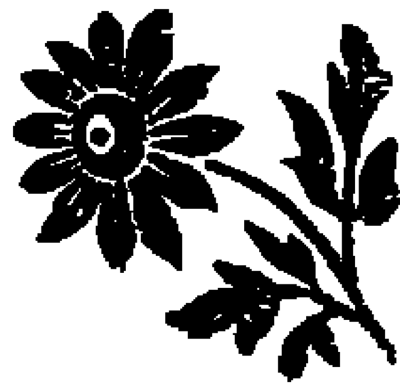
لقد كان الاثر الذى خلفه الاستكشاف الجغرافى فى العقول والافهام بالغاً ، حتى لقد نشط الناس من بعد ذلك العصر الى العمل المنتج الموجه بالفعل الى سعادة الانسانية . ففى نهاية القرن العاشر الميلادى اعتقد الناس ، من طريق الكنيسة واللاهوتيين ، أن العالم سيفنى فى آخر دقيقه من آخر يوم من شهر ديسمبر سنة ١٠٠٠ من الميلاد . غير أن الناس لما رأوا أن ذلك كان وهما ، عمدوا الى الارض يستغلون خيراتها و الى البحار يستخرجون كنوزها ، وانقلبت الفكرة في السعادة الانسانيه. فبعد ان كانت محصورة فى فكرة الخلاص الاخروى من طريق الدين ، تركزت حول الاعتقاد بان السعادة من المستطاع أن تنال فوق الارض ، من غير احتياج الى انتظار البعث و القيامة . وهكذا تكونت فكرة جديدة فى التقدم الانسانى اصبحت ذلك الرمز الذى يسجد له الغرب كله

وهكذا اذا قلبت التاريخ الانسانى تجد ان الانسان قد سعد في الارض بمقدار ما بعد عن المعتقدات المذهبية فى الدين وغير الدين . وعندى أن السعادة يمكن أن تنال من طريق الاخلاق اكثر مما يمكن أن تنال من طريق العبادات والمراسم ، أو من طريق ارهاق الذهن والاكباب على تلك الصور التصوفيه التى رمتنا بها أديان الوثنية وأنتحلتها الاديان العظمى التى نشأت فى غربى آسيا .

وكذلك لا ينبغي لنا أن نظن أن تقدم العلوم والاستكشاف مهدم لمبادىء الاديان مقوض لما تقوم عليه من الوزائع . كلا . بل انى اعتقد انها مهدمة للصور المذهبية التى يخلقها الرجعيون حول الاديان و يحوطونها بها ليتخذوها سياجاً يتقون به قوة الحق الثابت .

واذا اردت أن تعرف الفرق بين النزعتين فما عليك الا ان تنظر في حالتين احداهما كونها العلم والاخرى كونها اللاهوت المذهبي . وما تجد لهذا

من مثل ابلغ ممايزودك به علم الفلك . فتحت ظلال المذهب الفلكي القديم نشأ فلكي الامراء « الفونس القشطالي » و هنالك رأى ما في نظريه بطلميوس ، التي كانت تتخذها الكنيسة عماداً لتفسير الكتب المقدسة ، من منافاة للهدى والرشاد ، وكان على جهل بغيرها ، فرمي العالم الاوروبي بقذيفة من الكفر والالحاد اذ قال بأنه لوكان حاضرا يوم خلق العالم لاقترح للكون نظاماً اقوم من نظامه وأدنى الى الحكمة : و تحت ظلال المذهب الفلكي الحديث ، الذي وضعه كوبرنيكوس وغاليليو ، قال كبلر مملوءاً ايماناً — « انى لا استطيع أن ابلغ بفكرى الى معرفة فكر الله » . فان الفرق بين الروح الدينية المنبعثة من صدر هذين الرجلين ، هي لدى الواقع اكبر مقياس يقاس به مقدار ما أنتج العلم اليقيني من فائدة للدين. ولقد قال أحد رجال الدين الذين شبوا تحت ظلال المدارس الحديثة وتشبعوا بروح الحرية الفكرية ان أهل اللاهوت من رجال العصور الوسطي لما أعيوا عن التفريق بين الفجر وبين الضوء المنبعث عن حريقة امتد لهبها — قد انصرفوا وهم أعداء النور والضياء



كارثة لشبونه

مترجمة نثراً

هي قصيدة فولتير التي رثى بها ضحايا زلزال البرتغال الذي وقع سنة ١٧٥٥ معارضا بها قصيدة « بروتنج » المعروفة التي عنوانها « كل شيء حسن . »



ايتها الاحياء التعيسة ،
ايتها الارض المدلهمة الحزينة ،
يا جموع البشر الفزعين الخائفين ،
المعلقين بالأمل الذى لا ثمر له ،
تقدموا ايها القائلون
« كل شيء حسن » !
وتأملوا في الخراب!

***

هذه هي البقايا والاشلاء ،
وهذا هو رماد اخوانكم.
لقد اصبحت الام مع الطفل ،
كومة بين الانقاض .
وتحت اثقال الرخام تناثرت الاعضاء.
اليكم مائة الف من الابرياء ،
تبتلعهم الأرض ، ممزقين ،
دامية ابدانهم، وقبل ان يقف نبضهم
سترحب بهم القبور ،
بعد أن يتقلبوا فى اشد العذاب

***

اسمعوا الانات الخافتة !
المن اصبحوا هيكلا داميا ،
ولهذا المنظر البشع تقولون ،
انتم عظة ومثل لقوة العناصر ،
العمياء المقيدة لارادة الله؟
اتقولون وانتم وقوف ،
على كتل اللحم المرتعشة ،
لقد اقتص الله ،
وليس جزاء الخطيئة الا الموت ؟
أى جرم أو أية خطيئة تلك ،
التى اقترفتها قلوب الاطفال الصغار .
القلوب الدامية الجريحة ،
الملقاة على صدور امهاتها . ؟
وهل اقترفت لشبونة التعيسة
المنكودة من الخطايا
اكثر مما اقترفت ،
لندن او باريس أو مدريد؟
ولكن
هنا يرقص الرجال والنساء ،
وهنا لك يئنون ويتألمون .

***

ايها المتفرجون على مصائب
اخوانكم صبراً ،
ايها الجامدون ازاء رقص المحتضرين ،
ايها المتسائلون عن سبب الاعاصير ،

التى لوهبت عليكم وانتم فى امان ،
لامتزجت دموعكم بماء الفيضان .
ولو فغرت الأرض فاها العميق ،
وفتحت فكيها المروعين ،
لعلمتم بان حزنى صادق وبكائي حق .
ولو حوطكم الفناء الغشوم ،
وحط عليكم بغضب الشرير ،
وانشقكم انفاس الموت ،
او لو واجهتم ملتهب المواد ،
وحاصرتكم المصائب ،
لنحتم معي ، وشاطرتمونى الاحزان .

***

ولكنها الكبرياء !
كبرياء القلب الثائر ،
هى التى تخايل اليكم حتى تقولوا
باننا احسن مما نحن .
انصرفوا الى نهر تاجس وخبروه ،
وابحثوا بين اطلال الهزة الدامية ،
واسألوا المحتضرين بين الانقاض
والخرائب ،
أهي الكبرياء التى دفعتهم ،
لطلب المعونة من السماء ،
واستدرار الرحمة والعطف
من الخالق على البائسين ؟

***

« كل شيء حسن »
وكل شيء ضرورى .
أتظنون أن العالم يكون أكثر شرا ،
اذا لم تقع كارثة البرتغال ؟
من ذا الذى أكد لكم ،
أن المسبب الابدى الاعظم ،
العالم بكل شيء ، لانه يريد ،
لم يكن بمقدوره تركنا ،
دون أن تنسفنا البراكين ؟
أتنحدون قوة العظيم الابدى ؟
أتمنعونها من أن ترفق بالخلائق ؟
أليس للفنان الاعظم وسائل عديدة ،
يصل بها الى تنفيذ مايرغب فيه ،
السيد ! أنا لا أعترض عليه ولكنى
أود لو أن النار والكبريت ،
كانا قد انتثرا فى مجاهل الصحراء .

***

انى احترم الله وأحب العالم .
ومحبتى الناس ولست كبريائى ،
هي التى تدفعنى الى النواح ،
لوقوع هذه الكارثة الكبرى ،

***

أتعزون حزنى الخرائب ،
وقتلى الشاطيء المهجور ،
بقولكم :
« ألا ارقدوا بسلام »
فقد ضحيت منازلكم للصالح العام
وسيعيد بناءها قوم آخرون ،
وسيثرى الشمال من خسارتكم المحزنة ؟
مصابكم ليس الا حلقة من حلقات ،

فلستم أمام الله غير ديدان حقيرة ،
مثل تلك الديدان التي تنظركم ،
لتلتهمكم في القبور ؟ ، ،
أي كلام هذا الذي تسمعونه للضحايا
الصامتين ؟ كفى فاشفقوا .
وخفضوا عليهم.

***

أواه .
ان قلبي لا يحتمل ،
ثقل القوانين الحديدية .
أليس بارادة الله كل شيء يتم ؟
الله ليس بحقود ! ..
هو حر ، وهو عادل .
اذن فلماذا نتألم ونحن في حماه ؟
حل هذه العقدة الشديده،
من واجبات مفكريكم ،
فحاولوا حلها ، ولكن ،
لا تنكروها .

***

يرتجف الناس في قبضة القضاء ،
ومع هذا فهم يبحثون عن أصل الشر
وهم لا يشعرون بقسوة الضربات .
فالصخور تتساقط من قوة الرياح ،
وتحرق الصواعق شواهق السنديان ،
ولكني . . . اعيش وقلبي يلتمس ،
العون ممن رآه وكونه !
يا أبناء القوة العظمى ،
ابتهلوا لمولى الجميع ! !

***

انما الوعاء لا يتكلم ، ولذا
لا يعترض احد ، اذا قيل بأنه
حقير وضيع .
واذا انكسرت الجرة في يد صانعها
فليس لها قلب يتفطر طالبا الرحمة.
ولكنهم يقولون ان في ذلنا نفع
للجميع .
فمن جسدنا الفاني سيوجد يوما ،
الوف من الديدان ، عند ما يخيم
الموت علينا .
أهذه تعزية تخفف بها المصائب ؟

***

أيها المقامرون على شقاء الناس ،
إنكم تضاعفون ولا تقللون
الآلام ،
وفيكم أرى اثراً من الكبرياء ،
مدفوناً تحت مظاهر الانشراح

***

انني فرد من المجموع الاعظم ،
وكل موجود كتبت له الحياة ،
وكل الذي يحس يتألم ،
وأيضا يموت .
فالبازي ينقض على فريسته المستأمنة ،
ويغرس منسره في جسدها الضعيف
« وكل شيء حسن » في الظاهر ،
ولكن ،

الا رأيت النسر يمزق ،
جسد البازى شر تمزيق ،
وفى قلب النسر تنفذ ،
السهام المسددة من يد الانسان ،
ويموت الرجل فى حومة الوغى ،
وتأكل الطير جسده المعفر ؟

***

هذا هو العالم ،
كل فرد يئن ويتألم .
ولقد ولدنا للعذاب ،
وللموت المحتوم ،
ومع هذا نقول ،
ان فى الألم خيرا كثيراً .

***

اية سعادة هذه ؟
هل ما زلتم تصرون ،
على ما يقال ،
« كل شىء حسن »؟
ان الوجود يكذبكم ،
وبكل ما فى الوجود من قسوة ،
وكذلك القلوب البشرية ،
فانها تكذب تخيلاتكم الفارغة .

***

حكم على الكائنات كلها بالتناحر ،
فاعترفوا ،اعترفوا فالشر مستأصل
وأما السبب . فماذا أقول فيه ؟
انه مجهول ! ! !
وهل يمكن أن يسببه موجد الخير ؟
أهو تيفون (١) الذى قضى علينا بالألم ؟
أم هو اهريمان (٢)
الذى كتب علينا الشقاء ؟
ولهذين المجرمين لا أعترف بالربوبية
ولكن لماذا يكيل إلهنا الخير المحض
البركات على بعض أبنائه ،
ويبعثر الشر على غيرهم من الناس ؟
من ذا الذى يدعى معرفة ما يضمره ؟

***

لا يصدر الشر عن الخالق الكامل ،
وهو أيضا لا يريد أحدا أن يفعله ،
ومع هذا .. فالشر ،
فى كل مكان موجود ! !
إيه أيتها الحقيقة المخيفة !
إيه أيتها المتناقضات العجيبة

***

هبط الآله الى الارض ،
ليخلص نوعنا المنكوب ،
ولكن شيئا لم يتغير !
من الناس من يقول
« لم يكن قادرا » !
وسواهم يقولون .. !
كان فى قدرته ولم يشأ !
وبينما هم جميعا فى أخذ ورد ،
انفجرت الصواعق واندلعت النيران

---

١ اله الشر عند قدماء المصريين
٢ اله الشر عند قدماء الفرس

بالسنتها ، ومات النـاس فى
البور تغالياً!
وعلى هذه الصورة المخيفة ،
يكون نسف الخطيئات المستأصلة ؟

***

البارىء اما عرد عن الشفقة ،
ينفذ مايرتئيه برباطة جأش ،
واما أن تكون هنالك خطايا حقيقية
عقولنا قاصرة عن ادراكها .
اذن فلتكن لنا عبرة وعظة .
فالعالم ليس الا ممراً ،
وليست عاقبة الألم ،
بشىء غير الهلاك ،
لذواتنا . ومن بعد ذلك ،
نجد الخلاص ، وكذلك نجد ،
الراحة الأبدية .

***

واما اذا قطعنا الممر ،
فمن ذا الذى يضمن ،
حسن الجزاء ؟
ومهما اعقب النهاية من الم ،
فكل امرىء يخشى ، وكل امر
يخاف .
وليس لنا من أمل ،
فالطبيعة صماء ،
وليس هنالك من فرج !
الا ذكر الآله ،

---

١ فيلسوف عاصر فولتير واشتهر بالرياضات وله آراء طريفة فى الفلسفه

فواسوا به الضعفاء ،
واقنعوا به العقلاء ،
ففى غيره لا نجد ،
موئلا للاعتماد .

***

لم يعلمنا ليبنتز ، (١)
ما هو غير محسوس ،
من هذا العالم ، الذى ،
هو أحسن من غيره ، والذى
هو مملوء بالارتباكات الكثيره ،
الفائض بالفوضى والمصائب ، والذى
فيه مسراتنا ممزوجة بالألم ، والا
فلماذا يتحمل البرىء الشقاء ، جملة
مع الذين يرتكبون المعاصى ، كبقية
العلماء . ! ! ! !
انى أجهل السبب .

***

قديما زعم أفلاطون ، أنه
” كان للناس أجنحة ، وجسوم
تمانع الامراض المفنية ، وكان
الالم والفناء عنا بعيدين “.
فكيف سقطنا من ذاك العلاء ؟
الشخص يولد ثم ينمو ويفنى ،
فكلنا نولد ليدركنا الفناء ، وعالمنا
هذا لم يوجد للبقاء .
وهذا البناء الضعيف ، المكون من
لحم وعظم ودم ، يعجز عن تحمل
صدمات المواد الجامدة .

وهذا التركيب المكون من
الاخلاط ،والتراب ، لم يتكون لشيء ،
اللهم الا للفناء .
وأعصابنا الحساسة،
السريعة الانفعال ،
وجدت للالم الموصل للموت ،
وهكذا الطبيعة تهمس فى أذنى .

***

انى اكراه ابقراط ، وكذلك
افلاطون ،
والى «بابل» العظيم اشعر بميل ،لانه
مال الى الشك بدوره من قبلى .
ولانه عاقل ،ولانه عظيم ، يقول،
ليس من الضرورى وجود آله .
ولكنه ناقض نفسه بنفسه ،
فاصبح مثل الكفيف الذى ،
أهلك فلسطين ومات معها .
اذن فلنستمع للعقل الكبير ،
اذ يقول — ”أن القدر مستغلق
علينا“
«وليس الانسان بعارف حقيقة
نفسه »
«ولا من أين اتى،ولا الى أين يصير» .

***

ايه ايتها الذرات المتألمة ،
المتقلبة على فراش من طين ،
المقضى عليها بالموت والفناء ،
وبالاستهزاء والسخرية !!!!

بالرغم من أننا ذرات مفكرة ،
نقيس النجوم بفكر سليم ،
فانا نجهل من نحن !!!
وكذلك نجهل موجدنا !!!

***

وجودنا جزء من اللا نهاية ،
وأما ذواتنا فلسنا نراها .
دنيانا مكان الغرور والخطأ ،
مملوءة بالمصروعين الذين ،
يتكلمون كثيراً عن السعادة .
الناس يرغبون رغم هذه التعاسة ،
ميتة فظيعة ، ثم قومة ثانية .
لان هنالك برهات من الحياة ،
المتألمة تمسح دموعنا باللذة الجامحة ،
ولكنها بعد ذلك تمر ،
تاركة لنا حسرة والماً ،
كذلك نأسف لماض محفوف ،
بشقاء عظيم وامل في الفرج .

***

ومادام الفكر سيصل الى القبر ،فهم
يقولون كذبا وزوراً «حسن» .
هذا مقال الكسول ، وأيضا
عقولنا تخدع وليست عليمة ،
فهل من نصدق غير الآله ؟

***

بزفرة خافتة مزجت بالالم ،
ارتل سراً بصوت ضعيف ،
مسبحا اللذة المستملحة .
ولكن مصائب الزمن علمتنى ،

وجزب الشمور مع المستضعفين ،
وبين الظلام الكثيف أنقب ،
عن النور!!! ولكنني أخشى الملام .

***

قبيل وفاة احد الخلفاء ،
رود بقلب كسير ،

عظمتك منزهة أيها الاوحد القاهر
عن الشر والجهل والضيق
والخطيئة ،،
وكان عليه انه يضيف الى هذا
« كذلك أنت عن الامل منزه »
أديب

المذهب

ويكره مبغيا عليه وباغيا … أخو الرأى ألا أن تسود مذاهبه
فان كان ممن ملكوا أرسن الهوى … هوى الناس قادت ركب قوم نجائبه
وكان له فيمن تولوه ذادة … تدافع عنه من عظا (١) وتحاربه
وماهو بالمستوضح الحق ما ادعى … فمازال كون الحق تغطو غياهبه
ولكن حيران الانام مطوع (٢) … يناديه ذكوان الحجا فيجاوبه
وذا الرأى مدفوع اليه ببارق … من الفكر لاحق تنور طالبه
فوالله إن الناس فى الارض سيروا … بجهلها فى غيهب ضل راكبه
ففى كل عصر قادة وأئمة … وطالب حق فارغات حقائبه
وقوم على دين الأبوة نشئوا … مناقبه مقبولة ومثالبه
فسبحان ذى السبحان لارب غيره … أرى عالم الدنيا تضل ركائبه

عبداللطيف ثابت

(١) عظا تناوله بلسانه وأساء
(٢) من فطوعت له نفسه قتل أخيه تابعته وطاوعته

وحدة الحالات النفسية

موضوع الذهن والانتخاب النفسي

« بحث علمي »

لكل حالة نفسية اهتمام بموضوع واحد بل واستغراقا فيه هو خارج عن ذاتيتها وجوهرها وبعبارة أوضح أن موضوع كل حالات الوعي خارج عنها فلا يكون موضوع الخطرة النفسية ذاتها ووجودها . فوظيفة الفكر اذن هي وظيفة عرفانية . وقد اختلفت آراء الفلاسفة منذ القديم في أمر هذا العرفان . فالعقليون يرو أن لمعرفة الشيء يجب أن يتحد الفكر بالموضوع . وهم يرون أن العالم والكون فكر للذات الآلهية . والاشياء موجودة لاننا ندرك وجودها . فالشيء اذا موجود في ذهن الفكر . والكون موجود لان الفعل الازلي يفكر فيه . ومن الغريب أن يكون لمثل هذه الافكار الفلسفية الغريبة شبيه في الشرق . فالذين قرأوا كتب صدر الدين الشيرازي الفيلسوف الايراني(١) يعرفون أنه كان يرى ذلك في نظريته المشهورة في كتاب الاسفار وأنه لادراك اي شيء ادراكا تاما يجب اتحاد المدرك مع المدرك أو العالم مع المعلوم .

أما السبب في أننا نرى نفس الشيء دون تغير ظاهري في ماهيته فهو اولا اجماع الغير على تأييد ما نراه في ذلك الشيء وماهيته وكنهه، وثانيا يقيننا بان مانعرفه عن الشيء الان هو عين ما عرفناه عنه في الماضي . ومن المسائل الاساسية في الفلسفة وعلم النفس ان ذاتية الشيء وعدم تغير ماهيته في عالم تكثر فيه الماهيات أصل للاعتقاد بوجود حقيقة خارجة عن الذهن . وقد ذهب الاستاذ هرزن الى أن شعور الطفل بوجود شيء مع عجزه عن معرفة ما اذا كان هذا الشيء في الخارج أو الداخل، وشعور الانسان في حالة الاغماء وقت تنعدم فيه الحالات النفسية،

---

(١) فيلسوف ايراني عاش في أواخر القرن السابع عشر الميلادي وعاصر دولة الصفويين في أوائل حكمهم في ايران

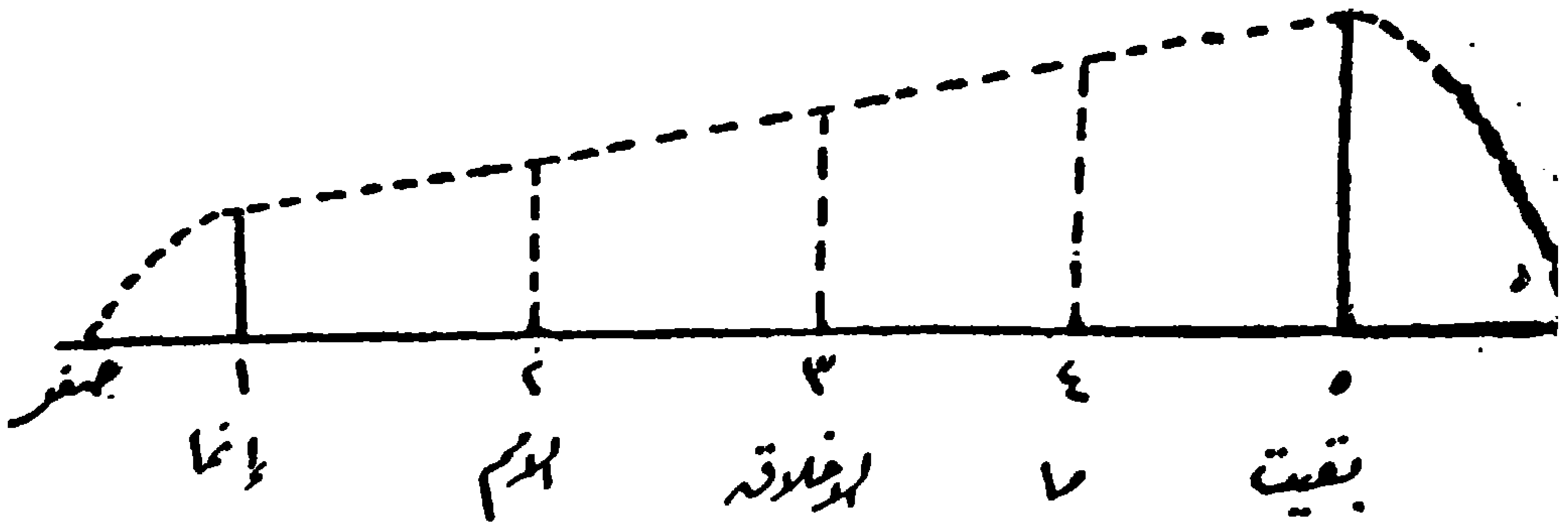
يدلنا على أن فى نفس كل انسان حالة نفسية هى الشعور بالوجود المطلق . وان ذلك يدلنا على أن لدى انعدام تكرر الخبرة المطلقه فى الحياة لايوجد شيء يقال له حقيقة داخلية أو خارجية بالنسبة للذهن . وقد ذهب كثير من الفلاسفة منهم هلتون وملز (الاب والابن) وغيرهما الى أن وظيفة الفكر العرفانيه يلزمها عملية أخرى سابقة عليها وهى عملية التفكير أولا . فيقولون إنه لأجل أن يعلم الفكر بوجود شيء يجب عليه أن يميز أولا بين ذلك الشيء ونفسه . وقد خطأهم الاستاذ جيمس وقال ان القول بانه حتى يعلم الفكر بشيء ما يجب أن يسبق عرفانه ذلك أنه يعلم، كالقول تماما باننا لنحلم ونرى رؤى وأحلاما يجب ان نحلم أننا نحلم .ولأن نحلف ونقسم يجب أن نقسم أننا نقسم الخ . وبعبارة أخرى اذا كنا نضطر لنفكر أن نفكر أننا نفكر، فذلك لايتفق مع أصول علم النفس . وذلك أن فى تلك الحالة يكون عندنا حالتان نفسيتان كل منهما تستلزم عملية نفسية مستقلة عن الاخرى. والحقيقة أن الفكر ربما يميز بين نفسه وبين موضوعه . ولكن لايلزم ذلك حتما . .

أما كلمة «موضوع» التي أشرنا اليها فليس المقصود بها موضوع الكلام كما هو معروف فى علوم النحو والاجروميات وقواعد اللغات . بل يقصد منه فى علم النفس الاسم بجميع علاقاته ونسبه التى تكلمنا فيها. وفى هذا العلم أيضا أن كل جملة هي وحدة قائمة بنفسها تمثلها حالة ذهنية واحدة ، اذا قسمناها وفصلنا بين كل كلمة وكلمة يتبدد المعنى بل وينعدم . فاذا قلنا مثلا : « وانما الامم الأخلاق مابقيت » لانعنى بذلك ان كل كلمة من هذه الكلمات موضوع مستقل فى الذهن قائم بنفسه، بل انا نعنى أن كل الجملة موضوع لفكر واحد وخطرة نفسية واحدة. فالجملة ذات المعنى المفيد اذا هى وحدة قائمة بنفسها ، يقابلها فى الذهن وحدة وعي أخرى . على أننا نهمل ذلك فى الكلام عادة وكان يجب للابانة وتمام الايضاح أن نكتب الجملة ونوصل الكلمات فيها بشرطات صغيرة علامة على أن كل لفظ فيها غير مستقل وحده عن بقية الالفاظ .فنكتبها مثلا هكذا : و — انما — الأمم — الأخلاق — ما — بقيت دفعا للبس. ومما يزيد الابهام أيضا تخير الالفاظ وايثار لفظ مخصوص من الجملة كان هو كل الموضوع واهمال بقية الالفاظ أو اضافة لفظ آخر غير موجود فى الجملة .

قلنا ان الحالات النفسية وحدات لا تتجزأ . فأسماء الجمع والالفاظ المؤلفة ليس لكل منهما أكثر من حالة نفسية واحدة بسيطة لا تجزؤ فيها. وقد وهم بعض العلماء الذين يتمسكون بنظرية تداعي الافكار (١) أى أن الفكر يدعو الفكر في اعتبار أن كل اسم جمع مركب من عناصر بسيطة له فى الذهن ما يقابله. بمعنى أن الحالة النفسية أيضا مؤلفة، لا بسيطة ومركبة على غرار الاسم المركب . بيد أن أصحاب هذا الرأى يلزمهم أن يقولوا بوجود « نفس مجردة » و « أنا » ثابت لا يتغير يربط هذه العناصر النفسية ويؤلف منها ماهية نفسية واحدة . على أننا نعرف أننا نفكر عن الاشياء وفي الاشياء جملة واحدة . وأنه يستحيل علينا ادراك علاقاتها ونسبها مع غيرها من الاشياء اذا كنا نفكر فيها مفردة وواحدة واحدة . فالتداعيون والحسيون يرتكب كلاهما خطأ عظيما فى القول بأن حالات النفس مؤلفة تنحل الى عناصر بسيطة مستقل كل منها عن الآخر، وتؤلف كلها ما يسميه الفيلسوف « كانت » الالمانى كثرة . وبينما يرى التداعيون أن تلك الكثرة تؤلف وحدة قائمة بذاتها من المعرفة ، فان الحسيين « الانانيين » أى القائلين بوجود نفس ثابتة هي « الأنا » ينكرون وحدة تلك الحالة العرفانية ويقولون أن الأصل فى المعرفة كثرة مشوشة غير مرتبة يأتى « الأنا » فينظمها ويجعلها صالحة للادراك والتفكير : أما الاستاذ جيمس وغيره فلا يرون هذا الرأى ويقولون بعدم وجود تلك الكثرة أمام الفكر ، وأنها من الاوهام التى لم يقم عليها أى دليل . بل الواقع أن الاشياء تظهر أمام وعينا فى نسبها وعلاقاتها الغير متناهية كل منها فى حالة نفسية واحدة ، وفي وحدة عرفانية كاملة غير متكثرة ولا قابلة للتفكك والتحلل . فاذا قلنا مثلا الجملة السابقة : وانما الامم الاخلاق مابقيت ، ومثلناها برسم بيانى كهذا مثلا :

---

(١) تابع المؤلفون في علم النفس هنا المرحوم حسن توفيق العدل في تعريفه لفظة Association في كتابة البيداجوجيا بلفظة . تسلسل الافكار ، والسوريون تابعوا كذلك المرحوم الدكتور دانيال بلس في كتابة الفلسفة العقلية في تعريبه نفس اللفظة بكلمة (اشتراك أفكار) . وانى أفضل تعريب الاشتراك لهذا المعني بتداعي الافكار لانه أدل علي حقيقة اللفظ



وكانت كل كلمة تمثل ارتفاعا وقيمة مخصوصة فى الرسم تبعا لقربها من النتيجة فتكون كلمة «بقيت» أهم مافى الجملة وأكثرها ارتفاعا لانها غاية الجملة ونتيجتها. على أنه بالرغم من ذلك لايمكن أخذ لفظ بمفرده . لان الفاظ الجملة متصل بعضها ببعض اتصالا شديدا . والكل يؤلف وحدة عرفانية واحدة يقابلها في الذهن حالة وعي واحدة . وقد قال الاستاذ اجار « إننا نجهل قبل التكلم ما نريد أن نقوله على اننا ندهش ونمتلىء عجبا عندما ننتهى ونرى ماقلنا وأننا أحسنا التفكير » على أن نفس المستر اجار هذا يخطىء في القول بان كل لفظة تنوب عما قبلها وتخلفه فى المعنى وتعي لماسبق . وكذلك يخطىء في أن الالفاظ والمعانى يشرفان على الفكر معا . ولا عبرة بالدليل الذى يورده تأييدا لمذهبه بأننا كثيرا مانسمع ونحن مشغولو الفكر جملا والفاظا لانلتفت لحقيقة معناها الا فجأة بعد الانتهاء منها . أو أن الفكر يسبق الالفاظ حينما نتعمد التفكير فى أمر من الأمور . فجيمس يرى أن تلك حالات استثنائية . وان الالفاظ ممتزجة بالمعنى فى الحالة الاولى ملقية عليها ظلا يتوصل الفكر فيها أخيرا الى التفريق بينها . فيفهم المعنى أولا ثم يسمع الألفاظ وصداها فيعي معانيها بمجرد الانتهاء من تلفظها . وأما في الحالة الثانية فان الفكر مايزال يتكرر فى النفس ويستمر فيها حتى بعد تطوع الالفاظ للتعبير عنه . وفى كلتا الحالتين يكون الفكر والالفاظ من الحالات الذهنية الثابتة Substantial التى يفكر فيها الذهن كل منها بدوره بحالة وعيية مستقلة .

ان كل خطرة من خطرات النفس لاتهتم بموضوع كلى شامل ويستغرق فيه كل الاستغراق . بل إنها تقصر اهتمامها على جزء من موضوع ما. وبعبارة أخرى

أنها تتخير دائما جزءا من موضوع دون اهتمام ببقيــة أجزائه فى نفس الوقت والساعة . فهى فى انتخاب وتخير مستمر تنتقل كالفراشة بصورة متقطعة متصلة معا من جزء الى جزء تقبل مايتلاءم وميلها وتطرح مايتنافر معها وحياتنا النفسية كلها عبارة عن سلسلة عمليات اختيار

نحن نعرف أن الوصول إلى ادراك العالم الخارجى لا يكون الا من طريق الحواس . ونعرف أيضا ان الحواس هى آلات دقيقة حساسة لا تعمل الا اذا كانت المحسوسات الخارجية لها سرعة موجبة خاصة . فلادراك المرئيات يجب أن تتراوح سرعة التموجات بين عددين مخصوصين حتى يتيسر لعصب البصر أن يتحرك ويعمل ويدرك . وكذا الأمر في السمعيات والشم. وقس على ذلك فى بقية الحواس . وبعبارة أخرى أن الذرات المؤلفة للأشياء فى تذبذب مستمر ويصدر منها تموجات مستمرة تتفاوت فى السرعة . وأننا لاندرك منها الا سرعة مخصوصة . فأذا زادت تموجات الأصوات أوقلت عن حد محدود فمن المستحيل على الأذن السماع . وإذا علت أو نقصت أمواج الضوء عن سرعته المعروفة في العلوم الطبيعية،فمن المستحيل على البصر رؤية الأشباح . فعلمنا إذا بالـكون هو علم جزئى لا يكمل الا بالاستنتاج الفـكرى والمنطق . وهنا تظهر أهمية الابحاث الفلسفية . على أنه يشترط فيها أن تـكون تـكميلية للعلم لامتقدمة عليه ،وإلا فلا يؤمن الخلط والعثار

فأعضاء الحس إذا هى أعضاء انتخاب وتخير وانتقاء واستصفاء انتخاب امواج لها سعة خاصة وكثافة خاصة وسرعة خاصة من بين ملايين الامواج التى يفعم بها الـكون.على أن التفاوت الذى نقول بوجوده بين التموجات الصوتيـة وتموجات الحرارة وغيرها إن هو إلا بالنسبة الينا فقط . والا فان التموجات الأثيرية أو الـكهربائيـة المؤلف منها الـكون أوالمـادة ذات اطراد واتصـال واستمرار لا يمكن بأية حال من الحالات أن يتصور فيه الأنفصال والانقسام أو التقطع . فحواسنا تتخير وتنتقي لنا اذا من بين ذلك المحيط العلمى الهائل الذى يغمرنا بملايين التموجات الذرية كالموجات،جزءا بسيطا يناسب آلاتادراكنا الضعيفة . فالعالم الذى نتوهم أننا نعيش فيه اذا هو عالم مخصوص من المحتمل كثيرا جدا أنه لا يتفق وحقيقة الواقع في العالم الخارجى والوجود العينى .

لحواسنا تتخير أمواجا خاصة تتناسب مع قواها وتتجاهل أو تجهل حقيقة بقية التموجات التي لا نستطيع ادراكها . فنحن لانعرف العالم إذا معرفة أكيدة مباشرة . وكل مانعرف منه إن هو الا بعض جزئيات نستقوى بها على استخراج القوانين الجامعة والكليات المطلقة ، اقتصادا فى الفكر واراحة للذهن

على أن تخير الأمواج و المحسوسات لا يتوقف فقط على أعضاء حواسنا التي هي كما قلنا أعضاء تخير وانتخاب : بل نحن نجرى أيضا عملية فكرية هى الاخرى عملية انتخابية . فنحن نتخير من المحسوسات التي انتخبتها حواسنا جزءا قليلا نتخذه موضوعا للتأمل وللتفكير . ثم اننا لانزال آخذين فى عملية الانتخاب هذه حتى ينتهى بنا الأمر إلى قصر تفكيرنا على موضوع واحد نصوب اليه كل ملكاتنا وقوانا من بين ملايين الموضوعات التي تغمرنا . فللادراك اذا عمليتان الأولى عملية حسية محضة تقوم بها الحواس و الأخرى تفسيرية يقوم بها الفكر .

اما مسألة التجرد والانتخاب هذه فهى الاساس لكل تفكير و فلسفة وعلم وثقافة وعمل وتمدين . وبالجملة هي الدعامة التي تقوم عليها الحياة . والناس والامم يتفاوتون حسب مقدرتهم هذه على التخير والانتخاب . فمن الجماعات من ينتخب مايضعفه ويشله ويقرضه ويميته ، كما كان يفعل آباؤنا من قبل . و منها من يوجه كل قوى تخيره صوب مايقوى الحياة ويعمقها كما فعل ويفعل الجماعات المتمدنة المثقفة دائما

وماينطبق على الجماعات ينطبق على أفراد الناس . فالمصور والموسيقى والكاتب و الفيلسوف كل منهم يعيش فى نفس العالم الذى يعيش فيه الآخر . ولكن الفرق بين مناحى تفكيرهم يرجع الى قوة الانتخاب و التخير هذه . فالمصور لا يرى فى الاشياء الا النسب التي يدرك بها جمال الاشياء . ومعنى ذلك أنه ينتخب من مجموع المرئيات أمامه ما يناسب الصورة التي يريد نقشها فيطرح ما يتنافر مع الذوق وينتقى ما يؤلف وحدة الصورة ويعطيها الجمال المطلوب. وانى اعتقد فوق ذلك أن مذهب المصورين الطبيعيين والذين يقصرون عمل المصور على نسخ الاشياء نسخا وتقليدها تقليدا محكما يخطئون كل الخطأ اذ أن ذلك مستحيل فلسفيا ونفسيا .

وليس الامر قاصرا على المصور . فالموسيقار أيضا يعمل هذه العملية الانتخابية. فهو لا يتخير من العالم الذى يعيش فيه الا الأصوات، ملاحظا النسب بين بعضها البعض متخيرا منها مايؤلف نغمات خاصة تؤثر فى النفس . على أن ما يهم الموسيقى والمصور قد لا يأبه له غيرهما . فالسائح مثلا لا يعنى الا بالعادات والمشارب . والفيلسوف يعيش في عالم خاص من الافكار قد يراه أكثر الناس غير متفق مع ماهو عليه العالم . والحق ان كل انسان يعيش في عالم قائم بنفسه مستقل عن العالم الواقعي، بل وعن كل عوالم الآخرين

وقد ذهب الفيلسوف شوبنهور الالمانى فى فلسفته عن مصير الانسان فى العالم وانه مجبر لا اختيار له في شيء مذهبا خطأ فقال إنه اذا لم يكن أمام الانسان الا طريق واحد لا غير فهو مجبر بالرغم منه ان يسلكه ويتبعه . وقد غفل عن أن الحياة كلها ليست طريقا واحدا يراه المرء لاول وهلة . بل الحقيقة أن مايهم الانسان فى جميع ادوار حياته هو الخلق أو العمل الوقتى الذى يجب أن ينتخبه ويتخيره من بين ملايين أنواع العمل الشتى التى تعرض له . وأما مصير الانسان جملة وماذا سيكون من أمره فلا يفتكر فيه احد على الصورة التى يظنها فلاسفة القسر والجبر . لأنها لا تتفق وحقيقة الواقع في الحياة ومألوفها

والخلاصة أن لكل انسان ولكل حيوان عالم قائم بنفسه مستقل عن غيره كل الاستقلال . على أن سبب ماتراه من تماثل مايراه بقية الناس هو ان كلامنا يتخير بالتقريب مايتخيره الآخر . وقد قال الفيلسوف لوتز الالمانى ان كلا منا يقسم العالم الذى يعيش فيه الى شطرين .أى العالم من جهة وهو من جهة أخرى.

على أنه على الرغم من ذلك الاختيار والانتخاب والتقطع فى العمل الفكرى لا يجب أن ننسى أن الفكر كالعالم فلسفيا . أى أنه متواصل مستمر . وعند الاستاذ مورجان انه يجب أن ننشد ذلك الأستمرار والاتصال في حالات الوعى في قاعدة الموجة النفسية التى تتحول بالحركة الفكرية الى رأس موجة اخرى تليها وهكذا على التوالى ، مما يؤلف عادة سلسلة موجات متصلة بعضها ببعض، وعنده أنه يوجد عنصران فى النفس يشيران الى استمرار ذلك المجرى العميق الموجود تحت الدرجات الوعيية والخواطر النفسية . وذلك أولا حالات تحت وعيية

Subconscious ثابتـة تتكرر في النفس نظراً لاطراد حالة الأنسجة البدنية العضوية وكونها على وتيرة واحدة وغير متغيرة ، مما نتج عن استمرار وتكرر في نفس الحالات النفسية تكررا نوعيا . وثانيا وجود مجموعات حالات ذهنية لاوعيية ثابتة بالعادة مؤلفة من عناصر فكرية وثقافية وأدبية منتزعة من البيئة والمحيط ، تتألف على أساسها أحلامنا وآمالنا في الحياة .

مما سبق يتبين أن دراسة النفس دراسة علمية يستلزم ملاحظة الحالات النفسية ، وكل ما يعرض الخاطر ويسنح في الذهن ملاحظة دقيقة ، نتوصل بها الى معرفة القوانين والاصول التي تعمل وفقا لها . وقد وجدنا أن حالات الذهن أو الوعي وحدات قائمة بذاتها لا يمكن تجزئتها الى ذرات وعناصر ، وأنها كلها متصلة تسير في النفس كما يسير مجرى النهر المستمر المتواصل الجريان وأنها ليست في حاجة الى جوهر موحد هو الأنا أو الروح مثلا . واني أترك للقارىء أن يستنتج بنفسه الفرق بين أبحاث القدماء والمحدثين . على أني اعده بمعاودة البحث إن اقتضى الامر ؟

ع . حسين تقى أصفهانى



ماذا على الريحان

ننشر فيما يلى قصيدة تفيض عاطفة لسيدة من الفضليات اللاتى يصح للشرق أن يفخر بهن فان « مارى عجمى » ليست في حاجة لان تقدم لقراء (المصور) لان لها فى مجلتها (العروس) التى تصدرها في عاصمة الامويين جولات واسعة فى الادب ، ما قصيدتها هذه الا عنوانا عليها .

أعد لخر الشوق قد صوره   واطيب الانشاد ما أسكره
ياطائرا غنى على سرحة   هل من رسول ناقل أسطره
أعد من الالحان مالو فغا   فى جانب القبر ضحى عطره
أعد فمن قد ذاب منه الحشا   يقضى عليه الليل أن يسهره
أعد حديث الوجد حتى الضحى   فان فى الالحان ماذكره
ماالزهو والانشاد الا هوى   قلب يود القلب أن يظهره
يهتاج فيه الشوق حتي ترى   أن ليس للمشتاق أن يستره

* * *

منازل الاطيار ياحبذا   مثوى بتلك الجنة المسعره
ياحبذا الاحلام فى ظلها   يضفى علينا وردها مظهره
يهوى عليه الورق ممتنة   لو تستطيع الورق أن تشكره
ما ان سقاه الطل حتى انثنى   عجباً فكاد العجب ان يبهره
فى كل دوح ساجع هاتف   حي الهوى، سبحان من صوره
فى كل افق بارق ساطع   في كل عطف هزة منكره
في كل جنب جانح خافق   فى كل عين خمرة مسكره
يافتنة الغابات في همسها   هل فى الورى من كاشف مضمره
لقد وعيت السر فى أضلعى   وهذا شدو لا اعى مصدره
يامن تبيت الدهر فى حرقة   هلا اصمت الغاب مستمطره
ما الغاب الا معبد زاهر   زاه يرد الروح مستبشره

البدر في استهلاله ناظم   من رائع التشبيب ما صوره
والفجر في أذياله ناثر   ماشاءت الاسحار ان ينثره
ياحبذا الغريد من كامن   يوحي الى الاكوان ما أضمره
والزهر في أدلاله خاطر   يفوح فوح الند في المنجره
تجلي به أيقونة ، آيها   طيف دعاه القلب فاستحضره
المـاء يجرى هامسا باسمها   والريح والريحانة المزهره
حتى اذا ما الليل القى على   الاوجاء ستر الهدأة المخدره
لاحت شموس الافق رجراجة   ياحسنها من ليلة مقمره

***

مساجد الارواح فيك الهدى   وما الهـدى الا المنى مسفره
ما شئت من رقص ومن نغمة   انقي ميول الصب ما أظهره
ماذا على الريحان لو حركت   ريح الصبا اعطافه مبكره
من ذا يلوم الطير في شدوها   أو روضة ان لم تكن مقفره ؟ ؟
لئن منعت الغصن من رقصه   فقد منعت الروض ما نوره
أو ان منعت الموج في عبثه   فقد منعت البحر ما طهره

دمشق   ماري عجمي



(المصور عدد ١ ص ٥٠)

فصول مصورة في التاريخ الطبيعي

الـكركدن المنقرض
(رينوسيروز انتـكويتاتس)
Rhinoceros Antiquitatus.



إن أشهر أنواع الـكركدن المنقرضة هو النوع المسمى (رينوسيروز انتكويتاتس) أو الـكركدن (الصوفى) الذى كان يعيش في أوروبا وسيبيريا ، وسمى بالصوفى أو الوبرى لأن جسمه كان مغطى بصوف يقيه البرد فى الاصقاع الشمالية . وهذا النوع يقارب النوع المعروف بالـكركدن المستدير الفم أو الـكركدن الابيض الذى كان يعيش فى أفريقية وانقرض منذ زمان قصير .

وهذا النوع كان يتقى الجليد ببرد شتوى أشبه بفرو سميك من الشعر يغطى طبقة أخرى من الصوف أو الوبر الرفيع . ولقد عثر على عينة من هذا الصوف الرفيع فى حالة جيدة على جانب من وجه حيوان منقرض من هذه الحيوانات عثر عليه فى سهول سيبيريا الجليدية وحفظت بقاياه فى متحف التاريخ الطبيعي بيتروغراد .

واذا نظرت فى هذه اللوحة رأيت فى آخرها جمهوراً من حيوان المموث وسرب من (السيغاس Saigas) وهو نوع من الوعل المنقرض .

ولقد بقى الـكوكدن ملازماً البقاء فى مجاهل الجليد الشمالية . ولم يبلغ فى الهجرة الى الجنوب مبلغ المموث . وكان من قطان السهول المتسعة ، ويغتذى بالحشائش والاعشاب الصغيرة

المموث ، الغزال الاحمر



فى أوائل الربيع — « الغزال الأحمر — الرنة — والمموث على شواطئ نهر السوم فى فرنسا »

يرجح الباحثون كثيراً أن قطعان المموث **Mammoth** والغزال الاحمر أى الرنة والكركدن كانت تهاجر شمالا ثم تقفل جنوباً تبعاً لتغير الفصول . وهذه اللوحة تمثل بدء الهجرة الى الشمال فى أول الربيع . ولما كانت الصور التى خطها الانسان الاول فى العصر الحجرى على جدران الكهوف وعلى الأخص الصور التي نراها منقوشة على جدران كهف « فونديغوم » قد نقشت بكثير من اللباقة ، ولما كانت بقايا المموث قد حفظت فى الجليد ووصلت الينا بقاياه فى حالة جيدة ، فالراجح أن هذه الصورة التى صورها الفنان « نايت » — **Knight** — قد تعطينا صورة قريبة جهد القرب عن حقيقة المموث وهو من الخرطوميات **Proboscidea** أى الحيوانات ذوات الخرطوم الهائلة الجثة

أما المموث الصوفى فكان يشابه كثيراً الفيل الهندى . غير أنه كان أكبر جثة ، وشعره أشد كثافة ، كما كانت أنيابه أضخم وأشد التواء . ولقد عثر على جثث كاملة من هذا الحيوان مطمورة فى ثلوج سيبيريا ، حيث يظن ان هذا الحيوان قد عاش هناك أزماناً بعد انقراضه من أوروبا .



في منتصف الصيف — « الماستودون **Mastodons** والبيزون والحصان على ضفاف نهر الميزوري بأمريكا على محاذاة ولاية كنساس »

وهذه اللوحة تمثل منظراً خلال فصل الصيف في إقليم من أقاليم أمريكا الشمالية عند آخر الحدود التي يمكن أن تصل اليها هذه الحيوانات في هجرتها جنوباً .

ويرى الماستودون على شمال الناظر للوحة مسطح الرأس مستطيلها ، وأرجله قصيرة جهد القصر رغم ضخامتها . وقد عاش في أمريكا حتى عصر ظهور الانسان في أوروبا . ولكن لم يعش في أوروبا شيء من نوع الماستودون حتى ذلك العهد . وفي وسط اللوحة يرى البيزون الملكي — **Bison regius** — وهو النوع الذي تنسل عنه البيزون الحالي . وفي يمين اللوحة جمهور من حصان أمريكا الاصلي **Equus scotti** وقد باد قبل ظهور الانسان في أمريكا الشمالية .

الانسان فى نهاية العصر الجليدى باوروبا



رجال عاشوا فى آخر العصر الجليدى فى أوروبا . وهم مثال لسلالة بشرية بلغ بها التطور مبلغاً كبيراً من ارقى ، وهى ليست في كل الاعتبارات أقل رقياً من الانسان الحاضر . ولقد هبطت هذه السلالة أوروبا فى هجرتها من الشرق، واستقوت على السلالة النياندرتالية - Neanderthal - وافنتها ، بما كان فيها من كفايات التفوق عقلياً وجسمانياً . على أن تفوقهم هذا لا يقتصر على ما نستقرئ فى وجوههم من ملامح أو ما نقف عليه فى مقياس جمجمهم من زيادة فى الكمية ، بل نستدل عليه أيضاً بما وهبوه من القدرة الفنية التى تعبر عنها نقوشهم التى خلفوها محفورة فى جدران الكهوف فى جنوب أوروبا. فان النقوش الجدارية والنقوش التى نقشت فى العصر الطرانى القديم — أى الحجرى القديم — ونعثر عليها فى جنوب فرنسا واسبانيا على الاخص ، تدل دلالة واضحة على مقدرة فنية وتفوق عقلى لا نعثر على أثر لمثله فى السلالات الاخرى غير المتمدينة .

وهذه اللوحة التى رسمها الفنان (نايت) الامريكى تمثل أربعة فنانين فى العصر (الكرومانيونى) - Cro Magnon - يشتغلون فى تصوير المموث كما وجد فى كهوف (الفونديغوم) ودوردونى بفرنسا . فان الرجلين اللذين ارا كعين يحملان مشاعل صنعت من حجر مجوف . وفنان واقف نصف منتصب ، يشتغل فى تخطيط صورة المموث على جدار من الحجر الجيرى بقطعة من الصوان الحاد . أما الثانى فانه يضع الالوان ويمسك بيده اليسرى عظم كتف كحاملة للألوان التى يستعملها . أما الشخص الجالس فيجهز ألواناً حمراء وصفراء من المغرة أو القهرة وهى تراب حديدى معروف . أما الرجل المكتسى فرئيس يحمل صولجان القيادة ، دليلا على منزلته العليا .

فساد المجتمع الانساني

عن الانحطاط لنوردو والتطور الاجتماعي لتيلور

كلما اشتبكت انظمت الجمعية البشرية بعدت عن بساطة الفطرة . فاذا وجدت عقلية فطرية فى وسط راق دون أن تتأثر بالتطورات المستجدة فلا بد لها من أن تتسبب فى حدوث اضطرابات تظهر بمظهر العداوة للنظام السائد . ويظل دأب الافراد المتأخرين متجها نحو الاجرام الى أن تتسع مداركهم ويستطيعوا استساغة الوسط ، أوحتى ينشأ بعدهم جيل يتفهم ماهية المحيط اكثرمنهم . وليس في الامكان صد هجمات هذه العقليات المتأخرة بحزم لان الوسائل التى تساعد على النجاح ليس فى مقدور المدنية استعمالها . لان وسائل الردع الحديثة أوجدت لوسط راق حساس وأما تلك العقليات فلا تتأثر من زجر قوانينا المهذبة لانها لاتفهم الا لغة قوانين الكنيسة في عهد نظام التفتيش أوماهوأقل . كذلك لايمكن لامة متمدينة أن تزج بين قوانينها الانسانية مواد من قوانين المتوحشين رغبة فى تطبيقها على طبقة متأخرة لان المساواة والعدالة تنفيان الكيل للناس بكيلين . وكذلك تخشيان ان يتسلح البعض بهذه الاسلحة المنحطة للانتقام من خصوم لهم • ولهذا أصبحت مشكلة محاولة ايقاف اذى هذه الجماعة من المسائل العويصة التى نغضى عنها ونتحملها اتباعا للنظرية القائلة بتحمل ضرر البعض بدلا من الاضرار بالكثرة . فالفوضوية مثلا ليست أكثر من لانظام يحوى مجهودات افراد غير مسئولين يعيشون بعقلية لاتختلف كثيرا من عقلية شراذم وحوش الانسانية الذين وجدوا في فجر التاريخ . فهي تجهل تماما معنى وفوائد نظام الجمعية البشرية الراقى الذى يحوى سيئاته القليلة — اذا قورنت بسيئات الماضي — جنبا الى جنب مع حسناته الكثيرة : فهم يضعون نصب اعينهم السيئات ويتغاضون عن الحسنات . ثم ينظرون الى النظام الحالى بمنظار أقتم فيندفعون الى الانتقام والتشفى رغبة فى قلب ماهو موجود رأسا على عقب وجعله مطابقا لنظريات تملأ خيلاتها عقولهم

وبما ان عقليات الامم تتفاوت فلذلك نجد أنه يوجد بين هذه الجماعة وبين الطبقات الهادئة طبقة وسطى هي طبقة العامة التي يستفزها الكلام المبرقش فتثور ثائرتها مطالبة بحق حكم الدولة بحجة ان افرادها هم المكونون للاغلبية الساحقة فاذا ما تسلموا زمام الدولة حطوا من المستوى الاخلاق ودرجة الثقافة الى ما تصل اليه عقولهم. ولذلك لا يلبثون حتى يسقط من يدهم ويتركون العنان لمن هم اقدر منهم، وهنا لا يكون للطبقة الوسطى وهي اكفأ الطبقات واكثرها تمسكا بالاخلاق واشدها ميلا للثقافة فرصة للقبض على ناصية الحال بل تتعداهم الى الطبقة العالية

وانك لا تحتاج الى القاء اكثر من نظرة واحدة على نواب الامم كافة حتى يتضح لك انهم لا اكثر من قيم مالية يزداد نفوذها وينحط بنسبة ما لكل منهم من الثروة. فالمجالس النيابية والحالة هذه لا اكثر من « بورصات » للماليين يتآمرون فيها على الاستفادة ماديا من نفوذهم غير مبالين بالصالح العام، اللهم الا بقدر مايعود عليهم بالربح. وهؤلاء يضيقون الخناق على الصالحين للعمل ويبذلون جهدا عظيما لابعادهم عن التأثير فى مجريات الاحوال . ولذلك يملأ ونهم بأنفسهم المراكز العالية فى الحكومة ويولون من يلوذ بهم وهم لا يختلفون عنهم كثيرا ان لم يكونوا اكثر منهم جشعا فى المراكز الاكثر أهمية فكيف ينتظر والحالة هذه من دولة وزراؤها ماليون او محركون فى الدوائر المالية ان يبحثوا غير مغرضين فيما هو غير صالح للمخلوقات الوضيعة التى تتنازع على البقاء بين قاذورات المزابل التى نسميها خطأ منازلا

وليس الانحطاط الاجتماعي نتيجة لوجود عقليات قديمة عاجزة عن تفهم الحالة الراهنة فقط، بل هو ناتج ايضا عن اهمال الرجال المسئولين شأن الطبقات الفقيرة السيئة الحال. وبذلك تجد التعاليم المتطرفة بينهم مباءة صالحة فيندفعون بين الضيق والجوع الى عمل مايظنونه يضطر المترفهين الى النزول لمستواهم ومشاطرتهم المصائب التى تكل ظهورهم عن تحملها

ومع اننا مدينون للفلاح والصانع بكل شيء تقريبا فاننا لا نعيره ادنى التفات جهلا منا بانه ليس من صالحنا ارهاقه بالعمل ومنعه من حقه فى نعيم الحياه والحقيقة اننا نرتكب بعض اخطاء دون ان نقصد ارتكابها ولكن يجب ان لا ننكر بان من الاخطاء ما نرتكب بقصد سيء . اضف الى ما سبق

اننا لا نحاول البحث عما ترتكبه عفوا من الأخطاء لاجل تلافيه . فيجب على الامة الراغبة في التقدم ان تنتبه الى وجوب إزالة هذه الاخطاء قدر الامكان ومادام وجود امة حسنة الصحة يتوقف على وجود ام مالكة لصحتها ، وجب علينا انشاء وسط صحي واقامة الام فيه. كذلك يجب صقل عقل الامهات لينتجن لنا نسلا مصقول الذهن ولا يكلفنا التخفيف عن غلوائنا قليلا في بخس العامل نصيبه من الارباح التى نستأثر بها لأنفسنا دونه الاشيئا جزيئا نمنع بالتنازل عنه تهديده ايانا بالثورة كل وقت وآن . فاذا ما مكنا من جعله ينظر الى الحياة بمنظار غير اقتم حببنا العيش له واصبح يضن ببذل نفسه جزافا . وان من العبث ان نطلب من جائع ان يتمسك بقوانين الاخلاق وبالمبادىء الوطنية فيجب اذن قبل ان نحارب العقول المنحطة المندفعة للتخريب ان نشل يدها وذلك بمحاولة تنظيم الطبقات الدنيا تنظيما اجتماعيا راقيا بقدر الامكان وعندئذ فقط يتيسر لنا حصر الخطر في منطقة صغيرة

ولكن انى للرجال المسيطرين تفهم هذه الحقائق ثم العمل على ازالة أسباب القلق الاجتماعى وهم يتوارثون الكراسى الحكومية كما يتوارثون نفوذ آبائهم وأقاربهم حتى أصبح بعضهم لا أكثر من رواسب منحطة تتقلب منذ نشأتها فى احضان الترف واللذة حيث خبت فيهم بقية من ذكاء هى من مميزات الجنس البشرى! فهذه الجماعة قد انشأت من أنفسها وسطا سافلا ليس يختلف كثيرا عن احط دركات الطبقات الدنيا من جهة الاخلاق والذكاء واذا كان فى حيز الامكان ترقية الدرجات الدنيا ولو الى حد ما، فليس فى الامكان التأثير على طبقة المخنثين التى استسلمت للانحلال الفسيولوجى والاخلاقى وكذلك ليس هناك أمل فى ذريتها الضعيفة السافلة

فالانحطاط ليس خاصا بالطبقات الدنيا وحدها حيث تنشأ عقليات بدائية بل هو أيضا من خاصيات بعض الطبقات العالية التى أخذت فى الفساد وتحولت عن البشرية وانحط مستواها، ويصح أن يقال انها اشد خطرا على المجتمع من الجماعة الاولى، فان لها من النفوذ والسطوة ما يهدد كيان المجتمع بين آن وآخر بالجرائم

والوراثة هي كل شيء فى هذه الحالة لأن تأثير الوسط يكاد ينعدم اذا تحولت العقلية العامة في طبقة مخصوصة الى اتجاه مخصوص.

عمر عنايت

راسبوتين

حاشاى ان اصدع قارىء بسرد أسطورة الاب جريجورى ومافعله من الخوارق والمدهشات كما فعل الكتاب فى الجرائد والمجلات خصوصا طيلة مدة الحرب . أما الذى أريده فهو أن أساعدك على الوصول الى الحقيقة بتحليل أسطورة راسبوتين وارجاعها الى اصلها حتى يدرك مبلغ الاكاذيب وبالتحيلات التى تلصق بسير العظماء لان راهبنا هذا هو أحدهم سواء مقته أم احببته

انك ولاشك سمعت قصصاً عن قصور الملوك المستبدين أمثال اويس وهنرى وعبد الحميد وما ماثلهم ولاشك أيضا انك وقفت على أن تلك القصور لم تكن اكثر من نواد للخلاعة يستسلم فيها النبلاء والنبيلات لملاذهم طيلة النهار وشطرا كبيرا من الليل

وما عليك الآن الا ان تفكر فى قصر القيصر الروسى لتقف على حالة البيئة التى نبتت فيها اسطورة القديس (أو الشيطان) راسبوتين

وماعليك لكى تفهم درجة الجهل وتحكم الخرافات فى سيدات القصر الا الرجوع الى درس تاريخ عصور اوروبا المظلمة وقت ان كان الناس تحت رحمة رجال الدين حيث اندثرت معالم الاخلاق والآداب لدرجة أصبح التشدق بالفاظ واصطلاحات عليها مظهر دينى مقياس التقى والورع وانك لاتتعجب اذا سمعت بغيا تذكر الله بلسانها حامدة شاكرة أومستجيرة خائفة بل تطلب لها من الله الهداية

هكذا كان الحال فى سراى قيصر الروس قبيل نشوب الحرب العظمى. استهتار اخلاقى لاحد له قابع بين حيطان السراى . ذلك فى نفس الوقت التى تتخذ كل نبيلة من النبيلات لنفسها فيه قسا معرفا يغفر لها ما ارتكبت من الخطايا لتشتد قواها وتستعد لاقتراف عدد جديد منها

كان جريجورى فلاحا يسكن احدى قرى سبيريا فعضه الجوع بنابه فلجأ

الى المسوح يتقي بحرمته نصب العمل ويعتمد عليه فى مقاسمة البسطاء ما ربحوه بعرق جباههم . ترك جريجورى امرأته مع ابنتيه وابنه وراءه وصار يضرب فى عرض البلاد (درويشا) يتطفل على هذا مرة وعلى ذاك أخرى باسم الدين حتى اذا ماأعياه التعب التجأ الى بيعة وما أكثرها في بلدان الكسالى — ليأخذ لنفسه قسطا من الراحة ثم يرجع الى ما كان عليه حتى وصل مدينة سانبطرسبرج عاصمة روسيا وهناك توصل ليكون قسا معرفا لاحدى سيدات الشرف من النبيلات وهنا بزغ نجمه

وكان قوى الجسم وحشى الحيوية جبارا فهل يستبعد ان تريده المذنبه البضة الناعمة الملمس لنفسها فى وقت كان فيه جل الشباب فى المقدمة يدافعون جحافل الالمان للذود عن حياض وطنهم أوظاهرا بدفاعهم عنه وطلبا للالقاب والنياشين والرتب وهلا تجد المرأة فرقا بينا بين امثال هذا الانسان الوحش وبين النبلاء المخنثين الذين باتوا صرعى للذة وعبيدا للترف بل ماالذى تنتظره من ذلك الوحش ذى الرجلين الاثنين وهو يرى أمامه مالاعهد له برؤيته امرأة تسرد عليه ما اقترفته من اثم وما ارتكبتة من جرائم وهو لم يختبر .الا زوجه الفلاحة الساذجة الخشنة الملمس والاخلاق

ولم يكن هو الوحيد الذى طرأت عليه هذه الظروف بل كم تمرغ فى حمأتها أمثاله وأنه ليخطر ببالى أن النبيلات كن يتعمدن انتقاء معرفيهم من هذه الطبقة ليتيسر لهن اشباع رغباتهن دون أن يتركن لعشاقهن واصفيائهن مجالا لتكدير عيشهن

ولا يجب أن يستبعد أن عشيقته المتدينة كانت جاسوسة للالمان مدة الحرب لأن الحرب الروسية — اليابانية ربحها أبناء الشمس المشرقة بالمال الذى دفعوه للخونة من رجال ونساء الروس حتى أقدم بعضهم على استبدال الاسلحة والمهمات الجيدة . بغيرها مما لا فائدة منه

ولم تكن القيصرة الا امرأة وام ترى بعينها فلذة كبدها وأملها عرضة للامراض وترى ان راسبوتين يشفيه من مرضه بدعواته الحارة حتى اذا ما التفتت

القيصرة الى امر آخر صبت الجاسوسة الالمانية نقطة او نقطتين من دواء لايشفى ولى العهد بعد تناولها الا ببصقة من فم الاب المقدس

واما القيصر فكان منهمكا فى الحرب يدافع عن عرشه وصولجانه وكان قلبه يقطر دما على فلذة كبده ووارث ملكه فكيف يجرؤ على الشك فى القديس الذى ارسلته السماء — هذا اذا كان لديه وقت طويل للتفكير — بل كيف يمكنه ان يقف فى سبيل ارادة القيصرة وهي امرأته همها العمل لتنفيذ ما تراه باية واسطة

فاذن جعل الالمان هذا القس نقطة ارتكاز يصوبون منها جاسوسيتهم الجهنمية لهدم بناء الامبراطورية الشاهق ولو كان للحجر الذى تبنى منه قاعدة المدفع فضل في ربح المعارك يكون لراسبوتين شيء من الدهاء مسكين هذا الرجل فقد كان ممثلا سليم النية يفعل ما يراد منه فعله تسديدا لما كان يلتذ به من الخمر وما كان يحصل عليه من الطعام ومن النساء

وكان لابد للجواسيس من مكان فيه يجتمعون دون أن تدركهم اعين الناس وانى لهم ذلك الا حول ذلك القديس الذى لا يجرؤ انسان على مسه بسوء خوف غضب السماء على ولى العهد الامر الذى يتبعه غضب القيصرة فالقيصر والحاشية المنزهة عن فعل ما هو غير دنس . وهل يخطر ببال مفكر ان شخصا كجريجورى هذا الذى كاد يكون عاميا يصبح فى امكانه الدعوة الى « وجوب اذلال النفس بزناء الجسد أقرب الذنوب الى غفران الله » ؟ وهكذا انشئت حول قداسة راسبوتين كنيسة يجتمع فيها الجواسيس وتحت جناحيها يأتمون و يقترفون مايشاؤن منتهزين الفرص لالتقاط الاسرار بواسطة رجال الدين أو بواسطة الخمر والغرام

ولم تكن التعاليم التى يتبعها انصار هذه الكنيسة بالجديدة حتى يقال ومن هو اذن الذى اخترع هذا النوع من الاعتقاد لان التاريخ القديم والتاريخ الحديث مملوآن بقصص تشيب لها الولدان عن « نوادى عالم الظلام »

وانك لتجد فى المتراثيـة بدورها و بين صفحات تاريخ الدولة الرومانية بل

وفى منعطفات لندن وباريس وبرلين وغيرها من المدن الحالية مؤسسات نائمة على هذه الفكرة

وكانت الكنيسة تفرش بالطنافس الغالية وتعبق بارواح الزهور العطرية وكان المتعبدون نساء ورجالا يقومون هناك بفرائضهم المقدسة تحت انوف رجال الامن دون ان يجسر الاخيرون على تحريك أى ساكن لانه سبق لهم روية ماحدث لاحدهم على أثر مهاجمته للكنيسة المقدسة والقائه القبض على من بها من الابرار وهم بغير ثياب بالمرة ويقال ان أقارب القيصر ومنهم بناته كن من المتعبدات يتهم بعض الناس القيصرة واحدى بناتها بعشق الاب جر يجوار الخشن ولو صح المثل القائل بان نصف الناس اعداء للذى يحكم اذا عدل لصح الاستنتاج بانه وجد من لم يعل الى هذا النوع من العبادة اومن ضاعت منه عشيقته فى ذلك الوسط أو من غضب عليه كهنة الدين الجديد او من حرق الكره قلبه او من طمح الى الزعامة أو ربما أيضا قد كان يوجد بين طائفة النبلاء وطنيون ارادوا ذبح الثور المعبود ليخلو لهم الفضاء اذ تنهدم بموته الكنيسة التى تقدست بوجوده

وهكذا قتل راسبوتين غيلة فى دعوة للحظ بعد ان هدمت جماعته ركنا كبيراً من صرح الامبراطورية فى حين كانت المانيا تربح المعارك بالمال وبالبنين فى جهات اخرى

حسين محمود



الاشباح الثلاثة

عن الجداول — لايليا أبو ماضى

رادونى النوم وما برحا　　حتى طأطأت له راسى
اطبقت جفونى فانفتحا　　باب الرؤيا و الوسواس

* * *

ابصرت كأنى فى موضع　　مافيه غير الأرواح
فوقفت بعيداً اتطلع　　فلمحت ثلاثة أشباح

* * *

ولد يتهادى في العشر　　وفتى في برد العشرينا
والثالث شيخ فى طمر　　ذو جسم يحكى العرجونا

— ١ —

واذا الاول يقترب　　مى كالطائر فى الوثب
فشعرت كأنى أضطرب　　وكأن خطاه على قلبى

***

يانفسى ماهـذا الفرق ؟　　لا رمح معه ولا نبل
ولماذا الخشية والقلق ؟　　و الخلق احبهم الطفل؟

***

واذا بالطفل يخاطبنى　　بـكلام لا يتـكلفه
و يمـازحنى و يـداعبنى　　فـكأنى شخص يعرفه

***

ما بالك منكمشا كمدا　　قم نلعب فى فىء الشجر
ونهز الاغصن والعمدا　　ونذود الطير عن الثمر

***

أو نصنع خيلا من قصب   أو طيارات من ورق
ومدى وسيوفاً من خشب   ونجول ونركض فى الطرق

* * *

أو نأتى بالفحم القاتم   و نصور فوق الأبواب
تنيناً في بحر عائم   أو ليثاً يخطر فى غاب

* * *

أو كلباً يعدو أو حملا   يرعى أو نهراً أو هضبه
أو ديكا ينقد أو رجلا   يمشى ، أو مهراً ، أوعربه

***

او نجبل ماء وترابا   ونشيد بيوتاً وقباباً
أو نجعل منه أنصاباً   او نصنع حلوى وكباباً

***

مثلت الطفل ودنياه   فاحبت نفسي دنياه
وودت لو انى اياه   بل خلت كأنى اياه

* * *

فضحكت ولج بى الضحك   حتى استلقيت على ظهرى
فاستيقظ في الولد الشك   فتوقف يعجب من أمرى

* * *

ويقول أيا هذا قدكا   فوحقك ذا الطيش الاكبر
ماتضحك منى بل منكا   اياك أنا لو تتذكر

* * *

وتوارى عنى واحتجبا   كالموجة فى عرض النهر
فتضايق قلبي واضطربا   وارتجت روحى فى صدرى

— ٢ —

واذا الشبح الثانى أقبل   يترنح مثل المخمور
الليل على الدنيا مسدل   وعليه وشاح من نور

***

معصوب المقلة والدرب وعر وكثير الآفات
كسفين ليس لهـا رب تجرى في بحر الظلمات

***

ماذا في الافق ؟ فقد وقفا يتأمل فيـه ويبتسم
هل لاح له وجه عرفا أم هز جوارحه نغم؟

* * *

أم أبصر آلهـة الحب تدعوه اليها ايمـاء
لاشيء فى الافق الرحب وكأن هنالك أشياء

***

الطـير يغنى للزهر ويظن الطير تساجله
والزهر يرحب بالفجر ويظن الزهر يغازله

***

ونظرت اليه في البر يتمنى لو خاض البحرا
ونظرت اليه في البحر يتمنى لو بلغ البرا

***

يتأفف من بطء الدهر والدهر يسير به وثبا
وينام ليحلم بالفجر والفجر يضيء له الدربا

***

ويسائل عن كأس الخمر ويسائله عنهـا الناس
في الليل وفى وضح الفجر والخمرة فيه والكاس

***

فصبرت ولازمت الصمتا حتى دانى الظل الظل
فأشرت اليه : من انتا ؟ فاجاب : انا ذاك الطفل

***

ومضي كالظل اذا انتقلا وانا أرجو لو لم يمض
فاعدت لنفسي ما ارتجلا فتعجب بعضي من بعضي

— ٣ —

الشمس تزل عن الأفق كالروح المحتضر الساجي
غمرتها امواج الغسق فتوارت خلف الامواج

***

والغيم الأسود يحتشد طبقاً فى الجو على طبق
والليـل يطول ويطرد والأرض كسار في نفق

***

واذا شيـخ فى صـحراء كالزورق فى عرض البحر
اعياه الصـلح مع الماء وأضاع بدرب الى البر

***

يمشى فى الأرض على مهل وعلى حذر ، لـكن يمشى
كالشاة تساق الى القتل بعصا جبـار ذى بطش

***

يا شيـخ . . لماذا لاتقف دميت رجلاك من الركض
فاجاب بصـوت يرتجف الأرض تسير على الأرض

***

ياشيـخ . . رويداً فالبدر سيضىء الدرب فتستهدى
فاجاب : ويتلوه الفجر لـكن سيضىء لمن بعدى

***

أيلذ لغصن منكسر عرته الريح عن الورق
أن يبصر فى ضوء القمر ما كان عليه من الطرق ؟

***

ما لذة ميت فى الرمس بالزهر الفـواح المعطر
نور لا يشرق فى النفس كغناء فى اذن الحجر

***

ما استخفت عنى الافلاك والشهب، بل استخفى حبى
لم تملأ دربى الاشواك إن الأشواك لفى قلبى

***

يا شيخ . .شجانيما قلتا   وزرعت بنفسى آلامك
من انت ؟ أجاب أنا أنتا   انا ذاتك تمشى قدامك

— ٤ —

كم أبحث بين الأجرام   عنى 'وانقب فى الأرض
احلامى تطمر احلامى   بعضى مدفون فى بعضى

***

لم أبصر ذاتى بالامس   فى لوح زجاج أو ماء
بل لاحت نفسى فينفسى   فهى المرئية والرائى

***

هي !!

هي روحى ، هي روحي إنها   أقربالأشياء مننفسىوقلبى
مثل زهر الحقل للأرض دنا   وقريب هو منها أى قرب

* * *

وهى في النفس جمال باعث   نشوة الحب ، كهزات الطرب
أو كنوم قد سرى فى الجسد   كده السير ، وأضناه التعب

* * *

وحياتى ، هي حبي نحوها   يتمشى فى دمائى ذا حفيف
مثل نهر مفعم — فيجرية   هادىء اللحن،بانفاسالخريف

* * *

إن إنشادى اذا كانت معي   كخرير الجدول الصافى النمير
ان بيتا واحدا من نغمتى   قديساوى من قوافيهالكثير

القاهرة   حسن كامل الصيرفي



علاقة الانسان بالكون (١)

عن الشاعر الآلهي رابندرانات طاغور

أينعت مدينة اليونان القديمة بين جدران المدن واسوارها المشيدة والحقيقة أن كل المدنيات الحديثة لها بدايتها فى مهاد قوامه اللبنات المرصوصة.

ولا مرية في أن هذه الجدران المشيدة تترك آثارها المحتومة العميقة فى عقول الناس. فانها تلزمهم أن يضعوا نصب أعينهم تلك الحكمة السياسية المعروفة « فرق واحكم » وتطبعها فى عقولهم وتضطرهم الى الاعتقاد بأن كل انتصاراتنا لن تنال الا باحكام تحضينها وفصل احداها عن الاخرى. فننفصل بذلك بين أمة وأخرى، وبين صورة من المعرفة وصورة غيرها، وبين الانسان والطبيعة . أنها تقوى فينا نزعة الشك في كل ماهو كائن خارج حدودها التى اقمناها وشيدنا دعائمها، وما من شيء يستطيع أن يقتحم لنفسه طريقا الى حيز اعتبارنا، الا بعد موقعة كبرى وجهاد عظيم.

لما أن ظهر غزاة الآريين لأول مرة في الهند كانت تلك البلاد عبارة عن رحاب متسعة مترامية الاطراف تكسوها غابات لم يلبث الغزاة ان انتفعوا بها وجنوا ثمراتها. فقد اتخذوا منها ملجأ يتقون به حرارة الشمس الفاتكة وهجمات الرياح الاستوائية القاتلة، كما وجدوا فيها مرتعا خصيبا لماشيتهم، ونارا يوقدونها للتوسل وتقديم التضحيات، ومواد يبتنون بها القرى والاكواخ. ولقد سكنت كل قبيلة، وعلى راس كل منها بطريقها Patriarch الأكبر فى غابة من تلك الغابات، حيث وجدت ماتحتاج اليه من حمى طبيعي، وغذاء وافر، وماء دافق

فالمدنية فى الهند وليدة الغابات وبين جنباتها الرحيبة اينعت وآتت اكلها. وفى صميم هذه البيئة وذاك الوسط تلونت بلون خاص، وطبعت بطابع وحده:

(١) عمدنا في العصور الي تلخيص فصول ننقلها عن رجال العصر المشهورين أو عن القدماء غير ناظرين الي مبادىء اصحابها فنقلنا عن برترند رسل وعن قابيل ادم وعن مكبريد ولا نزال نلخص فصولا اخرى عن شترتون هيل. وهذا فصل نقلناه عن الشاعر الفيلسوف طاغور وسنوالي نقل فصول عنه في الاعداد الاتية حبا في التنويع والفائدة معا

ولقد حوطت تلك المدينة بحياة الطبيعة الرحبة وتغذت بلبانها واتشحت بردائها فكان لها بمختلف مظاهرها وتباين نواحيها ، اكبر علاقة ، وأمتن آصرة .

قد يسبق الى حدس البعض أن حياة هذه صورتها وذلك طابعها، قد تطفيء جذوة الذكاء الانساني ، وتهبط حرارة تلك المثيرات التي تنزع بالانسان الى التقدم والارتقاء بما تسبب من انحطاط في مستوى الوجود . غير أننا نجد في الهند القديمة أن الحالات التي سببتها حياة الغابات لم تستقو على عقل الانسان بما يضعف من نزعاته ، ولم تذهب بشيء في مستفزات نشاطه ، بل كان كل أثرها محصورا في أن تولى بتلك الاشياء الى وجهة خاصة . فالانسان كان حرا . لأن اتصاله باوجه النشوء والتطور التي كانت تحف به في الطبيعة قد حررت عقله من كل رغبة في أن يمد من سلطانه ، فيشيد الاسوار الشامخة حول ما يجمع من حطام . واذن لم يكن غرضه محصورا في أن يملك ويجمع ، بل في أن يحقق وينظر ، وأن يوسع من مجال ادراكه ، وان ينشأ وينمو مع الاشياء المحيطة به ، لا بل أن يشب مندمجا فيها . لقد أدرك بان الحقيقة تضمن كل شيء ، وأنه لا يوجد من شيء في الوجود هو مطلق الانفصال عن الكل ، وأن الطريق الوحيد الذي يقودنا الى حيث نجد الحقيقة هو أن ننفذ بوجودنا الى صميم كل الاشياء والموجودات بيد أن تحقيق تلك الالفة الكاملة الكائنة بين روح الانسان وروح الوجود ، كانت الغرض الاوحد الذي سعي اليه حكماؤنا الذين عاشوا بين الحراج والغابات في بلاد الهند القديمة

خلال الازمان الاخيرة حطمت تلك الغابات وانقلبت حقولا مزروعة ، و نبتت حد فيها المدن المشيدة و العواصم المنيعة . ولقد قامت عليها دولات قوية قادرة ، كان لها اتصال كبير بكثير من دولات الأرض العظمي . غير ان عين الهند حتي في تلك العصور القي خفقت على ربوعها فيها اعلام السعادة ورفت في سمائها روح السلام ، كانت تنظر نظرة القداسة الى تلك المثل العليا التي رمت الى تحقيق الانسانية ، والى عظمة تلك الحياة الطبيعية التي متع بها سكان الاكواخ ، والتي استمدت خيرة آمالها من تلك الحكمة التي خبئت بين جدرانها .

والظاهر أن الغرب يفتخر بانه ماض في اخضاع الطبيعة ، كما لو كنا نعيش

في عالم معاد لطبيعتنا ، حيث نضطر الى أن نصارع فى سبيل كل شيء نحتاج اليه لننتزعه من نظام غريب عنا ، بعيد عن الخضوع لارادتنا. وما هذا الشعور الا نتاج لعادة العيش فى المدن المسورة الحصينة ، وتدريب العقل عليها. لان الانسان فى حياته المدنية إنما يوجه كل الضوء المنبعث عن بصيرته العاقلة الى العناية بحياته واعماله الخاصة ، ومامن نتيجة لهذا سوى أن يخلق فاصلا صناعياً بين نفسه وبين الطبيعة التى يعيش فى احضانها .

اما فى الهند فان وجهة النظر مختلفة عن ذلك تماماً . إنها إنما تجمع بين العالم والانسان وتتخذهما حقيقة عظمى لا تنفصل اجزاؤها . توجه الهند كل جهودها الى معرفة تلك الألفة الكائنة بين الفرد والكون . انها تشعر باننا لن نستطيع أن نتصل بوجه مامن اوجه الاتصال بما يحيط بنامن الاشياء ، اذا كانت تلك الأشياء غريبة عنا ، اجنبية عن طبيعتنا . اما شكوى الانسان من الطبيعة فتنحصر فى أنه ملزم بان يحصل على كل حاجياته بمجهوده الذاتي . نعم ! غير أن جهوده تلك ليست عبثاً ولا هي ضائعة سدى . أنه يجنى كل يوم ثمراً ، وينال نجاحاً . وذلك يدل على أن هنالك قاعدة معقوله تصل بينه وبين الطبيعة ، لاننا لا نستطيع أن نحصل على شيء ونجعله جزء من وجودنا ، مالم يكن في ذلك الشيء قدر من حقيقة الاتصال بذاوتنا .

يمكننا أن ننظر فى طريقنا مامن جهتين مختلفتين . فقد تمثله لنا احدى النظرتين كانه يقوم فاصلا بيننا وبين الشيء الذى تتجه اليه رغباتنا . وفي هذه الحال ننظر في كل خطوة نخطوها خلال سياحتنا على هذه الطريق كما ننظر الى شيء لم ننله الا بعامل القوة والقسر انتزاعا من عقبات وحوائل تصدنا دونه . وقد تمثله لنا النظرة الاخرى كانه السبيل الوحيدة التى تسلم بنا الى نهاية التى نرغب فيها ، وعلى ذلك تكون الطريق التى نسلكها جزء من الغرض الذى نسعى اليه . انما يصبح الطريق الذى نسلكه فى هذه الحالة بدء نجاحنا ، فاذا ضربنا فيه فاننا نجنى كل شيء يمكن أن يؤدى اليه . اما وجهة النظر الاخيرة فهي بذاتها وجهة نظر الهند ازاء الطبيعة . فان اهل الهند أنما يؤمنون بهذه لحقيقة العظمى ، حقيقة أننا فى الفة تامة مع الطبيعة . وان الانسان انما يستطيع ان يفكر لان بين افكاره وبين الاشياء التى يفكر فيها الفة واتساق . وأنه ان

قدر على أن يستخدم قوى الطبيعة فى تنفيذ اغراضه ، فانما يرجع السبب في ذلك الى أن قوته في حالة ألفة وتطابق مع القوة العامة ، وأنه فى درج اعماله كلها لن تصطدم أغراضه مع القصد والغاية المنبثان في تضاعيف الطبيعة .

اما الغربيون فيشعرون بان الطبيعة هي عبارة عن الاشياء غير الحية و الحيوانات ، وأنه حينما تبدأ الحياة الانسانية فهنالك يقوم صدع متناه لايسبرغوره يفصل بين عالمين متناقضين . وعلى هذا يترتب أن كل شيء ينحط في درجات الوجود فهو في حيز الطبيعة الصامتة. وأن كل شيء مطبوع بطابع الكمال عقلياً وأدبيا ، فذلك فى حيز الطبيعة الانسانية . وما مثلهم فى هذا الا كمثل من يفصل بين الكم وبين الزهرة. ويجعلهما فى حيزين متباعدين ، ناسباً وجود كل منهما الى مبدإ لايتفق والمبدأ الذى أوجد الآخر. غير أن الحالة فى الهند على نقيض ذلك . فانهم هنالك لايتلكأون فى الاعتراف بصلة الرحم الواقعة بينهما والعلاقة التى تربطهما معا بالكل اللامتناهى

على أن الألفة الاساسية فى الخلق لم تكن في نظر أهل الهند عبارة عن تأمل فلسفي لاغير . بل كان الغرض الذى رموا اليه فى حياتهم هو تحقيق تلك الألفة شعوراً وعملا . فبالتأمل والعبادة و تنظيم اعمال الحياة ، استطاعوا ان يغذوا ضمائرهم ووجدانهم على اسلوب جعلهم يشعرون بان في كل شيء يحوطهم معنى روحانياً . فالأرض والماء والضوء والثمار والأزهار لم تصبح فى نظرهم مجرد ظاهرات طبيعية ينتفع بها ثم تترك سدى . بل إن هذه الاشياء قد اعتبرت عندهم ضرورات لابد منها للوصول الى اقصى قمة من المثل الاعلى فى الكمال ، كضرورة كل نغمة من النغمات فى التأليف بين القطع الموسيقية . لقد أدرك أهل الهند بما فيهم من قوة الحس الكامن بان حقيقة هذا العالم ذات معنى حيويا ندركه ، وانه من الواجب أن نقف على دقائقها وأن نبدع صلة و جدانية بيننا وبينها ، لا من طريق الغرائب العلمية ولا من طريق الطمع فى الانتفاع والكسب ، بل بتحقيق ذلك المعنى فى جو تسود فيه روح العطف ، ممزوجة بشعور من الغبطة وحب السلام .

يعرف ذو العلم ، فى ناحية فى نواحي بحثه ، بان العالم ليس مجرد تلك الاشياء التى تدركها الحواس . أنه يعرف بان الماء والارض هما فى الحقيقة نتاج تفاعل قوات تظهر لحواسنا ماء وأرضاً . و كيف لايكون علمنا بها جزئياً مع كل هذا ؟

فى حين ان الرجل الذى ينظر بعين الروح لا بعين الحس، إنما يعلم أن الحقيقة الاخيرة فى طبيعة الماء والارض، ترجع الى مقدار ما نستطيع أن ندرك من الارادة الباقية السرمدية التى تبرز اعمالها خلال العصور وتطاول الازمان ، وتتشكل فى صور من القوى المختلفة ، نحقق نحن وجودها فى تلك المظاهر . وليس في هذا شيء من العلم المجرد ، بل هو ادراك الروح بالروح . على أن هذا الاسلوب لن يسلم بنا الى القوة ، كما يسلم بنا العلم وطرق المعرفة . بل يسلم بنا الى الغبطة وانشراح الصدر ، الذى هو نتيجة لتوحيد اشياء تربط بينها أواصر شتى . أما الرجل الذى لا يسلم به علمه باحوال الدنيا الى اعماق ابعد غوراً من تلك الاعماق التى يفضى اليها العلم ، فانه لن يدرك طبيعه تلك الاشياء التى يستوعبها الرجل ذو البصيرة الروحانية من ظاهرات الطبيعة . فانه يعتقد ان الماء ليس وسيلة للنظافة لاغير ، بل يشعر بانه يطهر قلبه ويصفيه من أدران الرذائل . وليست الارض عنده مجرد وطأة تحمل جسمه ، بل هي وسيلة للسرور والانشراح . ذلك لانه يشعر بان علاقته بها ليست مجرد علاقة مادية . بل علاقة ذات معنى حيوى كائن . فاذا لم يحقق الانسان قرابته وأواصر علاقته بالطبيعة فانه يعيش فى سجن تتكون جدرانه المسورة من أشياء أجنبية عن طبيعته . اما اذا مضى شاعراً بانه انما يرى الروح السرمدية منبثة فى تضاعيف كل الموجودات ، فهنالك يتحرر، لانه بذلك يكون قد كشف عن الحقيقة الكاملة لهذا العالم الذى يعيش فى جنباته . هنالك يجد الحقيقة ، ويحقق الألفه الكائنة بينه وبين الكل . على هذا تجد الحال في بلاد الهند . فان أهلها يعتقدون اعتقاداً تاماً فى تلك العلاقه القريبة التى تصل بينهم وبين ما يحوطهم من أشياء جسمانيا وروحانياً ، وتراهم يهللون لشروق الشمس وتدافق المياه وثمار الارض، على اعتبار أنها أشياء تمثل الحقيقة الخالدة التى تضمهم وتلك الاشياء في بيئة واحدة . ولهذا تجد أن سفر « الجاياترى » Gayatri هو سفر التأمل اليومى ، وهو مقطوعات شعرية تتضمن خلاصة كل ما فى كتب الفيدا Vedas وهى انما تتخذ وسيلة لتحقيق الوحدة الاساسية بين العالم وضمير الانسان . فانها تعلمنا كيف ندرك تلك الوحدة التى يربط « الروح الخالد » بين اجزائها . ذلك الروح الذى خلق الارض والسماء والنجوم ، وهو فوق ذلك يزيد عقولنا اشعاعاً بما يبعث في الضمير والادراك من أضواء تتراوح

بين الثبات والحركة ، ولكن فى سلسلة غير منفصومة ، تبعاً لحركة العالم الخارجي .

وليس من الحقيقة فى شيء أن أهل الهند قد حاولوا أن ينكروا الفروق التقييمية الكائنة بين الاشياء . لانهم يعلمون حق العلم ، أن هذا يجعل الحياة في حيز المستحيلات . فان الشعور بتفوق الانسان وارتقائه فى نظام الخلق ، أمر لم يغب عن أذهانهم لحظة واحدة . ولكن كان لهم بجانب هذا فكرتهم الاصليه فى ذلك الشيء الذى ينحصر فيه تفوق الانسان واستعلائه على الطبيعة ، وأن هذا الشيء ليس في قوه الاستجماع والكسب ، بل في قوة الاندماج والوحدة . لهذا نجد أن أهل الهند قد جعلوا قبلة حجهم الى حيث يكون في الطبيعة أثر من آثار الجمال والعظمة ، حتى بذلك يستطيعون أن ينتزعوا العقل من دائرة الحاجات الضيقة ، وأن يحققوا وجوده فى اللانهاية . وكان هذا هو السبب الاوحد في أن تقلع امة برمتها كانت من قبل من أكلة اللحوم عن أن تنحر البهائم وتتخذها طعاماً ، وتعكف على غرس بذور العطف العام و الحب المتبادل . ولا مرية فى أن هذا العمل نسيج وحده فى تاريخ النوع الانسانى .

لقد علم رجالات الهند أننا باقامة الحواجز الطبيعية والعقلية ، إنما ننتزع انفسنا من حياة الطبيعة الفائض معينها ، واننا اذا أصبحنا الانسان مجرداً ، لا الانسان مندمجاً فى الكون ، فانما نخلق بذلك من حولنا جواً كثيفاً من المشكلات الممضة ، واننا بذلك ننضب النبع الفياض الذى يزودنا بما نقتدر به على حل تلك المشكلات ، فنمضى من ثم فى تجربة كل الاساليب الصناعية ، التى يؤتى كل اسلوب منها ثمره اليانع من معضلات لا نعرف لها حلا ، ولا نبلغ منها الى غاية . فان الانسان عند ما يترك وكنه الفطرى وسكنه الغريزى فى جوف الطبيعة العامة وعند ما يمشى على حبل الانسانية وحدها ، فان مثله في ذلك يكون كمثل من يريد أن يرقص متراوحاً بين أطباق الهواء ، أو من يهيىء تحت قدميه هوة يقع فيها فيجهد كل مجموعه العصبى وكل عضلاته في الاحتفاظ بتوازن جسمه لدى كل خطوة يخطوها ، حتى اذا ما احذ منه التعب واكده النصب ، أبرق ضد العناية وأرعد ، ومضى ومأواه شعور مؤلم ممزوج بكبرياء كاذبة ، ظاناً بأنه سيء الحظ مظلوما وأن طبيعة الاشياء إنما تتجه في ناحية يشعر بأنها ضد غاياته ومقاصده

غير أن هذه حالة لا يمكن أن تدوم . فالانسان لا بد من أن يحقق يوماً طبيعة وجوده كجزء من كل متلائم النواحي ، ويحدد مركزه فى اللانهاية .

يجب أن يعرف أنه على الرغم من كده ونصبه ،فانه لا يستطيع أن يجعل خلية حياته تفيض بالشهد ، لأن قوت حياته إنما يوجد خارج جدرانها المسورة . يجب عليه أن يدرك أنه اذا منع عليـه الاحتكاك باللانهاية المحيية المطهرة فانه عند ذلك يرجع منقضاً على نفسه يطلب منها الحياة والبرء من علله فتثور في قلبه ثورة الجنون ، فيمزق اجزاء نفسه أى ممزق ، ثم يأكلها جزء جزء ، فكأنما يهضم بذلك حقيقة وجوده . وهو إذ يفقد سنادة الكل اللامتناهى ، يصبح فقيراً معدماً صفر اليدين حتى فى صفاته الانسانية ،صفات البساطة والسذاجة، ويصبح قذر النفس ، تعلو وجهه قترة الخجل والانقباض . هنا لك ينضب معين ثروته الحيوية وتحيط به أسباب الخرق والاسراف والخبـل ،و تحتكم فيه شهواته ولا تخضـع لحاجات حياته ، ذاهبـة الى اقصى حد من الافراط والفجور . وتصبح الشهوات غاية في ذاتها ، وتشعل فى الحياة جذوة وتدبين احزائها حريقاً مشتعلا تنبعث مع السنته نغماتها الشوهاء الموقعة على قيثارة نفسه المتلظية .

على هذا نجد اننا فى قرارة أنفسنا انما نعمل دائما على انتاج كل ما هو مفزع مخيف ، لا على انتاج كل ماهو مغر جذاب . ففي الفن نعمل دائما على ان نبتكر ، و نغض الطرف عن الحقيـقة الخالدة التى هي على قدمها متجددة الشباب . وكذلك فى الأدب، نغفل عن ان ننظر نظرة تامة فى الانسان ، الذى هو بسيط ، بيد انه عظيم . فيظهر لنا الانسان كمسألة بسيكولوجيه ، أو كشهوة مجسمة فى ذاتها، عظيمة لأنها غير قياسية . ذلك لانا ننظر فيه تحت اشعة مصطنعة شديدة التأثير . فان ادراك الانسان عند ما يصبح شديد الارتباط بذلك الحيز الذى يجعله متين الآصرة بما يحوط نفسه الانسانية ، فان جذور طبيعته لا تجد من حولها تلك البيئه التي تساعد عناصرها على النماء ، وتظل روحه مشرفة على هاوية الاضمحلال والموت جوعا ، ويستبدل قوة الصحة ، بحلقات من المنبهات الشديدة ، بعضها يحوى بعضا . إذن فالانسان هو الذى يخطيء في معرفة ما ينطوى عليـه وجوده من معانى الجمال ، فيقيس عظمته بمقدار الكم لا بنسبة اتصاله الحيوى باللانهاية، ويحكم على نشاط نفسه بما فيها من قدرة على الحركة ، لا بنسبة اطمئنانها الى بلوغ الكمال — ذلك الاطمئنان الهادىء الذى يبعثه في النفس منظر السماوات بنجومها المتألقة ، والبحار باصواتها المهدرة، بل وكل ما تفيض به نواحى الوجود من توازن الخطو، وتناسق الاجزاء .

ليس من شبيه في التاريخ لغزو الهند الاول ، سوى غزو الاوربيين لامريكا في العصور الحديثة. فانهم قوبلوا هنالك بغابات قديمة ، وحروب دموية مع السلالات الاصلية التي كانت تسكن تلك البلاد . غير أن هذا الشجار الذي قام بين الانسان والانسان وبين الانسان والطبيعة ، قد استمر حتى النهاية ، فلم يتفاهم الطرفان مطلقا ، ولا التقيا في مواضع ساد فيه السلام . أما الهند فان الغابات التي ظلت طوال الاعصر سكن المتوحشين والهمج ، قد أصبحت مباءة الفلاسفة ومأوى الحكماء ، على الضد مما كان في امريكا. فان تلك الغابات ، كاندرائيات الطبيعة العظمى وموضع إدنها الاقدس لم تبعث في روع الانسان من معنى جديد ولم تزوده بشعور من العظمة أو حب الاندماج في اللانهاية . لقد اتحدت كمصدر للقوة والثروة ، ولكنها قليلا ما بعثت فيه هنالك حسا من الجمال وشعورا بالخلود ، فكانت على تدابر فترات الزمان توقظ في نفس شاعر ما روح الشاعرية. انها لم تحز في زمان من الازمان الحديثة في أمريكا قدرا من الارتباط بقلب الانسان . ولم تشهد شيئا من طبيعة التفاهم الروحي ، يقوم بين روح البشر وروح الكون

ولست أتردد لحظة واحدة في ان أعلن بأن رغبتي لم تتجه الى القول بأن طبيعة الحوادث كان من الواجب أن تسير في غير هذه الوجهة . فان التاريخ يصبح في دوره عبارة عن مجموعة حوادث لا أثر لها ان هي تكررت على وتيرة واحدة ونمط بعينه خلال تتالي الاجيال ، وفي مختلف النواحي .فانه من الاربح لتجارة الارواح ان تنتج الامم حاصلات مختلفة باختلاف مواقعها على كرة الارض وتعرض بها في سوق الانسانية بحيث يكون كل نتاج منها متمم وضروري لغيره من النواتج. أما ما أريد أن أقررهنا فحقيقة أن الهند منذ بدء حياتها قد ووجهت بمجموعة من الحالات الخاصة ، لم تفقد شيئا من مؤثراتها . فان أهل الهند ، خضوعا لحالتهم التي حوطتهم في الحياة ، قد فكروا وشبحوا مع الخيال ، وجهدوا في الحياة وتألموا ، وغاصوا الى اعمق أغوار الوجود ، فحققوا شيئا من الثابت أنه ذو قيمة كبيرة في نظر أقوام تمشي تاريخهم في طريق من النشوء مخالف للطريق الذي تمشي فيه تاريخ الاخرين . فان الانسان لكي يكمل نماؤه يحتاج الى كل العناصر الحية التي تؤلف بين أجزاء حياته المتخالطة . وهذا هو السبب في أن غذاءه يجب أن يزرع في حقول مختلفة ، وينتج من منابع متفرقة

المدنية عبارة عن تكوين تجتهد كل أمة فى أن تجعل رجالها ونساءها فى الفة مع رقى مثله العليا . فكل معاهد ذلك التكوين وقوانينه وشرائعه وكل مافى مثله من الحسن والقبح ، وكل تعاليمه الادراكية والوجدانية انما تتجه بكليتها الى تحقيق هذه الغاية . فالمدنية الحديثة ،بكل مافيها من القوات المنظمة، انما تعمد الى غاية يصبح الانسان معها كاملا طبيعيا وعقليا وأدبيا . وهنالك تتجه كل جهود الامم الى النظر في الطريقة التي يصبح بها الانسان متسودا على مافى بيئته ، فتجد أن كل الامم قد حصرت جميع مواهبها فى العمل على المال والاستجماع مكتنزة كل ما تصل اليه يدها من العدد لكى تستقوى بها على العقبات التي تعترض سبيل غزوها أو تقف سيرها . لقد حصرت الامم كل همها فى تنظيم حقوقها فهى تحارب الطبيعة طورا وتحارب أمما أخرى طورا آخر. ولهذا تجد أن معدات قتالها قد أخذت تزداد قوة وفتكا كل يوم ، وان آلاتها ونظمها ومستحدثاتها قد اطردت الزيادة فيها بنسبة مروعة. ومما لاشك فيه أن ذلك وجه من الانتاج جدير بالفخر ، ودليل محسوس على قدرة الانسان فى التسود على قوى الطبيعة ، تلك القدرة التى لاتعرف حائلا يصدها عن غاية، ولا تنشد من غرض سوى أن يسود الانسان على كل شيء فى هذا الوجود

كذلك نجد الحال فى الهند القديمة . فان شعوبها قد تملكها شعور دفع بها الى بلوغ مثل أعلى من الكمال ، حصرت كل همها فى سبيل بلوغه ،ولكن لم يكن الغرض من الوصول الى هذا المثل حيازة القوة . لهذا نجد ان هذه الشعوب قد أهملت فى تهذيب كفاياتها لتبلغ بها الى أرقى حد ممكن ولم تحاول أن تنظم رجالها في صفوف تستخدم للهجوم والدفاع ، ولا للتعاون فى استجماع الثروة ، أو السيادة فى عالمى الحرب والسياسة . فان المثل الذى رمى الى تحقيقه رجال الهند قد جذب أكثرهم نبوغا وأشدهم على الحكمة اكبابا ، الى حيث يتمتعون بحياة بعيدة عن كل شيء الا عن التأمل الذهنى ، وما من ريبة في أن العمل على حيازة تلك الكنوز التى استجمعوها بهذه الطريقة لخير الانسانية بنفوذهم الى صميم الاسرار التى تحوط الحقيقة وتحجبها عن الانظار ، قد أفقدهم كثيراً مما كان فى مستطاعهم أن يتمتعوا به من ضروب النجاح العالمي . غير أن انتاجهم هذا ، من وجهة اخرى ، لانتاج جدير بالاعجاب حقيق بالفخر العظيم . فانه

لدليل سافر على أن الآمال الانسانية لاتعرف حداً ولا تقف عند غاية، وانها لاترمى الى قصد اللهم الا الى تحقيق اللانهاية و ثبات وجودها الحقيقى

لقد كان منهم ذوالفضيلة، وذوالفعل ، وذوالشجاعة وكان منهم السياسيون والملوك والامبراطرة الذين حكموا تحت سماء الهند . ولكن الى أية فئة من في هذه الفئات تنظر عين الهند لتنتخب منهم من يمثل حقيقية الانسان؟ نظرت الى الريشى Rishis ومن هم الريشى ؟

« هم أولئك الذين بعد أن تحققوا من الاندماج في «الروح الأعلى» بالمعرفة، قد ملؤوا حكمة ، ولما ان وجدوه فى وحدة مع الروح البشرى قد اصبحوا في الفة تامة مع النفس الكامنة. وبعدأن حققوا وجوده فى القلب ، تحرروا من كل النزعات التى تؤدى اليها الانانية . وبعدأن اثبتوا بالتجربة أنه كائن فى كل أوجه النشاط التى تظهر آثارها فى نواحى الوجود قد تنعموا بالهدوء والطمأنينة . هم أولئك الذين بعد أن بلغوا الى درجة الاتصال بالله الواحدالفرد من كل الوجوه قد حصلوا على السلام الابدى ، فاتحدوا بالكل ، و ندمجوا فى حياة اللانهاية . »

وعلى هذا ترى أن تحقيق علاقة الانسان بالكل ، والاندماج فى كل شيء من طريق الاتصال بالله ، قد اتخذ فى الهند على أنه الغاية ، وأنه القصد الأخير الذى يجب أن تسعى له الانسانية .

فى استطاعة الانسان أن يهدم ويخرب ، وأن يكسب ويجمع ، وأن يخترع ويستكشف ، ولكن عظمته الحقيقية تنحصر فى أن روحه يستطيع أن يدرك الكل .وليس لسجن النفس الانسانية فى غلاف من العادات الجافة من معنى ، اللهم إلا الفناء المحتوم اذ تكتنفه فى تلك الحالة اعاصير من أعمال الحياة العمياء تلف حوله لفها فتحجب عنه الحق كما تحجب الزوابع الترابية نهاية الأفق عن الابصار. ولا مرية فى أن هذا يهدم حقيقة وجوده ويذهب بماهية حياته ، التى هى لدى الواقع ليست بشيء سوى روح الفهم الحقيقى لطبيعة الاشياء .وفى الحق أن الانسان ليس عبدا لنفسه، ولا للطبيعة. إنه عاشق محب. فحريته وواجبه ينحصران فى الحب، الذى لا نعنى به الا كمال العلم وتمام الادراك .ومن طريق هذه القوة . قوة العلم والادراك والوقوف على حقيقة وجوده ، يتحد ويندمج في «الروح الأعلى» الممثل في كل شيء

والكائن في كل شيء ، والذي هو لدى الواقع شهيق روحه وزفيرها . وحينما يريد الانسان أن يستعلي بنفسه منازعاً بقية الموجودات مزاحماً كل مايحف به، ليحوز بذلك درجة اعلى من درجة متسوداً على كل الاشياء، فهنالك يبدأ انفصاله عن (الروح) وهذا هو السبب الذي من أجله يصف (اليوبانيشاد) كل الذين وصلوا الى الغرض الاخير الذي ترمى اليه الحياة الانسانية بأنهم (في سلام) وأنهم مع (الله) ويعنون بذلك أنهم في الفة تامة مع الانسان والطبيعة ، وبذلك يصبحون في حلقة غير منفصومة من الاتحاد مع الله .

إن في تعاليم المسيح عيسى بن مريم لاشارة الى مثل هذا اذ يقول ـ انه لأهون على الجمل أن ينفذ في سم الخياط من أن يدخل غني ملكوت السماوات . وليس لهذا من معنى الا أن كل ما ندخر لانفسنا هو بمثابة فاصل يفصل بيننا وبين بقية الاشياء . او بمعنى أوجز ـ أن حطامنا هي منتهي أفقنا . فان من يعكف على استجماع الثروة والغنى ، يصبح عاجزاً عن ان يلج ذلك الباب الذي يفتح امامه مجال الادراك الحقيقي لطبيعة العالم الروحي، عالم الألفة الكاملة . ذلك لان نفسه تكون مستمرة الانتفاخ بالمادة ، دائمة الانبعاج بالدنيويات . وينحصر مجاله في مابين تلك الجدران الضيقة التي تقيمها من حوله مستجمعاته المحدودة.

اما التعاليم التي يدعو اليها « اليوبانيشاد» فهي — انك من أجل ان تصل الى الروح الاعلى — يجب عليك أن تدرك الكل. وانك في بحثك وسعيك وراء النفس دائما تترك كل شيء لتحصل على أشياء قليلة ، وان هذا ليس سبيل الاتصال به ، الذي هو الكمال الصرف ، والخير المحض .

من بين فلاسفة أوروبا المحدثين ، فئة على الرغم من كونهم مدينون ، بطريق مباشر او غير مباشر « لليوبانيشاد » وعلى الرغم من انهم لا يعترفون بهذا الدين ، يعتقدون بان « براهما »الهند عبارة عن تجريد صرف ، وذهول فكرى محض ، وانكار كامل لكل ما هو كائن في هذه الدنيا . وعلى الجملة ان الموجود اللامتناهي لايمكن أن يكون له وجود الا فى عالم الغيبيات وليس ببعيد ان يكون هذا المذهب او مايقاربه لايزال منتشرا بين فئة من اهل الهند. غير ان هذا غير مطابق لمقتضى الحالات التى يقوم عليها روح العقل الهندى وقوامه. فان هذ المذهب، على العكس من ذلك ،عبارة عن وسيلة عملية لتحقيق وجود اللانهاية واثبات

حلولهافي كل الاشياء التي ظلت كل الاعصر بائة وحيها، نابذة سرها. والفروض علينا ان نوقن بان :

« كل مافي الدنيا من موجودات مندمج في الله. إني اعما اسجد لله مرة تلو اخرى. لأني أراه في النار وفي الماء وهو الذي يحل في كل نواحي العالم وفي المحصولات التي تحبونا بها الارض كل عام كما هو في الاعشاب الدورية الحياة »

هل يمكن أن يكون هذا هو الله المجرد عن كل ما في الكون ؟ على العكس من ذلك ، فان هذا المذهب لا يزودنا بان نراه في كل الاشياء لاغير ، بل يلزمنا أن نحبيه ونمجده في كل الموجودات التي يتضمنها العالم . فان موقف الرجل « الشاعر بالله » في اليوبانيشاد ازاء الكون ، لموقف يتجلى فيه شعور التقديس العميق والعبادة الحقة . فان موضع عبادته موجود امامه في كل شيء ، وحيثما كان . ان معبوده هو تلك الحقيقة الحية السرمدية التي تثبت وجود كل الحقائق التي ندركها . وليس هذا الحق بمطوى بين جنبات المعرفة وحدها ، بل هو كامن في تضاعيف العبادة والخضوع . أننا نسجد له حيثما كنا ، مرة بعد أخرى. أنه ليتجلى في سورة « الريشى » الذين يهيبون بكل من في الدنيا في اخذة افتتانهم الفجائية المملوءة بالشغف و الجذل : صائحين

« أصغوا الينا ، أنتم ياأبناء الروح الخالد ، أنتم يامن تعيشون في المأوى السماوى. لقد عرفنا الذات العلية التي تنير اضواؤها الخاطفة من وراء الظلمات؟ »

لسنا نجد شغفاً شاملاً في تجربة مثل هذه كلها يقين ، وكلها إيجاب ، حيث نعجز عن أن نجد أقل أثر للابهام أو السلب ؟

لقد بشر « بوذا » ، وهو أول واضع للناحية العملية من مذهب « اليوبانيشاد » بمثل هذه الرسالة حيث يقول

« مع كل شيء ، سواء اكان علاء أم حضيضاً ، بعيدا أم قريباً ، مرئياًأم غير مرئى ، سيكون لك صلة من الحب غير محدودة فلا تشعر بعداء او نهمة للقتل . فانك اذا عشت تحت تأثير مثل هذا الوجدان قاعداً أو ماشياً جالساً أو مضطجعاً حتي تنام ، فهنالك تكون « براهما فهراً » أو بعبارة اخرى — تكون حياً متحركا جذلا في براهما »

هذا هو الروح ؟

يقول اليوبانيشاد : —

«هو الموجود الذي ينبعث من ماهيته ضوء الكل وحياة الكل. هو وجدان العالم،
هو براهما»

لنشعر بالكل . ولندرك كل شيء . ذلك هو الروح . نحن كائنون في وجدانه جسماً وروحاً . إن من طريق وجدانه تجذب الشمس الارض . ومن طريق وجدانه تنتقل تموجات الضوء من سيار الى سيار . وليس ذلك في الفضاء وحده بل :

«ان هذا الضوء وتلك الحياة ، هذا الموجود الكامل الشعور بكل شيء ، هو في روحنا أيضاً»

هو كامل الوجدان في المكان . أو عالم الامتداد. كامل الوجدان في الروح : أو عالم اللانهاية .

فمن أجل أن نحصل على وجداننا العالمي ، يجب علينا أن نوحد بين شعورنا وذلك الشعور غير المتناهي ، المالىء لكل خلاء . الكائن في كل شيء . والحقيقة أن التقدم الانساني الصحيح يتفق مع هذا التوسع الكلي في مدى الشعور . فان كل ما حصلنا عليه من شعر وفلسفة وعلم وفن ودين ، انما هي وسائل تؤدي الى الذهاب بما يرمي اليه وجداننا الى عوالم أنقى طبيعة ، وأوسع جنبات . أن الانسان لا يحصل على مرافق أكثر بمجرد حصوله على امتداد أوسع . وهو أبعد عن الحصول على مرافق ما من طريق السلوك الظاهري . ذلك لان مرافقه تمتد بمقدار ما يكون في كيانه من حق . وحقيقته تقاس دائماً بنسبة المرامي التي يرمي اليها وجدانه .

اننا على أية حال يجب أن ندفع ثمناً لما نحصل عليه من حرية الوجدان . وما هو هذا الثمن ؟ انه ينحصر في أن نطرح أنفسنا بعيداً . فان روحنا لا يستطيع أن يحقق وجوده الا بانكار ذاته وفي هذا يقول اليوبانيشاد : —

«انك سوف تربح بالبذل . انك سوف لا تتشهى أو تطمع»

من نصائح « الغيتا » Gita أن نعمل بعيداً عن حب المنفعة . وأن لا ننتظر النتيجة . على ان كثيراً من الناظرين في هذا الامر الخارجين عن سلطانه ، يستنتجون من هذه التعاليم أن تصور العالم على اعتبار انه غير حقيقة وانه وهم . شيء كائن من تضاعيف ذلك الامر الذي يدعونه الغيرية والخلو من الغرض في

الهند . غير أن عكس هذا القول صحيح من كل الوجوه .

فان الانسان الذي يتطلع الى تحقيق عظمته وحده ، ينزل من قيمة كل شيء آخر في الوجود . فاذا قارن بين نفسه وبين بقية العالم ، خيل اليه أن تلك البقية شيء غير حقيقي . اذن فمن اجل أن يصبح الانسان مدركا لحقيقة الكل ينبغي له أن يكون حرا طليقاً من كل القيود التي تقيده بها رغباته الشخصية . وهذا النظام من الواجب علينا أن نخضع له اذا ما أردنا أن نمهد لانفسنا سبيل القيام بواجباتنا الاجتماعية . واقتسام الاحمال التي يئن تحتها اخواننا في الانسانية وكل جهد يصرفه الانسان لكي يحوز حياة أوسع مدى وأرحب افقا ، يحتاج منه أن يصبح قانعاً «بالربح من طريق البذل وأن لا يطمع» وعلى هذا يتعين علينا أن نوسع تدرجا وحالا على حال من حيز ادراك الوحدة مع الكل لكي نكون عاملين حقاً لما يجب أن تعمل له الانسانية .

لم تكن اللانهاية في الهند عدماً خالياً من كل شيء . فان «ريشي» الهند قد حققوا لنا : —

«أنه من أجل أن نعرفه — الروح الأعلى — في هذه الحياة يجب أن نكون على حق . واذا لم نعرفه ، في هذه الحياة ، فتلك وحشة الموت وظلمة الفناء . »

وكيف نعرفه اذن ؟

« بأن نحقق وجوده في جزئيات الاشياء وفي الكل . »

ليس فقط في الطبيعة ، بل في الاسرة ، وفي الجماعة ، وفي الحكومة . وكلما ازددنا تحققا ادراك العالم في الكل ، فذلك خير لنا . فاننا في اللحظة التي نعجز فيها عن تحقيق ذلك نكون قد ولينا باوجهنا شطر الفناء .

وما من شيء يملؤ جوانحي غبطة وسرورا وأملا عريضاً في مستقبل الانسانيه ، أكثر من تذكري أنه مضى زمان ، منذ أقدم العصور ، وقف فيه أنبياؤنا الشعراء تحت تلك الخيوط الذهبية التي كانت ترسل بها الشمس في سماء الهند ، وحيوا العالم تحية الاعتراف باواصر القربى التي تربط أجزاءه . ولم يكن في هذا شيء من خيال الفكرة الناسوتية (١) لم يكن فيه شيء من مرآى الانسان منعكسا في كل مكان من صور يكبرها الوهم ويضخمها الاسراف في المبالغة ،

(١) انثربومورفزم ــ الناسوتية أي الفكرة القائلة بتزويد الله بشيء من الخصائص الانسانية

ولا من تخيل المأساة الانسانية تمثل منتفخة مضخمة على مسرح الطبيعة العظمى. على العكس من هذا كان فيها معنى واحداً هو اجتياز حدود الفردية، ليصبح الانسان اكثر من انسان. ليصبح واحداً مع الكل. لم يكن في ذلك شيء من الاعيب الخيال والتصور. بل كان تحرير الوجدان والادراك من الغاز النفس البشرية ومبالغاتها المحضه. لقد شعر هؤلاء الكاشفون القدماء من أعماق عقولهم بان تمس تلك القوة التي تهتز متشكلة في صور شتى تكون أجزاء العالم، هي بذاتها التي تظهر نفسها في أعماق وجودنا وفي صورة ندعوها الوجدان. وأنه لا انفصال للوحدة الخالدة. لم يتراء لهؤلاء الكاشفين من صدع أو انشعاب خلال رؤاهم الاشعاعيه لدى مرآئم الكمال الكلي. فانهم لم يؤمنوا حتى بالموت نفسه، كقوة في مستطاعها أن تحدث صدعاً في قوام الحقيقة قالوا : —

« ان في التأمل موت كافيه خلود ».

انهم لم يؤمنوا بفارق حقيقى بين الحياة والموت. حتى لقد قالوا قانعين :

« انه الحياة التى هى الموت »

لقد هللوا بكل ما في جوانحهم من غبطة وسرور :

« للحياة في مظهرى الاقبال والادبار. »

« ان كل ما مضى مخبوء في الحياة، وكذلك كل ما هو آت. »

لقد عرفوا بان مجرد الظهور والأفول اشياء سطحية كالامواج التى تتكسر على سطح البحر. ولكن الحياة التى هى باقية، لاتعرف الانحلال ولا الانتقاص.

لقد نشأ كل شيء من الحياه الخالدة. وكل شيء يهتز متراوحاً مع الحياة. لأن الحياة لانهاية غير محدودة

هذا هو الميراث النبيل العظيم الذى تلقيناه عن آبائنا الاولين. وانهم ليطلون علينا من شرفة الابدية لينظروا كيف نختص بذلك المثل الاعلى من حرية الوجدان. وليس يقوم هذا المثل على قواعد من العقل وحده أو العاطفة وحدها. ان له لتكافؤ أدبية اخلاقية يجب أن تخرج الى حيز الفعل والتنفيذ.

قيل فى اليوبانيشاد : —

«ان الذات العليـة محققة الوجود فى كل الانحاء. اذن فهي خير محض مندمج من الـكل»

لنكن في وحدة حقيقية من المعرفة والحب وتبادل المصالح مع كل شيء . ولنحقق وجودنا الذاتي في الله الموجود في كل شيء . تلك هي ماهية الخير . وذلك هو جوهره . وهذا هو الباب الذى نلج منه الى تعاليم اليوبانيشاد : —
« الحياة غير محدودة . »

قبيل السحر (١)

فى تلك الساعة التى تتناجي فيها الارواح ، وترسل بسيالاتها السرية الى اعماق هذا الوجود ، عساها تنتزع منه سر البقاء والفناء ، كنت أسير وشاطيء النيل ، وقد أرسل القمر باشعته الفضية الوضاءة على اشجار الكافور القائمة على شاطيء النهر بمقربة من حديقة الاسماك ، فكان يخيل الى أن تلك الاشجار الباسقة قد استحالت أرواحا مرحة باسمة ، تتلقى ضوء القمر بالراحتين ، لتلقى بها على صفحة النهر النحاسية .

وعلى الشاطيء الآخر منحدرات كستها الاعشاب . ومن ورائها مزارع تمتد الى منتهى النظر ، لتنتهي بكثبان من الرمال والتلال القائمة فى وسط الصحراء الغربية ، وهى أشبه بالآمال العريضة اذ تكتنف القلب وقد أوحشته اللوعة ، وأمضه الفراق . وكانت ظلال الاشجار تكسو الشاطيء وقسما من صفحة الماء يتخايل اليك من ورائه لمعان يزكو ويخبو ، فكان أشبه الاشياء بهذه الحياة وما فيها من مختلف الصور ، أذ ترى فى ساعة هنية رضية ، وفى أخرى عوجاء هوجاء

وأى زمان تنعم فيه بمثل مانعمت الا في شهر آب ، وأنت بين غياض الارض والقمر يكسوها باشعته الفضية الجميلة ، وقد خيل اليك أن صلتك بالعالم المادى قد قطعت ، ولم يبق لك بهذه الدنيا من رابطة اللهم الارابطة الامل

(١) حادثة وقعت نسوقها عظة للناس ومثلا لصورة من صور الاخلاق

يفيض به قلبك ، فتخرج سيالاته متسلقة خيوط الاشعة القمرية لتبلغ بك نجما قصيا فى أطراف هذا الوجود .

وطالت جلستى تحت شجرة من الاشجار المحاذية لمجرى الماء ، وكانت كثيفة الاوراق ملتفة الاغصان ، ولست أعلم كم لبثت غارقا فى طيات نفسى متابحا في فلوات التأمل العميق ، حتى استدار القمر ونفذت الى أشعته اللامعة من خلال الاوراق . فتذكرت مناجاة فوستوس عن لسان جوته ونعته القمر بانه « صديق من لاصديق له » وأى شيء فى الوجود كان في مستطاعه أن يؤنس وحشتي وينهض الى التأمل فكرتى ، الاذلك القمر الراقد بين الاجرام ، وكأنه الدرة اللامعة فى بحر من اللازورد هدأت امواجه ورقت صفحته

وذكرت بجانب مناجاة فوستوس قوة الكشف فى بصيرة نوستراداموس وتمنيت لو انى اخطي من روح ذلك العراف بلمحة تجعلني اكشف عما سوف يقع لى فى الغد القريب ، ولو تمنيت أن اكشف بها ما كان مخبوء لى ان اراه فى تلك الآونة لكنت اصدق حدساً وادق إحساساً .

وما زلت فى مثل هذه الحال حتى نبهنى الى ما حولى صوت لم اتبين ما هو . وكانت الخفافيش الكبيرة على عادتها من التعلق بالاغصان والطيران حاثمة حول الاشجار ، هنيهة واردة ، وأخرى صادرة ، وكنت اسمع لضرب اجنحتها في الهواء حفيفاً ما ذكرنى بشيء الا احلام كانت تساورنى فى غفواتى القليلة ، وكنت أرى فيها ملائكة السماء هابطة الى الارض ولاجنحتها حفيف هو اشبه عندى بحفيف اجنحة الخفافيش فى تلك الساعة الرهيبة . على أن ما كان بين نفسى وبين الليل الساكن من تجانس يمثل فى هدوئهما ، قد انقطع فجاءة ، اذ تبينت ان ذلك الصوت الذى لم اتبين ما هو لاول وهلة ، لم يكن الا صوت المجداف يضرب ماء النهر فى هوادة وتؤدة حتى لا يسمع له صوت تتبينه الاشباح النورانية ، بله ابناء آدم وحواء . وكان المجداف لا يرتفع عن صفحة الماء الا ريثما يتحرك الى الوراء ملامساً وجه الماء برفق ولين ، ليغوص في الماء من غير أن يحدث ضوضاء ولا جلبة ، فخيل الى أن ذلك النوتى يخشى أن ينبه الاسماك في مسابحها الى اسرائه في جوف الليل بقاربه الصغير . فقلت فى نفسى لأمر ما يحاذر

النوتى لطم الماء ، ولأعظم من ذلك الامر ما اضطره لان يسرى بقاربه الصغير فى مثل هذه الساعة من الليل : .

وشق القارب طريقه فوق الماء متوسطاً النهر ثم اخذ ينحدر نحو الشاطىء فى سكون وصمت ، غير تارك وراءه من اثر الا تموجات خفيفة على صفحة الماء كانت تأخذ في التضاؤل بنسبة بعدها عن سكان القارب الصغير ، وكأنها تتفانى

ولم يكن لى أن اهتم بشىء من كل هذا ، لولم ينبعث من مؤخر القارب صوت فى نبراته حزن وشجو قائلا ـ « الى شجرة الصفصاف » وهى شجرة على مقربة منى تتدلى أغصانها الى الماء فيجرفها تياره وهى متشبثة بأصل الشجرة فكانت تلوح لى كأنها الاطفال يتعلقون باذيال أمهاتهم حذر أن يجرفهم تيار الحياة الى اعماق هذه الانسانية العاتية القاسية .

ورسى القارب وأفرغ حمله . فاذا به فتاة لم اتبين شيئامنها إلا أنها حسنة الهندام رشيقة القد خفيفة الحركات . ووقفت على الشاطىء هنيئة كأنها تترد . ثم قالت للنوتى أرجع من حيث أتيت و انتظرنى حيث أمرتك . وما كاد القارب يبتعد عن الشاطىء قافلا الى حيث أتى ، حتى جلست تلك الفتاة الى جذع الشجرة واسندت رأسها بيديها ثم فاضت شؤونها بملء ما في نفسها فى حسرة و ألم .

***

أمام هذا الهيكل المجسم من الحزن القاتل ، تلاشت احلامى وآمالى ، ووقفت امام حقيقة من حقائق هذه الدنيا . فتاة فى مقتبل العمر تهجر كنها فى ساعة متأخرة من الليل ، فتغرى رجلا بالمال أو الآمال ليحملها على سطح الماء الى ذلك المكان المنفرد الموحش ثم يعود من حيث أتى ، وهو منها احذر من الرقباء ، وأخوف من السمار أن يطلعوا على بعض امره ، وتلك الدموع الفائضة والشؤون المتونة تذرف ولا من يعرف أنها ذرفت ولا لأى شىء جرت تنساب انسياب النهر الراقد تحت قدميها !!!

وما شعرت بعد ذلك بشىء الاأن الفتاة قد امتشقت قامتها الهيفاء ، ثم تلفتت يمنة ويسرة ، وكأنها استوحشت فى المكان ، فقالت وكأنها تناجى نفسها :

ما اشد خوفي ! ما اعظم هذا الليل !

فهممت بأن أتقدم اليها واعضها العون في ساعة كنت أتخيل أن العون فيها اعمل في نفسها من رهبة الليل ووحشة المكان . وممن فرت هذه الغادة الهيفاء؟ ألم تفر من ابن من ابناء آدم تجمعني واياه جامعة النوع والوراثة ؟ الم تفرَ من أب عات سفاك ، أوأخ مستبد متعسف، أو زوج منحط الاخلاق فاسد النزعات، أو حبيب أوْ ّمن خان ؟ ممن فرت أن لم يكن من أحد هؤلاء ؟

ولقد خيل الى أني لو انقلبت روحا حائرة تستجلي الاسرار من بين طيات القلوب ، وحنايا النفوس ، ثم استطعت أن اندمج في جوانح هذه الفتاة ساعة لاعرف ، مايناجيها به القلب الخافق اليائس ، وما يقودها اليه العقل المضطرب المرتج ، وما تستهويها اليه نفسها من أمل فى المستقبل أو يأس، وما تناجيها به روحها المضطرمة بين جنبيها ، اذن لاستطعت أن اعرف أن ذلك القلب قد جرحه الحب ، وأن ذلك العقل قد نكثت فعله تباريح الغرام ، وأن تلك النفس قد هدها الهجران . وأن تلك الروح قد امضها الأذى والكفران .

و اخذت تتسلق منحدر الشاطيء فى تثاقل لا تكلف فيه . حتى اذا بلغت مغارس الاشجار هب الهواء شديداً فلمت عليها فضل أرديتها و تأهبت للمسير . ثم التفتت الى الوراء والى اليمين والى الشمال فى فزع ورعب ثم سارت سير الخائف الوجل مستترة بظل الاشجار حذرة خائفه . هلعة والهة .

أ أتبعها ؟ أم اترك مناظر الانسانية تمر أمامي من غير أن اعيرها اهتماماً ؟ أأرافقها فى ذلك الطريق الذى سلكته غير راضية ؟ أم ابقى حيث أنا اناجي القمر ويناجيني حتى تهزم نفثات الصبح جيوش هذا الليل البهيم . وما زالت هذة الخواطر تتنازعنى حتى عزمت على أن أتبعها : ولما سمعت وقع إقدامي و قفت و اسندت ظهرها الى جذع شجرة كانت على مقربة منها و صاحت : من أنت ؟ من أنت ؟

لاتخافى ايتها السيدة ! شخص يريد أن يمد يد المساعدة ليد فقدت امينها؟

هل معك سلاح ؟

نعم معي .

اذن سر امامى . لا بل سر خلفى ودافع عنى . فان الوحوش الكاسرة لابد من أن تتبعنى عما قليل .

إلى أين أنت ذاهبة ؟

الى حيث استطيع أن اختفى عن الانظار . وأنسى الى الأبد .

اذن فسيرى وانا تابعك الى حيث تريدين .

فهمت بالمسير ثم توقفت عنه . ثم اطرقت الى الارض هينة ثم رفعت رأسها مرسلة زفرات حرى . ثم سارت فتبعتها .

ومازلنا نسير حتى حاذينا جسر قصر النيل ثم اجتزناه ، واذا بها تعتلي عربة وتأمرنى بلهجة غريبة أن اجلس الى جانبها وتأمر السائق أن يذهب الى محطة السكة الحديدية وكان النهار قدملأ الارض بضيائه وبدأ الناس ينسلون من مآويهم ، فكانت كلما رأت خيطاً من خيوط النهار ازدادت فزعاً وألماً . وما زالت طول طريقها تستعدى السائق ، فيلهب الخيل بسوطه حتى اذا بلغنا الى حيث أمرت . قالت رافقنى ، لقد تعهدت بالدفاع عنى حتى أتركك ! ! !

واذا بها فى عربة من عربات الدرجة الاولى فى القطار الاول الذى يغادر محطة القاهرة الى الاسكندرية . وقبل أن يتحرك طلبت الى أن أعطيها عنوانى احياء لذكرى هذه الحادثة واعترافا منها بيدى التى أسديتها . فسألتها أن تعطينى عنوانها واسمها فقالت سيصلك نبيء بعد حين . وتحرك القطار وظللت واقفاً حتى غاب عن نظرى ، ثم أخذت حوادث ذلك الليل تمر أمام خاطرى الحادثة بعد الأخرى وقد هوم باجفانى النعاس ، فرجعت أدراجي لأقضى حاجة الجسد بعد أن قضيت حق الروح فى ليلة ما تهيأ مثلها الا للقليلين من أمثالى الهائمين بحب الطبيعة يناجونها بين الغياض وعلى شواطىء الأنهار

***

وانحدرت الأيام . وكادت ذكرى هذه الحادثة تموت فى أعماق الذاكرة موت غيرها من الذكريات . ولكن شاءت الأقدار أن تحيي الذكرى ، وأن تطبع الحادثة فى صفحات نفسى الى الأبد .

ففي ذات نهار حمل الى البريد خطابا مسجلا أثبته هنا بحروفه لعله يترك في النفوس ذكرى ، تكون للآباء عظة ، ولنبات حواء سلوى .

باريس في ١٠ سبتمبر سنة . . . ١٩١

سيدى

اليوم اكتب اليك لافضح ذلك السر الذى أردت أن يدفن معي ويلحق بي في قبرى . غير انى بعدان أطلت التفكير وامعنت في النظر وتجلت لى طبيعة الاشياء في ضوء من هدوء النفس وراحة الضمير ، لم أشأ أن أطوى سرى بين جوانحي وأضن على الفتيات أمثالى ، اللائى رمى بهن سوء الطالع ونحس الحياة فى أحضان من لايعرفون لهذه الحياة من معنى سوى المال ولاشيء سواه :

نشأت ياسيدى فى بحبوحة من الحياة وخفض فى العيش في اكناف أب ماعرف من حقائق هذه الدنيا الا القليل، ومن سوء طالعى أن تجاريبه فيها كانت أقل من معرفته بها . ماعرف فى هذه الحياة لشيء من قيمة الاأن يجمع مايستطيع أن تصل اليه يده من حطامها الزائلة ، ومافتيء يسعى اليها وتسعي اليه حتى أصبح ممن يضرب بغناهم الامثال وما زالت الأقدار تحط عليه مما تفيء به على أمثاله من أهل الدنيا المستميتين فيها العاكفين عليها ، حتى خيل اليه أن ترك أولاده بلاعناية من التربية تتساوى مع من كان في مثل غناه، موضع انتقاد الاهل والاقربين ، وكنت واخواى لانزال فى سن يسمح بالتربية فعهد بى الى مدرسة راقية من المدارس التى تعنى بتربية كل منهن فى مثل حالى من بسطة الرزق ، وعهد باخوى الى معاهد أخرى لايلج بابها الا أولاد الاغنياء ونسينا على هذه الحال ردحا من الزمان ، حتى اذا اكتملت سنى العشرين ، عدت الى المنزل احمل اجازتى من المدرسة ، حائزة لاعلى درجاتها ، واذا باخبار أخوى تترى على والدى ، وكانا في اوربا بأنهما عكفا على عادات أهل اليسار في مدائن الدنيا الجديدة فانهمكا فى ملذاتهما وراحا يجريان وراء ملاذهما يتناهبان حلبتها بكل ما أوتيا من قوة الشباب والمال . ولم يكن نجاحي واخفاقهما سبباً فى أن أكبر في عين أبى ، ولم يكن صغر الدنيا في عيني بسبب لان أكبر فى عينيه ، بل بدأ ينظر الى كلما رآنى نظرة يلقيها على فى ازدراء

وكراهية ماتبينت لها من سبب الا ذات ليلة وقد سمعته يقول « اليس من نكد الدنيا أن تنجح بنت ستكون يوماً زوجا لرجـل غريب ، ولا ينجح أحد الولدين ليحفظ اسمي ويفتح بيتي » فكأن نجاحي كان على شؤماً واكبابي على الدرس والتحصيل نكبة ، مالي بدفعها من يد ولا سلطان .

وشاءت الأقدار أن يموت أبي وشيكا وأن يحضر أخوي من أوربا مزودين بكل ما أخرجت المدنية الحديثة من مفاسـد المترفين المنقطعين الى لهو الدنيا واحلامها الزائلة. وما هي الا بضعة أشهر حتى بدأ الخراب يحل ببيت أبي ، فبيعت الخيول المطهمة والعربات الفخمة ولحق بهـذه الاثاث بعدأن رهنت الأرض والعقارات وذهبت بها جفون الغانيات ، وأهداب أهل الخلاعة والفتنة

ومارنجت من كل ماخلفه لي أبي الا المتاعب والشقاء . اذ كنت بين تصرفات اخوي فريسة النهم والجشع . وذبيحة الطمع والكبرياء . فلم يخلفا لي الا حثالة مما ترك أبي كانت لهم ملاذا من حاجات هذه الدنيا ان تضطرها الى مد اليـد تسولا واستجداء من أهل اليسار . وعشنا بعدذلك ماعشنا في عيشة لاهي بالرغدة ولا هي بعيشة الفقر والعوز . بل عشنا في كفاف ، وبعد عن السؤال لما في يد الناس . وظللنا على هذه الحال بضع سنين بلغت فيها مبلغ الشباب واستدارت ملامحي استدارة الانوثة اذتكون في مثل ما كانت جياشة بالآمال فائضة بالاحلام .

وكان على مقربة من البيت الذي نشأت فيه أسرة من ذوات الحول والطول والمجد القديم . نشأ فيها شاب مكتمل الصفات . فمن دماثة في الخلق الى صفاء في النفس .ومن استقامة في السلوك . الى نبالة في المرامي والغايات . ومن جمال في الخلق الى رصانة في الحـديث وذكاء في العقـل . ونبوغ في الدرس والاكباب عليه .

وكان على مثل حالي من الانصراف عن زخارف هذه الدنيا الزائلة الى باقياتها . فنشأت بين قلبينا الفة شبت مع الايام فـكانت عطفاً ثم حباً . ثم استحالت مع الزمان هوى أكيداً . فغراماً ثم هياماً

ولم يكن عندي في هذا الشاب من عيب أراه فيه . ولم يكن عنده من عيب يراه في . على أنه من الجائز أن يكون لـكلينا عيوب ومناقص . ولـكن على أية

حال فالحب أعمى وكني بأني كنت اراه على ماوصفت . وكان يراني على مثل ذلك .

على أن كالات هذه الدنيا لابد من أن يعتورها النقص . ولا بد من أن ينتابها شيء يفسد ناحية من نواحيها . وكان ذلك الشاب مضرب هذا المثل فقد كان فقيراً . وان كان جاه أسرته ودماثة اخلاقه ورضى صفاته خير عوض عن فقره لمن كانت مثلي تستطيع أن تعيش واياه بما تملك في كفاف من العيش وفي غير حاجة للكدح فى سبيل هذه الحياة المرة .

وتواعدت واياه على أن يخطبني من أكبر أخوى . ففعل . وانتهى الامر بان قبلت الخطبة . ولم يبق بيننا وبين السعادة التى ظللنا ننشدها السنين الطوال الا خطوات قصيرة . كنا نعتبر انها شكلية أكثر منها موضوعية . ولم يكد تطمئن الى هـذه الحال قلبانا حتى برز لنا فى ميدان هذه الحياة فارس جوال يمتطي الفاً من الفدادين العامرة فى اقاصى الصعيد بما يلحقها من القصور والبساتين الغناء . وهبط علينا هبوط الصواعق اذ تنقض على هشيم فلا تترك منه الا رماداً . وهكذا الدنيا يا سيدى حول قلب ما تركت لقلب ما تمنى ولا خلفت لنفس ما املت .

وكان هذا الفارس في الحلقة السادسة من عمره . ما عرف فى الدنيا كثيرا ولا قليلا . ولا ذاق لغير الجمع طعماً ولا عرف لغير الغرس والقلع قيمة في هذا الوجود . بل كان من ندماء أبي ومن اصدقائه المقربين . سمع بأننا فى حاجة الى العون وأن اخوى يعيشان فى كد من قلة ما بين يديهما بالقياس الى حاجاتهما فهبط عليهما ليعينهما بماله . وليسترد في نظير رأس المال فائدة هي يدى . وطلب من أخي أن يزوجنى منه . وأن يجعل لمساعدته ايانا مبرراً هو النسب

وانت يا سيدى اعلم بحاجة من كان في مثل حال اخوى الى المال وكيف يستهويهما الاصفر الرنان يبذل بغير حساب لحجة تقضى وغرض يرجى . فعرض على اخى ذلك العرض فى صيغة من يعتقد أنه شيء واقع لا محالة وان زواجي ممن شارك قلبي السراء والضراء ، اصبح فى حيز المستحيل . ثم انتقل امام تشددى فى الرفض من لهجة الشدة الى اللين يذكرنى بمنزلتنا من الغنى والجاه والعز الدنيوى وأن ذلك الرجل يحفظ علينا أبهة الحياة ويكفينا حاجات الكفاف ويزودنا بما نحتاج اليه من زخارف هذه الدنيا وكالياتها . فلم ازدد الا عناداً ولم يلق منى الا

تصميما لم تجد أمامه من حيلة الا أن يعرض علي عرضاً يندى جبيني الآن أن اقصه عليك فى هذا الخطاب . عرض علي ذلك العرض الذى لا يمكن ان يجول في خاطر اللهم الا خواطر امثاله من نأثم كل الاثم بأن ندعوهم من متمدينى هذا الزمن الغادر الجائر. عرض علي انه لا بأس من أن اتزوج بالغنى الجيب المعدم النفس لاستعين بغناة على أن اتجمل لمن يحبه قلبي ، وان أخون زوجي فى سبيل هواى . وأنه لا يعدم وسيلة يوثق بها عرى الصداقة بين الزوج المخون وبين الحبيب الخائن.

ولا تسل ياسيدى عما انتابنى فى هذه الآونة من ألم وأسى . على اننى لم أشعر بشيء إلا ان يدى قد أهوت على وجه أخي بصفعة اليمة ما ادركت بعدها شيئا الا اننى خررت انى اغمي علي وغشى على باصرتى . وانى صحت مستنجدة فلم انجد ، وبكيت متألمة فلم أواس ، حتى عادت الى قواى وانتبهت الى ماحولى واذا بى فى وسط ذلك النهر المزبد الذى تلقانى الشاطىء منه حيث التقينا

سجنت بين جدران السفينة عدة أشهر طوال لا أرى فيها انسانا احدثه بكلمة ولا يزورنى فى غرفتى الا خادم يحمل الى طعام ما كنت أصيب منه الا ما يحفظ على الحياة ان تذهب ضحية لمثل هؤلاء الكواسر الاشقياء . وماتذكرت أن ذلك الخادم قد نقل لى خبرا أو زودنى برد سؤال عشرين يوما حتى يئست من الحياة ،واذا بى أعلم أن الخادم اصم أبكم ، اختاره لى أخي وخطيبى الشيخ مبالغة في ايذائى وتفننا فى ايلامى ، حتى أرضخ لارادتهما ، وأثنى برأسى أمام عنادهما .

وحاول أخي أن يقنعنى باتبع ما أشار به على عدة مرات فلم أجد من وسيلة اتخلص بها منه الا أن اكون فى مثل ما كان الخادم الذى عهد اليه بخدمتي . صماء بكماء . فلما اعيتهما الحيل وكانا قد اختارا لمرسى السفينة مكاناً منفرداً لا يصل منه صوتى الى اذن . ولا تنفذ منه شكواى الى قلب ، فكرا فى ان يبهرانى بالمال والمصاغ . فحضرا ذات يوم واقتحما على باب غرفتى بعد ان عييت من مقاومتها ، واخذا يمنيانى الأمانى والقي الشيخ المرور كيسا من النقود بين يدى فيه خمسمائة من الاصفر الرنان وحقيبة ملئت بأثمن الجواهر والدرر

على انني لم تخنى ارادتى فى كل مامر بى من مصائب هذه الحياة . فتظاهرت بالرضى وابتسمت . تخيل اليهما ، لغرورهما وجهلهما ، انني وقعت لهما فريسة فتركانى راضيين عاقدين على ابتسامتى فى الهواء قصوراً منهارة الاساس متداعية القوائم . وتكررت زيارتهما وتلاحقت هداياهما حتى اجتمع لدى جزء من المال غير يسير .

ولكن كيف الفرار من براثن هذه الوحوش القاتلة الفاتكة ، المزودة من شهواتها بقوة اجرامية مؤصلة فى تضاعيف الفطرة ، ولم يزدها الكسب الا امعانا فى التشكل باخبث الاشكال ؟ وكيف يمكن أن أخرج من ذلك السجن المحكم الذى تحرسه الأمواج الصماء الى سماء تلك الحرية التى انشدها؟ لم أجد من سبيل الى ذلك الا الحيلة فلجأت اليها . وهأنذا بين أحضان من أحب أكتب اليك من باريس عاصمة الحرية وعروس مدائن القارات الخمس .

على الشاطىء المقابل لسفينة سجنى رمال ممتدة الى آخر ماينتهى النظر ، وعلى المنحدرات أعشاب طويلة كان يحتمى بها عند الظهيرة صياد يحمل شبكة صباح كل يوم ليرتاد ذلك المكان . وكنت أرقبه من فوق السفينه ويرقبنى من غير أن أستطيع أن أوصل اليه كلمة ومن غير أن يصل الى بنجواه . وكنت قد تبينت من نظراته الطويلة التى كان يرسل بها الى مكانى بان حب الاستطلاع قد تملك منه حواسه وأخذ عليه الزمام . فكان يقف على الشاطىء وقفات طويلة يرسل بها الى سفينتى نظرات حيرى . فكان يخيل الى أنه يريد أن يقرأ فى لوحة السماء مايجول بخاطرى من أفكار وما يحوم بعقلى من هواجس ومضت على ذلك أيام طوال من غير أن ينتبه الى ذلك أحد . وما كان يخيل الى فى ذلك الحين الا أن ذلك الرجل رسول هبط من عالم مجهول أتى لينقذنى من بلواى وينجدنى فى ساعة هى فى أحرج ساعات حياتى ، بل أحرجها جميعا . ذلك لان اليأس كاد يملكنى فسبحت خواطرى فى فلوات الخيال

وكيف يستطيع ذلك الساذج المسكين أن يرضى مافيه من حب الاستطلاع والوقوف على حقيقة امرى ؟ لقد كان فى امرى مايريب ، وكان فيه ما يجذب قلوب امثاله الى معرفة حالى لهذا تذرع الى غرضه بشتى الوسائل حتى وقع

على قارب صغير استأجره ليتجول به فى النهر متظاهراً بصيد الاسماك من بقاع كان يغشاها .

ومضت على تلك الحال اسابيع والرجل لا يستطيع أن يقترب من السفين لانه كان يتوهم أن هذه السفينة إنما سكنتها الجن وحطت فيها الشياطين . وهل يعقل أن فتاة فى مثل عمرى تظل كل يوم تنظر الى هـذا الصياد نظرات طويلة حيرى من غير أن تنبس ببنت شفة أو تحرك لساناً بكلمة ؟ وهل يعقل أن تعيش امرأة من غير أنيس يؤنسها أو رفيق يواسيها طوال تلك الايام فلا ترى الا وحيدة بذاتها لم تفارق وجهها يوماً عبسات صارخة صامتة ، ولم تلمع في عينيها يوما اشعة الأمل ؟ وما هذا الهيكل المجسم الذى يمثل الحزن و الاسى ؟ ومن ذا الذى غرسه على ظهر هذه السفينة المحوطة بذلك اللجج العميق ؟

كنت أتوهم أن هذه هى الخواطر التى تجول في رأس ذلك الصياد الساذج ، فكان يتحاشى الدنو من السفينة حذر أن يركب اليه سكانها ظهور الخيال فلا يناله منهم الا الاذى والمس الشيطانى ولـكن لاحظت بعد عدة أيام ان دائرة الجولة التى كان يجولها ذلك الصياد كانت تقترب من افق السفينة يوماً بعد يوم والدائرة تضيق ثم تضيق آناً بعد آن حتى بلغ فى القرب منها مبلغاً اسمع فيه صوته و يسمع صوتى فناديته في هـدوء ، لا متعمدة اخفات صوتى ولا رفعه لا كثر مما يجب ، وسألته عما لديه من الاسماك . وما كاد يسمع نبرات صوتى و ما فيها من رنين الحزن والاسى ، حتى أجاب بالنفى وادار قاربه الصغير الى الناحية المقابلة للسفينة واعمل المجذاف فى المـاء . فمضى يشق عبابه باسرع ما يصل اليه جهد الخائف الفزع .

وظللت بين الامل فى اقتراب ذلك الصياد من سفينتى و بين اليأس من مساعدته زماناً مللت فيه الحياة . وكنت اتظاهر أمام أخى وصاحبه بانى راضية بهـذا الاسر قانعة بما انا فيه من ذل واستعباد . و كيف تـكون الدنيـا على الصورة التى صورتها اليه ! أتدرى ماجال بخـاطرى طوال تلك السويعات التى كـنت اقضيها ارقب ذلك الصياد ! كان يجول بخاطرى أن اخذ ذلك الرجل بأستنهاض اريحيته اقرب من اخذه بالحيلة . فـكم هممت بان القى بنفسى فى المـاء لعل

شجاعته تحمله على انقاذى . و لكن هل يعقل أن شخصا لم يقو على مخاطبتى يخاطر بنفسه في سبيل نجاتى ! وماذا افعل برقبائى فى السفينة ! وكيف اخلص منهم اذا خلصنى الصياد من الموت غرقا !

و بعد بضعة ايام استطاع الصياد ان يقترب من السفينة ويكلمنى بضع كلمات قصيرة سألنى فيها عن شأنى وعن السبب في وقوف هذه السفينة فى هذا المكان القفر المجدب بعيدة عن الشاطىء بحيث لايستطيع الاقتراب منها أحد من الناس ، فاجبته اجوبة مبهمة ، لم استشف من محياه أنه خدع عنها بما اخفى من حقيقة أمرى . فقال إنك لاتقولين الحق. الست ابنة الملك ؟ ان الناس يقولون بانك ابنة الملك وانك قدخاويت شيطانا يزودك بعلم الغيب وما تخفى الصدور. قلت لعلهم على حق . قال اذا كان هذا صحيحا فهل لك يارسول العالم المجهول ان تعرفينى أين ولدى ؟ اين حشاشة كبدى ؟ اين عبدالصمد ؟ خبرينى . انى فقدته منذ عشر سنوات اذ تركنى ذات يوم ومضى مغضبا ولم يعد ثانية . اتوسل اليك بكل ماهو عزيز فى هذه الدنيا أن تخبرينى أين ولدى ؟

هنا فتح امامى باب الامل وواعدته على الغداة لاعرف من امر ولده مالم يعرف . وفي الموعد المضروب خبرته بان ولده لايزال حيا وان فى استطاعتى أن أحضره اليه عند شجرة الصفصاف القائمة على الشاطىء الآخر قبيل سحر الليلة القادمة . وتواعدنا على أن يحضر الى بقاربه فى ساعة متأخرة من الليل حتى اذا أحضرت اليه ولده مضى ينتظرنى فى مكان على الشاطىء تظلله شجرة عتيقة من اشجار التين الهندى ولعله ينتظرنى لأعود اليه بولده تحت تلك الشجرة حتى الساعة

وانى اختم اليك خطابى الآن وبجوارى من أحب يقرأ ما اكتب. أن عيناه تدمعان بدموع الفرح ، وقلبه يخفق كأن قطرة علقت عليه بجناحها .

هذه رواية فتاة تركها الحظ بين براثن اخوين أفسدتهما مظاهر المدنية ، وشيخ مخبول العقل استعبدته الشهوات. وهل فى مفاسد الدنيا من شىء لايكون نتيجة لاحدى قوتين . خلق فاسد أو شهوة قاسرة « سهام »

***

هذه واقعة أرويها لعلها تكون لبعض الناس عظة ولغيرهم سلوى

نظام الافلاك

كما تصوره أهل العصور القديمة وفى القرون الوسطى

كان النظام الفلكي القديم يمثل الكون فى كرات مترا كزة الارض فى وسطها. وهذه الفكرة قديمة جدا وهى مستمدة فى الحقيقة من أهم ظاهرة مرئية في السماوات وهى ظاهرة دوران السماء فى كل أربعة وعشرين ساعة من الشرق الى الغرب .

وكان ايودكسس Edoxus (٣٧٠ ق . م) هو أول من وضع نظام الكرات المتراكزة ليقرب حقيقة هذه الدورة السماوية وليعلل بها بعض مايظهر من الاختلافات التى ترى فى دورة القمر والسيارات فى اتجاه يخالف اتجاه الدورة السماوية .

وعلى الرغم من أن ايودوكسس كان من كبار الرياضيين فان نظام الكرات الذى تخيله لم يعبر عن حركات الاجرام الاتعبيرا جزئيا . والراجح ان هذا راجع الى الاكتفاء ببعض ملاحظات اولية في حركة السماء لم يستطع ان يعبر بها عن الحقيقة تعبيرا تاما : واتى من بعده كاليبوس — Kalippus فاصلح من نظام ايودكسس اصلاحاً كبيراً حتى قبله ارسطوطاليس وكان قبول المعلم الاول للنظام الكونى كما وضعه كاليبوس ذا خطر كبير فانه لم يقنع بان تكون الكرات عبارة عن تصورات رياضيه فقط بل عمد الى القول انها اجسام طبيعة تدفعها على الحركة أرواح حالة فيها . ولولا أن قبل ارسطوطاليس هذه النظريه الكونية لاستطاع فلكيو مدرسة الاسكندرية أن ينقضوها . لاسيما وأنها كانت تتضمن نقصاً كبيراً اذ قامت على تخيل أن السيارات لابد من أن تكون على ابعاد متساوية من الارض التى هى كائنة فى مركز النظام الكونى

أما خطأ هذه الفكرة فظاهر من اختلاف الاضواء المنبعثة عن السيارات والتى ترى بالعين المجردة كما هو بين في الزهرة والمشترى .

ولقد أدى البحث فى الاختلاف الذى لم تستطع النظريات الاولى تعليله الى وضع نظام آخر عرف بالنظام البطليموسى ، لان كلوديوس بطلميوس كان آخر من زاد اليه فى القرن الثانى بعد الميلاد . ولقد فرض بطلميوس أن السيارات انما

يدرن على دوائر مراكزها تدور على دوائر أكبر منها. وفى وسط هذه الدوائر تقع الأرض . ولقد أضاف بطلميوس الى هذا النظام بعض تفاصيل ليعبر بها عن بعض الاختلافات التى صادفته في درس نظام السماوات . ولقد رضى بهذا الرياضيون . غير أن غيرهم من الباحثين لم يرضوا بهذه التعليلات ورفضوا هذه الفروض ، بل فرضوا وجود كراة صغيرة علقت على سطحها السيارات (كما ترى فى الشكل الاول) الذى اثبتناه هنا توضيحاً للفكرة الاصلية ، وبين دائرتين متراكزتين تثبت بينهما الكرة الاصلية اخذت السيارات تدور فى افلاكها ، وفى وسط هذه الدوائر تقع الارض. ولقد كتب بطلميوس فى هذا متنا صغيرا عرف عند العرب باسم المجسطي . ولقد جرى العرب على هذه الطريقة حتى أن اخوان الصفا في رسائلهم المعروفة قد ذكروا الدوائر والكراة على النظام البطليموسى حتى قالوا بان هنالك تسع كراة يختلف سمكها ملبسة احداها داخل الأخرى . وأن الكرة الثامنة هى التى تحمل النجوم الثوابت . وقالوا بان سرعة الكرات فى الدوران تزداد بنسبة قربها من الارض حتى اذا انتهينا الى القمر وجدناه يدور حول الارض فى اربعة وعشرون ساعة وخمسين دقيقة

ولقد أشار أفلاطون الى فكرة ان الاجرام كلها تدور من الشرق الى الغرب اكثر من مرة فاتخذت أقواله هذه ادلة تعززبها هذه النظرية. ولكن دورة السيارات الى الشرق لم يعللها أحد من علماء اليونان . وكذلك انتقلت الى العرب وظلت بينهم كما كانت بين اليونان حتى أينعت فلسفة ارسطوطاليس في اسبانيا خلال القرن الثانى عشر الميلادى، وهنالك قام من فلكيي العرب من حاول أن يصلح اخطاء بطلميوس ولكنهم لم يستطيعوا أن يدركوا حقيقة حركة السيارات . وفي أوائل القرن الثالث عشر بدأت العلوم والفلسفة كما عرفها العرب تعبر جبال البرنيز من جنوب فرنسا الى الشمال ، فانتقلت معها كتابات ارسطوطاليس التى نقلها العرب الى لغتهم ، ثم نقلت اذ ذاك عن العربية الى اللاتينية . ولقد استطاع أرسطوطاليس من طريق العرب ان يبسط نفوذه على أهل اللاتينية كما بسطه من قبل على أهل العربية ، فاعتبر بينهم انه المعلم الاول الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد علم فى الفلك نظرية الكراة

المتراكزة . فكيف يستطيع أحد من اتباعه على أن ينقض له رأياً أو يخالف له تعليماً ؟ ولقد كان القرن الثالث عشر ميداناً للجلاد بين زعماء النظرية التى اخذها العرب عن بطلميوس وبين الذين رفضوا فكرة الكرات المتراكزة ، على قاعدة ان هذه النظرية لاتعلل النظام الكونى بنفس الدقة التى يعللها به نظام بطلميوس ، وربح هؤلاء المعركة فى فرنسا حوالى سنة ١٣٠٠ من التاريخ الميلادى

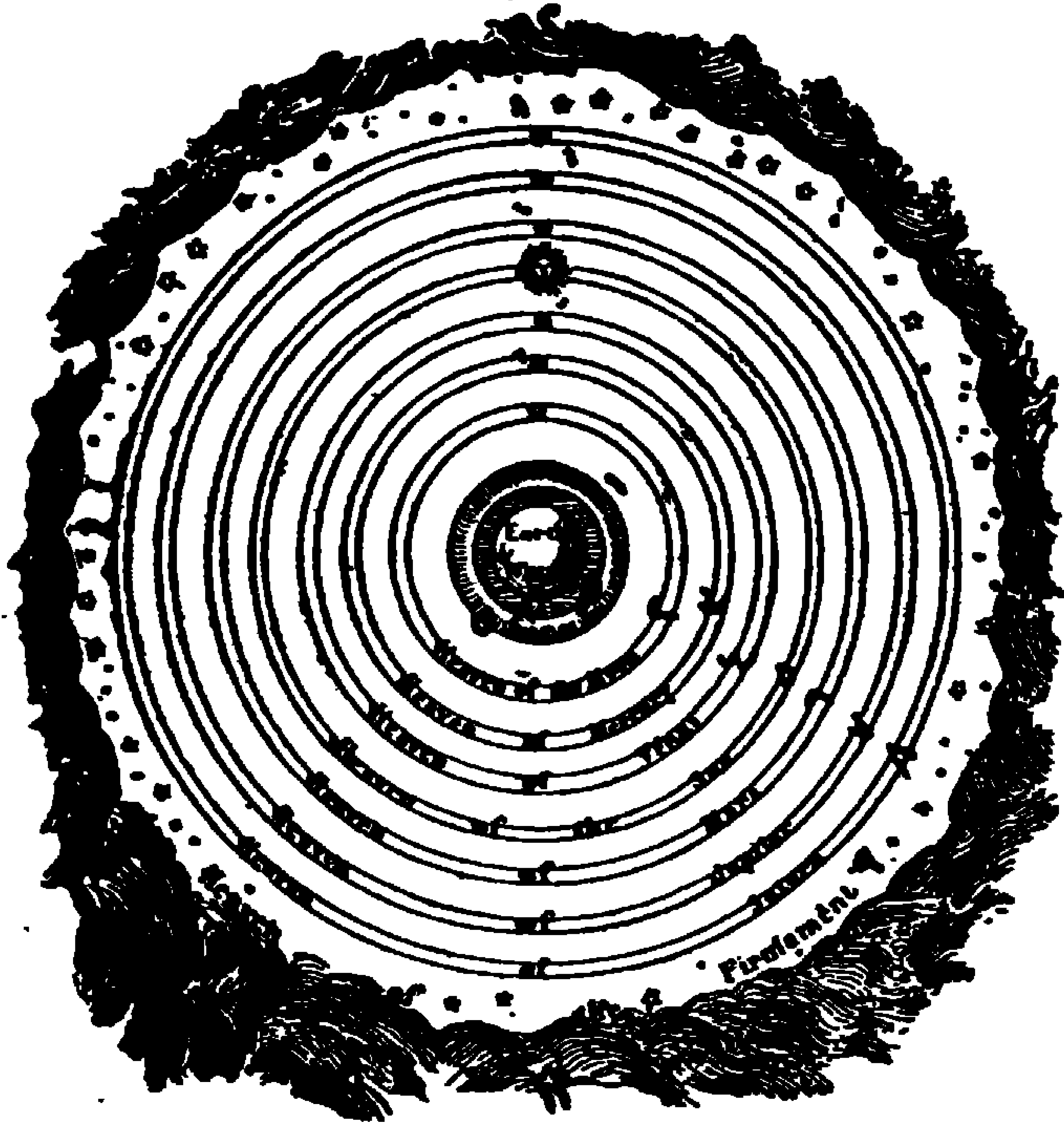
غير ان العلم في ايطاليا لم يتقدم مطلقاً خلال ذلك العهد . فان كتاب بطلميوس (المجسطي) على الرغم من ان جيرادو الكريمونى كان قد ترجمه سنة ١١٧٥ م الى اللاتينية فانه كان غير معروف هنالك ، ولم يستعمل فى المدارس الا كتاب مختصر صغير الحجم ترجم عن الفرغانى أحد فلكيي العرب .

ولقد انتقل هذا النظام عن طريق الآباء الى الكنيسة وثبتت تعاليمه فى صميم اللاهوت النصرانى فى القرون الوسطى ومن حول هذا النظام الخيالى قامت المعركة الحامية بين كوبرنيكوس وغاليليو من ناحية وبين رؤوس الكنيسة من ناحية أخرى فى أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر

وكان معتقد أهل الكنيسة كما صور فى آخر القرن الخامس عشر هو أن الارض كرة واقعة في وسط النظام الكونى ويحيط بها عدة أفلاك كروية شفافة تديرها الملائكة حول محورها ومن حول الارض ، وكل منها يحوى جرماً أو أكثر من أجرام السماء . فالاقرب فلك الارض ويحمل القمر ، ومن بعده فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ، ثم الثلاثة التى تلى هذه وهى فلك المريخ وفلك المشترى وفلك زحل . والفلك الثامن يحوى النجوم الثوابت والتاسع هو فلك المحرك الاول ويحوى الكل الفلك العاشر ، أو فلك عليين ، وهذا غير متحرك ، وهو الحد الفاصل بين الخلق الكونى المنظور وبين الخلاء الخارجي اللامتناهي . وهنالك فى ضوء يخطف البصر ولا يستطيع أحد الدنو منه ، يستوى الله في وحدته الثالوثية فوق العرش حيث ترتفع اليه موسيقى الافلاك اذ هي تتحرك . وعلى هذا نجد أن الفكرة الوثنية في حقيقة الافلاك قد انقلبت الى فكرة مسيحية ، منبثة فى تضاعيف الدين النصرانى .

وقد اثبتنا فى هذه المقالة شكلان تفسيريان . فالشكل الاول يمثل النظام الكونى حسب الرأى القديم : فالدائرة (١) فيها الارض (م) ماء (هـ) هواء (ن) نار (٢)

فلك القمر (٣) فلك عطارد (٤) فلك الزهرة (٥) فلك الشمس (٦) فلك المريخ (٧) فلك المشترى (٨) فلك زحل (٩) الجلد (١٠) السماوات البلورية (١١) المحرك الاول (١٢) موطن السعداء المرضى عنهم .

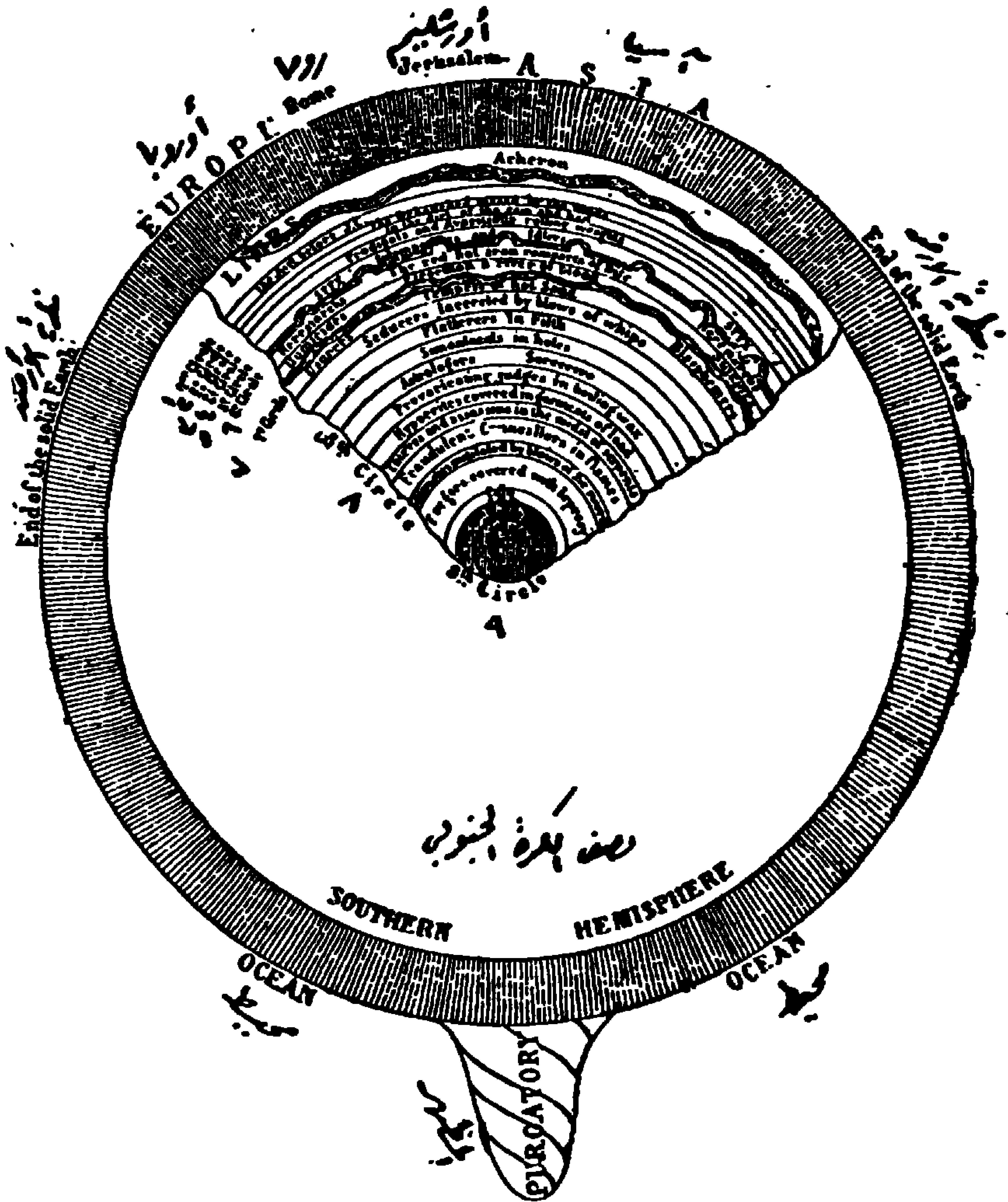


(ش ١)

وهنا ترى الارض فى وسط النظام الكونى حسب المعتقد القديم والقمر معدود من السيارات وكذلك الشمس وهو النظام المنسوب إلى بطلميوس، وقد ورثه عنه العرب وترجموا له كتاب المجسطي المعروف للآن، وعنهم أخذه أهل أوربا وظل معتمد أهل العلم والدين حتى نقضه كوبرنيكوس وعاونه فى ذلك غاليليو فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى .

والشكل الثانى يمثل كرة الارض. والقسم البارز منها فوق سطح المحيط هو الجزء الشمالى. لان امريكا لم تكن قد استكشفت وكان المظنون ان الكرة عا مغمورة فى محيط من الماء وان الجزء البارز هو المعمور منها . ولهذا القسم نهايتان من الشرق والغرب وآسيا تقع فى الشرق وأوروبا فى الغرب ومدينة روما منحرفة نحو الغرب واورشليم في الوسط لانها المدينة المقدسة . ونهر اشيرون وهو نهر من أنهار

جهنم يبتدىء من طرف الأرض الغربى و يمضى الى جوفها نحو الشرق ماراً تحت



(ش ٢)

سطحها الظاهر . ثم منازل جهنم من بعد ذلك غائصة في باطن الارض وهي تسع منازل (الاولى) بها الميزان امام المسيح (والثانية) ينزلها الفجرة والفاسقون تلفحهم الرياح العاتية (والثالثة) ينزلها الذين يرمون فى الاوساخ والبرد الغزير (والرابعة) ينزلها مكتنزو الاموال والمبذورون يحملون الاثقال الشديدة (والخامسة) فيها نهر «ستيكس» وهو في الميثولوجيا القديمة نهر في العالم السفلى تعبره أرواح الموتى . وفيها ينزل الكسالى والاراذل (والسادسة) ينزلها كبار الهراطقة بين حواجز من الحديد المحمى تصدهم عن باب الرحمة (والسابعة)فيها

نهر فلاجيلون وهو فى الميثولوجيا القديمة نهر من الدماء وعليها تهب زوابع من الرمال الحامية ويتزلها السفاحون والرباويون والمنتحرون والخونة والمارقون (والثامنة) ينزلها الزانون حيث تمزق أجسامهم السياط والغاوون يرمون فى الاقذار، والمتجرون بالدين يلقون فى حفر ضيقة، ثم المنجمون والسحرة، ثم القضاة المتحيزون يصهرون في دهن تغلى مراجله، ثم المنافقون وتراهم يلبسون ثياباً من الرصاص، ثم اللصوص والقتلة فى وسط الافاعي، ثم نصحاء السوء بين السن النيران، ثم الخارجون على الكنيسة تمزقهم ضربات السيوف، ثم المزيفون يعلوهم البرص والجذام (والتاسعة) وهى عبارة عن جليد شديد البرودة وينزل في اولها قابيل ثم من بعده يهوذا الاسخريوطي، ثم في الوسط إبليس، حيث يكون مركز كرة الارض. ثم نصف الكرة الجنوبى ويبرز منه ما يسمى عند اللاهوتيين «المطهر» وهو الذي يتطهر فيه الناس من ادران الحياة فاذا تطهروا ذهبوا الى الجنة فوراً، وقد كان استكشاف فكرة المطهر فى القرون الوسطى مصدرا أدر على الكنيسة اموالا طائلة، حتى سمي فى بعض الكتب بمنجم الكنيسة الذى لا ينفد. وهكذا نرى ان العلم قد هدم العقائد التى وضعها اللاهوتيون. ولكن الفكرة فى الدين هى التى بقيت ثابتة على الرغم مما اصاب مدارس الدين المختلفة من الضربات التى لو سدد بعضها لغيره من النظم الاجتماعية لمحى فى الوجود محواً تاماً



سياسة التعليم

اعتقد وأنا شارع فى الدفاع عن فكرة وجوب حصر اهتمامنا في الوقت الحاضر لنشر التعليم العالى ،مع الاغضاء موقتا عن البذل لنشر التعليم الاولى لمحاربه الأمية ، أننى غير مبتكر بل ادافع عن رأى أقلية أراه صوابا ، فاريد الحث عليه .

وعلى الرغم من أن فكرة التعميم الاولى فكرة جميلة فالسؤال الواجب الاجابة عليه هو هل الفائدة التى تعود على البلاد من محاربة الأمية تعادل المال الذى ننفقه فيها أم ان الفائدة المنتظرة تنحصر في توجيه اهتمامنا الى التعليم العالى ؟

القصد من التعليم الاولى هو نشر مبادىء القراءة والكتابة والحساب والحقيقة ان الدول المتمدينة قد اتبعت هذه الوسيلة ولكن كجزء من سياسة لا ككل مستقل فلكل دولة سياسة ترمى الى ايجاد حركة تربية أهلية تعمل فيها المحاضرات والنشرات والمدارس الليلية والمحاضرات المتنقلة ومدارس المراسلة جنبا الى جنب مع نشر التعليم الالزامى. وبذلك يتيسر لمن يتخرج من المدرسة الالزامية أن يجد مادة لتغذية عقله ومجالا للتقدم الفكرى فهل هذا من الممكنات عندنا حيث يزهد المتعلمون تعليما أوليا فى العمل الشريف لانه وضيع ؟

نحن فى حاجة الى اشخاص يصبح فى مقدورهم ادارة حركة تربية أهلية وتغذية عقول العامة بكل جديد فى قالب بسيط . اذ ما الفائدة من تلقين المصرى مبادىء القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ثم تركه وشأنه . وهل يستفيد من ذلك الا قراءة الاخبار ومكاتبة المعارف ومسك حسابه الشخصى ؟ حقيقة ان شيئا خير من لاشىء ولكن هذا يكلفنا كثيرا والمصلح دائما يبحث عن الافيد

اذا انفقنا الفا من الجنيهات على تعليم شخص علوم الطب تفعل كما لو كنا فتحنا مستشفى. أضف الى ذلك أن على هذا الشخص أن يسعى لاجل معاشه فهو يواس من يلتجىء اليه من جهة ويدأب من جهة أخرى للاعلان عن عمله واقناع الغير بفوائده من أجل الكسب . ثم أنه سيتزوج وسيؤثر فى رفع مستوى بيته كما يؤثر الوسط الذى يعيش فيه.واذا ولد له أولاد فسيبذل همه لتعليمهم تعليما راقيا

ويهذبهم تهذيبا حسناء فنكون كاننا خلقنا بهذه الالف من الجنيهات جرثومة لها استعداد للتكاثر وتلقيح ماحولها بلقاح الرق والمدنية. وماقلناه عن الطبيب يصح قوله عن المهندس وعن الأديب وعن التاجر وعن الزارع أولئك الذين اذا تكاثر عددهم وعلى حد قول البعض، وضاقت سبل العيش في وجوههم، قبلوا القيام باعمال صغيرة ، فيرتفع مستوى الأعمال لأن وظائف كتبة المصالح وحلاق الصحة والمأذونين سيشغلها متخرجو مدارس الحقوق والطب والقضاء الشرعي. هذا اذا ماشينا مخالفينا فى اعتقادهم أن نظامنا الاجتماعى سيظل على ماهو عليه ولا يتحول. وهذا غير معقول لان المنتظر هو أن يكون لكل قرية طبيبها بمستشفاه ووكيل اشغال يبرم حاجاتها القانونية ومهندسا للاهتمام بتوزيع مايخصها من الماء ويمهد الطرق ويشيد الدور. وفيها الزراعى الاخصائى وغير ذلك كما هي الحال في المراكز الراقية في امريكا واوربا

وحتى على فرض أن سبل الرزق ستضيق امام المتعلمين فسيسعون لفتح أبواب العمل ويتوسلون الى ذلك بكل الطرق. وهكذا تنشأ معاهد يحاول اصحابها ترويجها باظهار فضائلها للناس وحتى لو لم يكن القصد منها الخدمة العامة فان للصالح العام نصيبا كبيرا منها. عندئذ فقط يكون الجو صالحا لانشاء حركة تعليم الزامى يكون القائمون بها أرقى بكثير من الذين نعمل على حشرهم حشرا بدون مميزات يصح الاعتماد عليها لتحمل مسألة نشر ثقافة اهلية

ولو أمكن نشر التعليم الاولى دون محاولة لسد الطريق أمام نشر التعليم العالى أو عرقلة سيره السريع فلا مانع من تشجيعه لمحاربة الامية. ولكن لا يصح أن نمنع عن البلد طبيبا أو مهندسا أو أديبا وننفق الالف من الجنيهات التى يجب تخصيصها لايجاده لتعليم ثلاثين نفسا مبادىء القراءة والكتابة والحساب لان مستوى حياة هؤلاء الثلاثين لن يكون أرقى من مستوى بقية أهل القرية. وأفرض جدلا انني مخطىء في ظنى هذا، وافترض أن يكون هناك فرق فهو يكاد أن لا يشعر به. فوالحالة هذه لا يكون تأثير هؤلاء على الوسط محسوسا وربما كانوا هم انفسهم غير مستفيدين منه

ان فكرة نشر التعليم الاولى من الكماليات التى تسعى اليها الامم التى جرت شوطا بعيدا فى التعليم فاعتمدت على المتعلمين من ابنائها وعلى من تراءى لها وجوب

الاعتماد عليهم لادارة تعليم عال جنبا الى جنب مع ماهو لازم لنشر ثقافة راقية وطنية يصح أن تسير بالتعليم الاولى اعتمادا على جهود الامة. ولكن فى هذا البلد قد تحتاج الحال الى انشاء ادارة للاصلاح الاجتماعى همها الاشراف والتنظيم. والمهم في الموضوع هو عدم مس مايمكن تخصيصه من أموال الضرائب للتعليم العالى وما أقصده هو وجوب التفريق بين عمل وزارة المعارف وهو نشر التعليم العالى وبين جهود الامة والهيئات الاخرى التى لابأس من قيامها لمحاربة الامية بارشاد ادارة الاصلاح الاجتماعى. ثم هناك أيضا برنامج المدارس وكأنه لا يريد أن يتحول بمرور الزمن فهو على ما كان عليه منذ وضع. فيجب تحويره ليناسب الزمن الحاضر والحالة التى نرمى للوصول اليها. وانى اقترح أن يكون التعليم ابتدائيا وعاليا وأن يقسم التعليم الفنى كذلك الى قسمين قسم يدرس لمن انهوا التعليم الابتدائى واخر للذين انهوا التعليم العالى. وأرى أن تكون مدة التعليم الابتدائى اربع سنوات وسنين التعليم العالى خمس. ويشترط في من يقبل فى المدارس الابتدائية أن يكون قادرا على القراءة والكتابة بوضوح وأن يعرف قواعد الحساب الاربعة

وهذا برنامج أود عرضه لاجل بحثه

التعليم الابتدائى

السنة	عربى	انكليزى	حساب	جبر	هندسة	انشاء	علوم طبيعية	علوم [illegible]	تاريخ	جغرافيا	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	مجموع	ملاحظات
الاولى	٦		٦			٦			٣	٣	١	٢				٢٧	نصف السنة ١
	٦		٦			٦			٣	٣	١		٢			٢٧	« ٢
الثانية	٣		٣			٦		٣	٣	٣	١		٢		١	٢٥	« ١
	٣		٣			٦		٣	٣	٣	١	٢			١	٢٥	« ٢
الثالثة	٢	٦		٣	١		٣	٣	٣		١	٢		١		٢٥	« ١
	٢	٦		٣	١		٣	٣	٣		١		٢	١		٢٥	« ٢
الرابعة	١	٣		٣	٣		٣	٣	٣		١		٢	٢		٢٤	« ١
	١	٣		٣	٣		٣	٣	٣		١	٢		٢		٢٤	٢

الحصة للسنتين الاولى والثانية ٤٥ دقيقة
« الثالثة والرابعة ٥٠ «

اخترت اللغة الانكليزية لانها لسان امتين من أكبر أمم الارض وينتظر أن تزيد نتائج قرائحهما عما تنتجه أمة الالمان أوالفرنسيين أوالطليان بمفردها

اللغات عبارة عن قراءة كتب قيمة مفيدة فى مواضع عمرانية مع التمرن على الانشاء بكتابة مواضيع أو بتلخيصها .اماالترجمة فمن ضمن اللغات الاجنبية ولا تكون علما قائما بذاته

· الفنون الجميلة ويدخل تحتها الموسيقى والغناء والتصوير ولذلك خصص لدرس مبادىء الرسم حصة واحدة فى السنة الثانية وبعدها يترك الامر لموهبة التلميذ الفنية

التاريخ والجغرافيا تخصص السنة الاولى للمحلى منهماوالثانيةللعام. أماالسنة الثالثة فيؤخذ فيها التاريخ القديم بتوسع والسنة الرابعة تاريخ العصور الوسطى بتوسع

المقصود من العلوم الطبيعيةاعطاء فكرة فى المواليد الثلاثة والمقارنة بينهما وكذلك بعض اراء عن الكيمياء والطبيعة والفلك بطريقةسهلة جدا

أماالعلوم الاجتماعيه فعبارة عن معلومات عامة بواسطة محاضرات وخطب

التعليم العالى

السنه	عربى	انكليزى	فرنساوى	[illegible]	هندسه	[illegible]	تاريخ	اجتماع	اقتصاد	منطق	[illegible]	نبات	حيوان	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	مجموع
الاولى	١	١	٣		٣		٣		٣			٣			٣		١	٢١
	١	١	٣		٣		٣		٣			٣			٣		١	٢١
الثانيه	١	١	٣		٣		٣	٣					٣		٣		١	٢١
	١	١	٣		٣		٣	٣					٣			٣	١	٢١
الثالثة	١	١	١	٣	٣		٣			٣	٣					٢		٢١
	١	١	١	٣		٣	٣			٣	٣			٣				٢١
الرابعة																		
الخامسة																		

يترك للطالب اختيار مايريده مما يلي بشرط أن لايقل عمله عن ١٨ ساعة أسبوعيا (ستة علوم لـكل ٣ ساعات) في السنة الواحدة من المواضيع الاتية وذلك بالتفصيل مع وجوب عدم حصر الدرس في موضوع واحد

(١) الاجتماعيات وفروعها

اقتصاد. التاريخ. علوم سياسية. قانون. تربية

(٢) اللغات وفروعها

ادبيات. مايحسنه منها أو الاستزادة مما لايتقنه أودرس ما يجهله من الحديث منها والقديم

(٣) الطبيعيات وفروعها

الـكمياء والطبيعة والنبات والحيوان وطبقات الارض والهندسة وعلم الحياة وما يتفرع من كل منها بتفصيل كاف

(٤) الرياضيات العالية

وبطبيعة الحال نحتاج لتنفيذ هذا البروجرام الى جامعات يكون مقر أحدها الاسكندرية والاخرى طنطا والثالثة الزقازيق واثنتان بالاقل في مصر والسادسة في بنى سويف والسابعة في أسيوط والثامنة فى قنا. ويقوم النظام الذى بسطته على كلية العلوم والاداب في كل جامعة ويضاف الى جامعات اسكندرية ومصر واسيوط كلية الطب ولغيرها كليات ومدارس اخرى. وانى اضع البرنامج الذى نراه فى الصفحة التالية لاعطاء فكرة عنها

ويلاحظ فى توزيع المدارس والمعاهد أن تكون بعضها فنيـة ابتدائية يدخلها الطلاب والطالبات بعد انهاء الدروس الابتدائية فى كلية الآداب والعلوم. اما بقية المدارس فيدخلها خريجو القسم العالى بعد انهاء السنة الثالثة كما وأنهم يدخلوا أيضا جميع الـكليات غير كلية الآداب والعلوم

جامعة	الكليات غير كلية الآداب والعلوم				مدارس			
اسكندريه	طب		حقوق وعلوم سياسيه		تجارة	صنائع	بحريه	
طنطا		هندسة زراعة			قابلات	مساحة	معلمين	
الزقازيق		هندسة زراعة			تجارة	صنائع	معلمين	قابلات
مصر	طب	هندسة			بيطرة	صنائع		
مصر			حقوق وعلوم سياسية	نظام	تجاره	آثار	كنستبلات	
بنى سويف		هندسه زراعية			قابلات	مساحة	معلمين	
اسيوط	طب		حقوق وعلوم سياسية		زراعة	صنائع	معلمين	
قنا					تجارة	زراعة	قابلات	صنائع

أو ليس من المستغرب أن التلميذ يخرج من مدارس اليوم وهو غير محيط بما حوله من مشاهدات الناس احاطة مشرفة للعلم ؟

بيد اغوج

نثر وشعر

تقدم النثر فى هذا العصر الحديث لا ينكره الا كل مكابر ، و جمود الشعر لا ينفيه إلا كل جاحد . فالنثر قد تقدم وتقدمه محسوس . والشعر ظل جامداً و جموده باد للعيان ، و لكن إن تقدم النثر فما الفضل للنثر ، وان تقر الشعر فما القصور من الشعر . كلا ، فلتقدم النثر اسباب وجيهة كما أن لتقهقر الشعر أسباباً أخرى ، ليست أقل وجاهة . .

إن النثر هو آلة هذه النهضة الحديثه ولسانها الناطق فى كل ساعة وفى كل يوم وفى كل لحظة وبرهة ومن شأنه أن لا يزيده هذا الترويض الا انقياداً وفي باب البيان الا تقدماً .

فهو لسان الفيلسوف ، كما هو لسان المصلح ، والواعظ والمنشيء والكاتب و الخطيب و السياسى ، و الممثل ، و ان طريقاً تطرقة كل يوم أقدام هؤلاء العابرين ، من شأنه أن يمهد مهما بلغ من الوعورة و مهما بلغت أرضه من الخشونه .

فالنثر إن تقدم فهناك أسباب ضرورية مهدت له هذا التقدم ودفعته اليه ، والنثر ان لم يكن الا الصحافة آلة تستعين به على الابانة لكفاه بذلك مروضاً يخفف من صعوبة مراسه ويسلس من قياده ، فالنثر وهو لسان الصحافة الناطقة فى كل صباح و مساء من شأنه أن يتقدم و من شأنه ان يلين و يسير مع النهضة جنبا لجنب .

أما الشعر وهو ذلك السبيل المهجور الذى لا يطرقه الا القليلون فمن شأنه أن تظل أرضه غير معبده وطريقه غير ممهودة مهما كثرت نسبياً أقدام العابرين فيها .

فسبيل النثر مطروق وسبيل الشعر ليس مطروق . أو نقول بعبارة أخرى إن سبيل النثر مطروق كل يوم وعابروه كثيرون ! وسبيل الشعر غير مطروق الا نادراً وعابروهم الاقلية ، و من هنا لو كان طريق الشعر مطروقا بمقدار طريق النثر لما ألفيت الشعر الا سائرا مع النثر جنباً لجنب وان كان من ذنب لهذا التأخر والجمود فى الشعر ، فالذنب ليس للشعر بل للاسباب التى ادت الى القصور عن طرق بابه وقلة والجيه .

وانى لأعجب كيف بلغت الجرأة عند بعض الباحثين حتى يذيعوا[1] امراً ما كان اجرامهم ان يتريثوا قبل اذاعته قليلا ، ويرجعوا الى بصيرتهم عسى أن يجدوا فيها نوراً ينير لهم سبيل الهداية ويستنكفون عن اذاعة شيء لا يمكن أن يقره الواقع ، أو يؤيده الاستنباط أو المنطق الصحيح .

فانا لا استطيع أن اصدق أن الشعر كان رفيق الانسان قبل أن يولد النثر ولا استطيع أن أسلم بمثل هذة النظريات التى لا يقوم عليها من دليل مادى يؤيد صحتها بما ينفى الريب ويبعد الشك

لا يكفينى ماعلمته عن أمة ، أو ماقرأته في تاريخ ما ، لان اجعل نظرينى هذه منهاجا ادعو الى الاعتقاد بأنه لابد أن تكون قد سارت عليه كل أمة ناطقة وكل مجتمع له لسان ؟

كيف يمكن أن يكون الشعر قد سبق النثر وأنه كان للانسان في البيان عن أغراضه رفيقا ، على ما فيه من قيود ، و على ما هو مختص به من عراقيل لا يمكن أن يتغلب عليها ألا ذوو المواهب العليا ؟

انى لا أستطيع أن اقر هؤلاء الباحثين ومنهم الدكتور طه حسين على أن الشعر قد سبق النثر فالشعر لا تعرفه أمة الا بعد أن تكون قد قطعت من النثر سبيلا وبلغت فيه شأواً ما حتى تتمكن من أن تضرب فيه بسهم صائب .

أما ان تذهب وتتخذ لك أمة اليونان دليلا على قولك أن الامة العربية من شأنها أن تكون قد عرفت الشعر قبل النثر فهذا لعمرى دليل مع الفارق لا يزيد كفة ميزان ولا يتعلق به الا الذى لم يجد برهاناً ماديا فلجأ الى مقولات عقلية ينقصها القياس الصحيح .

وبقليل من الاستقراء نستطيع أن نفهم مما نقل الينا من مخلفات الشعر بكثرة و من ندرة مخلفات النثر ، أن العرب كانوا حريصين على رواية الشعر لانه كان فى نظرهم أقصى درجة بلغوهـا في عالم البيان ، بعد كفاح طويل فى عالم التبيين ، و أما عدم مغالاتهم فى رواية النثر بمقدار اهتمامهم برواية الشعر فليس الا دليلا ناصعاً على أنهم عالجوه حتى بلغوا منه اقصى ما يبلغ من اجادة و حتى عدت عندهم أقصى درجة بلغوها فيه من الابانة شيئا مبتذلا لا يستحق الرواية والحفظ والادخار

وبقليل من الروية اذن نستطيع ان نفهم ما انتقل الينا من مخلفات الشعر انه كان في نظر السالفين أقصى مجهود أدرك و ليس بأقدم سبيل طرق . و لكن انى لذاكرتنا أن يتوصلوا الى ذلك وهم في شنشنتهم وشكهم يتخبطون

وبعد. فانا الآن نستطيع أن نقول إن الشعر ثمرة مجهود طويل وانه لا يمكن بحال من الاحوال ان يكون أقدم من النثر

و الذى نستنتجه من هـذا هو ان النثر رافق الانسان من قبل أن يرافقه الشعر ، وان النثر مازال اسلس منه قياداً وأهون سبيلا . .

فالشعر مهما انصاع لا يمكن بحال من الاحوال ان يجارى النثر في سلاسته أو في طواعيته . فهو سيظل قمة لا يبلغها الاسوهوب قدر له أن يعلو ذروتها .فان كنا نبغى من مجهودنا الادبي أن نصل الى درجة يكون فيها بلوغ هـذة القمة في متسطاع كل راغب فيها، فما نحن لنعلى بهذا للشعر مناراً ، وما نحن بحامين له ذماراً ، ولو اردنا هذا بالفعل لذهب مجهودنا ادراج الرياح

ولا نقصد بهذا اننا لا نستطيع أن نخضع آلهة الشعر الى سنة التطور ما دام انه لم يبلغ منزلته الا بعد أن خضع ازمانا طويلة الى هذه السنة .

فالشعر يمكن ان يخضع لهذه السنة ، و يمكننا أن ندفعه من درجة الجمود التى لا يزال يتعثر فيها الى درجة تليها وان نفتش عن الحائل الذى يصده عن التقدم ويقف به دون التطور .

ولو رجعنا الى النثر لوجدنا أن الوسيلة التى اقالته من عثرته هي تلك التى انتشلته من أصفاد السجع و قيوده ، و ان لنا من هذه الوسيلة خير مشجع بعد ان وصلنا بالنثر الى درجة من الرقى محمودة ، على تكسير أصفاد الشعر التى تحول بينه وبين التطور، وما كانت اصفاره الا القافية . فلننشل هذا المعبو د المحبوب من أصفاد كبلناه بها ، فظل ازمانا طويلة مستعبداً لا يستطيع حراكا . .

وان يوماً نكسر فيه هذه الاصفاد و ننتشل فيه هذا المعبود من وهدته التى تردى فيها طوال الازمان لهو ذلك اليوم الذى نرجو بعده أن يدر علينا من بركته ويحبونا من فيض خيراته . وان شاعراً مهما بلغت شاعريته من السمو ليعترف بأن القافية طالما وقفت بينه وبين جيد البيان حائلا ،وطالما صدته عن أظهار فيض الالهام . لانها مازالت عثرة في سبيل الاجادة وسداً دون البيان ! !

فكم من معنى بليغ اراد الظهور فلم تفسح له القافية مجالا ، وكم من وحي جال في المخيلة فانذرته أن دون خروجه بابا موصداً ؟

وكم من مرة وقف الشاعر المغلق عند حدودها يحرق الارم غيظاً وحنقاً . وكم من مرة صارعها الشاعر فتغلبت عليه ، وكم من مرة أراد أن يثب عليها فتكفأ على عقبيه ملوماً مدحوراً لخور في العزيمة و ضعف في الاقدام ؟

فان كنا نروم اصلاحاً ونطالب نهوضاً ونغار على الفن ونقدس الشعر فليحمل كل قدير منامعولا يهدم به أسواراً وفأساً يكسر به اصفاداً .

وان يوماً نتفق فيه على سبيل يؤدي الى الخلاص من قيود القافيه لهو ذلك اليوم الذي يعد أول يوم نسير فيه بالشعر في مضمار التطور والرقي . وقد نجد من يندب القافية كما وجدنا من قبل من ندب على السجع . غير ان النتيجة الحسنة التي ادركناهـــا في النثر بعد الخروج به من قيود السجع ، هي خير مشجع يحدو بالمجددين ان يعرضوا عن عويل النادبين ولا يعيروا تهويل الجامدين التفاتاً .

وكما ان التؤدة هي من شروط التطور فلتكن هذه شعار الذين يتوقون الى الهدم ويحسنون البناء ، فليقدم الى العمل المنتج محبو الاصلاح فالثرثره والمجون والعبث اشياء لا تجدي في مضمار العمل نفعاً .

عكا «توفيق حلبي»



الانتحار كمؤثر اجتماعي

مراجعات عن الاستاذ شترتون هيل

٣ ـ اذا رجعنا الى متارنات احصائيـة نتناول فيها نسبة وقائع الانتحار ونسبة وقائع الجنون فى بلدان مختلفة ، وصلنا الى نتائج مشابهة للنتائج التي وصلنا لها من قبل (١)

وقد وضعنا فى الجدول الآتي ترتيب البلدان حسب انتشار ظاهرة الجنون في كل منها . غير اننا نجد أن نسبة حوادث الجنون فى كل منها لا يتناسب مطلقاً مع عدد حوادث الانتحار . فبلاد نرويج ، وقد اختصت بأنها اكثر البلدان التي ذكرناها خضوعاً لظاهرة الجنون ، تشغل المكانة الرابعة بين البلدان فى ظاهرة الانتحار : واليك البيان

مقارنة النسب بين بلدان مختلفة فى ظاهرتي الجنون والانتحار

المملكة	عدد المصابين بالجنون في كل ٠٠٠ و٠٠ ر١	عدد المنتحرين في كل ٠٠٠ و٠٠٠ ر١	مركز المملكة نسبيا في نسبة الجنون	في نسبة الانتحار
نرويج	١٨٥ (١٨٥٥)	١٠٧ (١٨٥٦ ـ ٥٥)	١	٤
سكوتلاندا	١٦٤ (١٨٥٥)	٣٤ (١٨٥٦ ـ ٦٠)	٢	٨
دنمارك	١٢٥ (١٨٤٧)	٢٥٨ (١٨٤٦ ـ ٥٠)	٣	١
هنوفر	١٠٣ (١٨٥٦)	١٣ (١٨٥٦ ـ ٦٠)	٤	٩
فرنسا	٩٩ (١٨٥٦)	١٠٠ (١٨٥١ ـ ٥٥)	٥	٥
بلجيكا	٩٢ (١٨٥٨)	٥٠ (١٨٥٥ ـ ٦٠)	٦	٧
فوعبرج	٩٢ (١٨٥٣)	١٠٨ (١٨٢٦ ـ ٦٠)	٧	٣
ساكسونى	٦٧ (١٨٦١)	٢٤٥ (١٨٤٦ ـ ٦٠)	٨	٢
بافاريا	٥٧ (١٨٥٨)	٧٣ (١٨٤٦ ـ ٥٦)	٩	٦

فاذا نظرنا فى هذا الجدول وجدنا أن بلاد الدانمارك وساكسونى ، موطن الانحار ومباءته التاريخية ، وقد شغلت المنزلتين الاولى والثانية بين ممالك

(١) نشرت الابحاث الاولى من هذا الموضوع من عددي العصور لشهر نوفمبر ودسمبر سنة ١٩٢٧

أوروبا فى الاختصاص بظاهرة الانتحار ، انما تشغلان المنزلتين الثالثة والثامنة في ظاهرة الجنون . ونرى من جهة اخرى أن بلاد نرويج واسكوتلاندا ، وقد شغلتا المنزلين الاولى والثانيه في نسبة الجنون ، قد شغلتا فى الانتحار المنزلتين الرابعة والثامنة . والحقيقة أن منزلة اسكوتلاندا وساكسونى تتبادلان النسبة مقلوبة فى الظاهرتين على النمط الآتى :

	المنزلة فى الانتحار	المنزلة في الجنون
اسكوتلاند	٢	٨
ساكسونى	٨	٢

لهذا وجب أن نحذر كل الحذر من أن نتبع أثر شيء فى تلك المشابهات التى تقع بين الاسباب التى تحتكم فى الجنون ، والاسباب التى تحتكم فى الانتحار . فليس الامر محصوراً فى أن النساء ، وهن أكثر تعرضاً للجنون ، أقل نزعة الى الانتحار من الرجال ، بل أن الممالك التى يظهر الاحصاء أن نسبة الجنون فيها أكثر من غيرها ، هي بذاتها التى اظهرت الاحصاآت أن نسبة الانتحار فيها أقل من غيرها والعكس بالعكس .

ومع كل هذا فقد يعترض المعترضون بقولهم إن ظاهرة الانتحار انما ترجع الى الوراثة . وقد يتفق أن نقع على حالات كثيرة يظهر فيها أن اسراً ماقد يتفشى فيها الانتحار وكأنه راجع الى ثبات صفة فزيولوجية ثباتاً وراثياً . والحقيقة أننا كثيراً ماتقع على حالات يظهر فيها الانتحار لاكحالة من الحالات الثابتة فى صفات الاسرة خلال عدد متتابع من الاجيال المتعاقبة لاغير ، بل إنه يظهر بين افراد الاسرة فى دور مخصوص من العمر . فلقد ذكر « مورو » Moreau العالم الفرنسوى المشهور ، أسرة انتحر رجالها خلال جيلين أو ثلاثة أجيال متتالية عندما كانوا يبلغون دوراً مخصوصاً من العمر ، ولم تخطىء القاعدة فى حادثة واحدة . وذكر اسكيرول Esquirol اسرة أخرى انتحر فيها ثلاثة اخوة على التوالى . وذكر مورو مثلا آخر لاسرة انتحر من اعضائها ثلاثة اخوة وعم شقيق . غير أننا مع هذا لايجب أن نغفل عن أن كل الامثال التى ضربت

فى اسر قيل بأن فيها نزعة وراثية الى الانتحار قد ذكرها علماء من المشتغلين بعلاج الامراض العقلية فى حالات وقع الافراد فيها فريسة للجنون . ولا ينبغى لنا أن نغفل بجانب هذا عن أن الجنون هو المرض الوحيد الذى يغلب أن يكون فيه من الخصائص ما يجعله ذا صفات وراثية تظهر فى الاعقاب . ويحق لنا على هذا أن نقول بكثير من اليقين ان الحالات التى رواها الاخصائيون في الانحراف العقلى انما هى حالات جنون لاريب فيها . وعلى هذا تكون النزعة الى لانتحار والتى تظهر موروثة فى اسرة من الاسر هى لدى الواقع صورة خاصة من صور الجنون وانها نتيجة لحالات يخلقها عقل فيه انحراف جنونى . وعلى الجملة نقول بان الجنون قد ينقل الى الاعقاب بالوراثة وأن هذا ليس له من علاقة بالانتحار باعتباره انحرافا جنونيا . وان الجنون اذا ظهر بصورة واحدة خلال أجيال متعاقبة فانه انما يرجع الى حالات خارجية تقع اتفاقا (١)

ومن الجائز أن يغرى الباحث على أن ينظر فى المحاكاة ـ « التقليد » ـ باعتبارها عاملا ذا أثر فى احداث الانتحار . ولا مشاحة في أن الانتحار لا يبعد أن يكون ظاهرة معدية . فان التاريخ الذى يروى عن خمسة عشر من جنود فرنسا المسنين الذين انتحروا سنة ١٧٧٢ بان شنق كل واحد منهم نفسه بعد الآخر فى حبل علق في هلب واحد في فناء الانفاليد فى باريس ، لحالة جلية قد نستشهد بها على ماذكرناه . ولما تكررت حوادث الانتحار شنقاً فى هذا الهلب فكر احدهم فى نزعه . ومنذ نزع لم تقع حادثة انتحار واحدة في ذلك المكان . وهذا يدلنا دلالة واضحة على أن الانتحار لم يكن تعييناً هو العامل المعدى ، فان من الجلى ان هناك عوامل أخرى ، اهمها الاستعداد لقبول وحي الفكرة — suggestibili قد فعلت فعلها واظهرت نتائجها . والدليل

---

(١) ان نظرية الجنون الجزئي ـ المونومانيا Monomania التى قال انصارها بان الفرد قد يكون مجنونا في ناحية ويكون عاقلا في بقيـة نواحيه العقلية فقد نقضت تماما الآن ، فان الفكرة في أن العقل مقسم الي كفايات منفصلة مستقلة قد نقضها الآن ما ستكشف حديثا من الحقائق في التكوين المخي والحياة الروحية

على هذا أنه بمجرد رفع الملب من مكانه ، قد اختفى معه العامل الموحى بفكرة الانتحار ، وانقطع تيار الموت الاختيارى عن أن يجرف امامه اناساً غير الذين انتحروا ، وقضوا على حياتهم . وعلى هذا لا نستطيع أن نقول بان الخمسة عشر الدين انتحروا ، كان السبب فى انتحارهم راجعاً الى فعل المحاكاة وحدها .

اما اذا أردنا أن نتدبر أهمية المحاكاة في الايحاء بفكرة الانتحار ، فان من الواجب علينا أن نحدد ظاهرة المحاكاة ذاتها . واظن اننا لانجد للمحاكاة تعريفاً أجود من تعريف مسيو دوركهيم اذ يقول :

« تحدث المحاكاة اذا كان لفعل ما سابقة مباشرة تماثل فعلا شبيهاً بها ، قام به شخص آخر ، من غير أن يبذل المحاكى اى مجهود عقلى ، مجرداً أو ضمنياً ، بحيث لا يؤثر في الصفة الذاتية التى يختص بها الفعل المكرر ، ولا يتدخل بين هذا التكرار وتنفيذ الفعل نفسه »

لهذا ترى أن مجرد الطاعة للقوانين والعادات والتقاليد ليست من المحاكاة فى شيء . فان الفرد المتمدين ، على وجه العموم انما يطيع القوانين و التقاليد التى تفرضها الجماعة على الاعضاء التابعين لها ، من غير أن يكون لقوة حكمه الفردى أى أثر فى احداث هذه الطاعة أوخلقها . فان الفرد يتحقق بطريق ما من أن عصيانه لقاعدة من القواعد المرعية لابد من أن يحدث له متاعب شديدة لاقبل له بها . ولذا نراه يطيع القاعدة المفروضة ، لا لان شخصاً غيره قد أطاعها من قبله ، ولكن لان هذا الفعل بالذات قد نال مع الزمان مبررات اقرتها الجماعة التى هو تابع لها . و سنرى فيما بعد أن مجموعة من القوانين أو القواعد التقليدية لاتحدث في الافراد أثرها المطلوب الا وكان من الضرورى أن يسلم الخاضعون لها بأنها عادلة . فان الفرد المتمدين انما هو كائن شاعر بوجوده الذاتى - والشعور بالذات نتاج مباشر او خلق خاص من مخلوقات الحالة الاجتماعية - ولهذا ينبغى أن يلعب دوراً ذا شأن كبير في الحياة الاجتماعية . وعلى هذا يترتب أن تكون الطاعة للقواعد التقليدية وللقوانين وللعادات فى جماعة كملت الفتها وتمت روابطها الاجتماعيه ، وكانت الطاعة في افرادها ليست مجرد كلمات تتحرك بها الالسن بل تعيها القلوب ، تستلزم بديا ان يكون هنالك فعل شعورى وعيى يقبلها ، وحكم فردى يوافق عليها .

وعلى هذا نقضي بأن احداث فعل تفرضه الجماعة ليس، بناء على هذا، بتكرار ميكانكي لذلك الفعل . لان التكرار الميكانيكي ينفي وجود الشعور بحدوث الفعل نفسه. هذا فى حين أن المحاكاة ليست بأكثر فى تكرار ميكانيكي لفعل ما من غير ان يتدخل الحكم والتمييز الفردى بين تصوير الفعل الذى سيحدث واحداثه فى الواقع . انما المحاكاة تكرار لفعل ما من غير ان تتكون بواعث تسوق اليه، ولوجه التكرار خالصا فى كل شائبة ومن كل دافع . ومن الظاهر أيضا أن كلمة «محاكاة» Imitation لا يمكن أن تصرف على حالات العدوى الاجتماعية التى تحصر تحت القواعد الخاصة بمظاهر الجماهير النفسية . فان جمهورا من الافراد قد يتفق أن يجتمع فى مكان ما إما لغرض محصور محدد ، وإما للاغراض اصلا. وهنا يتعين، تحت تأثير ما نسميه تجاوزاً «العدوى الاجتماعية » ، على هذا الجمهور أن يأتى فعلا أو أفعالا لم تكن قد توقعها احد من الافراد الذين يكونون الجمهور . خذ مثلا الجمهور الذى اجتمع فى باريس سنة ١٩٠٦ فى ميدان سباق « لونشان » تحت تأثير الفكرة فى أن المسابقات قد دخل فيها الغش والخداع وان الرابحين كانوا يسرقون ، فاحرق مكان المراهنات . فان شيئا اشبه بالهزة الكهربائية قد يغشى الجمهور فى مثل هذه اللحظات . ولم يكن لدى أى فرد من الافراد الذين عمدوا الى زيارة ميدان سباق « لونشان » أية فكرة فى اقتحام مكان ما أو إحراق شيء ما . غير أن المسابقات كانت سيئة الادارة . وكان التهيج العصبي الذى استمكن من الذين فقدوا نقودهم فيها قد اتصل تياره الى الآخرين ، وكان كلما تملك هذا التيار عدداً أكبر من الناس ازدادت قوته بنسبة ذلك ، وأخذ ينمو تدرجا حتى اصبح انفعالا لا يمكن الاحتكام فيه . فان التغاير الكمي ، لا بد من أن يصحبه تغاير وصفى . غير اننا فى مثل هذه الحال لا نقع على أثر لتكرار أفعال أو فكرات ما .

إنما نحن فى مثل هذه الحال نقع على احتكاك متبادل بين الافراد الذين يكونون الجمهور ومن طريق هذا الاحتكاك يتجاذب عدد من الحركات المدركة بفضل تشابهها . ومن ثم تتفانى هذه الحركات المدركة بعد قليل من الزمان وتأخذ هذه الحالة فى التكرار مرات عديدة حتى يخلق من طريق تكرارها حالة ضمامية مخالفة تمام المخالفة للحالة التى خلقتها العقلية الفردية بادىء ذى بدء . ومن هنا

تقول بأن النتيجة تكون مخالفة تمام المخالفة لما يمكن أن ينتج من طريق المحاكاة. لان المحاكاة باعتبارها تكراراً ميكانيكياً لفعل وقع من قبل ، لا يمكن ان تؤدى الا الى تكرار افعال متشابهة .

غير انه قد يعترض علينا بأن المحاكاة تلعب دوراً ذا شأن فى الاغراء على الانتحار، حتى ولو قصرنا معناها على التكرار الميكانيكى لفعل وقع من قبل . وانى لا انكر أن للمحاكاة نصيباً من الاغراء على ارتكاب الانتحار في بعض حالات فردية . فمثلا حالة الخمسة عشر جندياً المسنين الذين شنقوا انفسهم الواحد بعد الآخر فى هلب . فان هذه حالة لا يمكننا أن ننكر انه من المحقق أن المثل الذى أعطاه أول منتحر منهم ، قد أثر فى اخلاق تاليه المريضة ، تأثيراً دفعه على أن يتبع مثال الاول فى الانتحار شنقاً فى نفس المكانة وعلى ذات الطريقة . ولابد من أن يكون وحى الفكرة ، كما قلنا من قبل ، قد فعل فعله فى الثلاثة عشر الآخرين مما جعلهم ينتحرون . وقد نستطيع أن نذكر حالات اخرى كانت المحاكاة اكبر مؤثر فيها . غير أننا اذا أردنا أن نعرف تأثير المحاكاة فى تحديد النسبة الاجتماعية فى الانتحار ، فليس يكفى أن نعتمد على حالات فردية ، مهما كثرت وتعددت. بل يجب علينا أن نأخذ مجموع السكان فى أمة من الأمم ، وأن ندرس الاقاليم التى هى اكثر عرضة من غيرها لظواهر المس الانتحارى ، وأن نرجع الى الاحصاءات لنعرف ما اذا كانت الاقاليم الموبوءة تؤثر بالعدوى في ما يجاورها من البقاع تأثيراً يكفى لازدياد عدد حوادث الانتحار فيها . كما انه من الواجب أن نتبع هذه الطريقة نفسها لا فى بحث الاقاليم المتجاورة فى مملكة واحدة ، بل فى بحث الممالك المتجاورة لنعرف أثر هذه الحالات فى عالم الاجتماع



العلم والآراء الحديثة

٢ ـ وقفنا في المقال السابق عند البحث في تحديد العلوم وخصوصا آراء العلماء واخصهم البروفسور ارثر طومسون الانجليزى

« تحديد العلوم المختلفة »

لن يستطيع انسان أن يضع حدودا للتفكير الانسانى. الا انه من المفيد أن نعلم كما هو الواقع أن العلم كما نعرفه يمكن تحديده نسبيا وحصر مواضيعه وذلك لجملة أسباب : —

فاولا . كان العلم يطبق مبادئة ونظرياته على الاشياء المادية الملموسة أو كما يقول البروفسور طومسون ـ اننا لا نستطيع ان ننزع المخلوقات الحية من أوساطها التى تحيا فيها أو مما يحيط بها. الا اننا رغبة فى مباحث علم الحياة مثلا يمكننا ان نتخيل حالة السمكة دون البحر الذى تحيا فيه والطيور دون الهواء الذى تطير فيه وان ذلك واجب لضرورة فهم حقيقة المسائل العلمية من كل وجهة . فمثلا حين ندرس الجسم فى علم الطبيعة لانهتم الا بحالة الجاذبية التى فيه، مع انه فى الوقت نفسه خاضع لعوامل أخرى لا يستطيع التخلص منها بحال مثل المغناطيسية والكهربائية وغيرها : الا اننا نفعل ذلك رغبة منا في تسهيل مباحثنا وعدم تشعب المسائل التى نرمى الى حلها »

أو بطريقة أخرى نقول إن العلم يعمل لغرض تحقيق بعض الظواهر بحالات خاصة بعد انتزاعها من غيرها فهي في ذلك يسعي الى حصرها :

ثانيا . ان العلم يعمل خاضعا لبعض المبادىء والنظريات التى ليست واضحة وضوحا كافيا وليست فيها كل الدلالة على ماتحتوبه وماترمي اليه مما هو فى نفسه محل مباحث العلم ايضا . فمثلا كم من الاسرار قائم تحت الكلمات والاصطلاحات الكثيرة الاستعمال مثل الكائن العضوى Orgauism «والوارثة» «والنشاط» والجاذبية « والمادة » « والتوافق » Affinity « والجمود » Inertia وغيرها .

ومع اننا نعرف ان الطريقة التحليلية تتقدم سريعا جدا وان الكثير من

المشاكل غير المفهومة تقل شيئا فشيئا. الا ان هناك بعضاً منها لم يحل بعد

ثالثا : وهناك تحديد اخر وهو خاص بالنتائج السببية Causal resuets فمثلا ان كرة البليارد حين تضرب الاخرى تصطدم بالثالثة وهذا بسبب القوة الدافعة . وكذلك الشرارة تشعل البارود بسبب اطلاقها واندفاعها. وكذلك ابرة الفنوغراف تدير اسطوانة الجرامفون وتحدث الاصوات الموسيقية . الا أن فى الحالة الاولى فقط السبب يسبق النتيجة. اما فى الحالتين الآخرين فالنتيجة تسبق السبب وفى غالب الاحوال نرى أن كل مايقرره العلم هو «اذا كان هذا ـ فيكون ذاك ! » وان ايضاحاته وشروحه عادة لاتكون الا جزئية أو بسيطة

رابعا . وأهم هذه التحديدات للعلوم تتعلق باصل الاشياء ذلك الذى قد يظل سرا غيرمعروف

فمثلا الباحث فى علم الحياة ـ البيولوجست ـ يبدأ بحثه فى الاجسام العضوية. أما من أين اتت أو كيف تكونت ؟ فهو لايهتم به . وكذلك الكيميائى يبدأ بحثه فى العناصر الاولية ـ أماماهو تاريخها ؟ فليس بمحل اهتمامه .

ولذلك تجد ان هناك دائما حدا قبل بداية الاشياء التى منها يبدأ الباحث المحقق السير فى طريقه . وهذه التحديدات في المسائل الجزئية يجب أن نقف عندها قبل البدء فى مباحثنا العلمية وهي موجودة في الاصول الاساسية التي قد تكون مجهولة فى المبادىء والنظريات التي نستخدمها وأيضافى صعوبة تعيين حقيقة النتائج السببية الافى علم الكيمياء مثلا وكذلك فى ابهام وعدم وضوح أصل الانواع والاشياء .

وهذه التحاديد وهذا الحصر يجب مراعاته بدقة فى تفكيرنا وأغراضنا ومباحثنا العلمية ليقل الوقوع فى الاخطاء ولتقل أسباب سوء التفاهم بين الكثير من الاشياء .

وهناك بجانب هذه التحيدات الاربعة حدود أخرى ولكن من نوع مباين لهذا. أماسببها فحواسنا ومشاعرنا

وأكثر من ذلك يجب أن نعي فى عقولنا دائما ان المبادىء والقوانين العلمية التى قد تظهر لمدة ما قوية لا تحتمل النقض ، قد مرت بكثير من التطورات والتغييرات تبعا لتقدم العلم . وقد تمر بغيرها فى المستقبل فمثلا أن كبلر Kepler

قدحسن فى نظرية « كوبرنيكس Copernicus »وقامت نظرية نيوتن Newton على كبلر ويقول البعض أن النظرية إينشتين Einstein » فى السببيه قامت على آراء نيوتن وهكذا

فالعلم شبيه بالانسان الضال في الصحراء يجد السراب أمامه دائما وكلما خيل اليه أنه قد قرب منه كلما بعد عنه ذلك السراب بل ان اكتشافاً واحداً قد يعتبر كل ما تقدمه مثل اكتشاف عنصر الراديوم الذى لم يعرف العلم عنه شيئا مطلقاً بل لم يشك حتى في امكان وجوده قبـل نهاية القرن التاسع عشر . بل ان رأيا جديدا ايضا قد يغير كل شيء كما فعلت نظرية دارون فى التطور

« العلم والشعور »

ان حياتنا شبيهة بالمثلث المتساوى الاضلاع فهي قائمة على ثلاث جوانب (١) العمل (٢) والشعور (٣) والمعرفة أو كما تقول الفلسفة القديمة قائمة على (١) اليد (٢) والقلب (٣) والرأس وكل منها باب الى (١) عالم العمل ـ (٢) عالم الفن والموسيقى والتقاليد الدينية ـ والآداب (٣) الى عالم التفكير بما فيه . والناس لحسن الحظ لهم طرق مختلفة فى الحياة ـ (١) فمنهم من يهتم بالاعمال المادية كرجال الصناعة مثلا ـ (٢) ومنهم من يهتم بالمشاعر كالشعراء والفنانون (٣) ومنهم رجال المعرفة الذين يريدون ان يعرفوا اسباب الاشياء وقوانينها الا انه مما لا شك فيه انهم قد عملوا على تغيير الحياة الانسانية وجعلها تسير فى طريق الحرية والتحرير

وفي الحقيقة ان الشهوات والرغبات الداخلية فى الانسان والمبادىء السامية هي التي تدفعـه الى العمل ـ كما ان مشاعره وعواطفه هي التى تدفعه الى الفن ـ وكما ان عقله يحفزه الى الاجتهاد والوصول الى غايات العلم .

وكل هذه العوامل هى ظواهر طبيعيه ضرورية لتحسين الروح الانسانية. وانه لمن الخطأ ان تصـطدم ببعضها كما ان من الخطأ ايجاد الخلافات بينها. بل الواجب الاسـتفادة من كل من هـذه العوالم الثلاث بمـا تحققه وما تأتى به من الآراء !!

في الواقع ان العلم ليس بعاطفى ولا ذاتى كما سبق ان تحدثنا وان طرقه التحليلية فى تحقيقاتها المادية تظهر كأنها معارضة للتحليلات الشعرية الخيالية. الا أنه يجب الصبر والجلد الـكثير على تقبل وفهم أن خيال الشعراء لا يتعارض مع

مبادىء العلماء. لاننا قد نصل بواسطة الأول الى الثانى . و لان سرورنا من المناظر الطبيعية بما فيها من روعة و جمال لايقل عن سرورنا بمبادىء علم الجيولوجيا مثلا و تحقيقاته. فكلاهما طريقان الى فهم الحقيقة الخالدة ! . بل بالعكس ان واجب العلم هو ان يعمل على توسيع وايضاح الفن والجمال فى الحياة. لان في العالم بعض المسائل التى لا يمكن أن يحلها العلم وحده والتى تعمل على تقدم المجتمع ونضوج وارتقاء العقل الانسانى.لذلك كان التعارض بين العلم والشعور كما يقول البروفسور » طومسون سببه سوء تفاهم بسيط وليس خلافا حقيقياً

العلم والدين

ان العلم يحاول ويعمل مع اكتشاف قوانين الوجود المادية وتقريرها بابسط الطرق . و هى إما نتائج مباشرة لبعض التجارب أو غير مباشرة لها .

واما الدين فهو يسير الى اعتقاد — عملى وعاطفى وعقلى — بنظام علوى لحقيقة لايمكن الوصول اليها بالتجارب الحسية . فهو يرى عالما غير منظور يلقى النور على مشاكل الحياة الدنيا . ولغته ليست اللغة العلمية بل هما مختلفتان لأن مبادىء الدين خياليه ومبادىء العلم عملية اختباريه ولان عرض الدين هو التفسير بخلاف العلم ففرضه الوصف .

ولذلك لا نقول انهما متناقضان ، وانما نقول انهما غير متناسبين.لان كلاهما يعمل فى وجهة مختلفة عن الاخرى اختلافا تاماً

العلم والفلسفة

ان نظرة الفلسفة الى الاشياء نظرة عامة شاملة . او هي كما يقول البرفسور طومسون ان « الفلسفة هي التفكير الاستنتاجى لمجموع المبادىء التى تقررها تجاريبنا واختباراتنا » واذن كان العلم والفلسفة مقاس لبعضهما . والفلسفة فى نظر رجال العلم البحث هى السبيل لمعرفة الحدود التى يقف عندها عمل كل منهم والاقتراحات التى يبدأون منها تجاريبهم . وهي توفر عليهم سهولة نقد وفهم نظرياتهم ومن وجهة أخرى ان واجب الفلسفة الحديثة هى أن تعنى بكل النتائج التى تصل اليها التحقيقات العلمية . واذن فيجب أن تتقبل كل طريقة

تفسيرية وافية منها بجميع الآثار مثل النتائج العلمية لنظرية التطور او الوارثة

وكذلك ليس للفلسفة اى حق في ان تقرر الوسائل التى يريد العلم ان يتبعها وانما واجبها وعملها هو ان توجد التناسب والتوافق بين النتائج العلمية وبين غيرها مما يظهر اثناء التجارب العملية أو الاخلاقيه او الفنية أو الدينية . لانها تبدأ عملها في الواقع حين تقف التجارب والملاحظات العلمية .

ولكن ذلك ليس معناه ان الفلسفة تستخدم في بنائها المواد التى يأتى بها العلم كما هي وانما بعد ان يمر بها النقد الفلسفى وما يحيط به . وهكذا فنحن لانتقبل النتائج الاخيرة التى وصل اليها العلم فى دراسة موضوع الوراثة مثلا كما هي ونعدها مسألة محتومة . وكذلك فيما يختص بموضوع سلوك الحيوانات وتصرفاتها لانتقبلها من أحد جوانب المسألة فقط فنقرر ان العقل هو الذى يحكمها وانما هنا يكون عمل الفلسفة فيما يختص بنقد هذه النظرية جميعاً وتقريبها الى بعضها والحكم عليها مما لا يعمله رجاله لأنهم يهتمون فقط بمباحثهم التى اختصوا بها

وعلى هذا الاساس لا يصح ان نهمل فكرة اتصال الجسم بالروح على شكل ما تبعا لان مباحثنا الكيميائية لم تصل بعد الى فهم هذه الحالة . لان الجواب على مثل هذا يدفعنا الى اغلاق باب ما وراء الطبيعة او الفلسفة العالية التى تنظر الى العالم كمجموع والى الانسان كفرد

وفي الوقت نفسه ان الفلسفة حين تأخذ فى مبادئها عن علم الحياة فكرة التطور العضوى وأن الحاضر وليد الماضى واب للمستقبل فهي في الوقت نفسه تستشف النظرية من اساسها وترى انها ليست بالمسألة السهلة وهي تقرضمنا كل ما اثبتته هذه النظرية عن التطورات الماضية . لانه ولو ان نظرية التطور نظرية ثابتة الا ان تحقيق العوامل والاسباب ما يزال صغيرا يحتاج الى دعامات وذلك عمل الفلسفة

العلم والحياة

ان أول غرض للعلم هو الفهم وانما المعرفة هى القوة الحقيقية فى العالم لانه كما قال بيكون

« ان نهاية ما نرمى اليه فى الحياة هو معرفة الاسباب و العوامل السرية فى الاشياء — و توسيع حدود مملكة الانسان بالانتفاع بكل ما هو ممكن »

وفي الواقع ان ذلك هو مايعمل له العلم. لان كل العلوم بما فيها الرياضة تبدأ من التجارب المادية للمسائل العمليه وان أكثر التحقيقات النظرية اوجدت الفوارق الكبيرة فى حياة الانسان العادية اليوم خلافا للمشاكل التى حلها العلم أو التى اكتشفت اثناءه — فمثلا التلغراف اللاسلكى والتليفون وعنصر الرديوم — والطيارات — واشعة اكس — وانحلال الضوء كل هذه المسائل انما ظهرت أثناء المباحث العلميه الجافة .

كانوا يقولون فيما مضى ان زياده المعلومات انما هى زيادة فى الآلام و انما اليوم قد تغيرت هذه الفكرة تماما واصبحت الثقة فقط تابعة لمباحث العلم وتحقيقاته . كما ابان عنها هربرت سبنسر » : —

« العلم للحياة وليست الحياة للعلم »

وكما قال اوجست كومت : —

« المعرفة هي بعد النظر — و بعد النظر هو القوة ! »

و كما قال بيكون : —

« ان غاية العلم هى كشف واظها كنوز الخليقة وتحرير مملكة الانسان »

وفعلا قد بدأت تتوجه فكرة العلماء الى ذلك و تطورت الآراء الحديثه تريد من العلم ان ينير كل مشاكل الحياة الانسانيه وان يبحث في نتيجة الانسان كما يبحث فى عقله و جسمه — وان يشتغل بنظريات التعليم و التربية كما يشتغل بمسائل الزراعة — و بمسائل الاخلاق مثل عنايته بالمسائل الاقتصادية واستعمال المعادن .

فهناك في الحياة الكثيرة من المشاكل التى لم تحل بعد والتي يكون من ورائها تقدم الانسانيه و رفاهية الانسان ماديا وأدبيا فى امواله كما في صحته وقواه لو توجهت جهود العلماء في مدى الزمن الى تحقيقها . وان آمالنا فى المستقبل كبيرة . لان تطور الأفكار الحديثه من وجهة نظرها الى العلم كفيلة بتحقيق تلك الآمال ؟

كامل البهنساوى

بشار بن برد

-٢-

تناولت بالوصف والتحليل في فصل قبل هذا عصر بشار بن برد وكيف كان بشار صورة صادقة لعصره الذى عاش فيه ، وكيف ان ماوصل الينا من شعر بشار على قلته يعبر أحسن تعبير عن النزعات التى قامت في ذلك العصر وعن الانفعالات التى جاشت بها العواطف الثائره في صدور الرجال والنساء . ولم اشأ ان أتورط في الكلام فى هذه الاشياء باستفاضة واسطراد متخذا من كتب الادب أمثالا ومن مجالس العظماء والامراء أدلة على صدق ماذهبت اليه حذر الاطالة في شى يكاد يكون الشعور بصحته اسبق الى النفس من الادلة والبراهين التاريخية والعقلية . على أننا لا نريد بعد هذا أن نتورط فى الوصف والشرح لا كثر مما ادلينا به من قبل . لهذا نمضى في تحليل نفسية بشار بن برد لنتخلص من هذا التحليل بفكرة فى دلالة شعره على نفسيته المتوهجة الثائرة المشبوبة بتلك النيران العاطفية التى صبغت العصر الذى عاش فيه .

أعرف فى العربية ثلاثة شعراء لشعرهم في اذنى نغم وحده ولمعانيهم مرمى بذاته . بل يكادون يخرجون عن الحيز الذى شغله شعراء العربية الى حيز لم يلجه من قبلهم ولا بعدهم شاعر نطق بالضاد .

وليس هذا الحيز مقصورا على متانة فى اللغة ولا سبك فى الاسلوب ولا ترفع فى المعانى ولا ما الى ذلك مما يتفوق به الشعراء فى صناعة الشعر ، بل هو حيز العقلية الايجابية التي تنظر الى الحقائق كما هي حتى فى الهجو والمديح والنفسية التي تنطبع عليها صور الزمان الذى تحفها نظمه الاجتماعية على اختلاف صورها وألوانها .

هؤلاء الشعراء الثلاث هم مهار الديلمي وبشار ابن برد وابن الرومى . وأولهم كان تلميذا للشريف الرضى وراوية له ، فانطبع بطابع التصوف والزهد حتى انك لتجد ذلك شديد الظهور فى شعره بين الاثر فى نزعته الشعرية . وبشار بن برد عاش في عصر الخلاعة والفتنة فكان خليعا مفتونا بصور المدنية كما اقتبست

هن العالم الرومانى والفارسى وكلاهما تطوح في الحسيات حتي لقد بلغ منها أقصى المبالغ . وابن الرومى كان عبدا اشترى بالمال فكان فى أخلاقه عبدا ، وفى حياته عبدا ، وفى تصوراته عبدا ، رقيقا ، على الرغم من جودة شعره وقوة بيانه وبالغ وصفه .

و لعل السبب في هذا أنهم بعيدون عن العقلية العربية فكانوا نسيجاً وحدهم فى الشعر وفى الشاعرية . فان مهياراً و بشاراً كلاهما فارسى وابن الرومى بعيد عن الدم العربى بعد السماء عن الارض . ولا خفاء في ان العقلية الفارسية عقلية تتمشى فيها أصول الآريين الذين غزوا الهند ودوخوا الممالك فى العصور القديمة والذين لهم فى الفلسفة جولات لم يشق غبارهم فيها احد ولهم فى اللغة آثار لم يستطع الى الآن احد من أهل العربية أن ينال منها بما يسقط من قيمتها و يحط من قدرها . وهم فوق ذلك حسيون لا يؤمنون الا بالحس ، اثباتيون يحكمون العقل قبل المشاعر . حتى انك لو رجعت الى الاديان التى انتشرت فيهم لما رأيت فى دين منها الا أثر الطبيعة متجلياً بارزاً كأن الذين وضعوا هذه الأديان لم يعبدوا فى الواقع الا الطبيعة ، ولم يريدوا بما وضعوا من صور الدين الا أن يدمجوا الانسان فى الطبيعة ادماجاً اساسه مثل يتخايل اليهم من طريق الدين ، ولكن ليرجع بهم الى الطبيعة سعياً .

خذ دين مانى بن فاتك ويكاد يكون آخر الاديان ظهوراً فى بلاد فارس قبل الاسلام . فلقد ظهر مانى فى أيام سابور بن اردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور سنة ٢٧٧ للميلاد . و يقول العرب بانه اخذ دينا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة عيسي و ينكر نبوة موسى : غير أن صاحب الفهرست يذكر ماهو أقرب من هذا الى حقيقة الدين الذى ظهر به مانى . فيذكر ان مانى « يزعم » بان العالم مصنوع من أصلين قديمين هما النور والظلمة وانهما ازليان سرمديان وأنه ما من شيء الا وهو من أصل قديم .

وفى ما قال صاحب الفهرست بعض الحقيقة لا الحقيقة كلها . والحقيقة ان دين مانى يقوم على اصلين الاول القدم المطلق والثانى تفاعل الاضداد أو تواترها . وانى أرى ان استعمال تواتر الاضداد أرجح من استعمال التفاعل فى معنى لم يرد به صاحب هذا الدين ما تؤدى اليه هذه الكلمة تماماً . فكل شيء عندهم قديم أزلى سرمدى . وأن الطبيعة كلها قائمة على اضداد تتواتر ولكن لا تفنى فهي

قديمة ايضاً . فكأن مانى لم يقل بان الاصل فى العالم النور والظلمة . بل قام بان النور والظلمة من اظهر الاضداد التي تتواتر فى الطبيعة تواتر غيرهما من الاضداد

من هنا يظهر أن مانى ابن فاتك لم يقصد بالدين الذى وضعه انه تفسير لحقائق ما بعد الطبيعة والغيب من طريق الدعوى ، بل قصد الى الطبيعة الحافة به يدمجها فى الدين ليخلص من هذا بنتيجة هي أن يندمج الناس فى الطبيعة اندماجاً اساسة المعتقد واليقين . وهذا بالذات ما تتخيله العقلية الآرية ، بل لا نبالغ اذا قلنا بان العقلية الآرية لا تنتج إلا هذا . فهى عقلية تؤمن أولا بالحواس ومن طريق الحواس تحاول الاندماج فى الطبيعة .

ولما استقر العقل الآرى فى أوروبا وغزاها الدين المسيحى وهو دين سامى بحت ، لم تلبث العقلية الاوروبية المتأصلة من الطبيعة الهندوجرمانية أن قلبت الدين السامى النازع الى الغيب وما بعد الطبيعة الى دين تتجلى فيه الحـ ـسات وتبرز مظهرة آثارها فى كل شىء . فلم يبق من دين المسيح عيسى بن مريم فى أوروبا الا الاسم ولم تسمح العقلية الاوروبية لشىء من هذا الدين بان يبقى ويعيش فى جوها الا ما وافق طبيعتها . فبرز الدين النصرانى بعد قليل فى ثوب اندمجت فيه الطبيعة ، لا على نفس النمط الذى ادمجها به مانى بن فاتك ، بل على صورة اخرى استمدت من وحى الفكرة لا من وحى التواتر والامتداد . ولكن كل ذلك يتفق فى النهاية . يتفق فى أن العقل الآرى نزاع الى الاندماج فى الوسط الطبيعى اندماجاً تاماً . أما العقل السامى فعلى الضد من ذلك . فهو وهاج براق وثاب الى الغيبيات متهافت على العلم بما لا يستطيع العقل الصرف أن يعلم منه شيئا .

هذه العقلية بذاتها تتجلى فى الفرق بين من ذكرنا من الشعراء وبين شعراء العرب الذين يجرى في عروقهم الدم السامي الصحيح ومنه يستمدون عقليتهم حتي لقد تجد أن أهل الأدب من الاعراب لم يستسيغوا الكثير من شعر مهيار وابن الرومى بل أن بشاراً لم يتواتر شعره بينهم الا لما كان فيه من توافق بين منازعه وبين تصورات اهل العصر الذى عاش فيه . ولولا هذا لانطوى بشار كما انطوى من قبله مهيار وابن الرومى ولم تعرفهما الا بطون الدواوين والا الاقلون من الأدباء الذين امحت من عقولهم آثار العرب خلال بعض الأزمان .

على هذا نعتقد أن بشارا من تلك الفئة التي جددت في أساليب الشعر العربي تجديداً لم يكن أساسه الخيال ولم يعمد الى المعقولات الصرفة يختصها باوصاف الذوات

الحية الـكائنة ، بل عمد إلى الحقائق حتى فى مديحه وهجائه ، ولم ينزع الى تلك الاشـياء الخيالية التى عكف عليها غيره من الشعراء الذين جرت في عروقهم الدماء السامية .

أما اذا وقعت فى شعر بشار على شيء قد يقال ان فيه نزعة الى العرب فقد تستطيع أن ترجع فيه الى سبب طبيعي. فان أمه عربية ومن المحقق أن يكون لذلك أثر فى شعره وفى عقليته . غير أن الصفة الغالبة فيه هي الصفة الآرية . صفة الاحتكام الى الحقائق الملموسة والى المحسوسات تستوحيها المعنى في قالب عربي مبين .



هو بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي بالولاء . وكان أبوه من فرس طخارستان وجيء به فى سبي المهلب بن أبي صفرة . ووهبه المهلب الى امرأة من بنى عقيل فتزوجت به ونسب اليها وولدت منه بشاراً . وكان مولد شاعرنا بالبصرة حوالى سنة ٥٥ للهجرة ، الواقعة فى سنتى (٦٧٤—٦٧٥م) ونشأ بشار في بني عقيل مولعا بالاختلاف الى الاعراب الذين يخيمون بالباديه فشب على غرارهم فصاحة لسان ، وقوة بيان ، حتى عده البعض آخر من يستشهد بشعره من الشعراء فى ضروب اللغة . ولقد ولد بشـار مكفوف البصر فعاش ماعاش لاوسـيلة له في المعرفة الا الاذنين وكفى بهما مع صفاء الطبيعة وقوة الشاعرية على أن يخلقا من بشار شاعراً مجيـداً ومجددا هو أول المجددين من موالى الفرس الذين تفخر العربية بهم وبآثارهم التى خلفوها وخالد معانيهم الباقية على جدتها وان أخلق الزمان .

والروايات من حول بشار كثيرة والقصص متعددة وجوهة . على أن الرواية قد اتفقت على أنه قال الشعر وهو ابن سبع سنين . وانه كان اميل الى الهجاء منه الى اى فن آخر من فنون الشعر . ولا جرم ان من تنزع نفسه الى الشعر فتياً ويكون له من المواهب ما يستطيع أن يذلل من طريقها معاور اللغة ، يكون فى مقدوره أن يبلغ من الشعر ما بلغ بشار بن برد فى سنى شبابه ، وظل عليه الى أن مات .

لم يعرف العرب من ضروب النقد الأدبى الا ضربان . اولهما المفاضلة ومن

التجاوزان ندعو هذا نقداً أدبياً . وثانيهما نقد المعانى والالفاظ من طريق الاتساق واللغة . وهذا اول مدارج النقد . على هذا لا نستنكف أن نقول ان العرب لم يعرفوا من النقد الا بدايات قد نأثم أن نقول فى بعضها أنه نقد ، وقد نقبل مكرهين أن نقول فى ما بقى منها انها نقد أدبى كما عرف في العصر الحديث

على أننا نكاد نتخطى اليوم هذا الدور وان كانت آثاره لا تزال شديدة الفعل فى الكثير مما تبرزه اقلام الكتاب والنقاد فى عصرنا هذا . غير أننا وقد أزمعنا أن نتكلم فى بشار وأن نعرض له برأى نحلل فيه نفسيته وشعره فانى أرى من الاوفق أن أورد رأى النقاد الذين تكلموا فيه من قبل لعلى استعين برأيهم على بلوغ شيء من الحق ينير لنا السبيل

قال الاستاذ الزيات فى بشار انه .

(١) اول ماتكلم فى الشعر الهجاء لان سوقه كانت نافقة (٢) وانه طرق أبواب الشعر التى فتحت قبله وزاد عليها (٣) وان الاتفاق بين رواة الشعر ونقدته على أنه رئيس طبقة المولدين (٤) وانه كان مجددا في المجون ورقة الغزل (٥) وانه جمع بين جزاله البدو ورقة الحضر (٦) وان شعره الحد الاوسط بين القديم والحديث (٧) وانه كامرىء القيس في الجاهليين

ولست تقع فى مجمل هذا على جديد يصح ان تركن اليه في نقد تتناول فيه بشارا على نمط حديث .

وقال الاستاذ العقاد وهو عندى من أكثر النقاد فهما لطبيعة بشار : ان شعر بشار ينقسم الى قسمين (١) الاول بدوى تغلب فيه الجفوة وحضرى تغلب فيه الرقة والنعومة . (٢) وانه إذا نظم في اغراض الشعر القديمة كان أقرب الى لغة الاعراب واذا نظم فى الغزل والمجون كان أقرب الى اللغة المألوفة الشائعة التى « رقت حواشيها وسلست عباراتها » (٣) وان روح شعره تدل على الطبيعة الحيوية والمزاج الدنيوى الذى يتخيل الاشياء كما يحسها فى عالم الواقع القريب (٤) فلا الهام في شعره ولا حنين ولا أشواق ولا بدوات ولا خيال. ولكنها تجربة الدنيا تملى عليه ماينظم من الحكمة والوصف والغزل (٥) وانه أصلح أدباء العرب لان تؤخذ عن شعره الشواهد الكثيرة على أساليب الطريقة الطبيعية الواقعية التى اشتهر بها بعض أدباء فرنسا على الخصوص في القرن الاخير .

وهذا الكلام كثيره حق واقع . على أن الاستاذ العقاد لو رجع الى تحليل عقلية بشار تحليلا انثرولوجيا لا ستطاع أن يصيب كبد الحقيقة : على أنه مهما كان فى تعليله لطبيعة بشار من تمسح بالدنيويات ليعلل بذلك حقيقة عقليته الحسية فانه في ذلك إنما أورد عرض الشيء ليكون سبباً ، ولم يبلغ الى الجوهر الكامن فى وراثه بشار الآرية عن اجداده الفرس . على أن هذا النقد من ابلغ ما وقعت عليه من صنوف النقد الحديث امعاناً في التعمق الى الاصول ، أو كما يقولون للعناصر الاولية ، التى يقوم عليها النقد التحليلى الصحيح

وقال الاستاذ طه حسين ان بشاراً (١) شاعر غزير المادة جدا (٢) وان الجيد فى هذه المادة لم يكن صادقاً فى شعره ولا مخلصا . انما كان يتكلف المعانى في أكثر الاوقات ويتكلف الالفاظ والاوصاف أيضا (٣) وانه لم يكن محببا ولا لينا رقيق الطبع والحاشية ، وانما كان قويا جبارا مبغضا (٤) وانك ان أردت أن تعرف الفن الذى برع فيه بشار فهو فن الهجاء وفى الحق أنه قتل الهجاء وأن الهجاء قتله أيضا

وفي هذا القول من الدلائل مايثبت لك أن الاستاذ طه حسين لم يفهم من نفسية بشار شيئا ، ولا حلل من طبيعة بشار شيئا ، فالقول بان بشارا شاعر غزير المادة ليس بجديد فى نقد بشار ، وأما أنه يتكلف المعانى والالفاظ والاوصاف فذلك بالقياس الى المحببين للاستاذ من الشعراء الساميين الذين لم يقف على الفرق بينهم وبين الشعراء الذين تجرى في عروقهم الدماء الآرية . وأما القول بانه قتل الهجاء فليس بصحيح لان شعر بشار لم يصلنا على تمامه وارسال الاحكام العامة بالاعتماد على الجزئيات لايؤمن معه الزلل والخطأ والدليل المادى قوله بان بشارا قتله الهجاء ! ولست أدرى كيف أن الهجاء يقتل من قتل الهجاء ؟

وقال الاستاذ ضيف ان بشارا (١) رأس المحدثين وأشعرهم (٢) وانه من الشعراء الذين أحدثوا انقلابا فى الاساليب الشعرية وقد أدرك الدولتين الاموية والعباسية (٣) وانه اشتهر بمخالفة الاسلوب القديم وحمل على العرب (٤) وأنه استخف بالعادات وبكثير من المسائل الدينية (٥) وأن له آراء رجعية فى الدين (٦) وأنه من أشعر الشعراء وأكثرهم مجونا وأقلهم مبالاة بما يقول ويفعل

وهـذا النقد ان صح أن نسميه نقـدا ليس الا مقررات لم يعلل أسبابها الاستاذ تعليلا صحيحا على الاسلوب العـلمي الحديث . وكان فى مستطاع أى ناقد فى القرن الاول أو الثانى من الهجرة أن يقول ما قال الاسـتاذ ضيف فى القرن العشرين .

والحقيقة أن كثيرا من الذين نقدوا بشارا وعلى الاخص الذين قالوا بان الهجاء أظهر مظاهره لم يستطيعوا أن يفهموا الشاعر فهما صحيحا . والذى أفهمه أن الهجو فى شعر بشار كان تبعا لنزعة أخرى ولم يكن صفة أساسية فى نفس بشار. بل ان الصفة الاساسية كانت الاباحة فهى التى دفعت به الى الهجاء وهى التى درجت به الى كل ماتقع عليه في شعر بشار من مظاهر الخروج على المـألوف . والسبب فى هذا أن العقلية الطبيعية الواقعية اذا حف بها من الاسباب المدنية والعمرانية ماحف ببشار فى أيام الدولة العباسية انقلبت أبيقوريه صرفة ، على غرار تلك الفكرات التى احتكمت فى العقل الرومانى في أواخر أيام الامبراطوريه الغربية .ومن هنا نشأ ماتجد في بشار من ميل للهجاء واطلاق كل الاشياء اطلاقا أعمى لا حد له ولا غاية

على أننا قد نتساءل قبل أن نمضى فى نقد بشار نقداأدبيا تحليليا كيف يمكن أن نحكم في بشار حكما صحيحا ولم يصـل الينا من شعره الا القليـل ؟ على أنى لاأشك فى أن مجموعة ماوصل الينا من شعر بشار على قلته يزودنا بأقذع ماقيل في الهجاء وأدق ماقيل فى الغزل وأحلى ماقيـل فى الوصف ، وأمتع ماقيل في التشبيب وأدق ماقيل فى المديح وأعظم ماقيل فى الفخر وأجدماقيل فيما يمكن التفريق به بين الاساليب القريبة من عهـد النشأة الاسـلامية وأول عصر التحضر العربى .

على انك اذا أردت أن ترى بشاراً فى حقيقته فانظر اليه فى اخلاقه فهي المرآة التى تريك بشاراً رجل حس صرف يتعلق بالدنيويات لان طبيعة عقله تنزع به الى الاندماج في الطبيعة ، وكانت الحضارة التى قامت من حوله من أكثر الاشياء تحبيباً لا مثاله في الدنيا .أفليس ادمانه الخمر وصبوته الى النساء وابتذاله وبعده عن العفة الا أثر من آثار الحضارة التى حفت به صادفت فيه نزعة ووقعت فيه على بيئة خصبة ؟ أما جبنه وخوفه من المقال والحسام فليس له من سبب الا اعتقاده بأن قول الحق لا يزول ، ولا ينسى وأن فيه من الدنايا ما لو قيل مرة

لجرى مثلا ، ويقينه ان الحياة ثمينة لا تشترى بمال ولا تباع بشرف ولا بعزة. ولعل فى هذا أثراً من نشأة وتربيته الاولى

روى بان بشاراً هجا روحاً ، وهو شاعر أدرك الدولتين الأموية والعباسية وكان من الفضلاء ومن الرواة الذين اكثروا من حفظ كلام العرب . وكان بين بشار وروح مهاجاة فوصف بشار سيف روح بما يحط من قدره فأقسم اذا لقيه ليضربنه بالسيف ولو فى حضرة أمير المؤمنين . ففزع بشار وخاف وقام من فوره الى المهدى يستجيربه . فلما حضر روحا قال انا عبد امير المؤمنين أطيعه في كل شيء الا فى بشار فقد حلفت من اجله يمين غموس . فقال المهدى ومن أجل بشار دعوتك . وجيء بالعلماء فأفتوا بضربه بعرض السيف . فلما هوى عليه روح بالسيف تألم وتأوه تأوه النساء . واذا صح هذا كان دليل على حبه للدنيا وتفانيه في الطبيعة التي ليست الحياة الا اهم مظاهرها وأبلغ آياتها .

كذلك نجدان بشاراً قد نزع طافراً الى صفات آبائه المرة بعد المرة . وفى هاذا دليل على صفاته الآرية الرسيسة المنبثة فى تضاعيف فطرته . فقد سئل مرة بأى شيء فقت أهل عصرك ؟ فأجاب على هذا السؤال جواباً عبر فى الواقع من حقيقة عقليته تعبيراً لم يبلغ اليه فى شعره وفضح عناصر نفسه بما لا يمكن أن يبلغ اليه تعبير فى وصف الطبيعة الحسية والعقلية الاثباتية فى أيما متجه فى اتجاهات الحياة مشت وفى اى مظهر ظهرت . اتعلم بماذا أجاب بشار ؟

قال :

« لم أقبل كل ما تورده على قريحتي (فما بالك بما تورده عليه قريحة غيره) ويناجيني به طبعي ويبعثه فكرى . و نظرت الى مغارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات . فسرت اليها بفهم جيد وغريزة قوية . فأحكمت سيرها . وانتقيت خيرها . وكشفت من حقائقها واحترزت من متكلفها . والله ما ملك قيادى قط الاعجاب بشيء مما آتى به »

وهذه المبادىء بذاتها اذا عم تطبيقها على احتكام العقول في حقائق الاشياء كانت بذاتها حرية الفكر والنزوع الى الواقع المحسوس . وتلك صفة يختص بها العقل الآرى . والواقع اننا لا نستطيع أن نعرف بشاراً الا من هذه الطريق فهى مفتاحه الذى لا يمكننا أن نعالج بغيره مستغلق نفسيته. اسماعيل مظهر

مآسى التاريخ

كيف قتل السلطان عثمان الثانى

السلطان عثمان الثانى هو السابع عشر من سلاطين آل عثمان. ارتقى العرش في ٢٦ فبراير سنة ١٦١٨ وعمره اذ ذاك أربع عشرة سنة بعد خلع عمه السلطان مصطفي. وكان قوى البنية مفتول العضلات ذا مهارة خارقة فى استعمال الاسلحة يغالى كثيرا في الاعتزاز بقوته حتى كان يظن انه قادرا على اخضاع شعب باسره وكان ذلك سببا فى قتله شر قتله كما سنفصله بعد :

اعتلى العرش والبلاد تخوض عبابا من الفتن والثورات الداخلية والدولة مشتبكه فى حرب مع ايران ومعرضة لحرب اخرى مع بولونيا. وكان تمرد جنود الانكشارية (جيش المشاة) والسباهي (جيش الفرسان) وخروجهم على النظام واستهانتهم بأوامر رؤسائهم قد بلغ درجة يخشى منها على كيان الدولة. فبعد أن كان هؤلاء الجنود مصدر قوة الدولة وعزها أصبحوا سبب سقوطها و اضمحلالها. وبعد ان كانوا مثالا يحتذى في الطاعة والنظام واقتحام الاخطار اصبحوا ولا هم لهم الا اكتساب الاموال والتداخل فى شؤون الدولة وعزل الرؤساء و تعيينهم مما انتقص من قيمتهم الحربية وجعلهم ينهزمون امام جيوش ايران التى كان يقودها الشاه عباس العظيم

جاء عثمان في وسط هذه الظروف الحرجه فلم يسعه الا عقد للصلح مع الفرس وقبول بعض مطالبهم ولكنه حقد على الجيوش الانكشارية وصمم على التخلص منهم. وزاد الحقد وتلك الرغبة بعد أن رافقهم فى حرب بولونيا و اشترك معهم في ستة معارك نالت فيها تركيا بعض النصر ولكنه لم يكن نصرا حاسما وانتهت هذه الحرب بصلح شبه وقتي. وكان الجنود العثمانيون في هذه المعاوك لايحاربون الا طمعا في الغنائم ورغبة فى العطايا والمنح التى كانت تعطي لهم من السلطان اذا أتوا بأسرى أو برؤوس قتلى من العدو ولكن عثمانا كان ضنينا عليهم

بالمال فلم تكن عطاياه تضارع من سبقه من السلاطين وكان يظهر اشمئزازه من سلوك الجند اثناء القتال ويوبخهم تاره ويؤنبهم أخرى لحقدوا عليه و اضمروا له الشر كما أنه صمم تصميماً أكيداً على محوهم واستبدالهم بجنود أخرى من المصريين و العرب .

لم يكن الجنود فقط هم أعداء عثمان بل أنه كان قد اغضب أهل العاصمة حيث كان يعاقب بصرامة كل من وجده سكراناً أو مدخنا فكان يأمر بألقائه في البحر تارة وبالاشغال الشاقة في دور الصناعة تارة اخرى.وكان فى كثير من الاحيان يطوف فى المدينة متنكرا وينفذ هذه العقوبات بنفسه.واغضب كثيرا من رؤساء الدين والوزراء حيث جرد الاولين من كثير مما كان لهم من الامتيازات وكان لايقرب من الآخرين الامن كان موصوفا بالشدة والمهارة في جمع الاموال ولو كان منفورا من الشعب . أغضب أهل بيته بأن قتل أخاه محمدا ظلما اتباعاً لوسوسة باش اغا الحرم بالسراى · وقتل سرية والده لمكانتها فى القصر

اشتركت الطبيعة أيضا فى تهيئه الاستياء العام من السلطان الشاب. ففى أثناء حكمه أمطرت السماء حجارة وجمدت مياه البوسفور وظهر مذنبان ناريان واشتد الغلاء وحصل حريق شديد فى العاصمة حتى ظن الناس ان الله غير راض عن سلطانهم وان هذه شواظ غضبه يصبها عليهم بسببه.

رجع عثمان بعد حرب بولونيا فى سنة ١٦٢١ والحال كما ذكرت استياء بين الجند واستياء فى السراى واستياء في العاصمة ولكنه لم يبال بكل هذا واصدر أمرا باعداد الاسطول واعداد قوة برية تبلغ خمسمائة جندى كى ترافقه فى ذهابه الى الحجاز لقضاء فريضة الحج ولتأديب الاميرفخر الدين الدرزى حاكم لبنان الذى كان قد انشق على الدولة واعلن استقلاله فلم تكد تصدر الاوامر ويعلم عزم السلطان على السفر الى الحجاز حتى أخذ دعاة السوء ينسابون هنا وهناك ويروجون اشاعات مؤداها ان عثمانا لايقصد الحجاز لقضاء الحج حقيقة وانما هو مسافر الى مصر والى سورية ليجند منها جيشا بدل الانكشارية والسباهي ويقضى على هذين الصنفين . وبذل الصدر الاعظم والمفتى وغيره من الوزراء مجهودا عظيما كى يتحول الملك عن قصده حتى أن المفتى أصدر له فتوى يقول فيها أن السلطان لايجب عليه الحج وان أوجب منه عليه أن يشرف على شؤون

الدولة ويصلح أمورها وانه يمكنه أن يتقرب الى الله ببناء مسجد أو غيره وحذر منجمو السراى الملك من السفر قائلين انهم حسبوا له طالعا فوجدوه مقرونا بالنحس لان زحل والمريخ قد اقترنا فى برج السرطان .

كل هذه المحاولات لم تفد شيئا فى ارجاع السلطان عن عزمه وكان الخوجه عمر وباش اغا الحرم من المحبذين لهذا السفر فلما نقلت هذه الاخبار الى الجيش سار الانكشارية والسباهي وعقدوا اجتماعا فى ثكنة الانكشارية الجديده ليتفاوضوا فيما يجب عمله لانقاذ انفسهم من الخطر الذى يهددهم .فقاموا أولا بمظاهرة في سوق الجزارين (ات ميدانى) وكانت هذه اولى علائم العصيان فى ذاك الوقت ثم سار المتظاهرون الى بيت الخوجة عمر فلما رآهم أقفل بيته وأشرف عليهم من النافذة فصاحوا به (انزل يامولانا واحمل مطالبنا الى السلطان) فلم يجرؤ الخوجة على النزول لهم بل هرب من قصره متنكرا فاقتحم المتظاهرون الدار واعملوا فيها نهبا وسلبا وكان قد حضر لهم شاويش من طرف الصدر الاعظم يدعوهم الى الطاعة فرجموه بالحجارة وكذلك رجموا كل من حثهم على الطاعة من قوادهم . وكانوا قد أرسلوا الى المفتى هذا السؤال (هل يجب شرعا قتل من يحرض السلطان على اختراع البدع وتبذير اموال المسلمين ؟) وكانوا يعنون بذلك من أشار على الخليفة بالسفر إلى الحجاز فكان جواب المفتى (نعم يجب) وبعد أن نهب الثوار دار الخوجة توجهوا الى منزل الصدر الاعظم فقابلهم باطلاق النار فقتلوا وجرحوا بضعة أشخاص . فكان ذلك اول منبه للثوار الى خطئهم حيث حضروا بلا سلاح ولما كان الليل قد أقبل تواعدوا على أن يجتمعوا غدا مسلحين (١٩ مايو سنة ١٦٢٢)

وصلت أخبار الثورة الى عثمان فدعا العلماء وسألهم عن سبب ذلك وعما يجب عمله لتسكينها فاجابوا ان الجند غير راضين عن سفر جلالته وانهم يطلبون ابعاد الخوجه وباش اغا الحرم. فرد عليهم ان اذهبوا وقولوا له انى عدلت عن الحج ولكننى لاأريد ان أعزل الخوجه ولا الاغا . لم يقم العلماء بتنفيذ هذا الامر فى الحال كما كان يجب بل اجلوا الامر الى صباح الغد وفى تلك الليلة كثرت أشاعات السوء فتكهرب الجو وقامت العاصمة على قدم وساق وراجت

سوق المحرضين وتحفز ذوو المطامع والشهوات ودبت عقارب الفوضى ونشط المضللون والاغا كون فمن قائل ان عثمانا يبعد حرسه الدفاع ومن قائل انه يسلح خدام القصر ورجاله. فما جاء الصباح حتى كان الجيش يغلي غلي المرجل واجتمع الثوار أولا في جامع السلطان محمد الفاتح وبعثوا يدعون العلماء ليتفاهموا معهم فوعدوهم بالحضور اليهم في ميدان السباق (آت ميدان) فهرول الجند الى المحل المذكور صائحين: الله الله. وهناك وجدوا اثني عشر من كبار العلماء فالتمسوا منهم فتوى بجواز قتل الخوجه عمر واغا الحرم والصدر الأعظم ووزير المالية واثنين من كتاب السراى وقدموا اليهم عريضة يطلبون فيها رؤوس هؤلاء الستة ليرفعوها الى السلطان. فقال لهم العلماء اما الخوجه والاغا فنعلم غضبكم عليهما. وما ذنب الاربعة الآخرين؟ فقالوا أما الصدر فقد اطلقت علينا النار من بيته واما وزير المالية فيدفع لينا مرتباتنا من ارادأ النقد. واما الاخيران فمن الذين يؤذوننا. فلم يسع العلماء الا ان يرفعوا هذه المطالب الى السلطان. فغضب غضبا شديداً وقال إني لا أوافق على هذه المطالب الآثمة الجنائية. فلم يراجعه العلماء بل اكتفوا بقولهم (يلزم اختيار أخف الضررين) فقال لا تهتموا بذلك فما هؤلاء الا طغمة من الاسافل عديمة التبصر ولا تلبث أن تتفرق. فحذروه من عاقبة هذه الثورة قائلين ان الجنود متى اجتمعوا لا يرجعون حتى ينالوا مطالبهم بأيديهم وان اجداده كانوا يحرصون كل الحرص في مثل هذه الظروف على اجابة رغباتهم. فعند ذلك اشتد غيظ السلطان وصاح في وجوههم (انكم تتكلمون كما لو كنتم انتم رجال الثورة) فلأقتلنكم انتم والعصاة فلم ينبث العلماء ببنت شفة. وركع حسين باشا الصدر الأعظم السابق على أقدام عثمان متوسلا (مولاى اذا طلب الجند رأسي فاعطها لهم ولا تفكر الا في سلامة نفسك) وكرر العلماء رجاءهم في ارضاء الجند فلم يجبهم بشيء فتهيأوا للانصراف من السراى ولكنهم تلقوا امراً بالانتظار. ولبث الثوار ينتظرون عودة العلماء برهة فلما ابطؤوا تحقق لديهم ان مطالبهم رفضت فزحفت جموعهم على القصر السلطاني مدججين بالسلاح ومن لا سلاح له حمل قضيبا من الخشب أو وتداً فلم يلاقوا اية مقاومة أو صعوبة في اقتحام ابواب السراى ودخول البهو الاول لان الحرس الخاص بعضهم انضم الى الثوار وبعضهم ركن الى الفرار .

ظل الثوار ساعات طويلة فى البهو الاول من القصر يصيحون باصوات عاليه مطالبين برأس الخوجة وأغا الحرم والصدر. ولما لم يجدوا من جواب اقتحموا البهو الثانى وأحاطوا بقاعات الديوان مرددين صياحهم وكان العلماء جالسين فى هذا البهو امام باب البهو الثالث وهو ما يسمى بباب السعادة فلما رآهم الثوار سألوهم عما تم فى شأن مطالبهم فأجابهم نقيب الاشراف بهذه الكلمة الآثمة «ان كلامنا لم يسمع فاذهبوا وتكلموا ابانفسكم» وإنما قلت كلمة آثمة لانها ادعى الى ان تكون تحريضا من أن تكون تسكينا فاقتحم المهاجمون باب السعادة ودخلوا الى البهو الثالث وفى ذلك الوقت وقع أمر لا يمكن تعليل تأثيره فى الظاهر ولكنه قد يكون في مثل هذه الحالة كافيا لاسقاط أعظم حكومة ودك أفخم عرش. أمر سرى في هذه الجماهير الصاخبه المتوترة الاعصاب فحولها عما قصدت اليه الى قصد آخر لم يكن مقررا في بادىء الامر. ذلك الامر هو كلمة القيت بصوت عال من أعماق البهو الداخلى فكانت كسهم صوب الى صدر عثمان فأصاب منه مقتلا تلك الكلمة هى (نريد السلطان مصطفى) فما سمعها الثائرون حتى تلقفوها ورددوها بحماس عظيم وهجموا على البهو الداخلى يبحثون عن هذا السلطان الذى كانوا قد خلعوه من قبل لضعف عقله وحماقته وكان معتقلا فى هذا القصر في غرفة قذرة ليس فيها من الاثاث الا فراش قديم يخدمه اثنان من المماليك. وطفق الجند ينتهكون حرمة غرفات لم تطأها قدم أحدهم من قبل باحثين عن السلطان مصطفي صائحين (نريد السلطان مصطفي). ورأى عثمان حرج الموقف فلم يسعه الا ان أرسل أمرا الى الصدر الاعظم والى أغا الحرم بالقدوم اليه فلما قدما اسلمهما الى الجند لعل ذلك يخفف من غيظهم. ولم يكد هذان البائسان يظهران أمام الجند حتى مزقوهما اربا اربا ولم يكفهم ذلك لتسكين غيظهم بل أخذوا يبحثون عن السلطان مصطفي. فأشار لهم أحد العلماء بأن السلطان مصطفي موجود فى دائرة الحرم. وكانت هذه الدائرة ليس لها باب من داخل البهو فصعدوا على سقفها وهدموا السقف وأنزل احدهم الى أسفل حيث كانوا قد سمعوا بوجود السلطان مصطفي هناك. فوجدوه على مرتبته يتلوى من العطش فسقوه وأخبروه ان الجند ينتظرونه وانهم يرغبون فى اعادته الى السلطنة فكان يرتعد من الخوف ولا يجيبهم بشىء. فحملوه الى البهو

الثاني ونادوا به سلطانا ونادوا العلماء ليقسموا له يمين الطاعة فامتنع العلماء أولا ولكنهم رضخوا أخيرا تحت تهديد السيف حتى أن احدهم مات من الخوف. ثم انطلق الجند بالسلطان مصطفى الى أمه وكانت امرأة ماكرة تطمع فى الملك وتريد أن تحكم باسم ابنها. وبعد ان ذهب الجند بمصطفى انتشرت إشاعة بان عثمانا سيهاجم مصطفى ويقتله فنقله الانكشارية الى قشلاقهم وانتشرت الفوضى فى المدنية وزاد النهب والسلب فدعا عثمان الصدر الأعظم السابق وولاه الصدارة واستشاره فيما يجب عمله. فقال له لم يبق سبيل الا استجلاب رضى الأنكشاريه وطلب الحماية من رئيسهم. فقال عثمان لو كان الأمر بيد الأنكشاريه وحدهم لهان الخطب ولكن العلماء مشتركون معهم فى العصيان والأولى بى أن اتوجه الى الجانب الأسيوى واظل هناك الى أن تهدأ الفتنة ويعرف الجند قيمة السلطان الذى ولوه على انفسهم. فأستصوب الصدر هذا الرأى ولكن لما أراد السلطان ركوب القوارب واجتياز البسفور وجد ان جميع البحارة قد هربوا ولم يبق من يسوق قاربا. فاضطر عثمان الى اتباع رأى الصدر وذهب الى بيت أغا الانكشاربة (قائدهم) وذهب حسين باشا بمقدار من الذهب الى مكان القشلاق عله يتمكن من شراء بعض زعماء الثورة. ووصل السلطان الى بيت أغا الأنكشاريه فوجده قد ذهب لمبايعة السلطان مصطفى فأنتظره الى ان جاء وأخبره انه على استعداد لان يدفع لكل انكشارى خمسين دينارا من الذهب ولكل سباهي عشرة قروش زيادة في المرتب فرضى الاغا بعرض هذا الامر على الجند ولكن الاخبار كانت قد وصلت الى الجند فقرروا الا يسمحوا للأغا بالكلام والا يقبلوا مثل هذا التكليف. فلما وصل الأغا الى القشلاق وصعد المنبر ليتكلم فيما جاء لأجله صاح الجند (اسكت اسكت) ودفعه أحدهم الى الارض بقوه وتلقفه الآخرون فمزقوه اربا اربا وذهبت طائفة منهم الى منزله ليأتوا بعثمان، وفى اثناء ذهابهم فتكوا بحسين باشا والقوا جثته فى الطريق ثم أنهم أخرجوا عثمانا من مخبئه عارى الرأس ليس عليه من الملابس الا قميص وسراويل فأركبوه حصانا هزيلا وساروا به بين صيحات الاستهزاء ولكمات التهكم والسخريه فكان هذا السلطان العظيم والشاب الشجاع يسير في وسط هذه الوحوش المفترسة وتلك الحيوانات الضارية ثابت الجأش هادىء البال ولكنه لما مر على جثة حسين

باشا وهى ملقاة على الارض لم يتمالك نفسه عن البكاء وقال (هذا والله برىء) فلو اننى اتبعت نصا محه لما أصابتنى هذه المصيبة ولكننى اصغيت الى وساوس الخوجة واغا الحرم فأضلانى سواء السبيل. فلم يثر هذا الاعتراف اى عطف لدى هؤلاء الوحوش بل ازدادوا سفاهة وقحة فمن قائل (ما أحلاك ايها الصبى انك جميل الطلعة يا عثمان) ومن قائل (الا يروق لك الآن مباغتة الحانات وتكبيل الانكشارية والسباهي بالسلاسل والاغلال ورميهم في قاع البحار)؟ وقال آخر هل فتح اجدادك الممالك بقوة السكبان؟ (نوع حديث من العساكر غير الانكشارية هم المصريون والعرب) هل هم الذين شادوا هذه القلاع ؟ ومثل ذلك من كلمات التهكم والسخرية وتجاراً ابن صائغ على أن يقرص السلطان في خده مشفعا قرصه بكلمات بذيئة. فقال عثمان باكيا يا ملعون الست سلطانك؟ وقد ذهب بعض المؤرخين الى الادعاء بأنهم حاولوا الاعتداء الفاضح على شخصه. على هذه الصورة سيق عثمان الى القشلاق ثم الى السراى وكان الجند لا يريدون قتله ولكنهم يريدون فقط ان يعتقل ولكن داوود باشا الذى تعين صدراً أعظم من قبل أم السلطان مصطفى، لانه كان زوج ابنتها، اتفق معها على قتله وذهب اليه ومعه جلاد ورئيس حرس القصر. وكان عثمان يخاطب من حوله بكلمات مؤثرة قائلا :

(أيها الجنود . ماذا تريدون أن تفعلوا بسلطانكم؟ انكم تسعون فى خراب المملكة وفى هلاك أنفسكم) وقال أيضا وقد اغرورقت عيناه بالدموع (سامحونى اذا كنت قد أغضبت أحدكم بدون علم فبالامس كنت سلطانا والآن عريانا. فاعتبروا بما صرت اليه فستجزون أنتم أيضا بما كسبت أيديكم. فانتهز الجلاد فرصة اشتغاله بالكلام ورمى الحبل فى عنقه ليخنقه. ولكن عثمانا كان منتبها فمسك الحبل بقوة وتخلص ولو مؤقتا من الموت فعند ذلك صاح زعماء الجند : قفوا فما تعملونه الآن سيجر علينا البلاء غداً. وصاح عثمان مخاطبا داوود باشا « أيها الوحش ماذا عملت معك؟ ألم أنقذك مرتين من الموت وأعدتك الى مناصبك؟ فمن أين تولد عندك هذا العداء نحوى ؟ » وهنا تداخلت أم السلطان مصطفى وخاطبت زعماء الجند قائلة « احذروه فانه ثعبان فلو أفلت منكم لقتلنا جميعا » وأشار داوود باشا الى الجلاد بخنق عثمان فمارض الزعماء مرة ثانية والتفت عثمان الى رئيس حراسه قائلا: «من الذى قلدك هذه الوظيفة» فأجاب « السلطان مصطفى » فقال عثمان ما السلطان

مصطفى الا مجنون لا يعرف اسـمه. افتح النافذة حتى أتحـدث الى رعيتى فتأثر رئيس الحرس وفتح النافذة المطلة على فناء المسجد المجتمع فيه الجيش فخطبهم عثمان قائلا : أيها الاغوات السباهيه وأنتم ياقدماء الانكشارية ياأبائى الاعزاء. لقد ألقيت سمعى الى نصائح السوء تحت تأثير طيش الشباب فلم تمعنون فى اذلالى الى هذا الحد ؟ الا تريدوننى اذن ؟ فصاحوا صيحة واحدة (لانريد حكمك ولا نريد دمك) وحاول الجلاد خنقه الثالث مرة اخرى فلم يتمكن من ذلك فلم يجد داود باشا بدا من نقله من السراى الى الحصن ذى السبعة ابراج (يكى قلعه) فتوجه به الى هناك ومعه الجلاد والسكرتير الخاص ومدير البوليس فتجمع الاربعة عليه ليقتلوه فلم يتمكنوا وكاد يظهر عليهم لولا أن تمكن الجلاد من القاء الحبل في عنقه وقبض مدير البوليس على خصيتيه وضغطهما بقوة شـديدة فسقط عثمان على الارض وأسلم الروح . وهكذا تمكن هؤلاء الآثمين من ارتـكاب فعلتهم الشنيعة التى هى أول حادثة من نوعها فى التاريخ العثمانى والتى وصمت هـذا التاريخ بوصمة من العار لاتمحي . ولـكن العـدل الالهى أنفذ احكامه فى قاتليه بعد ذلك بمدة قصيرة وماتوا بعد ذلك أشنع ميتة وهكذا عاقبة الطغيان ؟

محمد خليل



مد الالحاد

عن ارثر هدلسون

ينتشر سرطان الالحاد بسرعة وتعاليم المرطقه اخذت تتفشى فى روسيا واميركا وبريطانيا

وليس بغريب أن يكون الالحاد من بروجرام الشيوعيين الذين يشيعون لتوطيده لاعتبارهم اياه آلة فعاله لنشر تعاليمهم . ولكنه أصبح فى انجلترا من الخاصيات التى أخذت تظهر فى خلال نظامى الاجتماعى واخذ يوطد لذاته مركزا فى اميركا مشابها للاعتقادات المعترف بها اذ يقولون أن « فكرة الله مفسدة للاخلاق و أن الكتاب (المقدس) ليس أكثر من مجموعة خرافات سخيفه »

و مرمى الالحاد البريطانى سياسى صرف فدعاته يبذلون الجهد لنشره بين الطلبة.ومن المدارس واحدة تعلم « أن فكرة الصلب سخيفة لدرجة لا تقبلها عقول العمال الساذجة » والدافع على نشر هذه التعاليم بين الطلاب يتجلى لك اذا قرأت« انه يجب تفهيم التلامذة معنى التنازع الطائفى ليتيسر فى المستقبل تكوين جماعة كبيرة منهم » ولكن ليس من السهل اصدار حكم عن نتيجة هذه المحاولات لانها لم تبدأ الا من عهد قريب . وهنا يجب الاعتراف بان الملحدين ينشرون دعوتهم بنشاط و لباقة تستأثر بقلوب الصغار .فلهم اصطلاحات تستلفت الابصار فهم يسمون العمال « العبيد المأجورين » ، و اخرى تستدعى الدهشه مثل « ان أسخف ماخطه قلم تجده فى الكتاب المقدس » و « ليسقط الملوك » و« يوجد آله واحد هو العلم الاحمر رمز الحرية » هذا موجز تشخص داء السرطان الذى أصيبت به بريطانيا ، وأما فى امريكا فالحالة تدعو الى التشاؤم أكثر فهناك تبذل جمعيات الالحاد جهودا عظيمة فى نشر مبادىء « جماعة نشر الالحاد الاميريكية» وهي التى طلب اصدار مرسوم بتأليفها فى شهر ا كتوبر سنة ١٩٢٥ على مبدأ ان الايمان ليس ا كثر من ايمان فى من لاوجود له » ولا

ورغما عن رفض اثنين من القضاة اعطاء التصريح ، صدر فى نوفمبر من نفس السنة ، وبذلك اعترف بالالحاد رسميا لاول مرة في تاريخ العالم فى خارج روسيا السوفيتية وأصبح فيمقدورهذهالجمعيةنشرالالحادجهارا . وفعلا نجحت فىانشاء افرع لها فىعشرين من المدارسالتحضيرية والكلياتوفىثلاث مدارس عالية وفى تنظيم جمعية للشبان الملحدين . ولهم دعاة فى احدى قطع البحرية الاميركيةوفي منطقة القنالفيبناما والاسكا وقد تشيع لتعاليمها بعض رجال الدين وشباب اليهودواساتذة الجامعات .

ومن دعاتهم المدربينخطباء ومبشرون وموزعونشرات يحركهم صندوق بوسته في نيويورك وذلك لخوف الزعماءمن هجوم العامةعليهم .ولهماسبوعية اسمها « الباحث عن الحقيقة » هي لسان حالهم وقد صرح احد كبار رؤساء هذهالجماعة انهيوجد مناساتذة الكليات منيمنعهمخوفالاضطهاد عنالتصريح بالحادهم وعددهم كثير وهمهم منحصر فى الوقت الحالى في التغاضي عن ذلك والتشجيع على الالحاد ، وسيأتى الوقت الذى يعلنون فيه مايبطنون

وتسمي افرعالجمعية باسماء منتحلة مثل « ملائكة الشيطان » ومن وسائلهم انهم صرفوا ٨٠ جنيها فى ارسال أسئلة للعلماء يستفتونهم بها .وقداتضح من الاجابات ان ٧٥ فىالمائه من العلماء ملحدون لايؤمنون بالله ولا بالحياة الاخرى

واليكبعض تعاريفهم

الكنيسة الكاثوليكية ليست الا مجموعة كبيرة من الطلفيليات لها تاريخ مملوء بالفظائع البربرية ويحسب لها السياسيون حسابا غير يسير ويرتعد العامة منها فرقا . . . هيأحق من غيرها بلقب « الحمراء » تجتذب صغارالعقول منالناس الىاوثانمقدسة وبقايا اناس مقدسين والىمياه مقدسة....

ولاتزالالمسيحيةتئنمنالبروتستانتيهومننيرالاضطهادات كماكانتفىعهدالبابوات اليست البروتستانتية هى التى خولت المحاكم الحق فىاعدامالملحدين . واليست جمعية كوكلوكس كلان جمعية بروتستانتيه عدوهاالكثلكة والشعوب الملونة؟ واليهود والاميريكان ايضا . اليست هى التي يتهمها الناس باقتراف الجرائم والاضطهاداتفي سواد الليل ؟ وهل هناك من ينكرمسيحيتها مادامت تحمل

الانجيل في يد بينا تحارب العلم بالاخرى ؟

اما نشراتهم فتعنون بما يلفت الانظار مثل لاتدع الكتاب المقدس يستغفلك إمنعه من دخول المدارس. ولهم تسعة مطالب هي

١ اخذ ضرائب من الكنائس

٢ فصل المتدينين من دار الندوة ومعاهد التشريع والحربية والبحرية

٣ منع جمع الاموال للمعاهد الدينية

٤ منع تعليم الدين وقراءة الكتاب المقدس فى المدارس

٥ عدم الاهتمام رسميا بالاعياد وبالاحفالات الدينية

٦ منع القسم على الكتاب

٧ عدم اعتبار الاحد يوم راحة رسمية

٨ محو مايسمونه الاخلاق المسيحية وابدالها بالاخلاق الطبيعة والمساواة فى الحقوق والحرية

٩ ازالة « على الله نتكل » من النقود. ولجمعية الشبان الملحدين مجلة شهرية تصدرها فى الغرب فى ١٦ صفحة آنسة فى السابعة عشرة من عمرها صدرت من أربع سنوات تحوى أشياء غريبة اليك بعضها

قتل خمسين الف عبرانى لان أحدهم نظر الى قوس الرب ، والمنتظر أنه لم ير آلها فيه وباح بما رآه فنتج عن ذلك مذبحة لازالة الالحاد

المؤمن هو المصاب بضعف فى قوة التفكير

يلبس القس ياقته ملقاة الى الخلف بامل أن ينتقل وجهه الى ورائه ليكون من السهل عليه الوصول الى عهد ماقبل التاريخ

وبها دائرة معارف اليك شيء منها

حمار سيارة المسيح المختارة سرقه له تلاميذه اثنين ركبهما ثم دخل بيت المقدس

قدير مرادف لفظ الله الذى اثبت قدرته بعجزه عن منع نشوب الحرب الكبرى التي ظلت تستعر خمس سنوات حتى لم يجدوا مالا ينفقونه في الاستمرار على الحرب ، وبتركه عشرة ملايين من المسالمين يموتون من المرض والجوع

زرادشت فارسى انشأ واحدا من ٣٦٥ من الاديان التي يدعى بانها صحيحة

صـلاة لغة حارة أصل المقصود منها هو افهام القـدير ماذا يجب عليه أن يفعل بالـكون . ولان الاصوات ترتفع دفعة واحدة بالالاف من اللهجات يقف حائرا لايعرف ماذا يجب عليه أن يفعل

مسيح كائن هبط كى يخلص العالم فعجز عن تخليص نفسه

هذا هو مبلغ ماوصلت اليه تعاليم الملحدين فى امريكا . وفى هـذا نزعة خطرة قد تتناول آثارها الـكثير من نظم المدينة الحديثة ان قدر لها الذيوع

بنديكت سبينوزا

من أعظم رواد الفـكر الانسانى

١٦٣٢ — ١٦٧٧

مولده

في الحادى والعشرين من شهر فبراير المقبل ، يكون قـد مضى على وفاة سبينوزا الفيلسوف العظيم ٢٥١ عاما ، فقد توفى فى مثل هذا اليوم من سـنة ١٦٧٧ ، فيكون قد عاش نحواً من ٤٥ عاما !!!

ولد في امستردام سنة ١٦٣٢ من تاجر ، (يهودى) هاجر من جنوب البرتغال فراراً من اضطهاد الكاثوليك لليهود .

واما أمه فقد توفيت ولما يبلغ السادسة من عمره !

العجوز (القديسة)

ومن الطف مايروى عن أيام طفولته ، ان أباه كلفه يوماً من الايام بان يذهب فى استرداد مبلغ اقترضته منه امرأة عجوز فى « امسترام » ، فذهب (سبينوزا) اليها ، ولما دخل حجرتها ، وجدها تقرأ «التوراة »،فاشارت اليه ان يتريث حتى تنتهي من صلاتها وتضرعاتها ، ثم اخذ يذكر ماحدا به الى الميجىء ، فذهبت واحضرت المبلغ وعدته له ، ووضعته على المنضدة وهي تقول :

(هل تكون يوماً رجلا مستقيما كابيك ؟ ! ليباركك الله ويحفظك بقدر

اقتفائك لاثره وخطواته)!! وبعد أن ختمت دعاءها ، اخذت المبلغ في يدها لتضمه في كيس « الطفل » وهو بعد في «العاشرة» فاعترضها طالبا ان يعد المبلغ « بنفسه » ، فحاولت منعه فلم تفلح ، فوجدها قد انقصت المبلغ قطعتين من الذهب البندقي ، تساوى القطعة منهما ريالين وربع ريال ، ازلقتهما هذه العجوز « القديسة » الى درج من فتحه ضيقة على المنضدة !!!

وعاد « سبينوزا » فرحا ، يقص لابيه خبر ضبطه لهذه «الجريمة » !!! ... وخصوصا من « قديسة » لم تفرغ بعد صلاتها « الحارة » !!! ولاشك ان « ثقته » (بالقديسين والقديسات) قد « تضاعفت » بعد اكتشافه لهذه الجريمة !!!

(دراسته للآداب العبرية)

وعكف على دراسة الآداب العبرية ، ككل الشباب اليهودى فى ذلك العصر اوكما يقولون ، على زعم ان يكون (ربيا) أو حاخاما !! ! ولكن قد خاب فألهم فما كاد يبلغ الخامسة عشرة حتي ابتدأ يرتاب ويشك ، ولكنه كان يتظاهر « بارتياحه الكلي » لاجوبة الحاخام على اسئلته ، خشية غضبه ، ويقتصر على تدوينها للانتفاع بها فى الوقت والمكان المناسبين !

تعمقه فى دراسة الفلسفة

ولم يرتو من « التلمود » وغير التلمود ، فأخذ يكب على دراسة «الفلسفة » وهو حقيقة مدين فى الاكثر « لديكارت » فقد استفاد منه أكبر فائدة ، و مدين للعالم والفيلسوف الكبير (برونو) وكان يعتقد بالوهية القوى والنواميس الطبيعيه فحكمت عليه محكمه التفتيش بالحرق !!!

تهمة الهرطقة وحرمانه

وقد كان بين الملتفين من حوله ، شابان يدعيان انهما اخلص المخلصين اليه فالحا عليه ان يصرحهما لهما ببعض آرائه ومعتقداته ، فى الله ، والملائكة والمعجزات ، والخلود ، وا كدا له أشد تأكيد انه مهما بلغت افكاره من التطرف ، فليأمن جانبهما ، فتمنع ، ثم عاد فصرح لهما بما صرح ، فاتهموه بالهرطقه ، وصبوا عليه جامات غضبهم ولعناتهم ، ولقبوه « بامير الملحدين » و شيخ الكافرين

وحكموا عليه بالحرمان من الكنيسة فاصبح لا يعد من « شعب الله المختار » من ٢٧ يوليو سنة ١٦٥٦ ، وهو بعد فى عنفوان شبابه أى في الرابعة و العشرين !
وقد كان الحرمان بداية عظمته ومجده!!! ...

عزوبيته

ولم يكن « سبينوزا » من جماعة الزاهدين المتقشفين ولكنه ظل بعيداً عن « منطقة الخطر » فلم يجازف بحياته !! اما لانه قد خشى ان يسيء اليه القدر فيرزقه بامرأة لا يطيب معها العيش ، فيشقى ، واما ان يكون عشقه للفلسفة قد ملك عليه لبه ، وفؤاده ، فلم يعد هناك موضع لامرأة لتحتله « وتعسكر » فيه !!!

بعض صفاته

وقد كان طلق المحيا ، بشوشا ، أمينا ، عفيفا ، رزينا ، محسنا ، صبورا ، ممتلئا حيوية ونشاطا ، وفوق ذلك ، كان نظيفا مرتبا على غير عادة الفلاسفة ! !
عاش عيشة البساطة ، والفقر ، وعدم ايثار النفس ، راضيا بدخله الضئيل ، فلم يسمع انه شكى أو تذمر .

« رفضه وظيفه استاذ فى جامعة -

وقد عرض عليه أن يكون استاذا للفلسفة فى جامعة هايدلبرج في سنة ١٦٧٣ وان يطلق له أكبر قسط من الحريه في الكلام عن الفلسفة ، ولكن لا يسمح له ان يقاوم المسيحيه ، او يزعزع ثقة الناس الدينيه ، فرأى استحاله قبوله لهذه « الوظيفه » خوفا من أن تعرقله عن مواصلة للبحث والدرس كما انه لم يكن قويا ، ولم يكن له سابق اختيار في التدريس .

علم البصريات

وقد بقى راضيا بكسبه من وراء سن العدسات التي تستعمل في الميكروسكوبات والتلسكوبات ، ولو لم يكن الموت الاعمي قد عثر به فتعجله قبل اوانه لكان وقف على كثير من اسرار « علم البصريات » اذ كان يخصص لدراسته بضع ساعات كل يوم !

ضعف صحته

وقد ظل عليلا طول حياته ، ومع شدة احتياجه للراحة لم يكن ليشفق

على نفسه !

قيل انه قضى ثلاثه اشهر كاملة لايفارق فيها منزله !! وأنه كان يسهر مكبا على الدرس والتأليف ، على ضوء « القنديل » من العاشرة ليلا حتي الثالثة صباحا!!!

مرضه وموته

فناء طبعا ، تحت هذا الحمل الثقيل ، واعتلت صحته واصيب بالسل الرئوى واشتدعليه المرض، فأرسل يوم السبت ٢٠ فبراير سنة ١٦٧٧ يستدعي احدأصدقائه الاطباء من امستردام » هو الدكتور ميير. وفي يوم الاحد في نحو الساعة الثالثة عصرا اسلم الروح ! ولم يكن بجانب سريره غير صديقه ميير !!

ولكن سبنيوزا حي لن يموت !!!

خالد بكتاباته التي تعد من كنوز الفلسفة الثمينة ومن اعظم ما كتب الكاتبون

مكتبة سبنيوزا

وقد جاهد بعد موته كثير من العلماء في أمستردام ، ليحصلوا على الكتب التي تركها بمكتبته ، ولكنه لم يترك غير ١٦١ كتابا، فتنافسوا فى شرائها تنافسا عظيما ودفعوا فيها اثمانا باهظة جدا

ولم يجدوا بينها مقالته عن (قوس قزح) وكان يظن انه رماها فى النار في السنة التي توفي فيها فى ليلة من ليالى العيد

ولكنها ظهرت سنة ١٨٦٠

مؤلفاته الخالدة

لم يظهر لسبينوزا خلال سني حياته سوى كتابين الاول ترجمة الجزأين الاولين من كتاب ديكارت « مبادىء الفلسفة » أثبت ما فيها على الطريقة الهندسية . بمعنى انه وضعه فى اوليات وتعاريف ، وقضايا واستنتاجات ، وقد اقتصر على ماله مساس بالميتا فيزيقا واهمل الباقى ، وأضاف فى ذيل الكتاب بعض أرائه الخاصة في الميتا فيزيقا وقد طبعه سنة ١٦٦٧

وأما كتابه الثانى « مقاله في اللاهوت السياسى » فقد ظهرت سنة ١٦٧٠ وأعيد طبعها فى سنة ١٦٧٣ والطبعة الثانية ادق من الاولى وقد داقع فيها عن الحرية الفكرية ووجوب فصل الكنيسة عن « الدولة »

الايثيكا

وأما اعظم كتبه فهو « الايثيكا » أمتع ما أخرج الفلاسفة فى التيافيزيقا وقد كتبه ايام ان كان يعيش عيشة هادئة فى فوريبورج في سنة ١٦٦٣ وهي إحدى ضواحى الهاى على بعد ميلين منها ، ولم ينته منه الاصيف سنة ١٦٦٥ وقدسافرفىنفسهذه السنة الى « امستردام » ليتفق على نشره غيرأنه لماأراد نشره من غير أن يذكر اسمه استحال عليه الامر لان بعض اجزائه كانت قد وصلت الى ايدى الكثيرين فرأى تأجيل طبعه . ثم عاد يفكر فى نشره سنة١٦٧٥ وسافر فعلا الى « امستردام » ولكن انتشرت اشاعة ان « سبينوزا » سينشر كتابا ينكر فيه وجود الله ! ! فقامت قيامة رجال اللاهوت فنحاه جانباثانية ، ولم ينشرالا بعدموته !

بعض آرائه السياسية

كان يعجب بآراء مكيافلى اعجابا يفوق الوصف فقد كانت الصعوبات التى اعترضت هولندا من سياسة اوربا تشبه مالاقته المدن الايطالية فى القرن الخامس عشر .

فكان يرى معه ان المبادىء التى يمكن تطبيقها على « الأحرار » قدلا يمكن تطبيقها على « الدول » دائما . وان أهم واجبات الدولة ان تحمي مصالح رعاياها ، وعلى ذلك يستحيل عليها ان ترتبط بمعاهدات تتعارض مع هذه الغاية الرئيسية وهى مصلحة الافراد . وكان يرى « سبينوزا » ان تنازع الدول وبعضها ، امر لا مفر منه اللهم الا اذا تألفت قوة اكبر من اى منها ، وان التحالف الدولى أمر مرغوب فيه كثيرا ، وانه وسيلة لانهاء الحروب وتخفيف وطأتها

ولم ينظر كما نظر غيره الى الدولة State على انها شر لابد منه ولكنه كان يرى انها « ضرورة » لاتتعارض مع العقل ، خلقها البشر ، لاعن طريق « الخوف » ولكن عندما تأكدوا انها ضرورية لاسعادهم وقضاء مصالحهم .

وان الدوله قامت فى الاصل على انضمام الافراد الى بعضهم بمحض ارادتهم فاتحدت قوى الافراد ورأوا ان مصلحتهم تقضى عليهم ان تكون هناك قوة حاكمة عليهم فتنازلوا لها عن حقوقهم الطبيعية .

ولم يصبح للافراد حقوقا الاما تمنحه لهم الدولة . ولكنه لم يتعمق فى بحث نظرية « العقد الاجتماعي » فاكتفى بسياسة زمانه (العملية) ولذلك فصل بين (الدولة) (وحاكم) الدولة . ووضع السيادة في (الدولة) لافى (الحاكم) .

وقد شدد على وجوب اتحاد الدولة ووحدتها ولكنه كان يرى أن هذه (الوحدة) هى مجموعة مشيئات الافراد واراداتهم ، لا ارادة فرد واحد .

وهذه الافكار اساس نظرية (روسو) فى (الارادة العامة) وقد فصل بين (الدولة) (والحكومة)

ومال الى ناحية (الجمهورية الاستقراطية) وابغض الديموقراطيه (المتطرفة) وقد كان يرى استحالة الملكية وسيادة فرد واحد سيادة فعلية مطلقة .

كان حريصا على حفظ حرية الفرد ، وترك الناس أحرارا يعيشون بعقولهم ، وكان يرى أن صون هذه الحرية اهم غرض يجب أن ترمى اليه الدولة ، وعلى ذلك فليست هناك سيادة مطلقة للدولة اذ أنها تقف عند حقوق افرادها الطبيعية

و (سبينورا) من أكبر المدافعين عن الحرية الدينية وانصارها وكان يقدر الحرية الفكرية لا لانها حيويه لتقدم الفرد وحفظه هيبته وكرامته فحسب ، بل لانها جوهريه لسلامة « الدوله » ذاتها و سعادتها .

وقد كانت فلسفته الدينيه سببا لبغضه وكراهيته ردحاً من الزمان طويلا ، وبقى موضع سخرية الناس قرنا كاملا حتى كانوا يستهزئون به قائلين « انه لابد من ان يكون يوم الدينونه متربعا على عرش جهنم ، وقد توج على أهلها ملكا » ، ولكن هذه الآراء قد ذابت تحت نيران الفكر الحديث بعد الصراع الشديد بين رجال الدين و رجال العلم

وبدأ الناس يغيرون رأيهم فيه من سنة ١٧٨٠ ويعدو نه من أعظم المفكرين وقادة الفكر البشرى واشرف يهودى ظهر بعد بولس الرسول. وقد طبعت فلسفة القرن التاسع عشر بطابعه ودمغت بفكرته وسيكون لفلسفته شأن عظيم فى المستقبل

وقد أقاموا له تمثالا فى الهاى فى سنة ١٨٨٠ جمعت نفقاته من تلاميذه المعجبين به ايما اعجاب المشتتين فى معظم ممالك العالم . و أما الكوخ الصغير

الذى عاش فيه فقد عملت (الجمعيه الاسبيوزية) على ترميمه وجمعت فيه آثاره الخالدة ، وأصبح يسمي اليوم (متحف سبينورا)

جامعة بيروت كامل صموئيل مسيحه

فلسفة التاريخ

— ١ —

تمهيد تاريخي

كان الغرض الاسمى للمدرسة التى تعتبر ان للتاريخ فلسفة هو تصورها تاريخ البشرية كوحدة كاملة ومظهر نظام او غاية ذات قيمة ذاتية يقرب الوصول اليها متى تفهمنا تسلسل الحوادث كحقيقة كاملة . اى ان نظرية فلسفة التاريخ هى السعي وراء اثبات غاية نستخلصها ونستنتجها من سير الحوادث بقدر مايتاح لعقولنا من الملاحظة والحكم . هذه الغاية متى وضعت نصب أعيننا تقرب حوادث التاريخ من دائرة التحقيق والحكم المنطقى وبدونه تظل هـذه الحوادث مجموعة مآس ومفاجآت وصور لاطائل تحتها ولامعنى . فلو لم تطو حوادث فلسفة التاريخ مغزى وعبر ، فكف نكيف جهاد الانسانية الشاق ومايطويه من آلام وأشجان وتضحيات قد متها الانسانية على مذبح التقدم الانسانى :

وقد كان فولتير وصديقه فريد ريك الاكبر شغوفين بأن يعزوا حوادث البشر الى يد صاحبة الجلالة الصدفة .

ان النظرية الاساسية التى ترتكز عليها فلسفة التاريخ هي الاعتراف بعناية سامية تسوس مقادير البشر وتفسر كفاح الافراد والامم نحو غايات متنافره واقدار متباينة وهـذا التنا حر هوماشاد بذكره هيجل ونعته بجوهر العقل او ملكة العقل التى تسخر اهواء البشر وتتلاعب بارادة الافراد كآلة تسخر للوصول الى الاغراض العليا للانسانية، بحيث تنبت من هذه الفوضى الظاهرة فكرتان النظام والصالح. وهما دعامتا الحرية المنظمة في الدول المتمدنة

ان تـكييف نظرية فلسفة التاريخ بهذا الوضع تحتم علينا قبول منطقيتها مبدئيا . فعلى منوالها وطبق منهجها يجب ان نبدأ بدراسة التاريخ بحيث نسترشد بها كغرض مبدئي ونستنتج مجموع النظريات التى نطلق عليها فلسفة التاريخ من ابحاثنا ومجموع الوقائع الواقعة في دائرة بحثنا .

وكما انه في ميدان الفلسفة يوجد المتشككون كذلك يوجد من لايعترفون ان للتاريخ فلسفة ولايرون ان وراء وقائع التاريخ غرضا يتجه اليه عالم البشرية .

انه ولو ان هذه العبارة صيغت منذ قرن ونصف الا ان تصور أن للتاريخ فلسفة يرجع الى عصور أبعد مدى من ذلك — اى الى التاريخ العبرى وعصر النبوة عند العبرانيين فقد كان العبرانيون يعتقدون انهم شعب « يهوفا » المختار رمز العناية الالهية عندهم

وهو الذى يقودهم الى النصر. ثم اتسع عندهم هذا المعنى حتى تصوروه القابض على مصائر العالم ومصدر العناية الـكونية التى تخصص لـكل امة مركزها في العالم ودورها الذى تقوم بتمثيله فى دورة التاريخ . وانا لنلمح فى العبارة التى وردت في الـكتاب المقدس ان اشور هي سوط نقمة يهوفا وسوط نقمته وغضبه أديب العصاة بداية فلسفة للتاريخ وفي اختيار اسرائيل لحـكمة سامية غرضها التربية الروحية .

فالشعب المختار لتهذيبه وروض افراده على احقاق الحق وازهاق الباطل لجدير بان تحل به النقمة الآلهية متى حاد عن جادة الحق ومال الى الباطل ولذلك نجد فى الـكتب السماوية ان الشعوب الوثنية تسلط كسوط عذاب لتأديب العصاة .

وفى القرآن الشريف (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)

ثم تطورت هذه الفكرة حتى وسعت العالم فشملت فـكرة (يهوفا) عند العبرانيين عناية كونية لاتعرف فوارق الجنس أو اللغة وفنت فيها ريبة العـداء الجنسي واحقاده فتولد الحكم التاريخي العظيم القائم على تصور العالم مملكة واحدة واسعة الاطراف لها وحدة سياسية تربطها بالامم المجاورة وهذه (الطوبى) كان الانبياء الاول يتصورونها نهاية تاريخ العالم .

وكانوا يفسرون مآلها كخضوع العالم للرسالة الروحية القائلة بالوصول الى معرفة الآله الحق والاعتراف بارادته الرشيدة . الى هنا يمكننا تلخيص فلسفة التاريخ كما تصورتها الكتب المنزلة بان يسلط على الشعب العاصى سوط العذاب بحيث تقوم بمهمتها بطريقة سريعة نافذة معجلة كوباء يحل بمن حقت عليهم الكلمة أوجيش غزاة يجتاح أرض الفاسقين أوطيرا أبابيل ترمى بحجارة من سجيل أو ريح صرصر عاتية . وهنا تصوير قيام ظواهر الطبيعة القاسية الجبارة كاداة عذاب أوأسواط نقمة .

وفى الكتابات التى قبل المسيحية بقرن ونصف نرى فلسفة التاريخ تتجه نحو غايتين أوفكرتين هما النبوءة بالخلاص من معاصى وذنوب هذا العالم المادى نحو الطهارة الروحية فى العالم العلوى حيث تسود العدالة وترفرف روح الاخوة على الأكوان .

وتقترن هذه الفكرة بزوال العالم بنكبة من النكبات تقضى على هذا النظام. بيد أن هذا الخلاص لايتم بوساطة العوامل الطبيعية وتسلسل الحوادث أوعمل البشر اذ أن انتصار الحق والعدالة يجب أن يتحقق بوساطة العناية الالهيـة أو احدى الوسائط الخارقة للطبيعة بحيث يختتم بذلك تاريخ العالم .

هكذا كانت الافكار السائدة حين بزغت شمس المسيحية وقصارى القول أن مآل تاريخ العالم عند العبرانيين هو القضاء على قوى الشر و الفساد وان خلاص بنى اسرائيل سيتم في اوج محنتهم بواسطة قوى من وراء الطبيعه .

بداية فلسفه مسيحيه للتاريخ

فى بداية القرن الثالث اختمرت فكرة تكوين كونيه تحت لواء المسيحية ونمت حتى اصبحت عقيدة ساعدت على انتشارها سلسلة الظروف الخارجيه وانتشار النفوذ والثقافة اليونانية عقب فتوحات الاسكندريه نخضعت اقطار للغة مشتركة وقارب ذلك بين آرائها وعقب ذلك ازدياد نفوذ روما وهى محور امبراطورية مترامية الأطراف بفضل انتشار لغتها ونظم حضارتها والطرق البديعه التى انشأتها لربط ممتلكاتها النائيه و استتباب الأمن فى الاقطار الواقعة تحت سلطانها .

و قد خلق وجود مستعمرات طائفية لليهود فى ممتلكات روما مجالا

لدعاة المسيحيه المبشرين لبث تعاليمهم . و من ثم اعتبرت الطوائف المسيحية كأنها خليفة العبرانيين فى الاعتقاد الراسخ برسالتهم ومهمتهم فى العالم لأحداث انقلاب روحانى واتخذوا لانفسهم نعوت العبرانيين بأنهم (شعب الله المختار) وانهم الجنس الثالث تمييزاً لهم عن اليهود من جهه واليونان من جهة أخرى ومن ذلك كان التقسيم الى اليهود واليونان و المسيحيين اساس فلسفة التاريخ عند حد تصور الكنيسه .

[illegible] ساسها ان اليهود والروم من الفسقة وان من يعتنق منهم الدين الصحيح (المسيحية) هو وحده يصبح من المؤمنين الذين خلصوا من الخطايا الدنيوية وهذه الفكرة تؤيد مرة أخرى العقيدة التى كثيرا ما نلقاها في التاريخ وهو ان كل مجدد يكيف فلسفته طبق تصوره وعلى حد ادراكه وان رسالة «مدينة الرب» التى كتبها القديس أو غسطين في أوائل القرن الخامس هى أول تصوير كامل للنظرية المسيحية كتب، وكانت وطأة التأثير الاليم الذى احدثه نهب روما على يد جيوش الاريك الغوطي بالغة أشدها . وتدور نظريته لفلسفة التاريخ على محور المقابلة والمناضلة بين طائفتين او ملكوتين، ملكوت الآله السماوى وملكوت الارض او ملكوت الشيطان كما سماه واساسه (وهذا التأويل يتفق ونظرية العبرانيين) عصيان بعض الملائكة وفيما يختص بمصير الانسان من سقوط آدم وهبوطه . ومن هنا نشأت طائفتان وشعبان من الناس احداها تسودها محبة النفس وهواها والاخرى محبة الله والناس . فالاولى مآلها التآلف مع الخالق والثانية مصيرها سوء العقاب والحشر مع زمرة الشيطان .

وقد كانت الامثلة التاريخية تضرب للمدينة الدنيوية مثل روم وبابل بينما كان رمز (المدينة الالهيه) اليهوديه وذلك قبل العصر المسيحي الذى احل رجال الكنيسه المصطفين محل بنى اسرائيل .

وقد قسم اغسطين تاريخ العالم الى ست فترات (تقابل أيام الخليقة الست) آخرها فترة العصر المسيحي . وحسب نظريته سيكون مصير العالم الى الزوال كما استراح الخالق في اليوم السابع ، اذ كان منشأ هذه النظرية الواعز والعقيدة الدينية

ومما يقضى على تصور التاريخ طبق هذه النظرية بالتسفيه هو تقسيم التاريخ الى قسمين متناقضين منفصلين « التاريخ المقدس » والتاريخ العمانى (اوالدنس)

كما كانوا يطلقون على تاريخ كل شىء فى العالم عدا الكنيسه . وهذه النظرية الاوغسطينية ظلت عقيدة القرون الوسطى واثبتها بنصها الفيلسوف الفرنسى بوسيه فى كتابه « رسالة فى تاريخ الكون » فى نهاية القرن السابع عشر م؟

(فيلوزوف)

النقد والتأليف

الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (١)

للشيخ محمد عبده

كتاب الاسلام والنصرانية لمؤلفه الامام محمد عبده هو تلخيص لكتاب « تاريخ النضال بين العلم والدين » للاستاذ درابر وتسهل معرفة ذلك اذا قرأت كتاب الاستاذ خصوصا الصفحات من ١٢ — ٤٤ و٨١ — ٨٦ و٩٠ — ٩٩ و١٣٠— ١٤٤ — وقارنت مافيها بما هو موجود فى كتاب درابر فالتغنى بمفاخر الاسلام نقل عن دار بر والحملة على المسيحية نقلت عن درابر أيضا ومع هذا لم يشر الامام الى انه ناقل الا مرة واحدة فى صفحة ١٥ حيث ذكر اسم درابر وحصر جملة منقولة عنه بين اربع ضمات وقال فى الصفحة ٩٠ انه نقل جملة عن بعض حكماء الغربيين وقد كتب الناشر فى الحاشية الى هذا البعض هو درابر واما الباقى فيخيل للقارىء انه من قلم الاستاذ الامام. وهذا امر يؤسف له كل الاسف

وقد نقل الاستاذ عن غير درابر ايضا ولكنه ذكر المصدر الذى نقل عنه وذلك لان مانقله لايتعدى بضع فقرات (صفحة ٨٦ و٨٨ و٨٩ و١٥٩)

والمقصود من وضع الكتاب هو الرد على دعاوى لصاحب مجلة الجامعة رأى فيها الشيخ محمد عبده تحاملا على الاسلام فاندفع يناضل عن دينه بكل ماوصلت اليه يداه من الوسائل وملخص رأيه أن كل الشوائب التى علقت بالاسلام وقد اظهرها، تسبب فيها الذين اسماهم « حملة العمائم » (صفحات ٩٠ و١٠٠ و١٠١ و١٤٧ وغيرها) وكأنه اراد ان يكيل لمناظره الكيل كيلين فالصق كل الشوائب العالقة بالمسيحية بتعاليم الدين ذاته ولم يقل ان الا كليروس هم السبب فى ذلك كما أنهم علماء المسلمين ولم يقف عند هذا الحد بل اصبح مفسرا للانجيل ولكن على نسق مفسرى

(١) طبعة ١٣٤١ لنا نشرها السيد رشيد رضا وقد اهديت لمجلة المصور

الآية (فأتوهن انى شئتم) وهذا ما كنا نربأ بالاستاذ من الوقوع فيه فمثلا فسر (لاتظنوا انى جئت لالقى سلاما على الارض) بما لا يتفق مطلقا مع روح المسيحيه خصوصا وهى فى عهد الفطرة وكذلك فسر « الحق الحق اقول لكم كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطا في السماء » بتفسير (حملة القلانس) الذين ورثوا حواريي المسيح متغاضين عن الظروف التى قيلت فيها هذه الجملة والمعنى الذى ترمى اليه ومتناسين ان الوكالة لاتتوارث

فالامام الشيخ محمد عبده لم ينصف المسيحية بل تحامل عليها بدون مبرر وكان يمكنه ان يرد سهام مناظره الى صدره دون ان يجرح دينا آخر ولكن هذا الذى وقع بكل اسف

ويمكنك استخراج الحشو المكتوب من عنديات الاستاذ الامام فى هيكل كتاب درابر بسهولة فكلامه عليه مسحة الجدل الازهرى مثلا (ان الانجيل قد فصل بين السلطتين الدينية والمدنية بكلمة واحدة فى حين ان الاسلام قد فصل بينهما بكلمتين (صفحتى ٨ و ٩) ومثلا عند رده على صاحب الجامعة الذى رمى الاسلام بتهمة الاضطهاد لان بعض الناس يصق على ابن رشد فقال (اين الاضطهاد الواقع على العلماء اليوم عند المسلمين (ص ٨ و ٩) مع أنه يعطي امثلة على هذا. مثلا محاولة طعن الشيخ عليش السنوسى بحربة لخلاف فى الرأى (ص ١٠١) ولع المسلمين بالتكفير والتفسيق (ص ١٤٧) زج السيد عبد الحميد الزهراوى الحمصى فى سجن مصر ثم في سجن الاستانه (ص ١٠٠) وغير ذلك

فهو يريد أن يتهم المسيحية بالاضطهادات التى اجراها رجال الدين ولكن لايتهم الاسلام بالمثل بل يتهم رجاله فقط أليس هذا منطق عجيب ؟

والذى يقرأ هذا الكتاب يمكنه تعرف مقدار ماتصل اليه العقلية القديمة اذا اختلطت بعقول أتباع المدرسة العصرية ورامت أن تنحو نحوهم. ولما انهيت الكتاب قلت لنفسى هل حقيقة كان الملتفون حول الامام ينهلون من فيض معارفه أم كانوا يلقنونه ما جادت به قرائح الغربيين فيهضمها على علاتها ثم يبسطها كأنها من عندياته دون أن يحور فيها بالاقل ؟



احسان

رد على نقد

سيدى محرر (المصور)

لم يسعدني حظي قبل اليوم بقراءة العدد الثالث من مجلتكم والاطلاع على ما كتبة حضرة (ناقد) . وانى اعتبر ما كتبه — بالنسبة لكتابة كثيرين من حضرات النقاد — نقداً أدبياً مشروعاً مهما كانت أخطاؤه ، ومن أجل هذا أشكره عليه كما أشكر لكم عنايتكم بنشره ، وكم كان بودى لوأن حضرة الناقد لم يستترحتى كنت أستطيع زيادة الاستفادة من أدبه بالرجوع الى أمثلة من شعره اذا كان شاعرا ، أو بالرجوع الى نظم من يقدرهم من شعراء لافهم حق الفهم ماهو ذوقه الأدبى وما هو مثله الاعلى في الشعر .

إنى لا أتعرض لوصفه الاوبرا (احسان) بما وصف ، لان هذا ليس بنقد جدى أساسه الدرس والمعرفة ، وهوشبيه بنقد سابق لقصة (عبده بك) وحسبي أنه تجاهل بحثى التاريخى الفنى في ذيل الكتاب عند التطبيق ، فحكم بذلك على وجهة نظره ، كما لا أتعرض برد طويل لما مس به غيرى ، فكلهم قادرون على الرد عليه اذا شاؤوا ، وسأكتفى باجابة اسئلته والتعليق على ملاحظاته الخاصة بى :

وأول ما يثير دهشتى أن يعترض حضرة الناقد على حجم الكتاب . وبينما يرى أن القصة لاقيمة لها لايرضيه أن يجد بعض التعويض الادبى فيما خطته أقلام أخرى لادباء معروفين وان امتعض لما فيها من اطراء وتقدير للمؤلف ، ولم يستطع كتم ذلك فباح — على حد تعبيره — ببيت القصيد من مقدمته الطويلة فى صفحة ونصف الصفحة بقوله أخيراً : (. . هذه العبارات التى لاتدل على شيء الا على أن الاستاذ ابو شادى قد درس نفسية الجماهير دراسة عرفته بحق أن التهويش خير وسيلة للظهور خادعا أو مخدوعاً) وكان بودى أن أوقن ان لى عند الجماهير المنزلة التى يتصورها حضرة الناقد ، وأذكره بأنى لست من يترضى الجماهير فلا أنا من ينظم باللغة العامية ولا أنا من يطوف على ادارات الصحف ، ولا أنا ممن يستجدى الكتاب التقاريظا ، ولا أنا الذى يتقرب الى حملة الاقلام وأرباب النفوذ ليساعدوه على الظهور واكتساب حب الجماهير . وانما انا اعمل

فى عزلة بعيداً عن جو المجلات ، ولاأعرف ان كتابتى مقروءة الافي بيئة محدودة رغم حسن ظن من ينتصرون لى ، ولست من يعتبر الظهور غاية بل مجرد وسيلة للخدمة العامة ، ولا يوجد أديب معروف فى مصر يستطيع أن يقول فى حق انى بخسته حقه أو حاولت الظهور على حسابه ، لاسيما وليس الادب حرفة لى . واذن فهذا النقد غير صائب ومردود من جميع وجوهه .

ولانتقل الآن الى نقده الادبى : فقد استهله بالسؤال عن معنى الشطر الثانى من هذا البيت الذى جرى على لسان أمين بك :

أنا ماشككت ، وهل أشك بربتى * وبمرتقى أملى و نور ظلامى ؟

وقد تجاهل حضرة الناقد ظروف أمين بك فى هذا الموقف ، وقارىء (المصور) الذى لايستطيع مراجعة الرواية يحار حتماً أمام نقده لأنه لن يعرف الصواب من الخطأ مادام لايعرف المناسبات . وهذه الخطة اتبعها حضرة الناقد فى جميع نقده ، مبتدئاً باصغاره حجم الاوبرا مع علمه بان صغر الحجم مقصود ، بعكس الحال لو كانت هذه درامة بحتة .

و الذى اقصده وأفهمه وفهمه كثيرون غيرى من (مرتقى الأمل) موضع سموه ، ومثل هذا التعبير الموجه من حبيب نشأ نشأة حزينة الى محبوبته التى تربى معها مقبول وطبيعى ، وكذلك قوله (نورظلامى) فمعناه المجازى — اذا عرفت المناسبة — واضح أى (أنسى وعزائى فى شقائى) ، ولكن حضرة الناقد كما ذكرت تحاشى الاشارة الى المناسبات فاستطاع بذلك أن يجول ويصول بهذا النوع العجيب من النقد الادبى المهين . . . .

وانتقد كذلك الشطر الثانى من هذا البيت

وأريدمنذ اليوم بثضراعتى * لسناك ، فهومثابتى وقوامى

واذا كان ينكر هذا التعبير المجازى ، فعليه أن يسقط ثلاثة أرباع الشعر الغرامى ! ثم يتساءل كيف يصح معنى هذا البيت .

بددت أشجانى بحبك مثلما * ضمدت من جرح الفؤاد الدامى

ناسيا أو متناسيا ان هذا صادر من محب يقدر بر حبيبته به ، ويرى حبها اياه شفاءه ودواءه من هموم الحياة وشقائها . وليس فى هذا معنى شاذ .

ولم تعجبه اشارتى الى ان إحساناً تغنى بصوت الحب ذاته ، ثم تساءل عن

معنى الابيات الواردة فى أغنية كلامية لايمكن أن يتساءل عنها الا غير متتبع لمجرى القصة ، أو متجاهل ذلك بقصد النقد فقط . ومن عجائبه أنه لايفهم ان قصدى (بموعد الخلود) — كما يدل السياق والقرائن — يوم البعث للحياة الخالدة ، وأن أمين بك يقول أنه يشتهى سماع غناء احسان حتى يوم البعث لحياة الخلد وان كفته هي (احسان) فى ذاتها الخلد الجميل له بقربها .

وانتقد هذا الطلب المنظوم :

أنظر حبيبي عل من * بالباب يطرق والدى!

وهذا النقد غير مستغرب مادام حضرة الناقد لايفهم نزعتى الداعية الى ارضاخ النظم لما أريد التعبير عنه فى غير كلفة ، بحيث لو نثر هذا النظم لما وضع غالبا في اسلوب أكمل من الاسلوب المنظوم . وهذه من الحسنات التى أعدها فى السهل المطبوع من شعر شوقى بك وأراها جديرة بأن تحتذى بدل أن تنتقد .

و انتقد استعمال كلمة عين بمعنى بصيرة فى قولى :

و لسوف أقرؤها عليـــك فانت وجدانى و عينى

بينما أمين بك يثق باحسان ويعبرها وحى قلبه وذهنه .

وانتقد مستهل رسالة حسن بك الى أمين بك ، وما هكذا يكون النقد فهذه الرسالة وحدة لاتقبل التجزئة ، وعلى هذا الاعتبار ليس فيها الضعف الذى وأهمه ولن يحتاج حينئذ الى أية فتوى منى ، ولكنه يأبى أعتبار المواقف ، ويأبى « الاندماج » فى الرواية (كما يقول رجال المسرح) أو على الاقل يتظاهر بذلك فيستفتينى متهكما ، بدل أن يستفتى أشخاص الرواية و مواقفهم . وهو اذا تأمل لن يحتاج حينئذ الى ذلك.

و قد بلغ من تدقيقه العظيم (ولا أريد أن أقول تحاملا) — وهو تعلم أن الرسالة رسالة مبالغة وتهويل واثارة حمية — أن ينتقد التعبير (ألفى مضيق) فى الكلام عن بلاد جبليه موحشة . و تساءل : ما هو المجد الانيق ؟ وما هو الأباء الحقيقى !

فاما المجد الانيق ياسيدى الاستاذ الناقد فهو المجد الزاهى المعجب ، أو المجد الحالى ، وبعبارة استنتاجية المجد الذى يستحق أن يغبط من أجله . ولكنى أعذر

حضرة الناقد فهو على مايظهر لي يكره التعابير الجديدة ويستعمل المفردات بمعناها الاصيل التقليدى كما يرشده المعجم فقط ، رافضا الاستعمال المجازى حتى فى الشعر وسيكون لامثاله الفضل بهذه الخطة العقيمة في تعزيز الداعين الى اتخاذ العامية باعتبارها اكثر مرونة وأدق تعبيراً من الفصحي

وأما الاباء الحقيقى فهو الشمم الوطنى كما يدل سياق الرساله التى يشيرا اليها وقد أضحكني حضرة الناقد بحيرته أمام هذه الابيات الختامية للفصل الأول:

ياسيدى العم مهلا * ويا أخى كن شجاعا
وكن لاحسان عوناً * مراعيا ما استطاعا
وأنت يا بنت عمى * يا من حبتني شعاعا
يا من أراها ملاكا * بينا يراعى يراعى
وصيتى عند موتى ... * أخى... وداعاً! وداعا!

فيشق عليه أن يفهم كيف ان احسان حبت عاشقها نوراً ، وكيف أنها تكون سائلة ومسؤولة ، راعية ومرعية ، مع أن الموقف ناطق بذلك وهو يشير الى وصيته ويذكر أخاه ... ولكن ما الفائدة من مناقشة حضرته اذ كان هو يغفل مواقف الرواية إغفالا ؟! وصفوة القول

أنى أكرر لحضرة الناقد والمجلة الشكر على نقد (احسان) بهذا الاسلوب الذى يعد خطوة الى الأمام بالنسبة لما يظفر به المؤلف عادة من شتائم فى بعض الصحف كأنها اقترفت جريمة كبرى ! ولكنى أبدى أسفي على هذه السقطات منه :

(١) أن تدفعه شهوة النقد فى مثل نوبة الهستريا الى تجريد الكتاب من كل حسنة ، والى غمز (رابطة الادب الجديد) التى تضم بين أعضائها الادباء من رجال العلم والادب والصحافة ، وتعمل للتعاون على نشر الثقافة القومية مقدمة للمنتسبين اليها ما يحتاجون اليه من وسائل الارشاد الادبى ، مهتمة بنشر الابحاث الجديدة ، واذا كانت (الرابطة) قد عنيت بكتابين لى ، فليسا بشيء مذكور بجانب ما ستصدره من مطبوعات مفيدة متنوعة

(٢) أن يتناسى لهذا السبب المتقدم ان الشاعر الكبير الاستاذ احمد محرم

اكثر العاطفين من طبقته على الشعراء المجددين الناشئين ، فكان الاولى به الترحيب به معنا بدل دفعه !

(٣) أن يغالى فى النقد اللفظي مغالاة البدوى القح الذى لم يتذوق تعابير الامم الاخرى بل يعدها شبه خارجة عن البيان الآدمي ، وأن لا ينزل المجاز منزلته ، مؤثراً أبسط التعابير التقريرية الاولية ، فلا يفهم مثلا (الاكاذيب الضالة بمعنى الطائشة الشاردة ، ولكنه يفهم (الاكاذيب المضللة) الخ . مما ترتب عليه نقد طويل عريض على غير جدوى أساسه اصغار من ينتقده .

(٤) أن يتجاهل أنى اكثر الشعراء ترحيباً بنقدى ونشراً له ، وفى طليعتهم تعاوناً مع غيرى من الادباء ، فيعز عليه بجانب ذلك أن يظهر اى تقدير لى سواء صواباً أو مبالغاً فيه ، وكان الاولى به التنويه بذلك حينما أعلن باعلى صوته زلاتى الموهومة ، وحينئذ كان يتم وعظه لشعراء العصر ، وكنت أو من باستقلاله في النقد واخلاصه .

(٥) أن يرضيه الجمود الشائع ولا يرى فى هذا التأليف أمل باعث على طرق باب جديد يخدم الشعر وفنون المسرح ونهضتنا التهذيبية !

(٦) أن لا تكون لديه الشجاعة الأدبية الكافية لا علان اسمه بينما خدمة النقد الأدبى في مصر تستدعى ذلك حتما كما فعل الاستاذ مظهر فى نقد (عصر المأمون) .

الاسكندرية فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٢ — احمد زكى أبو شادى

« المصور » لناقدنا كلام فى هذه الرسالة موعدنا به العدد القادم



فهرست

بيان واعتذار

تأخر عدد شهر فبراير من العصور عن الصدور في ميعاده ولم يكن هذا التأخير عن إهمال من جانبنا أو تفريط في حقوق القراء ، بل يعود إلى أخلاق اصحاب المطابع ، سامحهم الله ، وقلة عنايتهم بما يعهد اليهم في الأعمال ،حتى لقد اضطررنا بعد أن طبعنا منه ما يقرب من نصفه إلى أن نحرق كل ما طبع منه لكثرة ما تضمن من الأخطاء وسوء الطبع والاهمال الذى ظهرت آثارة في كل صفحة من الصفحات التي طبعت . على أن هذه التجربة القاسية قد حفزتنا إلى تأسيس مطبعة خاصة للعصور مستكملة كل الحاجات التي يتم هذا العدد الذى نقدمه اليوم للقراء على مقدار ما بلغت من اتقان .

ولقد بدأنا في تأسيس المطبعة في العشرين من شهر يناير الماضي ، وقد صممنا على أن نخرج العصور في مطبعتها الخاصة أو نعطل صدورها بتة تخلصا من سوء ماتحملنا من أصحاب المطابع ومن تفريطهم التفريط كله من حقوق الطابعين والناشرين .

واليوم نتقدم للقراء بالاعتذار عن هذا التأخير راجين أن يكون لنا من التضحية خير كفيل بان يدوم تشجيعهم لعمل ما نقصد به الا الاصلاح ما استطعنا، والى تحرير الأفكار بنشر الاراء المختلفة والمبادئ العامة في العلوم والفلسفة؟

اسماعيل مظهر

Ancora Imparo



العصور
٢٨-٩-٥٨

العدد ٦ مجلد ١ شعاع الحكمة يجذبنا إليك فبراير ١٩٢٨

ادراك الروح

عن الشاعر الفيلسوف الآلهى

رابندرانات طاغور

لقد رأينا من قبل أن آمال أهل الهند القديمة قد أنحصرت فى أن يعيشوا ويتحركوا ويجذلوا فى براهما ، الذى هو الروح الكلى الادراك ، الموجود فى كل مكان ، وذلك بأن يوسعوا من افق ادراكهم ليشمل العالم كله . ولكن قد يقال بان هذه مهمة الحصول على غايتها متعذر المنال مستحيل التنفيذ . فاذا كان شمول هذا الادراك عبارة عن طريقة تنفذ فى الخارج ، فهنالك تكون بلا نهاية : وما مثلها الا كمثل من يريد أن يعبر المحيط الاوسع فيعمد الى مائه ينزحه ليتركه يبساً . وقد يقال ان الانسان اذا بدأ بأن يعمل فى سبيل أن يحقق الكل ، فلا بد من ان ينتهى من غير أن يحقق شيئا .

غير أن هذا الامر ليس فيه من البعد عن أحكام العقل بقدر مايلوح فى

ظاهره . فالانسان انما يجهد نفسه كل يوم ليحل تلك المعضلة ، معضلة الاستزادة من مدى عالمه الذى يعيش فيه ، وفى حفظ موازنة تلك الاثقال التى تقع على أكتافه. أما أحماله فكثيرة . وانها لمتعددة ،حتى إنه ليعجز عن حملها ، مالم يلتمس طريقة يستطيع بها أن يخفف من ثقل حمله . وكلما شعر أن أثقاله عظيمة غير محمولة ، عرف أن ذلك راجع الى عجزه عن أن يقف على سر تلك الطريقة التى يستطيع أن يضع بها كل شيء فى موضعه ، وأن يوزع الاحمال على وجه التوازن والمساواة. وما البحث وراء تلك الطريقة ، الا البحث وراء الاندماج والوحدة . وراء الالفة والاتساق . إن الشيء الذى نحاول أن نحصل عليه هوالتأليف بين أجزاء الاخلاط المتنافرة التى تختص بها الاشياء الخارجية ، بفضل تعديل باطنى . على أننا لانلبث فى درج بحثنا أن نشعر شيئاً فشيئاً بأننا من أجل أن نعثر على الواحد فلا بد من أن نحصل على الكل ، و أن فى هذا ينحصر كل ما ننشد من غايات عظمى ، وفوائد جلى . وكل ما فى هذا الامر راجع الى قانون تلك الوحدة التى اذا عرفناها ، أصبحت منبع قوتنا ، وأصل عظمتنا . اما مبدؤها الحى فتلك القوة التى تتضمنها الحقيقة ، حقيقة تلك الوحدة التى تدرك الكثرة والتنويع بل وتتضمنهما. إن صور الواقع كثيرة ، ولكن الحقيقة واحدة . فان ذكاء الحيوان يدرك أوجه الواقع، فى حين ان العقل الانسانى فى مستطاعه أن يدرك الحقيقة . فالتفاحة تسقط من الشجرة ، والمطر يقع على الارض . تلك أوجه من الواقع يمكنك أن تشحن بها ذاكرتك من غير ان تصل الى نهاية أو آخر . ولكن اذا وصلت الى معرفة قانون الجاذبية ، فانك بمعرفة هذه الحقيقة الغائية تستغنى عن تلك الضرورة التى تدعوك الى الوقوف على اوجه الواقع .انك انما تكون قد وصلت الى حقيقة تتضمن من اوجه الواقع عدداً لانهاية له . على ان استكشاف الانسان لمثل هذه الحقيقة لمبعث للجذل يفيض على قلبه ،وسبب للتحرر من الاوهام يمتع به عقله . لأن مثل وجه بذاته من اوجه الواقع كمثل درب مسدود الجنبات لايسلم الى غيره من الدروب والطرق . ولكن الحقيقة تفتح امامنا افقاً برأسه ، وتقودنا الى اللانهاية . وهذا هو السبب فى ان حقيقة عامة بسيطة كتلك التى استكشفها

رجل مثل داروين فى عالم البيولوجيا ، لاتقف آثارها عند حد ذلك العلم وحده ، بل تكون كمصباح ينثر أنواره المضيئة المشعة الى ابعاد اقصى بكثير من الابعاد التى أشعل لاجل اضاءتها ، فينير كل ذلك الحيز الذى تنطوى عليه الحياة الانسانية والفكر ، ويستعلى باغراض الانسان الى اطباق المثل العليا . لهذا نجد أن الحقيقة فى حين أنها تتضمن أجزاء الواقع ، ليست فى الوقت ذاته مجرد ايلاف بين تلك الاجزاء ، بل هى تفوق تلك الاجزاء ، متناثرة ومجتمعة ، وتشير الى حقيقة اللانهاية .

الانسان فى عالم المعرفة ، كما هو فى عالم الادراك تماما ، يجب عليه ان يحقق على وجه من الدقة والضبط وجود حقيقة مركزية تزوده بمدى من النظر يمتد الى اقصى الابعاد الممكنة . وهذا هو الغرض الذى ترمى اليه اليوبانيشاد اذ تقول :

« اعرف ذات روحك »

أو بعبارة أخرى : حقق مبدأ الوحدة العظمى الذى هو كائن فى تضاعيف كل بشر .

ان كل القواسر التى تسوقنا فى سبيل الانانيه ، ورغباتنا التى يتمثل فيها حب الذات ، عامتها أشياء تغشى على أبصارنا بما يمنع علينا أن نرى الروح . لان هذه الاشياء فى الواقع لاتدل الا على مجال أنفسنا الضيق . أما اذا كنا شاعرين بروحنا ، فاننا هنالك ندرك حقيقة الوجود الباطن الذى يستعلى على نفوسنا ، والذى هو ذو رابطة أمتن مع الكل ، وآصرة أدنى الى اللانهاية .

عند مايبدأ الاطفال فى تعلم الحروف الهجائية كل حرف منها قائم بنفسه لايدركون شيئاً من اللذة ولا يشعرون بغبطة . لأنهم فى الواقع بعيدون عن معرفة الغرض الحقيقى الذى يرمى اليه هذا الدرس . والحقيقة أن هذه الحروف اذا استرعت كل أنتباهنا ، على أنها وحدات قائمة بذاتها واشياء منفصل بعضها عن بعض ، انهكتنا وزادتنا سأما . على أنها تصبح نبعا للجذل لا ينضب اذا اجتمعت فكونت كلمات وجمل وحملت معان

وهكذا الحال مع روحنا ، فانها عند ما تنتزع من حيزها وتسجن بين جدران

ضيقة ، حدودها النفس الانسانية ، تفقد خطرها وعظمتها . ذلك لان ماهيتها هي الاندماج والوحدة . ان الروح انما تجد الحقيقة بان توحد بين ذاته وبقية الاشياء ، ولن يستطيع ذلك الا فى حالة الفرح والافتتان . لقد اضطرب الانسان والتوى عليه الامر ، فعاش فى خوف ورهبة طوال تلك العصور التى امتنع عليه خلالها ان يستكشف اتساق الناموس فى الطبيعة . لقد ظلت الدنيا اجنبية عنه وهو أجنبي عنها حتى آخر عهده بتلك الحال . اما الناموس الذى كشف له عنه فليس بشيء اللهم سوى ادراك تلك الألفة الكائنة بين العقل ، الذى هو روح الانسان ، و بين النظامات العالمية . هذه هي رابطة الوحدة التى يتصل الانسان من طريقها بالعالم الذى يعيش فيه ، وانه ليشعر بافتتان أخاذ عند ما يكشف عن هذه الرابطة ، لانه إذ ذاك يحقق وجوده مندمجا في تضاعيف مايحيط به من الاشياء

مفروض علينا ، اذا ما أردنا أن ندرك حقيقة أى شيء ، أن نعثر فى ذلك الشيء على مبدإ يكون فى ملكنا وحيازتنا . ولهذا نجد ان استكشافنا لذواتنا ، خارجا عن حيزنا ، هو الذى يفتننا ويبعث فينا الغبطة والسرور . هذه علاقة من الفهم جزئية لاغير . اما علاقة الحب فكاملة . فى جو الحب تنتفى الفروق . وهنالك ، فى حيز الكمال ، يصل الروح الانسانى الى اغراضه مستعليا على حدود النفس ، متخطيا عبر الباب الى عالم اللانهاية . إذن فالحب هو اعظم النعم التى فى قدرة الانسان ان ينشدها لان من طريق الحب وحده ، يستطيع أن يدرك أنه فى الحقيقة أكثر من نفسه ، وانه واحد مع الكل

مبدأ الوحدة ، الذى يحوزه الروح الانسانى ، لاينفك في حركة دائمة ونشاط مستمر ، ناسجا خيوطا من العلاقات المختلفة تصل بين أقصى الابعاد وأوسع الرحاب ، من طريق الادب والفن والعلم والجماعات الانسانية والسياسة والدين .

إن أعظم من أوحى الينا بشى فى هـذه الدنيا هم اولئك الذين اظهروا لنا المعنى الحقيقى للروح ، من طريق انكار النفس ، لالشيء الا لحب النوع الانسانى وخيره . لقد واجهوا كل مفزع ، وحملوا كل اضطهاد وصبروا على الفاقة والذل ، وذاقوا الموت ، خدمة لقضية الحب العام . انهم حيوا حياة الروح ، لاحياة النفس.

وبذلك دلونا على الغاية الاخيرة التى تسعى اليها الانسانية. اننا ندعوهم «مهاتما» أى :

(الرجل ذوو الارواح الكبيرة)

قيل فى اليوبانيشاد : —

(إنك لاتحب طفلك لأنك ترغب فيه، بل إنك تحبه لأنك في الواقع ترغب في روحك انت)

ومعنى هذا اننا فى كل من نحب إنما نجد أرواحنا متجلية بكل معانى التجلى والظهور : وان الحقيقة الاخيرة التى يدور من حولها وجودنا تنحصر فى هذا وحده. إن « البراماهاتما » — اى الروح الاعلى — كائن فى. كما هو كائن فى روحى ، وإن افتتانى بولدى تحقيق على لهذه الحقيقة.

إن من الحقائق العامة التى يشترك في الاعتقاد بها كل الناس ، والتى يكون من الغرابة أن نفكر فيها متأملين ، أن مسرات من نحب واحزانهم إنما هي مسرات لنا واحزان. ولكن ! إنها فى الواقع أكثر من هذا. لماذا ؟ لاننا بهذه الاحزان وتلك المسرات ، قد اتسع افقنا وكبرت ذاتيتنا ، واستطعنا أن نلمس تلك الحقيقة العظمى التى يكمن الكون كله في تضاعيفها.

وقد يتفق كثيرا أن يصبح حبنا لاولادنا أو لاصدقائنا أو لغيرهم ممن نحب عائقا لنا عن تحقيق ذاتيتنا الروحية لابعد من هذا. أنه مما لامشاحة فيه أن مثل هذا الحب يزيد من المرامى التى يرمى اليها وجداننا. غير أنه في الوقت ذاته يقيم حول الوجدان حدودا تمنع عليه أنه يتخطاها الى آفق أرحب. ومع كل هذا فانها أولى الخطا التى يخطوها الانسان في هذه السبيل. على أننا لا ننسى أن تيه الروح لا يكون الا في هذه الخطوة ، لانها تظهرنا على الحقيقة التى تنطوى عليها طبيعة روحنا ، وفيها نعرف أن أعظم الجذل إنما ينحصر فى أن نفقد انفسنا الشهوية وأنانيتنا ، وفي أن نحقق بجانب هذا الفقدان ، الوحدة مع غيرنا. وهذا الحب يزودنا بقوة جديدة ونفوذ في البصيرة وصفاء في العقل يصل بنا الى أبعد تلك الحدود القصية التى ندور من حولها. ولاجرم أن الحب يعجز عن أن يزودنا بهذه الاشياء اذا فقدت تلك الحدود

،رونتها ووقفت حلائلا بين روح الحب انيعتد افقه و يتسع مداه . هنالك تصبح صداقاتنا مجرد حوائل وموانع . وتصبح اسرنا غارقة في الانانية سابحة في مكدات لايقدر الانسان أن يعيش محوطا بها ، وتصبح الامم ضيقة مجال النفس غير حرة الضمير ، فتنوء بما في طبيعتها من عدوان وعسف على اكتاف غيرها من الامم والسلالات . ولا مثل لهذا الا مثل من يضع نوراً مشعلا في مكان محكم الغلق . فإن النور يظل مضيئا ساطع اللمعان حتى تجتمع من حوله الغازات فتنطفىء الشعلة . غير أن هذه الشعلة ، مع كل هذا ، تكون قد برهنت على حقيقتها قبل أن تنطفىء ، وعرفتنا كيف يكون الفرق بين جذل الحرية و بين تلك الظلمات

من مبادىء « اليوبانيشاد » أن الطريق المؤدى الى الادراك العالى أو الادراك الآلهى ، هو طريق الادراك الروحى . فإن معرفة روحنا وتحقيق وجودها بعيدا عن قواسر النفس الشهوية ، هي أولى الخطا التى نخطوها في تلك السبيل التى نحقق فيها عتقنا الاخير وتحررنا الاخلى . يجب أن نعرف ونوقن بكل معانى اليقين ، باننا في جوهرنا الحقيقى روح لاغير . ولن نصل الى هذا اليقين الا بأن نسود على النفس ونستعبدها بأن نتعفف وأن نستعلى على رذائل الكبرياء والطمع والخوف ، وأن نوقن بأن الخسائر الدنيوية بما فيها الموت الطبيعى ، لن تنتقص شيئا من حقيقة الروح وعظمتها . فان الفرخ الصغير عند ما يخرج من ظلمات البيضة المستقلة الوجود ، يعرف بأن القشرة الصلبة التى كانت تغطيها لم تكن في الواقع جزء من حياة البيضة نفسها . فإن هذه القشرة شيء ميت ، لا ينمو ، ولا يمكن أن يشف عن شيء من الامتداد الواقع وراءها . غير أنها على جمالها وحسن تناسقها يجب أن تكسر وتحطم وأن تقتحم أسوارها حتى يمكن الحصول على الحرية الكائنة و راءها . وهنالك يتحقق الغرض من حياة الطاير الصغير .

في اللغة السنسكريتية يسمى الطاير « المولود مرتين » وهكذا يسمى فيها الرجل الذى يظل محافظا على نظامات ضبط النفس والتأمل مدى اثنى عشر عاما ، على شرط أن يصبح ساذج المطالب نقى القلب ، مستعدا لان يحمل كل مسئووليات

الحياة في سعة من الروح بعيدة عن التأثر بالانانيات . إنه إذ ذاك يعتبر أنه «ولد مرة أخرى» خارجا من ذلك السياج الذى كانت تحوطه به مطاليب النفس العمياء الى حرية الحياة الروحية ، وأنه أصبح في صلة حيوية مع ما يحيط به من الاشياء وأنه اصبح واحداً من الكل

لقد حذرت قرائى من قبل ، كما أحذرهم الآن ، من أن يعتقدوا بفكرة أن الهند وحكماءها قد بشروا للناس بانكار الدنيا وانكار النفس ، مما لا يقود خطواتنا إلا الى عالم من السلب لا نعثر فيه الاعلى خلاء صرف غير متناه . ان مرماهم كان تحقيق الروح ، أو بعبارة أخرى ، حيازة الدنيا بادراك الحقيقة الكاملة . لما قال المسيح عيسى بن مريم «طوبى للمتواضعين لانهم سيرثون الارض» لم يقصد الى شيء سوى هذا . إنه أعلن الحق . لان الانسان عندما يتحرر من كبرياء نفسه ، فانه بذلك يصل الى ميراثه الانسانى ، ولم يبق له من حاجة لان يقاتل في سبيل أن يحصل على مقامه الدنيوى . لان مقامه يصبح في تلك الحال مصونا أينما حل وكان ، بما اكتسب روحه الخالد من حق ثابت . فان كبرياء النفس انما تعطل خصائص الروح ، الذى يعمل دائما على ان يحقق وجوده باكمال وحدته مع الدنيا ورب الدنيا

يقول بوذا في موعظته الى صاذو سمها :—

« حقا «ياسمها» انى ابغض ضروب النشاط والحركة ، ولكن تلك الضروب التى تقودنا الى الرذائل فكراً وعملا . حقا «ياسمها» انى أبشر بالفناء . ولكن فناء الكبرياء والشهوة والافكار السيئة والجهل . لا التسامح والعفو والحب والتصدق والحق»

إن مذهب الخلاص الذى بشر به بوذا قد انحصر في التحرر من ربقة «الافيديا» . اما «الافيديا» فذلك الجهل الذى يظلم الادراك ، ويعمد دائما الى ان يحصره في حدود النفس الانانية . ان «الافيديا» وبالاحرى الجهل أو تحديد الادراك ، هو الذى يمزق وحدة النفس . و بذلك تصبح النفس مبعث الكبرياء ، ونبع الطاغية ، واصل القسوة ، التى هي لزام الانانية وحب الذات.

عندما ينام الانسان فاذ ذاك يكون مأسورا في المجال الضيق الذى تفرضه عليه حياته الطبيعية . انه يعيش . ولكنه في هذه الحالة لا يمكنه ان يدرك أوجه العلاقات المتباينة التى تربط بين حياته وبين ما يحيط به من الاشياء . ولهذا لا يستطيع ان يدرك نفسه : وكذلك الحال اذا عاش الانسان حياة «الافيديا» فانه يكون أسير نفسه . ذلك هو النوم الروحى ، الذى يكون فيه ادراكه غير كامل القدرة على معرفة الحقيقة العظمى التى تحيط به مظاهرها ، وبذلك لا يكون قادرا على ادراك روحه . اما اذا حاز « البوذى » أى اليقظة من نوم النفس ، واستكمال الادراك ، فانه اذ ذاك يصبح « بوذا »

التقيت ذات يوم بناسكين من طائفة دينية ما في قرية بينجال . فسألتهما «اتستطيعان أن تخبرانى في أى شىء تنحصر أخص مظاهر دينكما » . أما احدهما فقد تردد برهة ثم أجابنى: «إنه ليس من الهين ان أحدد ذلك » . أما الآخر فقال «كلا . إن هذا سهل هين . اننا نعتقد أنه يجب علينا أولا أن نحرر روحنا بارشاد معلمنا الروحانى.وبعد أن نستكمل تلك المعرفة ، نستطيع أن نعثر عليه الذى هو الروح الاعلى حالا فينا».فسألته : « ولماذا لا تبشر بهذه الحقيقة لكل من في الارض ». فقال « إن كل من يحس بالعطش لا بد من أن يحضر بنفسه ليستقى من النهر » . فسألته « أوتجد الحال كما تقول ؟ هل هم قادمون» ؟ فارتسمت على أساريره ابتسامة حلوة ، ثم قال في هوادة من الاعتقاد لا يشوبها قلق ولا ضيق صدر : « يجب عليهم أن يقدموا الى النهر ، أفرادا وجماعات » .

نعم . إنه على حق . ذلك الناسك الساذج الذى يعيش في ريف بنجال . فان الانسان على التحقيق انما يعمل جادا ليرضى ضرورات يشعر أنه أكثر احتياجا اليها من الغذاء والكساء . إنه يعمل ليجد نفسه ويعثر بها . ان تاريخ الانسان هو بذاته تاريخ سفره الطويل الذى قضاه نحو العالم المجهول سعيا وراء تحقيق نفسه الخالدة ، أى روحه . ففى قيام الامبراطوريات وسقوطها ، وفي استجماع الثروات الضخمة ثم انفاقها وتبديدها مع الرياح الاربعة ، وفي خلق

تلك المجموعات الكبيرة من الرموز التي تشكل أحلامه وآماله ، ثم نبذها وتحطيمها الى الحضيض كما تحطم ارجولة ألاعيب الطفولة ، وفي اختراعه لمختلف تلك المفاتيح السحرية التي حاول بها أن يفتح الباب ليلج منه الى أسرار المخلوقات، ثم في تركه نتائج كل هذه الجهود العظيمة ليعود ثانية الى العمل منتحيا منحى جديدا سالكا طريقا بكرا : في جماع هذه الظواهر ، نجد أن الانسان قد مضى متنقلا من عصر الى عصر ، ومن جيل الى جيل ، ونصب عينيه غرض واحد هو تحقيق روحه . ذلك الروح الذي هو أعظم من كل ما في مستطاع الانسان أن يستجمع ويكسب ، وأضخم من كل ما في قدرته أن يتم من أعمال أو يكون من نظريات. ذلك الروح الذي لا يصده عن سبيله الارتقائي موت ولا انحلال بدن.

إن الاخطاء التي وقع فيها الانسان لم تكن في حالة من الحالات ضئيلة تافهة . ولهذا نجد أنها سدت سبيله بخرائب يصعب اجتيازها. أما آلامه فكانت طويلة ممضة . وما هي الا مقدمة لنتيجة ترمي الى غرض ذاهب في أعماق اللانهاية . ولقد مضى الانسان مقتحما هذه السبيل مستقتلا فيها بطرق مختلفة ، وما كانت معابده ونظاماته الاستبدادية التي اقامها ليأتي اليها في كل يوم بقرباناته وضحاياه . وانها لجليلة القدر ، فائقة العدد . ولاريبة في ان كل هذا يصبح لامعنى له ، بل يكون عبثا غير محمول ، اذا كان الانسان قد مشى في درج كل هذه الحالات غير شاعر بما يستبطن من الجذل والافتتان المنبعث من روحه الكائن بين جوانحه ، والذي يبلو قوته القدسية بما يحمل من آلام ، ويبرهن على أن معينه فائض غير ناضب ، بما فيه من قدرة على نكران الذات

نعم . إن المهاجرين لنادمون زرافات ووحدانا . قادمون الى حيث يجدون الروائة الحقة التي يرنون بها الدنيا . إنهم يجدون عاملين على أن يوسعوا ادراكهم وأن يرتقوا شيئا فشيئاً الى الوحدة العليا ، مقتربين وهناً على وهن من تلك الحقيقة الكبرى . الحقيقة الكاملة الادراك .

إن فقر الانسان لمدقع ، بالغ أقصى حد من التنزل والاسفاف . أما مطاليبه فبلا نهاية ، وانها تظل كذلك الى أن يدرك حقيقة روحه ادراكا كاملا . ومنذ

أن يبدأ جهاده العظيم ، حتى يبلغ هذه الدرجة تظل الدنيا في نظره في حالة انحلال مستمر ، أو تلوح له كخيال كائن ولا كائن . أما الرجل الذى حقق وجود روحه فقد عثر على مركز محدود للكون ومن حوله يجد كل شيء آخر موضعه الحقيقى . وبهذا يستطيع أن ينعم بحياة الالفة التامة .

لقد مر على الكون عهد كانت فيه كرة الارض كتلة سديمية متباعدة الدقائق بفعل الحرارة التى تمدد الاجسام ، حيث كانت لاتزال في حالة الغرارة الاولى . ولم تكن قد استكملت شكلها وصورتها ؟ ولم يكن فيها جمال ، ولم يختف وراء وجودها قصد . بل كان كل ما فيها حرارة وحركة . فلما أن مضت متدرجة في التشكل وتكاثفت أبخرتها فكانت كلا مستدير الشكل متحد الأجزاء بفضل تلك القوة التى رمت الى استجماع كل المواد المتنابذة تحت حكم مركز ما ، هنالك شغلت مكانها الحقيق بين سيارات النظام الشمسى ، كزمردة جميلة بين حبات عقد من الماس . كذلك تجد الحال في الروح الانسانى . فان حرارة القواسر العمياء وحركتها ، والشهوات وقوتها ، اذا احاطت بنا من كل الجوانب ، فهنالك نعجز عن أن نعطى أو نربح شيئا في الحقيقة . اما اذا عثرنا على المركز الذى ندور من حوله ممثلا في الروح ، واستطعنا ان نحقق ذلك بضبط النفس ، وبتلك القوة التى تؤلف بين كل العناصر المتنافرة ، ونوحد بين ماتباعد منها ، فاذا ذاك تتدامج كل الآثار النفسية المتنافرة المتنائية ، فتكون «حكمة» واذ ذاك تستكمل كل القواسر القلبية الموقوتة مثلها العليا ، فتكون « حبا ». هنالك تكشف لنا صغائر الحياة ودقائقها عن قصد غير متناهي الصور ، وتتحد افكارنا وآمالنا اتحادا غير مفصوم الحلقات اذ تجمع بينها ألفة باطنية تامة التكوين

يقول اليو بانيشاد في كثير من الثقة :

« أعرف الواحد . اعرف الروح . فان ذلك هو الجسر الذى تعبر من فوقه الى حيث تجد الذات الباقية السرمدية .»

هذه هي غايه الانسان . غايته أن يعرف « الواحد » الذى هو كائن فيه . والذى هو حقيقته وروحه . أما هذه الغاية فهى المفتاح الذى يفتح به الباب الى

حيث يلج إلى عالم الحياة الروحانية . الى ملكوت السماوات

ان رغبات الانسان كثيرة وانها لتجنه سعيا وراء الصور المختلفة التى تتشكل فيها الدنيا . لانها هنالك تقع على عناصر حياتها ومبادىء بقائها . . أما ذلك الشيء الذى هو « واحد » كائن فيه ، فيبحث عن الوحدة والاتصال . وحدة الحب . ووحدة الغايات الارادية . أما غاية افتتان ذلك المبدإ الواحد الذى هو كائن في الانسان ، فالوصول الى الواحد اللامتناهى في وحدته السرمدية . ولهذا يقول اليوبانيشاد : —

« الذين استقرت عقولهم وهدأت ،لا سواهم ، يستطيعون ان ينعموا بالافتتان الكامل بان يحققوا في ذواتهم وجود « الذات » التى تعرض لانظارنا ماهية واحدة في اعراض مختلفة الصور كثيرة العدد »

يتخذ « الواحد » الكامن فينا من كل مايظهر في هذه الدنيا من مختلف الصور خيوطا يحيك بها سلما يتخذه سبيلا الى « الواحد » الحال في كل الاشياء . هذه هى طبيعته . وهذه هى غاية افتتانه . غير أنه لامحالة يعجز عن أن يجتاز هذة المفازة الموحشة ليصل الى غرضه ، مالم يكن حائزا على ضوء ذاتى يستطيع أن يرى من خلاله الشيء الذى هو ساع اليه . إن رؤية « الواحد الاعلى » من خلال الروح ،لن تأتى الا من طريق البصيرة وحدها ، وليست من قوة الاستدلال ولا البرهان في شيء . إن عيوننا بطبيعتها ترى الشيء في مجموعه ، لا بتمزيقه قطعا وأجزاء ، بل بجمع كل الاجزاء معا فيصبح ذلك الشيء في وحدة مع أنفسنا . وكذلك هي الحال في البصيرة التى هى من خصائص ادراكنا الروحى ،فانها إنما تحقق وحدتها الصحيحة الكاملة بالاندماج في « الواحد الاعلى » .

إنه « فشفا كارما » أى أنه بتنويع في الصور والقوى يلقى بمظاهره الخارجية على الطبيعة ثوبا . اما مظاهره المستبطنة في روحنا ، فذلك الشيء الذى يوجد في الوحدة لا في غيرها . ولهذا نجد أن بحثنا وراء الحقيقة في عالم الطبيعة راجع الى طرق التحليل وغيرها من الطرق التدرجية التى يلجأ اليها العلم . في حين أن فهمنا للحق الكامن في روحنا فجائى مباشر من طريق البصيرة . إننا لا نستطيع أن نصل الى الروح الاعلى بان نزيد تدرجا

من معلوماتنا وأن نضيف اليها جزء بعد جزء وهنة بعد هنة ، ولو قدر لنا أن نعيش مكبين على هذا العمل طوال الآباد . لانه واحد، غير مكون من أجزاء. اننا لا نستطيع أن نعرفه ونصل اليه الا اذا أيقنا بانه في الواقع صميم الفؤاد وروح الارواح. اننا نقدر على أن نبلغ اليه بالحب والافتتان الذين نشعر بهما، اذا ما تمكنا من انكار انفسنا ووقفنا أمامه وجها لوجه.

ان أشد الصلوات حرارة وأكثرها في يقيني صدقا ، بل أخص صلاة خرجت من قلب بشرى ، هي تلك الصلاة التي نقع عليها في لساننا القديم حيث يقولون :

« أيها الواحد المتجلي بذاته تجل في روحي »

اننا في تعاسة وشقاء لاننا مخلوقات تأسرنا النفس وموحياتها . تلك النفس الضيقة الثائرة التي لا تبعث من ضوء ولا تلج الى اللانهاية بابا . ان نفسنا لا تظهر عالية الصوت، ولكن بما تبعث بين جوانحنا من صخب وصياح . انها ليست ذلك التوقيع التي تهتز اوتاره فتبعث بموسيقى السرمد والابد . واليك تنهدات الجزع ومتاعب السقطات والاخطاء .والاحزان الممضة على مافات. والاشفاق مما هو آت. فان كل هذه اشياء تلقى بافئدتنا في يم من الرعب والخوف . لاننا لم نعثر بعد على أرواحنا ، ولان ذلك الروح الذاتي التجلي ، لم يتجل بعد في حياتنا الباطنة. ومن هنا اندمجت في مراحمنا تلك الصيحة القلبية التي نقول فيها :

« ايها الواحد الجليل المهيب ، نجني بابتسامة غفرانك وصفحك كل وقت وآن »

ان اشباع اللذائذ النفسية والشره الذى لا تقنع نهمته، وكبرياء الملك والاستجماع وأسفاف القلب نفورا ومجافاة ، كل هذه أشياء تخفى من ورائها أكفان الموت والفناء

« رودرا» أيها الواحد ذو الجلال . مزق هذا الغطاء المظلم قطعا، وأضرب هذا الليل الحالك بشعاع منبعث من بسمات غفرانك وايقظ روحي»

«قد خطواتي من اللاحقيقة الى الحقيقة . ومن الظلام الى النور .ومن الموت الى الخلود »

لـكن كيف يؤمل انسان ان يحقق ما في هذه الصلاة من دعوات ؟ فان المسافة التى تفصل بين الحق والباطل شاسعة بلا نهاية . وهي كالفراغ الواقع بين الموت والخلود . ولـكن هذه الفجوة السحيقة لا ريبه تعبر في لحظة واحدة اذا شاء الواحـد المتجـلى بذاته ان يتجـلى في قرارة الروح . اذ ذاك تقـع المعجـزات ، حيث هنالك يلتقى المتناهي بغير المتناهي.

«يأبت . امح عنى كل معاصى واذهب بها»

لانـنا بالمعصية ننصر المتناهي على اللامتناهي الحال فينا . إنها الهزيمة تنتصر فيها النفس على الروح . أن هذا لعب الخسران والهدم ، الذى يغامر الانسان فيه بالـكل طمعا في الحصول على الجزء . ان المعصية ستار للحق ، يغشى على صفاء ادراكنا كغمامة كثيفة :

في غمر الخطيئة والمعصية تشتد شهواتنا سعيا وراء اللذائذ، لا لأن اللذائذ ذاتها شيء مرغوب فيه ، ولـكن لان قواسر الشهوة هي التى تخيل الينا انها كذلك. ونتطلع الى حيازة الاشياء ، لا لأن الاشياء نفسها ذات قيمة حقيقية ، بل لان طمعنا يضخمها ، فتلوح لنا عظيمة قيمة. ولا ريبة في أن هذه الملذات، وتلك النظرات الملتوية التى ننظر من ناحيتها الى ما يحيط بنا من الموجودات، تفكك روابط ألفة الحياة، وتفصم عراها في كل خطوة نخطوها . بذلك نفقد الدستور الأعلى لمعرفة القيم الحقيقية . وتأسرنا حاجات الحياة ومطالبها . وهى على تشابك حلقاتها تستعبدنا استعبادا . فان عجز الانسان عن أن يستجمع كل عناصر طبيعته في وحدة يحكمها « الواحد الاعلى » هو الذى يجعله يشعر بان هنالك فجوة قائمة بينه و بين الله . وما يعبر عن هذا الشعور شيء مثل هذه الصلاة :

«يا الهي . يأبت أمح كل معصياتنا ، وامنحنا كل ما هو خير بذاته»

ذلك الخير الذى تغتذى به أرواحنا.

ان أكبابنا على حيازة اللذة يلزمنا ان نبقى عبيداً لنفوسنا الشهوية . أما طلب الخير فيحررنا حتى نصبح في تبعية ثابتة للـكل اللامتناهي. وكما يستمد الطفل من رحم أمه مقومات حياته من طريق اتحاده بحياة الام التى هي اكثر من حياته سعة

وأضخم مجالا ، كذلك الحال في روحنا، فانه انما يغتذى من طريق الخير المحض. وهذا الطريق هو عبارة عن تحقيق الآصرة الكائنة بين الروح و بين الخير. بل هو المفازة التى يسلكها الروح للاتصال بعالم اللانهاية التى تحيطه وتغذيه بلبان الخلود. ومن هنا قيل

«طوبى للذين يجوعون ويظمؤون سعيا في سبيل الاستقامة ، لانهم سوف يمتلؤون »

لان الاستقامة هي غذاء الروح القدسى . وما من شيء غير هذا يمكن أن يسد جوع الانسان ونهمه ؛ أو يجعله يعيش عيش الخلود واللانهاية ، أو يأخذ بيده في سرى تدرجاته النشوئية نحو السرمد والابد .

« انا نسجد لك يامن يزودنا بمفاتن حياتنا ومسراتنا .ونسجدلك يامن يزود أرواحنا بما فيها من خير. إنا نسجد لك يامن هوالخير كل الخير »

بل نقول : «يامن من طريقه نتحد بكل شيء ونندمج في كل شيء ، في السلام والألفة ، في الخير والحب.»

إن صراخ الانسانية انما يتعالى ليصل الى أرقى تعبيراتها . اما الرغبة في سبيل التعبير عن النفس ، فهى التى تقود الانسان الى السعى وراء الثروة والقوة. ولكن الواجب عليه أن يعرف و يستكشف ان «الاستجماع» ليس هو «التحقيق» و أن الضوء الباطن هو الذى يكشف له عن حقيقته ، وليست الاشياء الخارجية . فان ذلك الضوء الباطن اذا أضاءت أشعته ، عرف الانسان في لحظة واحدة أن أخص مايوحى به اليه ، هو وحى الله فيه . ومن ثم تعالت الصيحة في سبيل تجلى الروح وتحقيقها ، الذى هو ليس بشيء سوى تجلى الله في الروح . وان الانسان ليصبح انسانا كاملا و يحصل على أرقى حالة يستطيع فيها أن يعبر عن حقيقته، اذا حققت روحه وجودها في الذات اللامتناهية ، التى هى (آفيه) والتى تنحصر كل ماهيتها في «التعبير» لا في شيء غيره .

أن تعاسة الانسان الحقيقية ترجع في الواقع الى أنه لم يتخلص من اسره ، وانه مظلم بنفسه ، مفقود في مهامه شهواته ورغباته . انه لايستطيع أن يشعر بنفسه وقد خرج الى أبعد مما يحيط به من الاشياء المادية . إن نفسه الكبرى تكون قد عمي عليها ، والحق الكامن فيه قد غشي عليه . لهذا يجب أن لايكون له صلاة تخرج من أعماقه سوى القول :

« أنت يامن هو روح الظواهر ، اظهر بنفسك متجليا في روحي » .

أن هذا التطلع الى التعبير الحقيقي عن نفسه لاعمق غورا في وجدان الانسان من ظواهر نهمه وظمئه وراء الجسمانيات ، وتعطشه الى الثروة والجاه الدنيوي . ان هذه الصلاة ليست بشيء يعبر عن عنصر خفي نشأ في تضاعيف الانسان وحده . انما في صميم كل الاشياء . انها عبارة عن الاجبار المتواصل الذي يخضعه له (الآفيه) أي الروح السرمدي التجلي والظهور . و إن تجلي اللامتناهي في المتناهي ، الذي هو المحرك الاول في الخلق والوجود ، لايمكن أن يرى في السماوات المنمقة بالنجوم وكمال وضعها ، ولا في الازهار وجمال اشكالها وصورها . انه لايرى الا في روح الانسان . لانه هنالك تتجلى الارادة في الارادة ، وتمد الحرية يدها لتتلقى آخر ماتنتظر من هبة وعطاء : حيث تتحقق الحرية بالتسليم والقاء السلاح .

إذن فالنفس الانسانية هي الشيء الوحيد الذي لم يشأ بارىء الأكوان أن يتقيد بالارادة ، فتركها حرة مختارة . لذلك نجد ان الانسان في تكوينه الجثماني والعقلي ، حيث يكون ذا صلة عظمى بالطبيعة الحافة به ، يمضي معترفا بجلال الله وقدرته الشاملة . غير أنه اذا رجع الى نفسه وجد لديه من حرية الاختيار ما يمكنه من انكار كل هذا . وفي هذا الحيز ، حيز النفس الحرة الاختيار ، يجب ان يلج الله ليملأ ذلك الفراغ . هنالك يستوي كضيف ، لاكملك ولا كسلطان

ويظل منتظرا حتى يدعى . إن نفس الانسان وحدها هى التى شاء الله القادر على كل شيء ان لا تضطر الى الخضوع لأوامره ونواهيه اضطرارا بل اختيارا . تركها حرة ليغرس فيها بذور الحب الانسانى . ان قواته الساحقة ونواميسه الطبيعيه ، انما تقف خارج ابوابها التى لا يلج منها سوى الجمال ، رسول حبه ورحمتـه ليستوى في اعماقها القصية

انك لا تجد من اثر الفوضى الا في هذا العالم : عالم الاختيار والارادة . في النفس الانسانية وحدها تقع على متناقضات البهتان والاسفاف مسيطرة حاكمة بامرها . هنالك قد تتكاثف الاشياء تكاثفا يجعلنا نصيح من أعماق نفوسنا في فزع وحرقة :

« ان مثل هذه الفوضى السائدة لا يمكن ان تبسط سلطانها ، لو ان الله موجود حقا »

والحقيقة ان الله قد ظل بعيدا عن نفوسنا ، وفي صبر لا يلج الى حد ولا يخلص الى نهاية ، يمضى غير محاول ان يفتح بالقوة ابوابا غلقت دونه . ذلك لأن النفس الانسانية يجب ان تحصل على وجودها المعنوى الحقيقى الذى هو الروح ، لا من طريق القهر والاضطرار الآلهى ، بل من طريق الحب . و بذلك تندمج في الله من طريق الحرية والاختيار .

إن الذى اندمجت روحه في الله ، هو الذى يقف امام الناس كزهرة الانسانية اليانعة . هنالك يعثر الانسان في الحق على حقيقة ذاته . لأن هنالك يتجلى له (الآفيه) - لا في روح البشر كأكمل صورة من صور الوحى الحقيقى عن وجود الله في الانسان . لأننا نرى كيف تندمج الارادة العلوية في إرادتنا ، وحبنا المحدود في الحب الباقى الدائم

لهذا نجد ان الذين يحبون الله حبا حقا في بلادنا يكافئون من الناس باحترام وتقديس ، قد يمكن ان يعد في الغرب انتهاكا لحرمة الدين . فاننا نرى فيهم ان ارادة الله قد نفذت واصبحت حقيقة واقعة ، وان اكبر العقبات التى كانت تحول دون تجليه وظهوره قد ذالت ، وان الجذل الآلهى قد ازهر وآتى

أكله في قلب الانسان . اننا نرى من طريق هؤلاء — المحبين لله — ان ملكوت البشر قد اظله العطف القدسي واحاط به . وان حياتهم اذ تتقد بحب الله وتضطرم، انما تبعث في حياة الناس الحب متجليا في اجمل صوره وابهى الوانه . هنالك تتجمع كل حاجيات حياتنا ومراتقها القريبة ، وكل تجاربها ومسراتها وآلامها ، حول مظاهر ذلك الحب القدسي ، وتكون تلك القصة التمثيلية التي نشاهدها في الانسان . هنا يمس السر الأبدي تلك التوافه والترهات فيذيبها ، لاليفنيها ، ولكن ليحولها الى توقيع موسيقى خالد. وهنالك تلوح لنا الأشجار والنجوم والتلال الخضراء كرموز تناجينا بمعان تعجز الكلمات عن ان تعبر عنها . ويلوح لنا كأننا نرقب «الواحد الفرد» وهو يخلق امام اعيننا عالما جديدا عندما يزيح الروح الانساني حجب النفس واستارها عن وجهه ، ويسفر بارزا ليقف وجها لوجه امام محبه الخالد الباقي

ولكن ما هي هذه الحالة ؟ انها كصبح الربيع ، اذ تتنوع فيه اوجه الحياة والجمال ، في حين انه واحد كل ، غير ذي اجزاء

إن حياة الانسان عند ما تنقذ من المهاوى المسفة والشقاء ، وتحقق وحدتها مع الروح ، فهنالك يصبح وجدان اللامتناهي شيئا طبيعيا ثابتا فيها ، كالضوء إذ ينبعث عن اللهيب : وإذ ذاك تهدأ عاصفة الجلاد والصراع وتمحى متناقضات الحياة .وتأتلف عناصر المعرفة والحب والعمل : واللذة والألم يندمجان في الجمال، والتشهى والجحود يتساويان مع الخير : ويمتلىء الفراغ الواقع بين المتناهي وغير المتناهي بالحب وفيوضه الجميلة ، وتحمل كل برهة من برهات الزمان رسائلها المعنوية الى عالم السرمد والابد ، وتظهر لنا الاشياء الشوهاء التي لا صورة لها في صورة زهرة يانعة ناضرة اوثمرة شهيه ، ويضمنا العالم غير المحدود بين ذراعيه كأب رحيم ، ويماشينا كصديق خالص الود شفيق القلب

إن الروح وحده ، ذلك الكل الكائن في الانسان ، هو الذى يستطيع أن يتخطى كل الحدود ويجتاز كل الحوائل ليحقق ألفته الصحيحة مع « الواحد الاعلى »

ان حياتنا ، قبل أن نحقق الالفة مع الابدى القيوم ونعثر على وجودنا الكلى ، تظل عبارة عن مجموعة عادات نسميها الحياة . واذ ذاك تلوح لنا الدنيا كآلة ميكانيكية ، تستخدم حيث تكون مفيدة وتتقى حيث تكون مضرة مخيفة، ولن يمكن أن نعرف حقيقتها كشيء هو لنا رفيق وصاحب، لا من ناحيتها الطبيعية، ولا من ناحيتها الروحية، ولا من ناحية الجمال .



نحن وآدم

وأنا على ما كان آدم قبلنـا ... غفولا ولو أن الزمان تبـدلا
نبيـع كما باع الجنـان بحنطة ... على غفل من لوثة الغى جهلا
وما كان ابليس سوى قوة الهوى ... تضل بتيه الفكر تيهان أليلا
فهل كف أهواء وهل وضحت صوى ... بعوماة هذا الكون بصرها الملا
ولولا تجـاريب الابوة قبلنـا ... مضينا بأعباء الحيـاة سبهللا
لنا فيهمو فى كل أغراضنا أسى ... وان كان نهج الحق فى الحق مشكلا
فما كان ممـا ندعى من تمدين ... فجماع تجريب زمانا مطـولا
فلا يفتخر عصر فكل حضارة ... نتـاج لجهود الجدودة أولا
وما هي إلا خطوة إثر خطوة ... وجهد جديد زاد جهداً محصلا
وان كان من فخر فللناس من لدن ... شقينا بما أشقى الغوى المضللا

عبد اللطيف ثابت

البابية

وجد ببلاد فارس في الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، شيخ هو أحمد زين الدين الاحسائي، كان يمزج التعاليم الاسلامية بالتصوف و ينتف من الآراء الفلسفية. كان جو البلاد مشبعا بروح التمرد ضد نظام الحكم المتبع وكانت عقلية الوسط تسيغ هضم فكرة رجوع المهدي . فكثر عدد المدعين بالمهدوية وكان أحدهم شاباً في الرابعة والعشرين من عمره اسمه ميرزا علي محمد بدأ بنشر دعوته الى المهدوية عام ١٨٤٤ وكان من تلاميذه الشيخ الاحسائي و بالفعل كان هذا المعلم يدعو الى أن المهدي كان قائما في عالم روحاني اسمه « جابلقا » فادعى السيد علي المذكور أنه باب المهدي ، فتبعه جماعة من اتباع الامامية الباطنية وقال انه باب الدين ثم لقب نفسه بالنقطة وخالق الخلق ، ثم قال انه ليس بنبي ولا برسول ولكنه هيكل آلهي ومنح أحد مريديه لقب الباب . ثم عاد فادعى انه المهدي المنتظر، وأخذ يدعي انه الحسن تارة والحسين أخرى وهكذا تسمى باسماء كل الأئمة المنتظرة . فلما روجع في ذلك استشهد بقول الطائفة « الشيخية » من أن (الشخصية الانسانية التي تميز الافراد عن بعضهم ليست اكثر من مجموعة صفات واخلاق ان وجدت تامة في شخصية أخرى في أي زمان ومكان دلت على رجوع الشخص السابق وجودها فيه الى الوجود) فبالطبع كان هذا برهان لا يرد من عقلية ذلك الزمن . واسمى نفسه « الذكر » قائلا انه المقصود من « انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » و « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » وشمر عن ساعديه وأوحى ليده بكتابة كتاب « البيان » وادعى أنه هو المقصود من الآية « خلق الانسان علمه البيان » وأخذ يدعو الناس لدين الله ، ومن رفض كان يعدمه . فلم يسع الحكومة إلا محاكمته والحكم عليه بالاعدام رميا بالرصاص ، فتم ذلك ورميت جثته في خندق لاحدى القلاع . ولكن اتباعه ينفون قتله و يؤكدون رؤيتهم إياه وهو صاعد الى السماء . ذلك بالرغم من أن لهم مدفنا باسمه في طهران . ولما صلحت الحال نقلوا بقاياه الى عكا وله هناك مزار

وكان ضمن اتباعه أخوان لأب ، اسم كبيرهما يحيي ولقبه صبح الازل . وأما الصغير فكان اسمه حسين ولقبه بهاء الله . فحرضا الاتباع على قتل الشاه، واحدثا بوادر ثورة ،فألقت الحكومة عليهما القبض وأودعتهما السجن رهن المحاكمة فتدخل لصالحهما قنصل الروس فنفيا واستقرا في بغداد وهنالك اتفقا على أن يختفى صبح الازل ليقول البهاء إن اللاهوت قد حل فيه ثم عرج الى السماء . وفعلا ادعى البهاء هذه الدعوى وحاول اثارة فتنة في العجم لصالح الروس فتداركت الحكومة العثمانية الامر والقت القبض على الاخوين ونفتهما بعيدا مع بعض المريدين في مدينة أدرنة وهناك لم يجدا أمامهما مجالا للعمل فالتفتا الى بعضهما وأخذا يتعاركان. وكان سلاح البهاء أمضى ، اذ أنكر أخاه قائلا إنه صعد الى السماء وليس الموجود إلا مدع . وشمر كل منهما عن ساعديه وروزأ العالم بكتاب منزل ففرقت بينهما الحكومة العثمانية وأرسلت صبح الازل الى قبرص «أو رودس» فمات فيها بعد قليل وارسلت البهاء الى عكا وتبعه ٨٤ شخصا وكان ذلك عام ١٨٦٨

أما كتاب البهاء فاسمه (الاقدس) وهو رطانة بين عربية واعجمية حاول فيه النحو منحى القرآن

ولم يلبث البهاء بعد موت أخيه أن رجع عن اهتمامه باحتكار اسم البابيه لجماعته دون جماعة أخيه ، فسماهم البهائية ، ثم ازداد جرأة فادعى ان مرزا على محمد لم يكن إلا مبشرا بحضوره ، كما أن يوحنا المعمدان كان مبشرا بظهور المسيح، واكتفى بالجهود الذى بذله الى أن مات عام ١٨٩٤ وهو في الخامسة والسبعين من عمره وخلفه ابنه الشيخ عباس (أو عباس افندى) بوصيته على قول ، وبالمراوغة على قول آخر. والقائلون بالرأى الثانى يدعون أن البهاء جن من أواخر أيامه ، وكان ابنه يعمل كحاجب له ، فاستأثر بالامر واغدق على الجماعة اموالا فحبب فيه الاتباع وبالفعل اسموه (المعلم) هذا في حين كان شقيق عباس يرتع في عالم آخر . فلما مات البهاء وحل عباس محله بلقب عبد البهاء غضب اخوه وسعى ضده لدى الحكومة فضيقت عليه حتى اعلن الدستور عام ١٩٠٨ فاطلقت سراحة وتمكن من قضاء خمس سنوات سائحا في مصر واوربا وامريكا . ولما نشبت الحرب كان في فلسطين وخدم قضية

الخلفاء فانعمت عليه الحكومة الانكليزية برتبة فارس الامبراطورية البريطانية مع لقب سير ، وتوفي في السابعة والسبعين وكان ذلك عام ١٩٢١ فخلفه بوصية منه حفيده لابنته شوقي افندي رباني وهو لا يكاد يتجاوز العقد الثالث من عمره في الوقت الحاضر ، وينازعه شقيق جده على الزعامة

اريد الآن ان ادلي اليك بشيء من تعاليم البهائية. ولكني اجهل كيف افعل ذلك . فقد سبق ان قلت لك انه التف حول ميرزا علي محمد بعض اتباع الامامية الباطنية ، وبالطبع كانت له فوارق تجعله وجماعته حزبا واحدا يخالف الاحزاب الاخرى ، مثل الاكتفاء بصلاة ركعتين فقط في كل صباح مع اقتبال جهة مخصوصة، حيث يوجد جامع في مدينة شيراز . وكالتسليم بحلول الاله في جسد انسان ، وان الثواب والعقاب يتم بالتلذذ او التألم من تذكر ما اقترفه الانسان من الخير والشر ، وان الروح تعود للعالم الانساني مرة اخرى بعد الموت فقط ، والشهر ١٩ يوما والسنة ١٩ شهراً ذلك لان وحدة الله مكونة من ١٩ اقنوماً، ويحرضون على هدم مكة وبيت المقدس وبقية الاماكن المقدسة ويحصرون تعدد الزوجات في اثنتين (سمعت انهم يقتصرون الآن على واحدة) ويجيزون الزواج بالاخت (ينكر البابيون ذلك)

هذه وامثالها تعاليم البهائية منذ نشأت الى ان تفتحت عينا عبد البهاء في رحلته الى الغرب ، فحمس اتباعه على تعليم اولادهم . وجعل التعليم من اصول مذهبه وكأنما اغوته فكرة « الدولية » فالقى نفسه بين احضانها دون قيد ولا شرط فصرف نظره عن اللاهوت واخذ يقول مع القائلين بتوحيد الاديان وبالطبع اختار البهائية لتكون الدين الاوحد. وله في ذلك منطق غريب اذ يقول « كل الاديان اساسها ساوى حتى المجوسية . وبما ان المسلمين يعترفون بالمسيح وبموسى والنصارى يعترفون بموسى ، فالاتفاق بينهم سهل وليس من الصعب الانتماء الى البهائية مع المحافظة على الدين الاصلي. لأن البهائية تحترم كافة الاديان» هذا ماقاله ولكني لم افهم المقصود منه : وقد سطرته لك لتحاول أن تفهمه بنفسك . يقول مع القائلين بوجوب عمل برلمان واحد للعالم يجتمع فيه نواب لجميع امم الارض، ويطالب مع المطالبين بوجوب توحيد اللغات . ولكني اشك في انه يقترح اللغة الفارسية،

ويستعير نظام الولايات المتحدة الحكومى لدى طلب انشاء بيت عدل لكل قرية ولكل مدينة ولكل قسم ولكل مملكة ، ويطلب تكوين برلمانين اصغر واكبر يعمل كل منهما لمدة خمس سنوات وتكون الاصوات متساوية . ويطلب انشاء بيت مال تجتمع ايرداته من ١٩ في المائة من الثروة و١٩ في المائة من الدخل . الزكاة. مال من ليس له وارث. ونصف اللقطة التى لها مالك وثلث الكنوز وثلث ارث من ليس له وارث وغرامات الجرائم والجنايات والهبات والأوقاف

ويصرف من بيت المال هذا في اشادة معاهد العلم والمتاحف والمستشفيات

هل فهمت مبادىء البهائية ؟ اليست هى آراء رجل فهم الانظمة الاجتماعية فهما سقيما ، وفي ليلة صافية الاديم خمن فكتب له « يوتوبيا » تجلت بصورة مضحكة. واليك نموذج من كتابات عبد البهاء

« آلهى آلهى قد احاطت الليلة الدلماء كل الارجاء وغطت سحاب الاحتجاب كل الآفاق واستغرق الانام في ظل الاوهام وخاض الظلام في غمار الجور والعدوان ما ارى الاوميض النار الحامية المتسعرة من الهاوية وما اسمع الا صوت الرعود المدمدم من الآلات الملتهبة الطاغية النارية ، وكل اقليم ينادى بلسان الخافية. »
أفهمت ما يريد ان يقول في هذه الجملة ؟ فلبهائية كما سمعت تريد ان تقول انها تعاليم سماوية تدعو العالم الى الاتحاد والسلام والى نبذ التعصب الدينى والجنسى والوطنى والسياسى وتعميم العرفان وانشاء محكمة عامة كبرى تفصل الخلافات وتشييد القواعد الاقصادية وتأسيس لغة عامة . هذا ما تستنتجه من كتاباتها الانكليزية التى تواجه بها الاميريكان . ولكنها تتكلم عن الفروع والأصول وتجادل على مذاهب المعتزلة والباطنيه والقدرية فى البلاد الاسلامية.

هل القارىء يعذرنى الآن اذا قلت له انى اجهل ماذا يجب ان أقول فى التعاليم البهائية ؟ وحتى النظريات المستجدة في البهائيه فانها مرنة وليست جامدة. وهذه محتويات رسالة عنوانها « تعاليم البهائية » طبعت ثلاث مرات لترى بعينيك كيف تتابع البهائية سنة التطور

محتويات البطاقة المطبوعة سنة ١٩١٣

١ـــ تطابق أسس الدين ـــ ٢ـــ وحدة الناس ـــ ٣ـــ مباحث حرة عن الحقيقة ٤ـــ السلام العام ـــ ٥ـــ لغة دولية ـــ ٦ـــ مساواة الرجال والنساء ـــ ٧ـــ حل المعضلات الاقتصادية بالروحانيات ـــ ٨ـــ محكمة دوليا ـــ ٩ـــ تعليم دولى ـــ ١٠ اتفاق العلم والدين .

ثم محتويات بطاقة سنة ١٩١٩

١ـــ أسس كل الاديان واحدة ـ ٢ ـ وحدة العالم الانسانى ـ ٣ ـ منع التحزبات بانواعها ـ ٤ ـ البحث الحر عن الحقيقة ـ ٥ ـ السلام العام ـ ٦ ـ لغة عامة ـ ٧ ـ يجب أن يأخذ كل انسان نصيبه من العلم ـــ ٨ـــ مساوة المرأة بالرجل ـــ ٩ ـــ حل المسألة الاقتصادية (؟) ـــ ١٠ ـــ يجب أن يكون الدين سبباً فى وحدة العالم ـــ ١١ ـــ يجب أن يساير الدين العلم والعقل ـــ ١٢ ـــ محكمة دولية

ثم محتويات بطاقة سنة ١٩٢٤

١ ـــ وحدة الله ووحدة الدين ـــ ٢ ـــ وحدة الانسان ـــ ٣ ـــ وجوب ترك التحزبات بجميع ضروبها ـــ ٤ ـــ وجوب البحث عن الحقيقة ـــ ٥ ـــ السلام العام ـــ ٦ ـــ توحيد لغات العالم ـــ ٧ ـــ تعميم التربية ـــ ٨ ـــ المساواة بين الجنسين ـــ ٩ ـــ العبادة هي العمل ـــ ١٠ ـــ منع الفقر المدقع والغنى المفرط ـــ ١١ ـــ ازالة الاستعباد الصناعى ـــ ١٢ ـــ حاجتنا الى شخصيات معنوية

ومن يدر فقد تضع في المستقبل ضمن تعاليمها أشياء اخرى مثل

وجوب حل الاوقاف الاهلية . طرد الصهيونيين من فلسطين . الغاء المحاكم المختلطة . حل مشكلة عمال ترام الاسكندرية . سوق كونتراتات القطن

ونشر الدعوة للبهائية يتم على نسق التبشير البروتستانتى مع فارق هو أن البهائى المبشر يحاول أن يلونك بلون البهائية عند اول بادرة تبدر منك . فاذا سألك مثلا هذا توافق على تقبيل مقامات الاولياء وقلت لا ، ينبهك الى انك بهائى ولو أفهمته أنك ليست بهائيا ، قال لك انك بهائى ، ولكنك مكابر ومن الفضيلة الرجوع الى الحق

وقد سمعت من بعض مبشريهم أن الدكتور ولسن لم يقدم فكرة تقرير المصير للدول المتحاربة الا بعد أن قتلها مجلس البهائيين في الولايات المتحدة بحثا وانهم مهدوا لاقتبال الفكرة في الأوساط السياسية الاوروبية · وسمعت أن سعد زغلول كان بهائيا يعمل بارشادات لجنتهم ارئيسيه في مصر وكذلك فعل مصطفى كمال. ولهم نشرات تشابه بطاقات عيد الميلاد عنوان واحدة منها مثلا «الدعوة البهائية» فاذا تصفحتها كي تفهم ما الذى تدعوا اليه البهائية تقرأ

«قال الأستاذ الكبير (اختر أى اسم تشاء) عندما زرت عبد البهاء عام كذ ادخلونى قاعة متسعة ضعيفة النور فرأيت فى زاوية منها وجه عبد البهاء السمح يضيء تحت عمامة بيضاء نظيفة فتملكنى الخشوع وإذا به يحييني ثم يحدثنى بحديث لطيف كدت التهمه التهاماً وكم اثرت عيناه الساذجتان في نفسى بما لم اشعر بمثله في حياتى قط . . . . . »وهكذا الى تنتهى من قراءة البطاقة . فتقرأ في بطاقة اخرى تحت عنوان «شيء عن البهائية » أقوالا مثل

« افضى جلالة ملك كذا (او القائد العام لجيش كذا اوملكة كذا او امير كذا) لمراسل جريدة (ضع اى اسم اجنبى تشاؤه) بحديث نشر في العدد كذا المؤرخ كذا فقال،ان تعاليم البهائية لا شك مستقاة من وحى آلهى وانا معجب بما حوته من حقائق ... » وهكذ الى آخر البطاقة

فهل من يقرا مثل هذه البطاقة يتوجه الى جلالة ملك كذا اوالفيلد مرشال هندنبرج او ملكة رانجون ليحقق ما اذا كان قد مرت عليهم ولو عرضا لفظة البهائية !!!

البهائى مسلم بين المسلمين ، مسيحى بين المسيحين، ملحد بين الملحدين. فهمه منحصر في ان يكثر عدد البهائيين باية طريقة كانت فمثلا يدعى لك ان بمصر ربع مليون بهائى فيهم سبعة وزراء ومائتى قاض وان في امريكا خمسة ملايين وفي انحلترا مليون ونصف، واذا لم تصدقه فاذهب واحص لتتأكد من صدقه

وبعد بحث طويل يمكننى ان اقول بان البهائية ليست الاجمعية لطائفة لاتمزج بالايرانيين الشيعيين ، تتظاهر في الغرب بانها فرع لترويج الدولية في الشرق وتتظاهر في الشرق بأنها تتبع طريقة دينية تجارى معها العلم الحديث

عمر عنايت

تغلغل فى الحياة

تغلغل فى الحيــاة ولا تجانب ... مساوئها فقد تحوى جميـلا
وفرض أن تكون بهـا عليما ... اذا ما شئت أن تحيي جليلا
ومن خاض الرذيلة فى دروس ... تنزه عن عواقبهـا عليـلا
ولـكن المجانب خوف ضعف ... يزل ويغتـدى بعد الذليلا
فخل مصاحب التسبيح يلهو ... بأوراد يرددها ثقيـلا
يعممه النفاق على فساد ... وقد تخذ الهوى سراً زميلا
وكن رجل التسامح والتسامى ... وكـن أيضاً لتجربة خليلا
فمن رام الطهارة فى وجود ... بلا رجس يروم المستحيلا
ومن شـاء الصلاح عليه حتما ... لينجح أن ينقب مستطيلا
وما أصل النبالة فى اعتكاف ... ولا أن نصغر الحظ الضئيلا
ولـكن فى اندماج النفس صدقا ... بدنيـاها لتسديهـا جميلا
وما كان الترفع فى ثراء ... ولـكن الترفع أن نقيـلا

***

تغلغل فى الحياة إذن وأدرك ... بأنك ما بها وانظر طويلا
وحاسب عقلك الوانى اذا ما ... تخلى عن فرائضـه بخيـلا
فان العقل معتزلا شبيه ... بنجم قد هوى فغدا محيلا
وما هذا الوجود سوى شعاع ... يحجب خلفه ظلا ظليلا
نقائض فى اجتذاب واتصال ... وتأبى أن نفرقهـا قليلا !

احمد زكي أبو شادى

ما اشبه الليلة بالبارحة

من هو العالم منا فنكرمه

للاستاذ الكبير جبرضومط استاذ اللغة العربية والآداب فى جامعة بيروت الامريكية شهرة كبيرة فى العالم العربي . فليس لنا اذن أن نقدمه للقراء لأن آثاره العظيمة تغنيه عن كلمات تكتبها فيه العصور . وقد خص المصور ببحث طلي هو عبارة عن خطبة مستفيضة ألقاها سنة ١٨٨٧ فى جمعة من شباب ذلك العصر وشيوخه بحث فيها فكرة اجتماعية كبرى لا تزال المشكلات المنبثة حفافيها قائمة فى نواحي الشرق الى الآن ، فوضعنا لها هذا العنوان الذى نعتذر عنه مقدما لاستاذنا الكبير . وهذه الخطابة لم تنشر قبل الآن

* * *

حضرة رئيسى المحترم . وحضرات اخوانى الاعزاء . ويا حضرات السادة والسيدات .

ما انا خطيب ولا ابن خطيب ، انما انا مظلوم ، ظلمنى اخوانى ولا اشكوهم ، ومكلف كلفنى رئيسى وله الشكر ان اقف امامكم في هذه الحفلة الموقرة موقف الخطيب .

على انى لا اعتذر ايها الاخوان ولا اطلب اليكم ايها السادة الحضور ان تغضوا الطرف عما تسمعونه منى مما لا يقع لديكم موقع الاستحسان فما هذا الا ملق يتوسل به الخطباء ، وكبر في اطار من زاووق التواضع والانكسار ، فضلا عن ان كلماتى مرة وقد جرحت من نفسى ، اولا فلا عجب اذن ان تجرح من أنفسكم ثانيا

من عادة الخطباء منا ، الا القليل منهم ، اذا وقفوا على منابر الخطابة ان يملقوا من اعجابنا بأنفسنا ويبرقشوا بذكر من تقدم من اسلافنا وما كان لهم من المفاخر والمآثر ، أو يلبسوا علينا بما عند بعضنا من جودة القرائح وغريب البداءة وسامى المدارك ، كأنما يريدون أن يسدلوا بذلك حجابا على ما بنا من الضعف ويضربوا

ستارا على ما نحن فيه من التقليـد ، يشاغلوننا بكل ذلك عن أن ننظر الى حقيقة أمرنا .

ولا نلومهم في ذلك فما قصدوا الاخيرا ولا أرادوا به الا اصلاحا وفائدة . وكأني بهم يريدون التنشيط ويعملون على تحريك كامن المروة والغيرة . لان من احس بضعفه وقوة الآخرين تصاغرت اليه نفسه وأخلد الى المذلة وا لخمول

لا يبعد أن في هذا شيئا من الحقيقة . الا أن من جهل فاته التدبير ومن زعم امتلاء خزائنه صيفا عضه ناب الجوع شتاء ، ومن استنام في مسبعة من الارضين لم يأمن وثبات الاسود ، فاذا نجا بنفسه فقد لاتسلم ركوبته . ومن فائل الرأي التطمين في مواقف الخوف، والتخويف في مواطن الامن والسلامة . وشر من ذلك أن نتغالى بقوتنا ونحن ضعفاء ، أو نقنط وفينا بقية من الرجاء

أطلت عليكم أيها السادة بطنطنة كلام ماله من محصل سوى التمويه والتهويل فاعذروني من هذه الحيثية فقط ولا ترموا بابصاركم عني، وأسألكم لقاء اعتذاري هذا سؤالا أوجهه اليـكم وهو (من هو العالم منا ؟) والسؤال نفسه هو موضع خطابي . فاسمعوني قليلا يسمعكم الله ، ولو أن في كلامي هذا بعض المرارة

من العالم منا

مما تتداوله الالسنة ـ ولا أظنه فات مسامع أحد منكم ـ القول بكثرة المدارس العلمية وازدياد عدد العلماء والمتعلمين حتى صار البعض يزعمون مضرة العلم لانه ترك الـكثيرين عطلا لايحسنون عملا ولا يأتون بحركة ، انما هم ينتقلون من مكان الى مكان يشكون من كساد سوق العلم وبخس بضاعته . فبعض يلومون ويذمون ، وبعض يتأففون ويشكون ، وآخرون يعتبون على الايام وغيرهم يشكون من جائر القسمة بين الانام . وكلهم وإن اختلفوا في نوع الشكوى متفقون على ان العلم في بلادهم خاسر الصفقة لايرى من مواطنيهم الاتجنبا وإعراضا ولا يرى ذووه إلا انتقاصا وخيبه . على حين انه على عكس ذلك في غير بلادهم، فسوقه رائجة وتجارته رابحة وذووه على غاية من الاعزاز والتجلة ، الى غير ذلك مما يزعمون .

اما سمعتم مثل هذه الشكوى ايها السادة ؟ بل اما انحرقتم احيانا الى القائلين بها وجاريتموهم فيما يقارب معناها واستشهدتم على ذلك بذكر كبار العلماء في الممالك الغربية وماهم عليه من التجلة واعزاز المنزلة بين مواطنيهم ؟ وذكرتم ايضا فعاليتم ما يكون من اقبال الامراء والعظماء عليهم والاحتفاء بهم والاخذ برأيهم ، ثم عطفتم بعدها الى انفسكم فقلتم «أو مثل هـذا يحصل في بلادنا ؟ » يزعمون أن العلماء عندكم مطروحون فى زوايا الاهمال ليس من يحفل بشأنهم او يرد عليهم الصباح ردا حسنا اذا ما صبحوا . لقد ظلم القائلون بهـذا القول أنفسهم و بلادهم . أما بلادهم فقد تقولوا عنها ما هى براء منه ونسبوا اليها مالا تستحقه من الشنعة ، فانها لو انصفوا اشـد البلدان مغالاة فى تعظيم العلم وأهله فعامتنا يشيرون بالبنان الى من عنده كتاب بين ظهرانيهم لايخالفون له فيما بينهم رأيا ولا يقدمون عليه فى مجالسهم أحداً ، فاذا مرض مريضهم لاذوا به أو اشكل عليهم مشكل قصدوا اليه أو بدا لهم خاطر فاتحوه به . بل قد يطفرون إلى أكثر من ذلك فيزعمون فيه القوة على التصرف بعالم الجماد وتأثيره فيـه رأسا من غير توسط . ويزيدون على ذلك ان الارواح تخف الى خدمته فى قضاء مايريد من المصالح والحاجات وان الافلاك تكاشفه بما عندها من الغوامض والمكنونات ، لا تخفى عنه ماتضمره على غيره من البشر ولا تكاتمه خصوصية ما عندها من الاثر ، الى غير ذلك مما لايخفى عليكم امره ، ولا يفوتكم من اعتبارهم العلم والعلماء ، والا لما نسبوا اليهم ماتحسبونه ضـلالا وجهلا وتشددون عليهم النكير من أجله تعنيفا ولوما . فما بلادكم دون غيرها من البلدان فى تعظيم شأن العلم واجلال الآخذين به والاقبال عليهم ، وحسبكم ماترون من اخواننا ابناء الملة الاسلامية وقيامهم على تعظيم مشايخهم واولى العلم منهم على مشهد منكم فلا يمر الطالب بشيخه ولو أنه من أعاظم ابناء الامراء والوجهاء فيجاوزه من دون ان يقف لديه موقف الاجلال والتعظيم ، بل لايرى حطة من التبرك بتقبيل يديه واستئذانه فى حاجة له يتولى هو بنفسه قضاؤها له . حاشا لله ان نتهم بلادنا وأهل بلادنا بما هم براء منه . فان احتفاءهم بالعلم وأهل العلم لعلى غاية ، حتى

انهم ليودون أن ينتسبوا الى العلم انتسابا غير مساترين في حب التعرف باهله والتودد اليهم ولا بالمتثاقلين عن الاجتماع بهم والتزلف بالبشر والهشاشة اليهم حرصا على نادرة يروونها عنهم وحكمة يقتبسونها منهم وفكاهة يهشون اليها وغريبة يتهالكون على الاحتفاظ بها . وهنا أسألكم ايها السادة ايصح بعد هذا ان نشنع على أهالي بلادنا بالغفلة عن العلم وعدم الاكتراث بالعلماء واستثقالهم عن الاقبال عليهم والاحتفاء بهم ؟ حاشا لله إنا اذن لظالمون . هذا ولو انا انحرفنا لتصديق بعض هذه الشنعة لقام علينا من حفلتنا هذه شاهد في وجوهنا يشهد ضدنا انا لخطئون : لم اجتمعتم ايها السادة ، ولم أرى المكان يضيق عن ان يسع المجتمعين منكم ؟ اما هو تعظيما لشأن معلم وحبا به واقبالا على مثلي من المتطفلين على موائده المنتمين اليه بمجرد انتماء وهم ليسوا في الحقيقة على شيء سوى انهم مقلدون لبعض بعضه ؟ ايقال بضاعة فاسدة وأنتم تشكون من كثرة عدد الطلبة ؟ أم يقال إن سوقه غير رائجة ، وهذه مدارس بيروت الكبرى غاصة بالطلبة فضلا عن مدراسها الوسطى والابتدائية ؟ أم يقال بعدم الاقبال عليه والاحتفاء به وأكثر من نصف آباء الطلبة يضيقون على أنفسهم وعيالهم توفيرا لما يصرفونه على بنيهم من دفع رواتب تطالب منهم المدرسة ومن مصاريف أخرى لايرون التقتير على بنيهم فيها ؟ أو ليس من الخطر ان نتهم آباء يبيعون من املاكهم لينفقوا على تعليم بنيهم ، أنهم لا يعبؤون بالعلم ولا يكترثون به ؟ أوما نظلم أبا نرميه بعدم الرغبة في العلم ، وهو ينفق على ابنه نحوا من اربعين ليرا سنويا ؟ قيمة تقارب ثلث مدخوله أو تزيد حبا في العلم ، وما هو بالمتعلم الا لغة أجنبية يبربر بها على مسمع من والديه ، ويا حبذا لو اتقنها كما يجب ؟

اعدلوا أيها المتهالكون عن لوقيعة في بلادكم وأهالي بلادكم وأتهامهم بما هم براء منه ، ولا تعجلوا في احكامكم عليهم قبل الروية فما هذا انصاف منكم . ومنشأ الخطأ في أنكم لم تتدبروا الواقع فنظرتم نظرة المتسرع وزعمتم ان فيما بينكم من العلماء من يشفون في مقدار علمهم على علماء الغربيين وطالبتم مواطنيكم بناء على زعمكم هذا أن يقبلوا على قوم «ما عرفوا العلم إلا تقليدا» بمثل ما يكون من

الاقبال على أعاظم العلماء وجلة الفلاسفة . أين علماؤنا ؟ سموهم لنا فنرى بعدها ماذاكان مواطنوكم بخسوهم حقهم من الاعزاز والتجلة ؟ اين نيوتن الرياضي فيما بيننا ؟ ابرزوه الى العالم وأنا أريكم من فوق ضريحه نصبا يعلو على النصب المنصوب لنيوتن الانكليز . هاتوا نعشا يقل من مثل الرجل وانا آتيكم باعاظم رجالنا وانبلهم مجدا وشرفا يحملون في يوم شديد الحر او في يوم يتدفق سيله وتعصف زعازعه فلا يبالون ويشغلهم فقد الرجل عماهم فيه من ذلك جميعه . اين لابلاس او دي لامبير ؟ هاتوا من مثل هذين وأنا آتيكم بمثل الخليفة المأمون فيضن بهما ان تقع عليهما اعين الغمارة او يقرع باسماعهما لفظ العامة والدهماء . اين فيكتور هوجو أواسكندر دوماس ؟ هاتوا لي من هذين الكاتبين وانا آتيكم بسيف الدولة من جديد الى الوجود وآتيكم بالأمة عن اخرها تعظم قدرهما وتجل من شأنهما باضعاف ما فعل الفرنساويون ، بل أقيم لكل منهما تمثالا بل ابني لكل منهما مزارا على رابية مطلة تظللها الأشجار الغضة وتقصدها الناس زائرين اعترافا بفضلهما جيلا بعد جيل ؟

أين وبستر او بتري من علماء اللغة ؟ هاتوا لي مثل هذين وأنا الكفيل باقبال الناس عليهما مثلما كان من اقبال الامريكان والفرنساويين على هذين الفاضلين. هاتوا من مثل اديسون الأمريكاني . هاتوا من مثل فراداي او سادي كارنو أو جول ، وغيرهم من علماء الكيمياء وأنا الكفيل الا يقوم منا خطيب على منبر الا ويفتتح مقدمة خطابه بذكر أسمائهم ويختمها بالثناء عليهم بما لا يثنى بمثله الا على الأمراء وأعاظم الملوك . أروني أمثال هؤلاء فأريكم كيف يكون اقبالنا عليهم واجلالنا لمقدار علمهم وفضلهم.

فمهلا أيها الشاكون من كساد سوق العلم في بلادكم وبخس اهله حقوقهم من الاجلال والاحترام، فمن منا العالم احتقر فضله ، وبخس حقه فلم يوفي من الاقبال والكرامة اضعاف ما يستحقه ؟ هذا شاعرنا المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي، فقد طارله في بلادنا شهرة لم تطر لفكتور هوغو . فانه لم يبق من قصر في مدينة ولا كوخ في قرية الا وعرف اسمه عند ساكنيهما يذكرونه بما يستحق من التجلة والكرامة علي حين تعلمون الفارق ما بينه و بين الشاعر الفرنساوي ! فذاك مولدهم

بباريس وأبوه أحد الجنرالية المعروفين فى الدولة ، وهذا والده من قرية شبا وليس لأبيه شهرة الجنرال . هذا كان غنيا وفى الغنى لوحده شهرة وهذا وان لم يكن فقيرا كان متوسط الحال . فلو قابلتم بين احوال الرجلين وعدلتم لحكمتم ان الشهرة لشاعرنا المرحوم فى بلاده تزيد عن شهرة الشاعر الفرنساوى فى بلاده . ولا ينبغى الغفلة عن نسبة البلادين احداهما للأخرى

هذا وطنينا الشهير المرحوم بطرس البستانى. فمن منا إن من خاصتنا أو عامتنا ، من سكان المدن أو سكان القرى والمداسر لا يعرف اسم هذا الفقيد الفاضل ولا له عنده من المكانة ورفيع المنزلة مالا يعطى مثلها لمثله من علماء المغرب؟

وهذا كاتبنا المرحوم أديب بك اسحق فانه بلغ من الشهرة عندنا ما عرفته مصر والشام والعراق جميعا وكان عزيز المكانة رفيع الجاه حيثما توجه ومرموقا بالابصار حيثما حل ،لم يبلغ شيئا من ذلك كاتب من طبقته بين كتاب الغربيين على الاطلاق فيما أرجح

لا يسعنى الوقت ان اذكر لكم من علماء الامة الاسلامية وكتابها من ذهبت الايام باشخاصهم كما ذهبت بمن تقدم . واما ذكرهم فلا يزال فيما بيننا على ممر الايام والسنين .

اسمحوا لى ان اذكركم بالسيد جمال الدين الافغانى وما كان له من التجلة ورفيع المنزلة .فانه قدم الاستانة فلقى من اعاظم القوم فيها مايلقاه من كان فى منزلته من العلم فى العواصم الغربية ثم رحل منها الى مصر فلقيه أهلها احسن ملقى واقبلوا عليه وايما اقبال ،ما اظن تهيأ لعالم غربى من طبقته ان يرى مثله من ابناء جلدته،فكثر تلامذته وكلهم من اعيان البلاد وعظمائها فكان اذا خرج من منزله رأيتهم يحيطون به احاطة الهالة بالقمر من عن يمينه ومن عن شماله ومن ورائه وكلهم مجل من منزلته معظم من قدر علمه، يحتسب له صنيعه اذا هو اقبل عليه بخطابه .

واخاف اذا عددت بعض المشتغلين فى العلم فى بيروت وما لهم فى نفوسنا من التجلة والكرامة ان اذكر البعض فارمى بغاية ينالنى من نسبتها اقله حنق المتروكين وموجدة المذكورين لانى قدمت فى الذكر اسما أو نسيت اسما

وإما كتبتنا في العلم والسياسة المعروفين فلهم فيها بيننا طائر الصيت ومزيد التجلة والكرامة . فاذا حضروا في مجلس كان لهم فيه صدره واذا دار حديث رمقوا بالابصار دون سواهم أو احتيج الى رأى يستشار بموجبه، توجه الفكر اختصاصاً اليهم وفى الغالب يكون قولهم فصل الخطاب تنقطع عنده الحجة ولا يطالب فيما رآه بسند. ويكفيني الاشارة الى ما يرد عليهم من رسائل كبرائنا ونخبة أعياننا فتعلمون من ذلك مقدار منزلتهم في مجتمعنا العمراني . وإلا فما يتوارد اليهم من المسائل التى يطلب رأيهم فيها من جميع الجهات. فان في هذا كما أرى اصدق شاهد على عظمهم في النفوس وبالغ مكانتهم من الكرامة والاجلال

وأما من جهة فائدتهم المادية وحصولهم على الغنى والرفاه ، فساعودا اليه بعد أن أعاود عليكم سؤالى وهو «من منا العالم فنعظمه» ، وأنا شدكم الله الا تنحرفوا مع الأعجاب والدعوى وتشددوا على النكير زعما تصلباً في أنى محتقر مقدار علم اخوانى أو انى غير مقدره حقه الواجب .

من منا ثقه في علم حتى يرجع اليه فى دقائقه ومتشعبات مسائلة ؟ بل هل بلغنا من علم اللغة وفلسفتها وهو العلم المشتغل فيه عندنا أكثر مما سواه ، مبلغ علماء المغرب؟ لا تأخذكم الانفة فتحوف قلوبكم الى غير الواقع الحق. من منا فى مصاف مكس مولر أو فى مصا ف هوتنى أو فى مصاف موسيو رينان وغيرهم من علماء الانكليز والفرنسا وبين والجرمان ؟ بل من منا اذا عمد الى مقالة يكتبها فى هذا البحث لا يقلد فيها ويستند الى كتب امثال هؤلاء اذا اراد ان يخرج شيئا عن حيز المبتذل السخيف ؟ اناشدكم الحق أن تلبسوا على في الجواب بما يظهر بهرجه عند التمحيص والانتقاد غير المشوب بالطلاء والتموية

مالنا ولعلم اللغة . هاته الرياضيات ودعوانا فيها طويلة عريضة باكثر مايبلغه عرض أعجابنا احيانا بقومنا وانفسنا . فمن منا بلغ فيها غير الحد المتعارف من كتب الجبر واقليدس وبعض الشيء في المثلثات وقطع المخروط على ما في الكتب التى اعتنى بها العلامة الدكتور كرنيلوس فانديك ووضعها بين أيدى الطلبة

هذا علم التمام والتفاضل وهو من ضمنها، وكثيرا مايرد ذكره على السنتنا لكن عويها واعجابا به فمن منا اتقن مسائله فخرج فيها عن ربقة التقليد ؟ بل من يتجاسر

منا على الدعوى بامتلاك ناصية هذا العلم على ما هو في ابسط كتب القوم ، او ان يضع نفسه ، وان ملأت الدعوى جميع تجاويف دماغه ، موضع كلارك مكسول وطمسن وامثالهما، بل وفي منزلة تنحط بدرجات عن منزلتهما

مالنا ولعلم الفلك وما بلغ فيه ذووة من الغربيين ، فربما نعتذر عن انفسنا ان ليس لنا من الوسائل والآلات ما يمكننا مما تمكن القوم من الوصول اليه ومعرفة مظاهره .

لا احب ان اسألكم مفصلا عن كل علم فما أظن الوقت يسعى لذلك ولهذا اكتفي بالسؤال اجمالا — من منا الثقة في الجيولوجيا أو الفيلولوجيا أو الانثروبولوجيا أو الزولوجيا ، فيرجع الى رأيه في مسائلها وينتهي اليه سندها ـ من منا بلغ في هاته العلوم جزءا مما بلغه أهلها من الغربيين كلسر تشارس ليل والعلامة برون سيكار. وأوون ، وولاس . وتيلر ودوكاترفاج ، وهكسلى ، وداروين ، وغيرهم كثيرون من علماء الامم الغربية

من منا بلغ من العلوم العقليه والادبية مبالغ لوك وكانت والمطران تيلر وهيجل والبرزدنت مكاش وامثال هؤلاء من الفلاسفة والحكماء ؟ من منا بلغ مبالغ ستوارت مل وهربرت سبنسر وموسيو لاكونت وغيرهم في علم العمرانية والاقتصاد ؟ بل من يعرف من مبادىء هذين العلمين الا شيئاً لا يذكر نظره عرضاً فى كتب القوم فاولع بالتعريض فيا عرفه يغالى به وربما لا يكون ادرك حقيقة تذكر ولا حصل له منا فى ذهنه صورة معينة ، فكان على غير هدى فيا طالع ولا تحقيق فيا يعرض بذكره فى احاديثه ومجالسه .

لا تزعموا أنى اوجه مر كلامى هذا الى ما عندنا من الاستعداد العقلى لادراك هذه العلوم التى عددتها فازعم ان ليس لقومى من الاستعداد لتحصيل هذه العلوم كالاولئك . انما أنكر أنا بلغنا فيا حصلناه مبالغ القوم وما من اجله لهم مالهم من عزيز المنزلة ورفيع المكانة في الدولة وبين مواطنيهم من الشعب والامة على العموم . إن العلوم التى ذكرت من تقصيرنا فيها وعدم بلوغ أحدنا فيها مبلغا مذكورا انما هى علوم نظرية تهذيبية . على ان هنالك علوما اخرى عملية آلية كالجغرافيا

وتوابعها من الرسم والمساحات والهندسة العملية من بناء القصور والجسور المعلقة وهندسة الخطوط الحديدية أولا ومد قضبانها وادارتها مع ما تقدر به نفقاتها ثانيا ثم معرفة ما تقدر به ايراداتها اذا تم امرها ثالثا ، وحفر الترع والخلجان والانفاق تخترق قلوب الجبال وتسهل سبل التجارة والمعاملات ، نهاته جميعها علوم نحن خلو منها والا فمن منا المستطيع تخطيط طريق الى الفرات فالهند وتقدير نفقاتها والمدة التى تلزم لاتمامها ثم حالة عمران البلاد فيما بعد ذلك وكمية الايرادات ، وينظم فى كل ذلك لائحة تعقل او تقريرا يتصور منه صورة جلية واضحة . من منا يحلم في أن يقدم على مثل اعمال الموسيو دى لسبس ؟ بل من منا يعرف جغرافية بلاده وأن يرسم مصورها على حقها غير مقلد او ناقل عمارسته القوم فتكون خارطته الخارطة المعول عليها وتقريراته التقريرات التى يرجع عند التحقيق اليها من هيئة الارضين وانواع تربتها وما يصلح للزراعة منها واى الزراعات أكثر غلة فى كل من البقاع كل بقعة على حدتها وما هنالك من الجداول والأنهار والمواقع المهمة للمراكز الحربية والتجارية وما تقدر به غلة كل بقعة الى ما يماثل هذا ما يقتضى معرفته اولا قبل استغلال تلك الغلات واستعمار ما هنالك من الضياع الغامرات .

الخير في القول ان ليس منا الحاضرين والغائبين من يثق بنفسه ويدعى مثل هذه العلوم العملية والبراعة فيها بما يؤهله لأن يقوم مقام الثقة الخبير وتحقيق القول بالفعل اذا عهد اليه زمام التدبير والعمل ، ان من حكومتنا السنية او من شركات وطنيه. واذا كانت هذه حالتنا فما لنا ندعى انا مظلومون مبخوسو الحقوق في علمنا غير موفي لنا من مواطنينا ما نستحقه من التجلة والمنفعة ازاء اشتغالنا بالعلم . ألا إن كل هذا للدعاوى العريضة انما هي من سفاسف العقل وهذوه حملنا عليها الاعجاب من جهة ، وجهل منزلتنا العلمية من جهة أخرى فانى يصح لمن لم يعرف أكثر من آداب لغته ولغة اجنبية مضافا الى ذلك بعض مبادىء العلوم الرياضيه والطبيعية احيانا ، وأحيانا من غير تلك الاضافة ، ان يطلب لنفسه تجلة كبار العلماء الغربيين ومنزلتهم وتسلم زمام الأمر والنهى في قومه وأكثر من ذلك ان ترمى اليه الأغنياء بأموالها يتصرف بها من دونهم فيما يعود عليه وعليهم على مايزعم بالنفع العام ، فانى له كل هذا الاستحقاق ومتى طلب مثل طلبه هذا أقرانه

من الدراسين في البلدان الاجنبية ، بل يطلبه أوسعهم علما وأرسخهم قدما في الغنى والثروة والفضل والسياسة . فما هذه الاوساوس يوسوس بها الغرور والاعتداد بالنفس وجهل بالعلم ، وبما يجل من اجله العلم والعلماء. ان العلم له ثمرات يجل من اجلها وتنصرف اليه الخواطر وتطمح النفوس حبا بتحصيلها . وثمراته انما هي تهذيب العقل والقلب من جهة ثم اصلاح حال المجتمع العمرانى بما يكون من سعادة افراده ورغد عيشهم من جهة اخرى . فاذا لم تتحقق تلك الثمرات لم يكن ثم فارق بين العلم والجهل ولم يكن العلم مطمحا لانظار الخاصة والعامة ولا اهلا ان ينظر اليه بعين الكرامة والاعظام بل لم تكن له مزية اصلا على الجهل فيحتفى به من اجلها. والعالم ان لم يتوسم فيه خير ، ويؤمل منه مع العلم صلاح تتحقق فيه الآمال من الحصول على ثمرات العلم ومنافعه، لم تكن له مزية فضل على الجاهل ولا هو بالمستحق ان تشخص نحوه الابصار اوتلقى الية مقاليد الامر والتدبير فى شيء اصلا . ان العالم لا يخرج فى علمه عن احدى حالتين اما ان يقتصر على التهذيب و إنارة العقول بواسطة التعليم والكتابة ؛ وحكمه حينئذ حكم من يبيع اصناف المأكولات واطايب الحلوى :فهاته يستلذها الذوق و يقبل عليها كل على حسب قابلية التذاذه وقوة هاضمته « وكثرة دراهمه » وتلك يلتذ بها العقل أيضا وهى غذاؤه الذى تتوقف عليه حياته المعنوية وتتفاوت الاشخاص فى الاقبال عليها والرغبة فيها تبعاً لتفاوت قواهم العاقلة وقابلية اذ هانهم لفهمها والالتذاذ بها كما لا يخفى . واما ان يتجاوز ذلك الى ماوراءه من تسهيل سبل الاكتساب . وتكثير اسبابه. وحكمه حينئذ حكم المروج فى المصالح والصناعات واقبال الناس عليها يكون كاقبالهم على اولى المكاسب والصنائع والتجارات وتهالكهم على اصحاب البنوكة والعقارات أو على أهل الدولة لما يطمع فى الاقبال على كل من الكسب وتحصيل مايقوم به رغد العيش وهناؤه . وعلى قدر اقبال الناس عليه فى الحالة الاول حبا بما عنده، اعنى على قدر كثرة تلامذته أو قراء تآليفه تكون مكانته المادية من تحصيل الغنى واليسار والتمتع بالحياة الدنيا من حسن مأوى وكسوة وطيب معاش وعلى قدر انتفاعهم بثمرات علمه فى الحالة الثانية يكون اكتسابه وتحصيله الدرهم والدينار.

اما اذا لم يكن لعلمه من ثمرة فلا هو استاذ ماهر تقبل عليه التلامذة ولا هو كاتب مجيد يقبل الناس على قراءة مصنفاته ، فلا يؤمل عوضاً عن ثمرات اشتغاله بالعلم ولا يطمع فى شيء من الكسب المادى فما حكمه حينئذ الا حكم الجاهل وخير له ان يتعاطى اسباب الكسب من أبوابها شأن غيره من الناس ولا لوم له حينئذ الا على نفسه . فلا يحق له تلويم اهل بلاده ورميهم بالغفلة عن العلم وعدم اعتدادهم به وبأهله . كما لايحق لبائع الحلوى ان يشكو منا عدم التذاذ القوم بما عنده ويرميهم بفقدان حسن الذائقة اذا هو لم يستطع اجتذاب الزبائن والتنفق اليهم بما عنده

والحق أن افراد المجتمع العمرانى ماجنت بهم ولا اخذها مس من الشيطان ولاعرض عليها الخرف ولانقصان الدم فى البدن والدماغ حتى تقبل على رجل يزعم انه عالم أو يشتغل بالعلم ليس له من المال والجاه شيء يذكر ولا رأت من ثمرات علمه شيئاً ، فلاهو بالكثير المصنفات والتآليف ولا هو بالمتمرن على العلوم العملية ولا من البارعين نظريا فيها ، ولا عرفت منه أيضا سعة النظر وحسن التدبير والسياسة فترمى اليه مقاليد امورها وتحكمه فى مصالحها وشؤونها وتنقده الاغنياء اموالها وهي ثمرة اتعابها وكدها يتوسع فيها فى أحوال دنياه ورغد عيشه ليس الا لكونه يزعم انه مشتغل بالعلم . ان ذلك لايكون ولا كان فى مجتمع من المجتمعات العمرانية اصلا .

انى لاعجب من زاعم بعلمه يطلب ما فى ايدى الناس من غير مايرون منه عوضا ولا يحصلون منه على فائدة ويطلب تجلة وجاها وهو لم يأخذ بالاسباب المؤدية إلى ذلك من الاحسان والتفضل على الناس ، ولاسعى فى اسباب اسعادهم ورغد عيشهم اما رأسا او بتكثير اسباب معاشهم وتسهيل سبل مكاسبهم ولاعرف ايضاً انه انقذهم من غائلة او صرف عنهم مكروها أو انتشلهم من ورطة ولا كفاهم مؤونة تعليم بنيهم وتهذيب عقولهم ولا ولا . . . .

كلمانى مرة وكنت اود ان لا اسمعكم إياها إلا أنها فارت فثارت فى نفسى بما لم استطع ردها ، لان الطلبة فى بلادنا والمتبجحين بالادب آخذبهم الاعجاب مأخذه ، فيزعمون انهم اذا صرفوا فى احدى المدارس بضع سنين اصبحوا أهلا لأن يعهد

اليهم باعظم المهام والمناصب وبتسلم مقاليد الامر والنهى فى السياسة والدين والصناعة والتجارة والزراعة ولو كانت حالتهم الاجتماعيــة مهما كانت ، بل حتى المستورون المتجملون منهم يصبح احدهم يحسب أنه صار أهلا لان تسلمه الاغنياء اموالها وتعرفه الوجهاء واصحاب الامر والرياسة من عدادها والا فقد بخسوا العلم حقه . زعم جر اليه الغفلة عن طبيعة الوجود واوصل اليه الجهل بالواقع وعدم تمحيص مسموعات الاخبار عما هو كائن فى غير بلاده والوقوف على كنه حقائق تلك المسموعات فهو يسمع ان العلم عزيز المنزلة فى الممالك الغربية ويسمع ان العلماء اصحاب جاه وتجلة فى قومهم يستشارون فى عظائم الامور ويطلب اليهم ادارة المهام من سياسية وصناعية وتجارية الخ فيظن ان العلم العزيز ما كان نظير علمه والعلماء المنظور اليهم المسموعة كلمتهم المتبعة اراؤهم امثاله من مثل طبقته فيمكن منه هذا الوهم ويداخله الاعجاب فهو يستزيد من طلب البيان وكشف الواقع عن حقيقة الحال . والحق غيرما سمعه والواقع ابعد مما فى ذهنه صورة منه . فان العلم العزيز الجانب انما هو العلم الصحيح المفيد ، المجتنى ثمراته ، الظاهرة آثاره ، فى تحسين شؤون المملكة وزيادة قوتها ومنعتها والعائد على أفراد المجتمع بما فيه الرفاه وصلاح الحال وتكثير وسائل الايجاد والاكتساب . والعلماء المجل من قدرهم انما هم البالغون من الدرجة التى لا يحكم بمثلها فى بلادنا فى الحال والمحتاج اليهم فى حل مايعرض من مشاكل العمرانية فضلا عن انهم من الاغنياء فى النادر عما فى ايدى الناس لا يطلبون كفاف العيش من اكياس الاغنياء والفقراء ولايخطر لهم فى بال ان يطالبوا الاغنياء بوضع رؤوس اموالهم بين ايديهم لمجرد الزعم بانهم علماء يحسنون بها التصرف والتدبير اكثر مما يحسنه اصحابها او لانهم ينفقونها فى وجهتها وهي غير الوجهة التى ينفقونها هم «اعنى اصحابها» بها لانهم ينفقونها فى ترف العيش والملذات البدنية

وليعلم ان الطالب ولاسيما اذا كان فقيرا لا يؤهله مجرد طلب العلم وتحصيل شدو منه للتجلة والرياسة ، ولايقع لديه مقام شفيع عند الاغنياء والمموِّلين بما يوجب عليهم تحكيمه فى اموالهم حتى ولا فى مشورته فيما يوجب نماؤها وكثرتها ، الا اذا حصل من العلم ما يحتاج اليه يوميا فى شؤون المجتمع العمرانى وظهرت ثمراته ، من جر المنفعة

إلى أفراده ظهورا أبين من الشمس فى قلم الظهيرة . ولا يطمع أيضا فى انهيال الاموال عليه ازاء علمه الا اذا كان ما عنده من العلم مرغوبا فيه عند الأكثرين والرغبة فيه مستمرة لاتنقطع ، فتكون يوما ثم لا تكون اياما . كأن يكثر عدد المتخرجين عليه او عدد قراء مؤلفاته . هذا اذا كان علمه تهذيبيا قائمة ثمراته فى تهذيب القوى العاقلة وتقوية مداركها وفى دماثة الاخلاق وازدياد الظرف والكياسة وبلاغة اللسن المرغوب فيها فى المجتمع العمرانى . وعليه أن يتحول فى كلما يؤول به الى بلوغ المراد من ذلك ، كما يتحول غيره من أهل البياعات النافقة فى جر الناس اليه او الاقبال على بضاعته

وأما اذا كان علمه عمليا فعليه أن يبين لمعامليه بيانا واضحا مايتحصل لهم من الربح ويتوفر لديهم من المنافع اذا هم عاملوه . على انه اذا قعد به الاعجاب والكبر او شيء آخر مهما كان،فلم يسع فى ما ذكرنا، فهو يزال الى ماشاءالله خاملا فقير الحال يشكو من محاباة الايام ويذم من كساد سوق العلم ولا من يعيره اذناً صاغية الا تهكما عليه واستخفافا به . ولسوء الطالع ان كثيرين من المدعين بالعلم يؤملون ان فى مجرد اشتغالهم بالعلم مايوجب على الاغنياء مدهم باموالهم جزافاً وعلى أهل الحل والعقد استشارتهم فى امرهم وتحكيمهم فى فض المشاكل والذهاب فى تغيير اخلاق الناس وعوائدهم على مايشاؤن ويتوهمون وهم مع ذلك قليلو عدد التلامذة قليلو المؤلفات أو ليس لهم منها شيء ،وفى الوقت نفسه أكياسهم افرغ من صوا مع النساك وعقول صغار الصبيان. واذا لم يروا انفسهم فى هذه الحالة كبر عليهم الامر واخذتهم الانفة من جهل الناس وكساد بضاعة العلم عندهم ، فيرمون الاغنياء بما يخطر فى ضعيف خواطرهم وأهل الوجاهة والرياسة بما يبدو لعلهم المذوق ونظرهم الكليل وماذنبهم الا تقصيرهم وما شكواهم الا على أنفسهم. لايكبر عليكم اذاخالفت بعض المألوف من الافكار واخذت بناصر أهل الغنى واصحاب الحل والعقد عندنا على كثيرين من الادباء المشتغلين بالعلم . فمتى عرض أحدهم لائحة على أكابر اغنيائنا ابان لهم فيها بياناً شافياً ما يستطيع ان يجريه من التدبير فى أملاكهم، مثلا وماقد يتخذه من الوسائل مما يوجب ازدياد غلتها كقولك عشرين فى المئة ، ولم يعدوه

بالمال المقتضى لذلك ووكلوا اليه امر استغلالها والقيام على تدبيرها أيضاً ؟؟ ومتى ارتأوا رأيا فى مهم من مهمات مجتمعهم وأتوا بالحجج الدامغة على صدق ما ارتأوه وأعرض عن رأيهم و استخف حينئذ بعلمهم ومتى كانت تآليفهم خارجة عن حد المبتذل ولم يقبل عليها القراء اقبالهم على اطائب الحلوى ولذيذ المشروبات !

ارنا ثمرات علمك ايها العالم فنريك اقبالنا عليك واحترامنا من مقدار علمك وفضلك . ارنا حسن رأيك فينا وفضل عائدته علينا فنريك انقيادنا لامرك واعظامنا من شأنك وكرمنا فى مكافأتك . ارنا بلاغة حديثك فنريك مقدار إعجابنا بك . أرنا محيط حكمتك فنريك مزيد اجلالنا لك وامتداد اعناقنا اليك لكن ارنا من خمولك فنريك كيف يكون خذلانك . ارنا من ادعائك فنريك من استخفافنا بك . هات ماعندك فنرد عليك من نفس بضاعتك، فان لم يكن منك الا شقشقة لسان فى بعض المجالس فلا تؤمل إلا بعض مواعيد وهذا كثير عليك، وإن تطاللت الى أكثر من ذلك فلا عجب اذا خابت بك ظنونك فرجعت بخفى حنين .

ثم على فرض انا بلغنا فى علمنا مبلغ علماء الغربيين من غير تقليد لهم ولا اخذ عنهم، فلا يؤمل عالمنا ان يحصل من ثمرات علمه المادية مثلما يحصله عالم غربى من طبقته . نعم لا ينقصنا عنه بين قومنا ما يكون من التجلة والكرامة التى هي له بين قومه بل ربما يكون لنا من ذلك نصيب اوفي من نصيبه لما فطرنا عليه كما ارى من حب العلم واجلال العلماء ، الا ان نصيبنا من الماديات بين قومنا لابد وان يكون اقل من نصيبه بين قومه. وسبب ذلك الفرق، ما بين البلادين فى الغنى والجاه وكثرة الساكن . فعلمهم اذا اشتهر يدرس عليه الألف من الطلبة مثلا وأما عالمنا فلا يدرس عليه الا نحو ربع هذا العدد او اقل من ذلك . والسبب ظاهر لما فى بلاده من كثرة الساكن وقلته فى بلادنا ولما هي عليه مدائنه من الازدحام وارتفاع قيم الأعمال ، شيء ليست عليه مدائن بلادنا . ومن المعلوم ان من يفيد الألف يستفيد منهم ماديا « ازاء افادته لهم » اربع مرات مايستفيد من يدرس عليه ربع

هـذا العدد . وكذلك مؤلفهم فانه يجد الألوف من القراء لـكثرتهم تبعا لـكثرة الساكن ، يقبلون على اقتناء مؤلفاته بينما ان مؤلفنا لا يجد الا المئات. فبالطبع اذن لا يكون حال عالمنا من الرفاه وسعة العيش كحال عالمهم فلا يغفل عن ذلك والا التبس علينا الامر واخطأنا فى الحكم فزعمنا مثل مايزعمه اكثرنا الآن من عدم اجلال مواطنينا شأن العلم والعلماء أو انهم ينقصون فى ذلك عن الامم الغربية .

ومثل ذلك يقال فى شأن الاطباء والمهندسين والمخترعين ومن شاكلهم ولف لفهم من علماء العلوم العملية فالطبيب الذائع الصيت فى لندن يكون نصيبه من الغنى والجاه أوفر من نصيب الطبيب الذائع الصيت على نسبته فى بيروت ، لما بين لندن و بيروت من التفاوت فى عدد الساكن ومثل ذلك المهندس والمصور والموسيقى والنحات والمخترع وكل ذلك لما تقتضيه طبائع الوجود .

لا احب الافاضة بعد فيما قد ينال من هذا القبيل الا انى اعود فاعتذر عنكم ايها الطلبة والمشتغلون فى العلم على عدم بلوغكم من العلم مايبلغه غيركم من علماء المغرب . ولو لم يكن ثم لكم عذر الا ان أولئك من شعوب غالبة وانتم من شعب مغلوب وان أوطانهم غنية كثيرة الساكن ووطنكم انتم فقير قليل الساكن، لكفى. فكيف وقد حكمت احوال العمران والسياسة ان يكون الكثيرون منكم من الفقراء المتجملين ومن متوسطى الحال فى الغنى والوجاهة ولا بد اذن من ان ينصرف همكم لتحصيل ضروريات معاشكم على طريقة شريفة تليق بكم أولا . ومن يفكر معظم أوقات فراغه فى تحصيل اسباب معاشه من الطعام والملبس والمسكن والادخار أيضا للمستقبل خوفا من فاجئة تفجأه من عالم الغيب لايمكنه من توجيه افكاره جميعها واستغراقها فى موضوع بحثه اذ بينما هو مستغرق فى ابحاثه آنا يتمثل امامه شبح الجوع كاسراً عن انيابه يهدده بزيارة اذا ظل فى غفلته هذه، فيهب مذعورا ويقطع به عما كان يحاوله فتفلت منه سلسلة افكار مازال يعانى طويلا قبل ان يمكن منها ويملك قيادها . فما كان انتم ومن لا يقدركم فهو غافل أو قاس عديم التحقيق بعيد عن المواجدة والشعور مع الآخرين. وهنالك أمور أخرى تشغل افكاركم وتبعدكم عما تحبون من متابعة ابحاثكم

ومنها فى الراجح عندى ازدراء الاغنياء بكم من هم اكثر مالا منكم وتنفخهم عليكم فاذا حضرتم اتفاقا فى مجلس من مجالس هؤلاء وظاهركم ظاهر الفقر ـ وقبحه الله ما اسمجه واشد وطأته ـ تناولتكم السنتهم بما يسوؤكم اذا لم توافق نظرتكم وجهة نظرهم وأكلحوا لكم وجوههم بدلا من المشاشة والبشر «ولا تلوموهم فهاته طبائع الوجود العمرانى» حتى اذا ماانصرفتم لاتنصرف عن اذهانكم صوره مالاقتيموه فتفور فائرات نفوسكم وتطغى على ماسواها من تصورات اذهانكم فيغيب وراءها كثير من مدركاتكم فلا تعود تبين الا بعد ان ينفثىء طمو هذا التيار . وربما حملتم عليهم حقداً فى صدوركم والحقد (ميكروب الفكرة وآفة صحة النظر)

ومنها أيضا أنكم بينا أنتم تشتغلون فى علم هو أحب اليكم من غيره واليط بلبكم وقد وطنتم انفسكم على متابعة مسائله حتى تصلوا فيه الى آخر ما يوصلكم فيه البحث وقوة استعدادكم يعود فيخطر لكم أنه ربما قل الاقبال على هذا العلم «وان لم يكن هذا هو الواقع» فتهجرونه الى غيره واذا طمعتم بامساك بطيختين بيد واحدة فلا يبعد ان تفلت كلتاهما من أيدينا

على أن اعتذارى هذا وان قبلناه من غير اعتراض عليه لايقاننا بصحته لا يبرر ولا يمحوا خطأنا الفكرى فى تقدير علمنا وعلم الغربيين ومنزلة العلماء عندهم ومنزلتهم عندنا، كما أشرت الى ذلك فى كل مامر. والرجوع عن الغلط خير من التمادى فيه. ولى الامل أن لا تمر سنون كثيرة قبل أن تنجلى لدينا الحقائق الحقة فنطبق أفكارنا وأعمالنا عليها

واقدم الآن مزيد الشكر لرئيسنا الموقر ولاعضاء الجمعية الافاضل ولكل واحد من الحاضرين سادات وسيدات والسلام

جبر ضومط



الوراثة

١ — حقائق عامة فى الوراثة

ا — معنى الوراثة فى العلم

الوراثة فى الشرع شىء وفى العلم شىء آخر ، فلذى يخلف له ابواه مقدارا من المال مثلا ، وارث شرعى ، وهذا لا يدخل تحت بحثنا الحاضر . واما الذى يرث صفات محدودة معينة تميزه عن غيره ، فهو وارث بالمعنى العلمى الصحيح ، والارث فى الشرع يكون منفصلا عن الوارث ولكن فى العلم هو الوارث وعلى هذا يعرفون الوراثة الطبيعية (العلمية) بانها « العلاقة التكوينية بين اجيال متعاقبة » (١)

بعض الحقائق المشاهدة فى الوراثة .

لقد ادت مشاهدات العلماء وملاحظاتهم الى ان هناك شبها بين السلف والخلف . والى ان هناك دائماً وابداً فرقا بين فردين من نسل واحد . ولاحظوا ايضاً ان فرداً من نسل قد لايشبه السلف المباشر الذى انحدر منه ، ولكنه يشبه سلفا ابعد فى القدم واعرق . كذلك ادهشتهم الصفات الناتجه من تزاوج فردين من نوعين مبتاعدين .

وسنشرح فيما يلى شيئا مما شاهده العلماء واختبروه مما يتعلق بهذه المظاهر الطريفة :

ب — الشبه بين السلف والخلف

اذا قارنت ابنا بابيه وجدت بينهما شيئاً من الشبه (الا فى احوال سنأتى على ذكرها) كأن يكون لون العينين مثلا ولون البشره والطول وما الى ذلك من الصفات الجسدية فى الابن مثلها فى الاب . وكلما انحدرت على سلم الارتقاء وجدت هذا الشبه اكثر واكبر ، لاسيما فى حيوانين من عمر واحد . الا ترى انك قدلاتستطيع

(١) Evolution, by Thomson & Geddes : p 113.

التفريق بين كلب وفرد من نسله حين يصبح الفرد فى عمر ابيه ؟ واذا انحدرت الى ما دون ذلك فقد لا ترى عينك فرقاً كما هى الحالة فى افراد الذباب مثلا

ولكن هذا التقارب فى الشبه لا يمكن بحال من الاحوال أن يكون تاما إذ لا بد مهما قرب الشبه من وجود تباين وتغاير .

ومن المهم ملاحظته أن النسل لا يرث من سلفه الصفات نفسها ، وانما يرث الاستعداد لتوليد تلك الصفات فى وقت معين. ولا يقتصر هذا الايراث على الصفات الكبيرة العامة فقط، بل قد يرث نسل من سلف شامة أو بعض شعرات طويلات. ومن الصفات الغريبة ايضا مايكون وراثيا وذلك مثل «الاصابع القصيرة الجذمورية» أو الانحراف فى عضو من الأعضاء.

جـ — الوراثة الكامنة

إن بعض الصفات لاتظهر فى الفرد حين يولد . ولذا فقد يظن أنه لا يشبه سلفه فى هذه الصفات . ولكن ذلك الفرد لايلبث ان يظهر تلك الصفات فى حينها فالخروف مثلا يولد بلا قرنين ولكن مع الزمن يتولد له قرنان كما لأبيه . وهذا يثبت بنوع خاص ما سبقت الاشارة اليه وهوان الصفات لاتورث ولكن الاستعداد لظهور هذه الصفات هو الذى يورث (١)

د — الوراثة المنحرفة . (٢)

قد يولد فرد ذو صفات لاتشبه صفات سلفه المباشر ولكنها تشبه صفات كانت قد ظهرت فى سلف قد انقرض منذ زمان بعيد. ونفسر هذا بان هذه الصفة بقيت كامنة الى ان ساعد على ظهورها عامل او انها ظهرت عرضا فى هذا الفرد . وقد يشبه فرد سلفا له على غير سلسلة انحداره كالشبه بين غلام وعمه

هذا الشبه يرجع السبب فيه إما لانهما منحدران من أصل واحد اكسبهما هذه الصفة المشتركة ، واما لانهما كانا معرضين لعامل جوى واحد .

هـ — تلاقح الصور المتباينة .

---

(١) (Outlinesof Zool., Van Dycke p. 278) (٢) Indirect Heredity

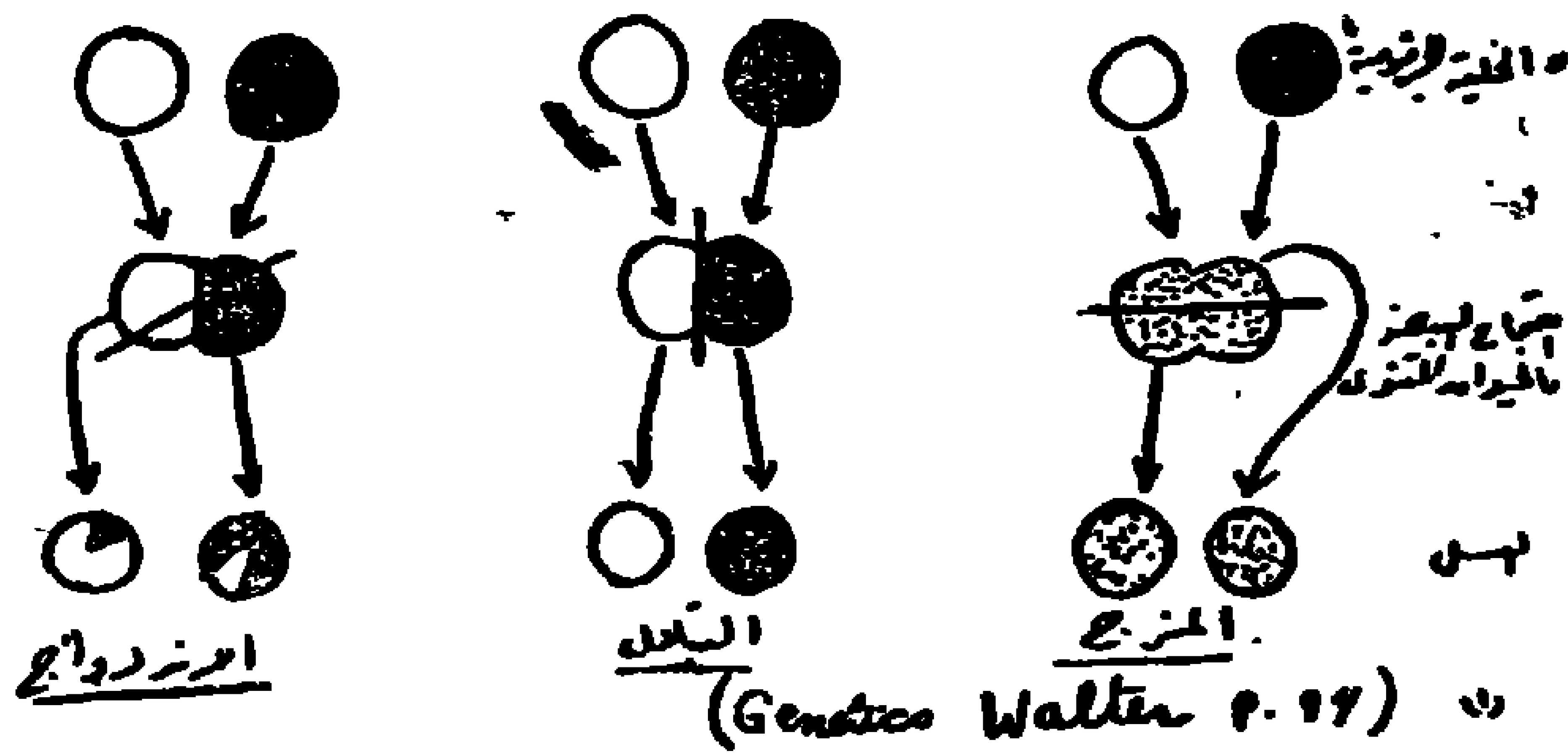
ان تلاقح الانواع المتشابهة ينتج فرداً يشبه ابويه كما هو الواقع فى كثير مما نشاهد . ولكن تلاقح الانواع المتباينة فى الصفات المتقاربة فى النسب لدرجة محدودة ، ينتج احد هذه الاختلافات : مزيجا أو تبادلا أو ازدواجا

(١) المزج . اذا تزوج رجل ابيض اللون من امرأة سوداء كان نسلهما وسطا بينهما بمعنى انه يضرب الى السمرة. وهذا ما يقع حين تزاوج الحمار والفرس فينتجان البغل المعروف ،وهو فى غالب صفاته بين الحمار والفرس طول اذنين وذنب وقامة وما شاكل ذلك مما هو مشاهد

(٢) التبادل . لكن بعض الصفات لا تورث بالمزج. فاذا كانت عينا الاب زرقاوين وكانت عينا الأم سوداوين مثلا، فان عيني الابن اما ان تكونا زرقاوين أو سوداوين ،ولا تجمع بينهما . واذا زوجنا فأراً أغبر اللون بفأرة بيضاء ، فان جميع افراد نسلهما الاول يرثون اللون الاغبر .

(٣) الازدواج . هب أننا زاوجنا كلبا أبيض بكلبة سوداء ،فان نسلهما يكون اسود اللون تتخلله خطوط او بقع بيضاء أو بالعكس . ويغلب هذا فى كثير مما نرى من الاحوال .

ولنمثل لهذه الاختلافات الثلاثة بالشكل الآتى .



و — قانون هيكل فى التكوين الحيوى

يلاحظ من هذا أن فردا من أى نوع حيوانى او نباتى يرث صفات السلف الذى ينحدر منه وان هذه الصفات تتكامل فى هـذا الفرد حتى يبلغ منها اقصى حد ممكن . هذا الذى الفت نظر العلماء الى الوراء فتتبعوا تطور الجنين وظهور

صفاته حتى جاؤوا على الحقيقة التى كشف عنها هيكل ، حيث قال ان تطور الفرد عبارة عن تطور النوع كله بصورة مقتضبة سريعة .

٢ — اساس الوراثة الاختبارى

ا— قانون مندل فى الوراثة

كان عام ١٩٠٠ عاماً منتجاً فى درس الوراثة ، اذ فيه توصل العلماء الى تقرير اهم الحقائق فيها .

اذاع مندل نتيجة اختباراته سنة ١٨٦٦ ولكن هذا لم يسترع انتباه احد حتى توصل كل من « تشر ماك » « وكورنس » «ودى فريس» على انفراد الى ماتوصل اليه مندل ،فرجع العلماء الى أبحاث مندل واتخذوها قاعدة حتى دعى هذا القانون فى الوراثة بقانون مندل .

ويتلخص ما قام به مندل فى انه لقح نوعين من نبات لكل منهما صفة تختلف عن صفة مقابلة لها فى الآخر .فظهران نتيجة هذا التلاقح تسير على قانون ثابت لاتحويل فيه ولاتبديل

وكانت اكثر الاختبارات التى اجراها هذا العالم فى اللوبياء اذ لهذه من مختلف الصفات فى الطول والقصر وتباين فى اللون والحقيقة ماليس لكثير غيرها كما ان هذه تتلقح من غيرها اذا كان هناك مانع من ان تتلقح بذاتها .

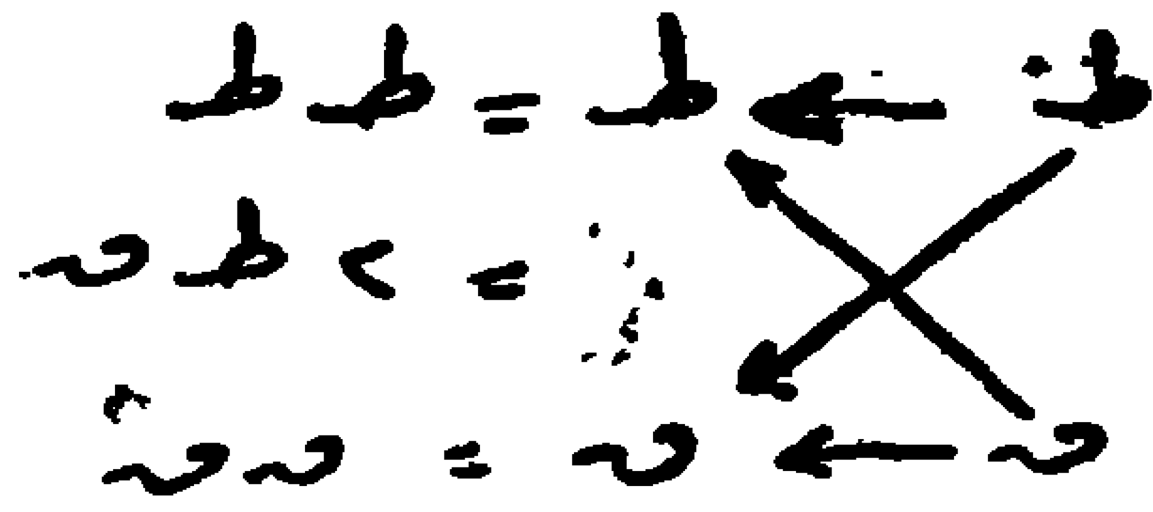
فلما ان زاوج مندل نوعا طويلا من اللوبياء بنوع قصير منها كان الجيل الاول كله طويلا ثم جعل افراد هذا الجيل يتلاقحون فحصل على هذه النسبة : ٢٥ فى المايه من النوع الطويل الذى اذا ولد لم يلد الاطويلا و٢٥ فى المائة من النوع القصير الذى اذا ولد لم يلد الا قصيراً و ٥٠ من النوع الطويل الذى اذا ولد ولد افراداً تصدق عليهم هذه النسبة المذكورة ١ : ١ : ٢ . وسمى مندل صفة الطول نافرة (١) dominant وصفة القصر كامنة recessive

لم يكن هذا عرضاً وانما هو نتيجة ثابتة كما قدمنا . والخلايا الجرثومية هي الحاملة لهذه الصفات ومن طريقها تبرز الى عالم الوجود اذا اجريت عملية التلاقح.

---

١ مظهر — ملتقى السبيل — الوراثة

وإذا رمزنا بالحروف « ط » للصفة النافرة وبالحرف «ق» للصفة الكامنة، كان هذا الشكل موضحاً للطريقة التى تحصل بها على هذه النسب الثابتة : (١)



وليعلم أن الصفات التى يحملها فرد من اى كائن حى لها ما يمثلها من العوامل فى الخلية الجرثومية وانه مكون من مجموعة صفات يتوارثها خلفاً عن سلف

واذا ما اردنا ان نقدم حقائق هذه القاعدة منسقة قلنا انها ترتكز على ثلاثة اسس : (٢)

(١) ان كل فرد مكون من مجموعة صفات متوارثه :

فلو فرضنا أن دجاجة ذات لون أبيض ورجلين مكسوتين بالريش، لقحت من ديك أسود ذى عرف طويل فان نسلهما الأول يجمع بين العرف الطويل والرجلين المكسوتين بالريش ويظهر على كل من افراد هذا النسل اللون الأسود تتخله نقاط بيضاء . ولكن تلاقح افراد هذا النسل (أو الجيل) تنتج مزيجا من كل من هذه الصفات الثلاث على أى ترتيب ممكن .

(٢) ان الخلايا الجرثومية التى تتولد فى فرد لاتحتوى على صفتين نافرتين او كامنتين فى جرثومة واحدة، وعلى ذلك فلا تجد صفتى طول العرف وتريش الرجلين فى جرثومة واحدة ، بل تجد كلا منهما فى جرثومة معينة وهذا ما دعاه مندل « قانون انفصال العوامل »

وهذه الحقيقة التى أدركها مندل دون مشاهدة ، قد بينتها الابحاث المتعلقة بالخلية وأوضحتها .

(٣) ان اتحاد جرثومتين محتوتين على صفات «مختلطة متعددة : (٣) او Heterozygotes يؤدى الى نتيجة ثابتة من حيث العدد .

---

(١) الشكل من كتاب طومسون فى التطور
(٢) يطابق هذا ما جاء فى كتاب فاندبك (٣) ملتى السبيل — الوراثة

فاذا اتحدت خلية جرثومية ذات صفات متعدده مع اخرى من نوعها ذات « صفات واحدة» فاما ان يكون الناتج من هذه الجرائيم محتويا على صفات متعددة (١) او غير متعددة وهذا عين ما تكلمنا فيه ومثالة اللوبياء

فاذا احتوت خلية جرثومية على صفتين احداهما نافرة والاخرى كامنة قيل لها «زوج مندلى» Mendelian pair. فاذا كان من هذه الازواج اثنان كان فى الجرثومة زوجان مندليان وهلم جدا...

ونتيجةالتلاقح فى هذه الحالة لاتشذ عن سابقتها قيد أنملة ، والنسبة واحدة لا تتغير . فلو فرضنا ان لقحنا ذرة صفراء ذات غدفة ناعمة باخرى خضراء ذات غدفة خشنة علمنا من نتيجة التلاقح فى الجيل الاول ان اللون الاصفر نافر للاخضر وان الغدفة الناعمة نافرة للغدفة الخشنة . ثم اذا لقحنا هذه بذاتها كانت النتيجة كما يلى (١)

	حيوان منوى صن	حيوان منوى ص(خ)	حيوان منوى (ر)ن	حيوان منوى (ر)(خ)
بويضه صن	صنصن	صنص(خ)	صن (ر)ن	صن(ر)(خ)
ص (خ)	ص(خ)صن	ص(خ)ص(خ)	ص(خ)(ر)ن	ص(خ)(ر)(خ)
(ر) ن	(ر)نصن	(ر)نص(خ)	(ر)ن(ر)ن	(ر)ن(ر)(خ)
(ر) (خ)	(ر)(خ)صن	(ر)(خ)ص(خ)	(ر)(خ)(ر)ن	(ر)(خ)(ر)(خ)

حيث تمثل (ص) اللون الاصفر : النافر

و (ن) الغدفة الناعمة : نافرة

و (خ) الغدفةالخشنة: كامنة

و (ر) اللون الاخضر: الكامن

ب — نظرية وايزمن فى استمرار الخلية الجرثومية

كان العلماء الأولون يعتقدون أن الكائن الحى تتضمنه الخلية الجرثومية فاذاتمت الجرثومة بعد اللقاح نشرت هذا الكائن وأخرجته الى عالم الوجود.

ولما جاء وايزمن نظر في الخلية الجرثومية كخلية حية تعيش وتنمو ومنها

١ الشكل من A Text Book in General Bot. Smith

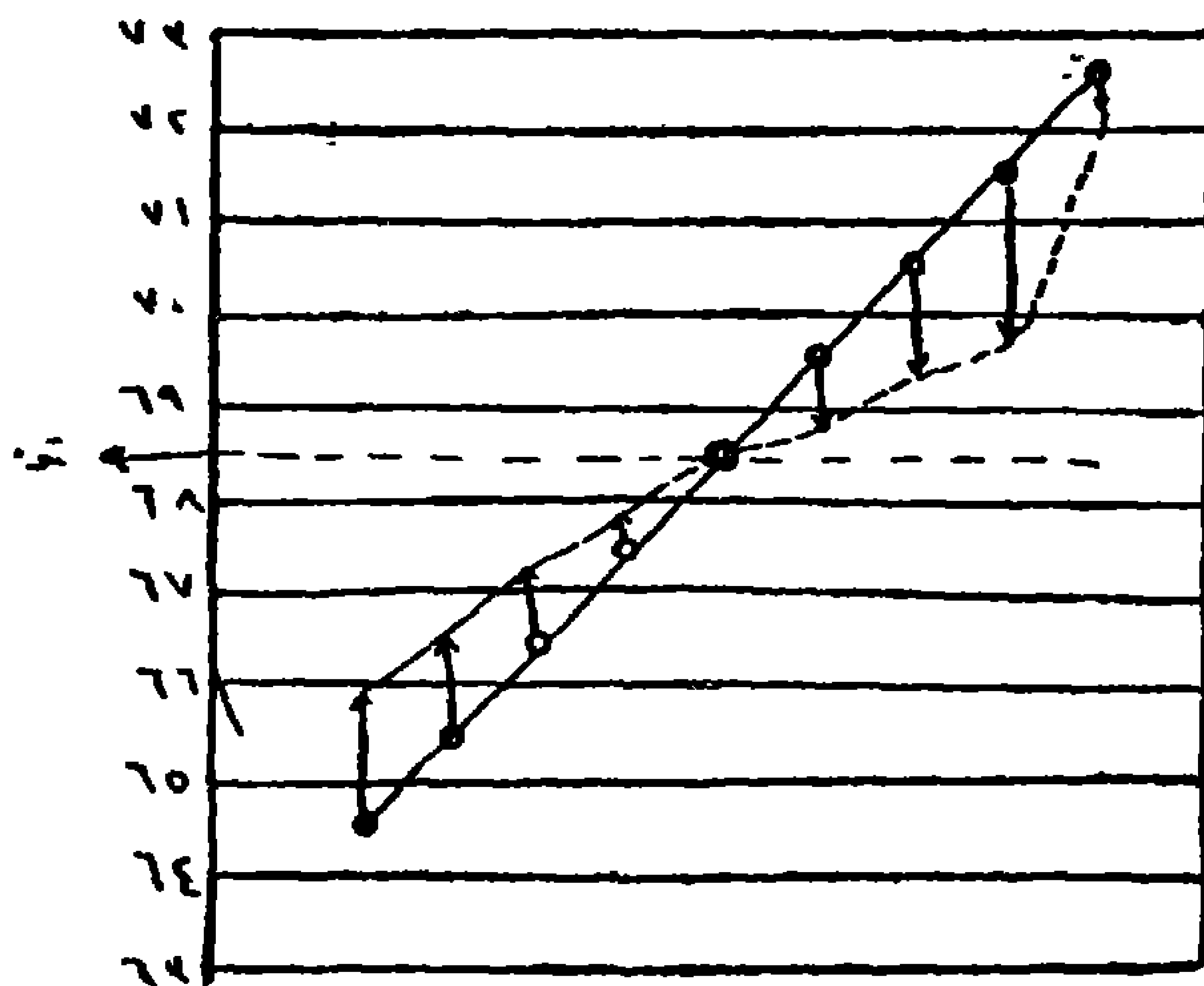
يتكون الجسم كما أن منها تتكون الخلايا الجرثومية فى هذا الجسم دون ان يكون له عليها تأثير. وتركيب هذه الخلية الجرثومية أدق من تركيب البروتوبلازم على العموم . ثم أن هذه الخلية تحتوى على نواة فيها كروموسومات فيها عوامل الصفات التى تظهر على الكائن بعد أن تنمو نموا كافيا.

هذه هي النظرية التى دعت وايزمن ومن اخذ بقوله الى عدم التسليم بقول من قال بوراثة الصفات المكتسبة كما سيجيء

٣ — اساس الوراثة التقويمى

السير فرنسيس جالتون احد علماء الانكليز الطبيعيين ومن أول من درس موضوع الوراثة بالتقويم أو الاحصاء .

اراد جالتون ان يتخذ صفة من صفات البشر أساساً لاختباراته واراد ان لا تكون هذه الصفة سريعة التأثر بالمحيط فجعل طول افراد البشر موضوع بحثه . وقابل طول ٢٠٤ من رجال الانكليز بطول ٩٢٨ من ابنائهم بعد ان بلغوا اقصى حد من الطول وتوصل من اختباره هذا الى انه مهما كان طول القامة أو قصرها فى الآباء فان الابناء يولدون وفيهم ميل نحو معدل الطول البشرى . ولنوضح ذلك بالشكل الآتى ، وهو من كتاب واتر.



شكل يمثل ميل الابنــاء نحو معدل طول البشر مهما طال الآباء أو قصروا

تمثل الدوائر طول الآباء

وتمثل اطراف السهام طول الابناء .

والنتيجة التى تحصل عليها جالتون من هذه الابحاث الدقيقة هى ان طول البشر يرجع الى طول أصل لهم سابق يرثون طولهم عنه .

٤ — أساس الوراثة المادى

يتكون الكائن الحى من اتحاد الحيوانات المنوية بالبويضات، ويكون ذلك اما في جسد الأنثى كماهى الحالة فى الحيوانات التى تعيش فى البر، وإما فى الماء كما هي الحالة فى الحيوانات التى تعيش فى الماء . ولقد أثبتت التجارب العلمية أن الفرد يرث عن أبيه بقدر ما يرث عن أمه من الصفات

إن الحيوان المنوى مكون في أكثر جسمه من النواة، حتى أن بعض الحيوانات المنوية لا يدخل منها في البويضة غير نواتها، ومع ذلك فالفرد الذى يتكون من اتحادها يرث من أحدها بقدر ما يرث من الآخر . وهذا يدل على أن النواة هي الجزء المهم في الوراثة .

والنواة بدورها مكونة من اجسام دقيقة فيها تسمى الكروموسومات (أو العصى كما دعاها بعضهم) ، وفى الكروموسومات عوامل هى الاساس في كل مايورث من الصفات . ففى البويضه عدد من هذه العوامل يحمل صفات الانثى وفي الحيوان المنوى عدد آخر مساو له يحمل صفات الاب . فاذا اتحد حيوان منوى ببويضة حصلنا على بويضة ملقحة واحدة حاوية لصفات الاب والام . وفي هذه الكروموسومات واحد يسمى « كروموسوم النسل » وهو يقرر مصير البويضة الملقحة اما ذكراً أو انثى

ثم تتكون الحيوانات المنوية في الذكر والبويضات في الانثى ويحتوى كل منها على عدد معين من الكروموسومات يتساوى في افراد كل نوع :

***

٥ — الصفات المكتسبة والوراثة

ا — لمحة تاريخية : اعتقد الناس منذ القدم ان الابناء يرثون ما يكتسبه

الآباء في حياتهم من قوة في العقل وبسطة في الجسم وجاء « لامارك » في القرن الماضي فاثبت هذا المعتقد وجعله اكبر دافع من دوافع النشوء والارتقاء. وكان هـذا رأى دارون من بعده ، الا انه لم يذهب فيه الى ابعد مماذهب لامارك. فلما أن جاء وايزمن وألقى بنظره الثاقب على ما أصبح عقيدة راسخة أنكره وثار عليه وكان من أول القائلين بان الصفات المكتسبة لا تورث،وانقسم علماء الحياة الى قسمين قسم بقي يناضل عن معتقد دارون وآخر آخذ بمذهب وايزمن .ولقد أثبتت التجارب أن ما جاء به هذا العالم هو الراجح وهو ما عليه جمهور العلماء في الوقت الحاضر(١)

ب — تحديد الصفات المكتسبة

قال وايزمن «الصفة المكتسبة هي الحدث الذى يقع فى الجسم دون أن يكون له أصل في الخلية الجرثومية»(٢). ومن الصفات المكتسبة التى تقع ضمن تحديد وايزمن هذا،القطع وتأثير الاستعمال والاغفال وما الى ذلك مماسنجيء عليه ولا يدخل تحت هذا الحصر ما يرى في بعض الناس من المواهب العقلية والفنية لأن أصل هذه المواهب كائنة في الخلايا الجرثومية .

قلنا ان رأى وايزمن يزداد أنصاره وان الرأى القديم وان كان لا يزال قويا ينحل أمام الحقائق المكتشفة ، والآن نتقدم الى الاسباب التى جعلت وايزمن وأنصاره يزدادون يقيناً بمذهبهم الجديد .

ج — أسباب اعتقاد وايزمن بان الصفات المكتسبة لا تورث.

(١) عدم تأثير الجسم فى الخلايا الجرثومية

تنتقل الخلايا الجرثومية من جسم الى جسم دون أن يكون لهذا عليها تأثير ، اللهم إلا من جهة التغذية ، والتغذية لا دخل لهـا فى عوامل الوراثة التى تحملها هذه الخلايا

ولقد نقل عالمان أمريكيان بواسطة عملية جراحية مبيض خنزيرة من خنازير غينيا ذات لون أسود الى أخرى ذات لون أبيض، بعد أن رفعوا من هذه مبيضها،

(١) هذا الاعتقاد مبنى على نظرية وايزمن فى استمرار الخلية الجرثومية كما جاء ولـكن هذا الرأى وان ثبت فان نظرية وايزمن أخذت تتضعضع الآن (٢) Walter p. 67

ولقحوها ، بعد أن تم نموها ، من ذكر أبيض، فكانت النتيجة أن لون النسل كان اسوداً في مرات ثلاث متوالية مما دل على أن الخلايا الجرثومية هي العامل الاقوى في الوراثة وان الجسم لا دخل له فيها .

(٢) وجود براهين كثيرة تدعم هذه النظرية

(ا) القطع : نعلم جميعاً أن كثيراً من الكلاب تقطع آذانها وأذنابها ولكن نسل هذه الكلاب يولد ولا قطع فيه. وكذلك نعلم أن اليهود والمسلمين يختتنون منذ الوف من السنين ولكن الابناء يولدون وفيهم هذه الزائدة الجلدية. والامثلة على ذلك كثيرة. وكلها تدل على شيء واحد وهو ان الصفات المكتسبة لا تورث

(ب) تأثير الاستعمال والاغفال: ان الحداد الذي يستعمل يديه وجسده في رفع الاثقال أقوى بنية من الكاتب الذي يجلس وراء منضدته لا يثقل يديه إلا القلم وهذا بالطبع صحيح على وجه العموم اذا كانت وجهات المقابلة الاخرى في الاثنين متساوية .

والبدوي الذي يقطع القفار حافي القدمين اسمك في باطن قدميه من الحضري الذي لا يسير إلا قليلا ولا يسير إلا منتعلا فاستعمال عضو إذن يزيد في نموه، ولكن هل يولد ابن الحداد قوي البنية كأبيه او هل يولد ابن البدوي كثيف باطن القدم كأبيه ؟ لا ! اذن فالصفات المكتسبة بالاستعمال لا تورث .

(ج) عدوى الامراض : لو ان الذين يصابون بالامراض المختلفة يورثون هذه الامراض اعقابهم لأصبح افراد النوع البشري جميعا معتلين ولتلاشى النوع في وقت قصير. ويمكن التقرير بوجه عام ان الامراض لا تورث مهما غالب هذا الظن على رأي الكثيرين. ذلك لانه لا سبيل لمكروب من مكروبات الامراض ان يدخل في خلية جرثومية، ولهذا يتولد الجنين من دون ان يلحقه أي اذى ولكن استعداد هذا الجنين للمرض هو الذي يوهمنا بأن المرض يورث .

وكذلك الحال في ادمان الخمر اذ من المعروف ان ابناء السكيرين يشربون الخمر، وقد يكون شرب الخمر موروثا أو شبه موروث لان الخلايا الجرثومية تضعفها المشروبات الروحية، فيولد الطفل وفيه ميل لشرب الخمر لضعف في تكوين جسده

ناشيء عن أن الخلايا الجرثومية تكون غير قوية النشوء والنمو .

(د) شهوات الام . من الذائع المشهور ان المرأة الحامل حين تفكر كثيراً في شيء ، مثل اكل اللفت مثلا ، تظهر على وجه المولود لطخة حمراء . وان من النساء من ولدن اشخاصاً غريبة أشكالهم لشهوة في المرأة الحامل تتعلق فيما ظهر على الطفل من الشذوذ .

والحقيقة أن لا علاقة لهذه الظاهرة بما ينسبه العامة إذ ان هذه المظاهر لا تظهر حين تحب الأم ظهورها . وليس هناك من علاقة بين جسم الأم وجسم الجنين تجعل هذه الشهوات ممكنة الظهور فى الطفل .

(٣) كفاية هذه النظرية لا يضاح الحقائق الوراثية (١)

يقول وايزمن : اذا كنا قادرين على تأويل كل ما تتطلبه حقائق الوراثة باعتقادنا ان هذه الوراثة تحصل بتأثير الخلايا الجرثومية فلم نكلف انفسنا تفسير هذه الحقائق عن طريق وراثة الصفات المكتسبة اذا لم يكن فى استطاعتنا أن نفعل ذلك ثم يقول :

« اذا لم يكن بد من تفسير حقائق الوراثة بالطريقة القديمة فعلينا ان نثبت مايأتي :

اذا طرأ طارىء خارجي معلوم فيجب ان يحدث تغييراً معلوماً ، ويجب ان لا يكون هذا التغيير سابق الاثر ، كأن يكون له مركزاً في الخلايا الجرثومية ، ويجب ان تختفي هذه الصفة فيما لو ارتفع الطارىء الذى احدثها . ويقول والتر (ص ٨٥) بان هذا لم يثبت بالرغم من الجهود التى بذلت في سبيل اثباته

٤ — خصوم وايزمن

علمنا من نظرية وايزمن أن لا تأثير للجسم على الخلايا الجرثومية . وكل ما يفعل الجسم أنه ينقلها من جيل الى آخر دون أن يغير منها شيئاً ودون أن تغير هى منه شيئاً . ولكن لوايزمن خصوماً قد أسسوا خصومتهم على أساس من التجارب والاختبارات . واليك مثل من الامثلة التي يقدمونها فتقف أنت و وايزمن حائرين تجاهها .

---

(١) Walter p. 84

من المعلوم أن الخصاء يغير من تركيب جسم الحيوان تغييراً ظاهراً، إذ يزداد به نمو الجسم وتموت فيه شهوة التلقيح. وهذا يثبت أن اصابة الخلايا الجرثومية بضرر يجعل لهذه الاصابة أثراً بينا فى تركيب الجسم.

ونزيد على ذلك أن بعض النباتات و بعض الحيوانات الدنيا تتوالد بطريقة يقال لها «التبرعم» وظاهر أن هذه الطريقة في النمو جسمية لادخل للخلايا الجرثومية فيها ومع ذلك فالفرد الذى ينشأ بهذه الطريقة يشبه سلفه تمام الشبه.

نظرة عامة

لقد أوردنا للقارىء فى هذه العجالة حقائق ومشاهدات عن الوراثة. ونريد الآن ان نجمل ما قلناه. و أن نزيد عليه شيئا قليلا يتبين منه مركز العالم اليوم ومقدار تقدمه فى هذا الموضوع.

اعتقد العلماء أولا ان الوراثة والنمو مدفوعان بعامل لانستطيع ان نراه. وهذا العامل هو عبارة عن نشاط وقوة في دقائق عضوية لا ترى بالميكروسكوب.

ولما جاء دارون (١٨٦٨) واتخذ لنفسه فرضاً يفسر به حقائق الوراثة قال بان الخلايا الجسدية اثناء نموها تولد بريعمات أو (gemmules) تنمو وتنقسم وتسير في جسم النبات والحيوان الى ان تصل الى الخلايا الجرثومية فتتجمع هناك. ومتى تلقحت هذه الخلايا ظهرت صفات النسل بفعل البريعمات.

ثم جاء دى فريس (١٨٨٩) فقال ان هذه الدقائق لا تمثل الخلايا وانما تمثل صفات الجسم الذى انفصلت عنه ولا تسير فى الجسم من خلية الى أخرى كما قال دارون.

ونجيء بعد الى رأى نيجلى Nageli (١٨٨٤) الذى قسم البروتوبلازم الى قسمين قسم غذائى غير مرتب، وآخر توليدى مرتب الاجزاء، زعم انه اساس الوراثة المادى.

وعقب على هؤلاء وايزمن (١٩٠٢) فدفعته ابحاثه ومظانه الى القول بان الجنين حين ينمو تتكون فيه الخليه الجرثومية وحدها لا دخل لنمو الجسد فيها. فالبويضة الملقحة على مذهب وايزمن تأتى بالجسم الجديد وفيه خلية جرثومية جديدة ايضاً. فنظرية وايزمن تعتمد كل الاعتماد على استمرار الخليه الجرثومية.

والرأى الآخذ فى الانتشار اليوم لايميل الى اتباع وايزمن فقد شوهد كما ذكرنا ان اجساماً تامة تنمو من خلايا غير الخلايا الجرثومية . وليس لنا الآن الا ان ننتظر نتيجة الابحاث فى الحاضر والمستقبل .

محمد أديب

بجامعة بيروت الامريكية

العصور — نشكر لحضرة الكاتب تحقيقه . وننتهز هذه الفرصة لكي نشير الى أشياء اعترض بها علينا فى خطابه الذى ارفقه بمقاله هذا . فقد ذكر ثلاثة اشياء .

أولا — الكولنتيراتا — فقال انها تعرب سيلنتيراتا كما تنطق فى الاصل تماما والحقيقة على الضد من هذا فان حرف (C) اذا نطق بالسين قلب قافا أو كافا لتقاربهما . غير أنى أستحسنت قلبها كافا فى هذه المادة: وعلى هذا يكون تعريبنا جارياً على قاعدة القلب التى اتبعها العرب فى معرباتهم فقالوا فى Cyclades قوقلادس وفى Cyzique قوزيقس وفى Niceta نقيطا . اما نحت ترجمة للمصطلحات العالمية ومنها اسماء الاعلام العلمية فذلك مالا اوافق عليه مطلقا ، بل اعربها تعريباً على قاعدة من القواعد التى اتبعها علماء العرب فى معرباتهم

ثانيا — المولاسكا — Mollusca اى الحيوانات الرخوة أو الصدفية . فقد ذكر حضرة الكاتب ان الاخطبوطيات من المولاسكا . واذا رجع الى تقسيم لينيوس وتقسيم كوفيه وتقسيم هكسلى اخيرا لوجد انهم لم يذكروا ان منها الاخطبوطيات . راجع القاموس الانسكلوبيدى (كاسيل وشركاه) ص ٨١ مجلد(٥)وكذلك الاستاذ عثمان غالب فى كتاب علم الحيوانات ص ٦٢و٦٣ فانه فرق تفريقاً تاماً بين الاخطبوط و بين الحيوانات الصدفية وهى المولاسكا .

ثالثا — إنى لم اذكر ان الكولنتيراتا أو القولنتيراتا هى الاخطبوطيات بعينها بل قلت ان «الكولنتيراتا» أصل يحتوى على الاخطبوط والاسماك الهلامية وديانم البحر وحييوينات المرجان ؟ وقد اعتمدت فى هذا القول على الاستاذ مكبريد ، استاذ علم الحيوان المعروف

على أن لنا بعض معترضات واستدراكات على ما جاء في صلب المقال . فلست أدرى لماذا يعدل الكاتب عن استعمال كلمة « منفور » للصفة الكامنة مادام أنه يوافق على استعمال كلمة نافر للصفة الظاهرة وقد قال اعشى ميمون العربي ضمن قصيدة « واعترف المنفور للنافر » ثم أنه يستعمل كلمة الأشكال ترجمة لكلمة Forms وحقيقتها « الصور »

أما فيما يختص باصطلاح Zygote فقد وقفت الى ترجمة له ولا أرى مانعا من أن يطلق عليها اصطلاح « المزدوج » في اللغة العربية فنقول « مثلا » مزدوج نافر مركب Hoterozygote dominant « ومزدوج منفور مركب » Heterozygote recessive أو نقول مثلا « مزدوج نافر بسيط » Homozygote dominant وهكذا . وفي ظنى ان هذا الاستعمال أقرب إلى الحقيقة وأليق لغويا من الإستعمال الذى جريت عليه في كتابي ملتقى السبيل .

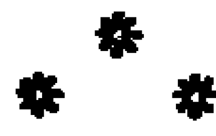
وجاء في ص ٥٧٩ ان داروين تبع لامارك في توارث الصفات المكتسبة ولم يتعد لاكثر من هذا . والحقيقة ان داروين قد عمد الى توارث الصفات المكتسبة ليعلل بذلك كثيرا من الصعاب التى اعترضته في بحثه . غير أن له مذهباً في الوراثة شرحه في آخر كتاب « الحيوانات والنباتات تحت تأثير الايلاف » دعاه وحدة التناسل Pangenesis . وهو مذهب قريب جهد القرب من مذهب وايزمان لولا أنه يجعل لمجموع صفات الجسم تأثيراً في الازرار الحيوية أو التبرعم أو البويضات الملقحة أوما شئت من المسميات . غير ان داروين قد اعتمد في تكوين مذهبه على النظر دون الاختبار . على ان توارث الصفات المكتسبة لم ينقض نقضاً تاما . فان العلامة ارثرطومسون قد جاء في فصل من كتابه في « الوراثة » على ذكر الحالات التى تؤيد توارث الصفات المكتسبة ، والحالات التى تنافيها ، ووازن في البحث موازنة علمية دقيقة ، لا تستطيع بعد أن تفرغ من قراءتها ان تحكم لاحد الرأيين حكماً مقطوعاً بصحته.

تأملات في الأدب والحياة

كانت سياسة الامم في الاعصر القديمة من المهنات التى لا تتطلب من الصفات أكثر من عبوسة في الوجه، وصلابة في الارادة ، وقسوة في القلب. أما اليوم فقد انقلبت الآية .

لما عرفت الشعوب حقوقها المدنية وتغيرت قواعد الحكم في هذه الدنيا، وأصبحت الشعوب مصدر السلطات، وقضى على سلطة المستبدين بأمرهم ، وتقررت مبادىء الحرية السياسية والفكرية ، قضى هذا التطور الكبير على تسلط الصفات القديمة التى كان يجب أن يمتاز بها السياسيون . أما اليوم فالسلطة لاشد السياسيين ليونة وأكثرهم أخذاً بالواقع المحسوس وأشدهم سيراً مع ما تتجه فيه الجماهير.

وأما في الغد فان العلم سوف يتسلط على العالم كله.وحتى على السياسة. ولست أدرى كيف أن سياسياً أو زعيما يجهل مبادىء علم البيولوجيا والاجتماع يكون في مستطاعه الحكم على حقائق الاشياء أو على ظواهرها حكما بعيداً عن مواقع الزلل.



جاهد الناس في سبيل الحرية . والحقيقة أن جهادهم واستماتتهم في سبيلها لم يكن عن اقتناع بأنها مفيدة أو أنها ضرورية أو أنها ستبلغ بهم ، اذا ما استحوزوا عليها،الى أقصى قمة من المجد العالى أو السعادة في الحياة.لم تكن استماتة الناس في القتال من أجل الحرية لشيء من هذا. بل كان قتالهم في سبيلها آت عن طريق الوهم والتخيل ،أكثر من أى شيء آخر .

خيل الى الناس أن الحرية هي الاباحة . وتحت هذا العنوان عملوا،وانقياداً لهذه الأخيلة قاتلوا واستماتوا في سبيل الحرية .

لم يدرك معنى الحرية إلا نفر قليل عديدهم من زعماء الشعوب . بل أدركوا الحرية محدودة بحدود ضيقة، مقيدة بقيود ثقيلة. ولعمري كيف يمكن أن تقاتل الجماهير في سبيل الحرية اذا هم أدركوها على ما أدركها « ميل » أو « بنتام » أو غيرهما من رجالات الامم ؟

خيل الى الناس في عصر من العصور أن الحرية هي اطلاق الشهوات والانفعالات وكل النزعات والصفات الانسانية التي هي أدنى الى أفق الحيوان من بقية الصفات . لهذا قاتلوا واستماتوا في سبيلها لانها كانت اليهم محببة مرغوب فيها على هذا التصور الغريب .

أما اليوم فان العلامة جوليان هكسلي، وهو من أكبر الباحثين في التناسليات، يقول على ملأ من العالم « متى يقلع الناس عن خرافة الاستمساك بما يسمونه الحرية الشخصية »؟ وما من فرد واحد يرفع في وجهه عقيرة أو يجابهه بقول !!!
أليس في هذه الظاهرة دليل واضح على أن الانسانيـة ارتقت أدبياً من طريق لوهم أكثر من ارتقائها من طريق الحقائق الواقعة ؟ وأليس في هذا دليل على أن االمستحيلات الثلاث : الحرية : والاخاء : والمساواة : كانت على استحالتها دافعاً للانسانية على التقدم والارتقاء ؟

قد يتساءل البعض كيف أن الحرية والأخاء والمساواة مستحيلات ثلاثة دفعت الانسانية على التقدم والارتقاء ؟ وكيف يمكن أن يكون المستحيل عاملا مؤثراً في الحياة الاجتماعية يبعث الناس على الضرب في سبيل التقدم ؟

أما السؤال الأول فجوابه بين سهل : لأن الحرية تنافي المساواة ، بدليل أن ليس من شيء هو أقتل للحرية من العمل على التسوية بين غير المساوين . والناس لا يتساوون اللهم إلا في المجاز ، وهو ولله الحمد ليس بذي أثر في الحياة العملية . كذلك تتنافى فكرة الاخاء مع الحرية . لان الحرية تعطي لكل فرد الحق في أن ينافس غيره وأن يجاهده الحياة و يناحره فيها من أجل البقاء . فاذا منعت على الناس حق المنافسة والتناحر جردتهم من أول ما تتطلب الحرية من صفات .

اما كيف تؤثر هذه المستحيلات فى الجماعات بما يبعثها على ارقى ؟ فسبيل سهل . لان الناس لم يفهموا هذه المستحيلات على حقيقتها بل بموحياتها النفسية لا غير . فهموها على مقتضى ماأوحت اليهم نفسياتهم من مدلولات . لهـذا سعوا اليها وعملوا تحت رايتها فبلغوا شأواً من الرقى ، مهما قيل فيه ، فانه شأو لايغبطون عليه .

***

المدنية الحديثة مدنية العقل،لامدنية الروح . والظاهر ان مدنية الروح قد قضى عليها ،ولـكن ألى وقت موقوت وأجل مسمى .

سيشعر الانسان عما قريب أن ارتقاءه المادى ليس وحده السبيل الى السعادة . بل سوف يشعر أن الماديات لاتسلم الى السعادة، ومن الجائز ان يرجع الى الروحانيات يستدر وحيها ، ولـكن بطريقة مخالفة تماماً للطريقة التى اتبعها حكماء الهند بين غياضها القديمة ، وزهاد مصر فى صحرائها الشاسعة .

***

جمعنى مجلس يوما فيه ملحد ومتدين أو بلغة الفلسفه مؤمن وشـكي ، ودار بينهما الحديث على الدين ووظيفته في هذه الحياة ، فـكان من رأى المؤمن أن الدين انما شرع لهداية الناس أفراداً وجماعات . أما الشكي فقد قال له اذا سلمنا بهذا لزمنا أحد فرضين : فاذا قلنا بان الدين قد هدى الناس الى السبيل السوى ، إذن لم يصبح له من وظيفة يؤديها، لانه يكون قد أدى وظيفته بالفعل .واذا قلنا بأن الناس لم يهتدوا رغم الاديان ، كان هذا دليل على افلاس الاديان عن هداية العالم !!!

وهكذا دواليك على مر الازمان .

***

وماقولك فى الوطنية !

ارجع بك الى كتاب حياة صموئيل جونسون ، تأليف بوزويل . ففى الصفحة ١١٥ من طبعة مكملان سنة ١٩٢٢ مجلد ثان تقع على هذه المحاورة :

جونسون — « ان الوطنية هى آخر ملجأ يلجأ اليه المنافقون . »

وهنا يعلق بوزويل على قول جونسون بقوله ـ «غير انك لاتنسى انه لم يقصد بها حب الانسان لوطنه حباً صحيحاً صادقاً . بل قصد تلك الوطنية التي اتخذها الكثيرون في مختلف الامم والعصور كساء يلتحفون به قضاء لاغراضهم وحاجاتهم الشخصية .» أما أنا فقد استمسكت بفكرة أن كل الوطنيين لم يكونوا منافقين ولا خونة . ولما اضطررت الى ذكر رجل من الوطنيين الذين نحبهم ونمجدهم (وهو بلا شك بيرك معاصرهم) اجاب جونسون بما يأتي :

« سيدي ! انى لم أقل بانه غير أمين .انه ليس لدينا من حق في ان نستنتج من اخلاقه السياسية انه كان امينا حقاً . فانه اذا قبل مركزاً من الوزارة الحالية ، فانه بذلك يفقد تلك الصفة التي اشتهر بها ، صفة الصلابة في الحق وضبط النفس ، وربما فقد مركزه فيها في خلال سنة واحدة . فان هذه الوزارة ليست ثابتة ، كما انها ليست متفانية في الدفاع عن اصدقائها ، كما كان سيرر و برت والبول من قبل . وعلى هذا يترتب أن يعتقد أن انضمامه للوزارة الآتية أبقى على فائدته من انضمامه الى الوزارة الحالية »

وهكذا تكون الوطنية حتى في انجلترا سيدة العالم ، وفي عصر صموئيل جونسون و بوزويل وإدموند بيرك ! ! !

* * *

لما بدأ ديكارت يفكر في الفلسفة وفي العالم وداخله الشك فى التقاليد القديمة ، لم يستطع أن يترك نفسه وعقله نهباً للشك وحده ، بل وضع لنفسه قواعد أدبية سماها أحكاماً « وقتية لضبط النفس » اتبع موحياتها طوال أعوام تفكيره التي انفقها سعياً وراء الحصول على الحقيقة . بل إنه جعل الوصول الى الحقيقة مشروطاً على اتباع هذه الأحكام الاختيارية . وحصر هذه الأحكام فى أربعة أشياء:

الأول — أن يخضع المفكر لقوانينه وشرائع دينه التي ولد وربى تحت ظلالها .

الثانى — أن يعمل ، ما سنحت الفرص التى تدعوه الى العمل ، من غير تلكأ وعلى مقتضى ماتصل اليه قوة احكامه العقلية ، و إن يسكن إلى النتيجة راضيا من غير تذمر أو ضجر

الثالث — أن يسعى وراء السعادة بان يعمل على الاقلال من رغباته وشهواته، أكثر مما يعمل على تلبية ندائها وسد مطالبها

الرابع — أن يكون البحث وراء الحقيقة غرضه فى الحياة

وكثيرا ماشك منا المفكرون ، وكثيراً ماعمد المؤلفون الى اتباع خطى ديكارت. ولكنهم ظلموه ظلما كبيرا . فهل منهم من اتبع هذه القواعد خلال شكه قبل أن يصل الى الحقيقة ؟ ومن الذى وصل الى الحقيقة منهم ؟ بل من ذا الذى يدعى انه عرف شيئاً من أطراف الحق ليكون سلمه الى الحقيقة ؟

حقا لقد ظلم ديكارت ! وفى سبيل الحق ما حاق به من ظلم حياً وميتاً

فيلو بونس

* * *

خلود الوفاء

اذا ما ذكرت خلود الوفاء ذكرت اتصال النفوس الوفيه
لها وحدة من نهى أو إخاء تعيش بعيشتها فى البريه

* * *

فليس الوفاء إذن كالجميل وما هو احسان حر لعبد
ولكنه طبع روح أصيل توزع ، لكن لرد ورد

* * *

فلا ترج يوما وفاء صحيحاً يدوم سوى من فؤاد شقيق
ولا تجزه عند بر مديحاً فتمدح نفسك مدح الرقيق

* * *

ولكن عليك صلاح الانام فينمو الاخاء وينمو الوفاء
فان سلما عز ملك السلام وصار خلود الوفاء الرجاء

أحمد زكي ابو شادي

سلوى

أوبرا تراجيدية تأليف الاستاذ

الدكتور على الناصر

وقد خص بها « المصور »

— الفصل الاول —

فؤاد فى غرفته وحيداً —

كنا نسير رويداً   فى ظل ارز الجبال
والبدر يبدو ويخفى   فى وسط تلك الغيوم
والبحر يبدى فتوراً   كمثقل بالهموم
والليل ساج قرير   مدثر بالجلال
قد نام ريا الجفون
قامت تغنى فتاتى   بصوتها العذب شعراً
« الحب نور آلهى   تفيض منه القلوب »
« الحب روح البرايا   الحب سر عجيب »
ومن صدى الصوت ز يعت   فطوقتنى .... ذعراً
فكيف حالى يكون ؟
ضممتها لفؤادى   كالأم ترأم طفلا
ورحت أوحى اليها   الهدو بالقبلات
فسكنتها ... فتهادت   تعيد ذى النغمات
ففتح الليل جفناً   والطير ناغى ملولا
على أعالى الغصون
فكم وكم فى البرارى   كقمريين .... لهونا
وفوق صخر الشواطى   كلنا الغرام جزافا

نشاهد الشمس تبغي عن الوجود انصرافا
فيفتح البحر لحداً لها فتهوى الهوينا
الى زوايا السكون
ذكرى تطيل شجوني ورب ذكرى مصاب
حب يمزق قلبي وغيرة وارتياب
لو كنت آمل وصلا لهان عندى المصاب
مهما يطل أمر بعدى عنها وعنها أصد
فليس عنها سلو وعن هواها مرد
ولو تلى الحزن حزن وأعقب السهد سهد

تدخل أمه عليه فجأة والدموع فى مآقيها تحناناً وشفقة —

بنى يكفيك حزناً ولوعة وهياماً فقد أثرت بقلبي من الحنان ضراما
بنى ! لابد يوما بحسن ضعيك تثرى فثق بربك واصبر ينقذك من كل عسر
فالله رب البرايا ، مدبر كل أمر

فؤاد — . . . أماه قد عيل صبرى! أماه قد عيل صبرى!
ما كنت والله أدرى انى لفقرى أهان
ان لم أرث عن جدودى . . .

الام — . . . . فربنا معوان

فؤاد — . . . . فهمتى وشبابى على الثراء ضمان
هل يبيعون منيتى بالنقود
لغنى فظ وشيخ كنود
دون ما يبتغون خرط القتاد

فؤاد — يمشى في الغرفة ذهابا وايابا

الام — انى رجوت أباها جهدى فما لان أصلا
وقال اعطاء سلوى أراه هوناً وذلا
ما كان هذا مباحاً في أسرتي قط قبلا

وأن رضيت فسلوى		هيهات ترضاه بعلا

. . .

فؤاد — أماه ان أباها		يردنى اليوم بغضاً
سلوى على الود تبقى		حاشا تحاول نقضاً

. . .

الأم — هم أوغروا صدرها حقداً عليك وقد
نالوا مناهم ففيها عنك أعراض
قالوا لها ان ما تبديه من كلف
بحبها كله زور وأغراض

. . .

فؤاد — وهل تصدق أنى مخادع بغرامى ؟
الأم — .... اهدأ قليلا فؤادى واسمع ، بنى كلامى
قلب الفتاة عجيب		يدين بالانقلاب
كالبرق يضحك بينا		تراه بالانتحاب
بكتك ثم تسلت		....
فؤاد يظهر غضباً وحدة :		مهلا فؤادى مهلا
فالحزن مهما تمادى		يأتيه يوم فيسلى
كذا الحياة حبيبى		تمر فصلا ففصلا

. . .

فؤاد — أماه رفقاً بقلبى		فقد تفطر حزناً
وليس لى فى حياتى		سواك أماه عوناً
مذ والدى مات أوحت		لك الامومة سراً
فكنت لى خير هاد		وفي ظلامى بدراً
كفلتنى حين ضعفى		بالرغم عن كل عسر
فهل سواك شفيق ؟		أفضى اليه بأمرى

فأنت مصدر حسي — وأنت موضع سرني
ومنك منشأ خلقي — ومنك طيي ونشري
فمذ نعومة ظفري — جرعت كأس الشقاء
اليتم يثقل ظهري — والفقر يعضل دائي
كم كنت موضع سخر الا — أطفال رقة درسي
لقلة في طعامي — ومن حقارة لبسي

. . .

حتى الاساتذة الكرا — م بحكمهم لم ينصفوني
كم كان غيري مجرما — وبجرم غيري عاقبوني
ما كان يشفع بي لدي — هم فرط ما تجري عيوني
فبرغم سعيي واجتهادي — عشت في ذل وهون
كم كان يعصف في دماغي الغ — ض ريح من جنون
فأصيح في وجه الطغا — ة تمرداً هيا اقتلوني!
لكنهم بالقتل قد — ضنوا لئلا يرحموني
لولا ابتسامتك اللطيـ — فة عند ما آوى مساء

وتقبيلي ووضعي فوق صدرك
وألفاظ تواسي جرح قلبي
وضمي من حنانك نحو نحرك
لكنت قضيت يا أماه بؤسا

الام — بني! أموت باسمة لاجلك
ألا تدري بأني فيك أحيي
وفي ارضاء قلبك كل سعيي
ولا ندم اذا مامت سعيا

فؤاد — في ظلام الاكدار والبؤس سلوى
أشرقت لي فلاح فجر هنائي

هي كانت دواء روحي فآضت
بالتجني يا و يح نفسي دائي

. . .

أنا والحب يا أماه عفواً   قضينا في الحياة على هنائك
أأحرم من أحب لاجل فقرى   فلا وأبيك لا أرضى بذلك
أليس لمعدم مثلي فؤاد   يحبب في الغرام له المهالك
أليس لمعدم مثلي فؤاد   يرفرف في الملا الاعلا هياما
يحلق في سما الاحلام حراً   ولا يخشى عتابا أو ملاما
عزمت على الذهاب دجى اليها   ولو انى لقيت به الحماما
فأسكب عبرتي غدقا لديها   عساها أن تشاطرني الغراما

ويخرج لفوره

الام — رحماك إبق بقربى   سحقت حبة قلبي

. . .

الفصل الثانى

فؤاد — يدخل غرفة سلوى ليلا

قد سهل الحب عندى كل معضلة   فليس يحجز في حصن ولا جبل
لا بد أحظى بلقياها ولو وردت   نفسي حياض الردى واقتادنى الاجل
ان جل صبرى واقدامي فلا عجب   فحبها في فؤادي والحشا جلل
فكيف اوقظها . . .؟ لله منظرها   يكاد يتنابنى من حسنه الخبل
ماذا أرى . . .؟ حلم يرويه مبسمها
يا ليت روحي في ذا الحلم تنتقل
فتجتلى ما مكانى في سريرتها   لعل في ليل يأسى يشرق الامل

سلوى — تستيقظ مذعورة وتصرخ
ويلاه من أنت قل لى

فؤاد — انا القتيل بحبك

لا تجزعي يا حياتي اذا وجدت بقربك
أود أعلم حتما أين السبيل لقلبك
سلوى — اذهب كما جئت حالا
فؤاد — لا تطرديني بزبك
سلوى — قد انتهكت عتوا وضلة حرماتي
بأي حق ودين الى كناسي تآتي
أما خشيت إلهاً أما خشيت حماتي
اليس ينهاك عقل عن هذه المفوات
ان الفضائل تقضي بصون طهر الفتاة
فهل ظننت بأني أنقاد بالترهات
ان كنت تزعم حبي (فلا تحاول أذاتي)
اذهب كما جئت حالا
فؤاد — سلوى ! اسمعى لى مقالا
سلوى — بعد ما قد سمعت عنك لعمري

لا أرجي من الرجال وفاء
كيف خادعتني زماناً طويلا
كيف ذاك الغرام كان رياء
كيف اقنعتني بحبك زورا
كيف تغوى غريرة عذراء
كنت اسمى من الزنابق طهراً
كنت أبهى من الزهور رواء
كنت ممن يقول بالحب حقاً
ساء ظني بالحب ساء وساء
اذهب كفاك جدالا . . . .
فؤاد يركع على قدميها

رحماك رحماك يا ربة الحسن
ان تخلفي ظني اهلك من الحزن
طوبى لمن يحظى بالقرب والوصل
يحلو لمرآك يا منيتي قتلى

ساوى — هل تخدعن مثلى

فؤاد — فأى خداع بعد مابرح الهوى بلبى ودمعى دائم الهملان
كأن فؤادى شد فى سلك كهربا فما ينتهى من شدة الخفقان
فرقى لحالى لا تزيدى مرارتى ورُدى عليك الصبر يضع توانى
فكم ليلة قد طفت بالقصر هائماً شريداً والحاظ النجوم رواني
الى ان يلوح الفجر فى الافق هازئاً بحزنى فانسل انسلال جبان
يميناً لئن اسرفت فى الصد والجفا
فما لى بما قـد كان منك يدان
فلا تطرديني كالمسيء اهانة كفانى ما حملت منك كفانى

الحب ضيع رشدى وقادنى بزمام
لا ترهقيني ملاما فليس يجدى ملامى
ما لى سواك مرام فأنت كل مرامى
روحى تهيم قنوطاً فى حندس من ظلام
أنى سأهلك حتماً بلوعتى وهيامى

ساوى — هذا كلام فدعنى من مخادعة لست الفتاة التى بالقول تنخدع
شراك مين باسم الحب تنصبها لصيد قلبى وحاشا أننى أقع

* * *

كم فتاة بهفوة قد أضاعت ما تمنته من جميل الأمانى
فغدت فى الحياة عاراً وخزيا ورموها فى حمأة من هوان
والذي قادها الي السوء يمسى مستريح الضمير والوجدان

من قديم شرائع الناس تقضي بسقوط الفتاة لا الفتيان
أيهذا المريد بالحب نفعاً ويك أكثرت من رقى الشيطان
فاذا كنت تدعى الحب حقاً فأتنى ان صدقت بالبرهان
فؤاد — ان عينى تشهدان بحبى فهما يغنيان عن ترجمان

. : .

اذا ما كان حب المرء حقا فليس شرائع الانسان تجدى
فحكم الحب أعدل كل حكم
سلوى — وحكم الحب أصل الشر عندى
تعاسة وشقاء
تلهف وبكاء
فالحب داء عياء
فؤاد — لم ترفضين غراما لم يدن منهُ رياء
سلوى — كفا ، كفاك فانى من الغرام براء
الدين يقصيه عنى وعفتى والحياء
خداع مثلك مثلى جريمة شنعاء
تظن ان العذارى قلوبهن هواء ؟
فؤاد — سلوى . ارحمينى ارحمينى
سلوى — اذهب فذاك شقاء
فؤاد — اواه تبغى هلاكى
ما ذا يحل بأمى اذا نعيت اليها
وشاهدتنى عظاما محطمات لديها
فلست أخشى مماتاً لكن أخاف عليها
أمى ؟ جنيت عليك أمى اغفرى لى ذنوبى
تجلدى بعد موتى لا تهلكي بالنحيب
قولى استراح وحيدى من مهلكات الخطوب

أمى اذا الشمس مالت واْذنت بالمغيب
فادعى لروح محب فاضت لاجل الحبيب

ثم يلتفت اليها

وأنت يا من بقلبى لعبت حيناً طويلا
حبك أورث جسمى ضنى وعقلى ذهولا
حاولت أسلوك جهدى فما وجدت سبيلا
أنى لقلبى المعنى ان يستريح قليلا
سلوى اذا الموت أرخى على شبابى سدولا
ستندبين أبيا بالحب صار ذليلا
وتحملين بما قد جنيت غماً ثقيلا
سلوى ! سلوى !
أنى أقيم بموتى على غرامى دليلا

ويلقى بنفسه من النافذة

سلوى — لا لا ! تصبر قليلا أواه راح قتيلا

الفصل الثالث

الشيخ البستانى الذى له المام بالحادثة والذى كان يراقب فؤاداً عن كثب، يستنجد بابنه ويحملانه لكوخهما مهشما —

البستانى — لهفى على هذا الشباب الناضر لهفى على هذا الجمال الباهر
لهفى على آمالك الغر التى ذهبت سدى كذهاب أمس الدابر
كم كنت فى الليل البهيم تطوف با قصر المنيع طواف لص حائر
متواريا بين الجذوع ملفعاً خوف العيون ، بثوب ليل ساتر
قد لذت بالموت الرهيب من الهوى
والموت قد يغدو ملاذ الخاسر
والآن ما يجدى التلهف والبكا
هيا إئتنا ولدى ! بآس ماهر

سلوى ـ تأتى للكوخ بهيئتها التى كانت بها فى الغرفة وترتمى على فؤاد وتقول:

فؤادى أفق ولو لحظة فقلبى يكاد أسى ينفطر
فما كنت أدرى حبيب الفؤاد بأنك يأسا كذا تنتحر
فياليت أنى بمالى وأهلى ونفسى أدرأ هذا الخطر
ذا مت بعدك يا مهجتى بكاء وحزناً ألا تغتفر
فطول حياتى سأذرى الدموع عليك التياعا ولا أصطبر
وحزنى عليك كليل بهيم بعيد الحواشى اذا ما نشر
سأحيي الليالى بنوح يلين صليب الحديد وقاسى الحجر
فنى كل آن أموت التياعا وفى القبر يختم ذاك الكدر

يدخل الطبيب الذى قد علم جلية الحادثة من ابن البستانى فتستقبله سلوى بجزع هائل فيرى من الحكمة دفعها بالتى هى أحسن

سلوى ـ طبيب ! بربك قل لى الصحيح أحقاً فؤاد غدا فى خطر
الطبيب ـ أضعت رشادك يا إبنتى بحالك هذا وهذا الشعر
تجيئين ليلا بهذا الهلوع فأين الحياء وأين الخفر؟

ثم يلتفت للبستانى فيأمره بأخذها

يا شيخ ، قدها للقصر
قبل أن يفتضح الامر

و بعد فحص فؤاد يقول:

فيا المصاب فهذا الفتى قريباً سيلحق بالغابرين
وكيف ينال شفاء وقد تلتى الرصيف بحر الجبين
سأبذل جهدى لانقاذه ولو كان حتما بموت رهين

ثم يفكر ملياً ويقول

تحيي بأوهام وتقضى بها يا أيها الانسان ما اجهلك
الحس يأتيك بآلامه والعقل يرميك بغي حلك

الاب يصادف ابنته والبستانى فى مدخل القصر فيصرخ :

لى ساعة وأنا افتش عنك ما كان يؤمل مثل هذا منك

. . .

أجيبى أجيبى ولا تكتمى فانى صريح أحب الصريح
أثرت شكوكي بهذى الفعال فمسراك مسرى شنيع قبيح
دمع هطال وهذا البلبال
ما هذا الحال

البستانى — رحمة سيدى بسلوى ورفقا

سلوى — عم دعنى بذنب غيرى أشقى

الاب — هيا انصرف قبحت من شيخ بليد
هيا انصرف سوطى على الجانى شديد

سلوى — أبت ! قضيت على هنائى ومحوت في الدنيا رجائى
أنت الذى عرفتنى بفؤاد من دون البشر
واخترته خدناً وفيا فى مقامك والسفر
كم كنت تنعته بكل فضيلة فى كل حين
وتخصه بدخول قصرك ، ذلك الحصن الحصين
حتى اذا ما الف الا قلبان والحب انتصر
أغلقت بابك دونه أفكان قلبك من حجر . ؟

سلوى بهيئة تقليد والدها حينما كان يتنعها بكذب فؤاد
هذا الغلام مخادع ما للهوى فيه أثر
قد غره المال الغرور فراح يطمع بالبدر
ذاك الكذوب كما زعمت الآن من أجلى انتحر
من شرفة القصر ارتمى فعظامه امست كسر

الاب — أفؤاد عندك تحت جنح الليل ! تلك من الكبر

لكنما الملاك أتينا بجناية لا تغتفر
دنست امرتى التى كانت فخاراً للاسر
لطخت شيبى بالفضيحة حين قوسنى الكبر

ساوى — ربى! أأرتهم بالخيانة

الاب — لا ليس للجانى مفر هيا استعدى للسفر

***

أم فؤاد — أقضى الليالى بسكب الدموع وفرط الهلوع وآه الكمد
وما من معز يزيل الهموم وما من صديق وما من أحد
يغشى فؤادى ظلام كثيف ومصباح سعدى أراه خمد
وكيف اصطبارى وخطب الزمان ألان قناتى وأفنى الجلد

. . .

فؤاد أجبنى لم تغيبت عامداً وهل أنت من بعد التغيب راجع
ذهبت ولم تحفل بفرط كآبتى ولا دمعى الهطال عندك شافع
ذهبت وابقيت الهموم تمضنى لها في سويداء الضمير تتابع
فانى سأقضى عن قريب تلهفاً ويهدأ قلب اقصدته القوارع
تركتك عند الله ربى وديعة وعند الآله لا تضيع الودائع

يقرع الباب — . . .

الباب يقرع بعدما الليل انقضى!
من أنت يا هذا

ابن البستانى — انا الداعى رضا

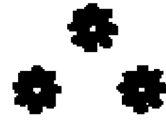
رضا — سيدتى لا تجزعى فالامر غير جلل
فؤاد حى عندنا اخطاه سهم الأجل

***

قد كاد يلقى حتفه لما تردى من عل
لكن نجا بعجيبة فكأنه لم يفعل

الام ترتمي على ولدها فيفتح عينيه ويتمتم بصوت خافت «أماه» ويفارق الدنيا ،والام تصرخ ولدى فيرفعونها عنه جثةهامدة.البستانى وولده يبكيان والطبيب يفحص الجثتين و يقول

الطبيب — قضيا معا



بعد مرور بضعة اشهر من هذه الفاجعة

سلوى— فواندمي حيث الندامة لاتجدى ويالوعتى حتى يواريني لحدى

تمر بى الايام والحزن دائب يعيد تباريح الفؤاد كما يبدى

أبعد شهيد الحب أصبو لسلوة وارجوا انقضاء العمر بالحظ والسعد

دعونى أمت فى حسرتى فأنا التى كتبت على نفسى التعاسة عن عمد

والد سلوى— قدجاءنا خاطب مثر يضارعنا

بالمال والجاه والسلطان والحسب

ما ذا تقولين

سلوى— لا ابغى الزواج

الاب — ولم ؟ فلست أدرى لهذا الرد من سبب

وبعد قد قلت قولا لا مرد له فارضيه بعلا والا فاحذرى غضبى

انى عليم بالا تعلمين فلا تحاولى عبثاً فى رد ذا الطلب

سلوى— لالست أبغى الزواج عمرى لا لست اهوى حياه قر

الاب —والآن تريدين عيش طهر تخالنى ما استطعت امرى

سلوى—بالله يا أبتى ارحمنى كفاك فما بقيت اقوى على الاكدار والسقم

قلبى الضعيف غدى بالهم منصدعا والعين تقطر مما نالنى بدم

والآن تطلب مالا أستطيع له حملا فدعنى وما القى من الألم

الاب — لا لست أرجع عن قولى

سلوى — ابى تريد اذاً قتلى ؟

الاب — طاعة الوالدين فرض فليس يجـديك رفض
سلوى لعلمها بعناد أبيها ترضى مكرهة وتضمر بنفسها شراً

حفلة العرس

سلوى منفردة تقول

سأقلب هذة الافراح عن عمد الى مأتم
واصبغ حلة الاكاليل رأى عيونهم بالدم
ابى ان شاهدت عينا—ك ما تجنى ألا تندم
ولـكن لا تعر أذناً وبالمال الـكثير أنعم
وبالاشلاء لا تحفل وبالآفات لا تهتم

. . .

بينما النسوة يزغردن حولها على الاصول المعروف فى القطر الشامى باسم (المناهين)

ها ها . . . ميلى على الجنبين أصيلة الجدين
يا درة الغواص يا بهجة العينين
ها ها . . . ابوك لاقصاب كلا ولا نجار
ما أنت بنت الفقر يا وجهة الانظار
ها ها ذا عرشك السامى « باشا » ابن « باشا »
فهو الجليل القدر فى الناس ما عاشا

وبينما نغمات (القوروس) تصدح والنسوة تزغـرد حولها. تشهر خنجراً وتخاطبه

سلوى—منقذى من مرارة العيش مزق
مهجة مسها من الحب ضر
بعد ما أردت المنون ور احت « بفؤادى » فليس في العيش خير
سوف تبقى الارواح منا ظماء تترجى ان ينقع الغل حشر
منقذى ادونك السويداء منى فبقائى بعد الاحبة كفر

وتطعن صدرها عدة طعنات..!

فصول مصورة في التاريخ الطبيعي

الخرطوميات

أى

البروبوسيديات ـ Proboscidea

تاريخ نشوئها وتحولها وهجرتها في القارات العظمى

***

للعلامة المعروف «هنرى فيرفيلد أوز بورن» الامريكي مؤلف كتاب من «الاغريق الى داروين» ابحاث طريفة في أصل الفيلة الحالية وكيفية نشوئها وهجرتها التى هاجرتها منذ بدء العصر الميوسيني، وهو احد الاقسام التى يقسم بها الزمان الثلاثى Tertiary Period في علم الجيولوجيا. والعلامة «أوز بورن» فضلا عن أنه من كبار الزولوجيين ـ علماء الحيوان ـ يعتبر من كبار البالنتولوجيين، الباحثين في الحفريات، أي الآثار العضوية القديمة التى طمرت واستحجرت في باطن الارض.

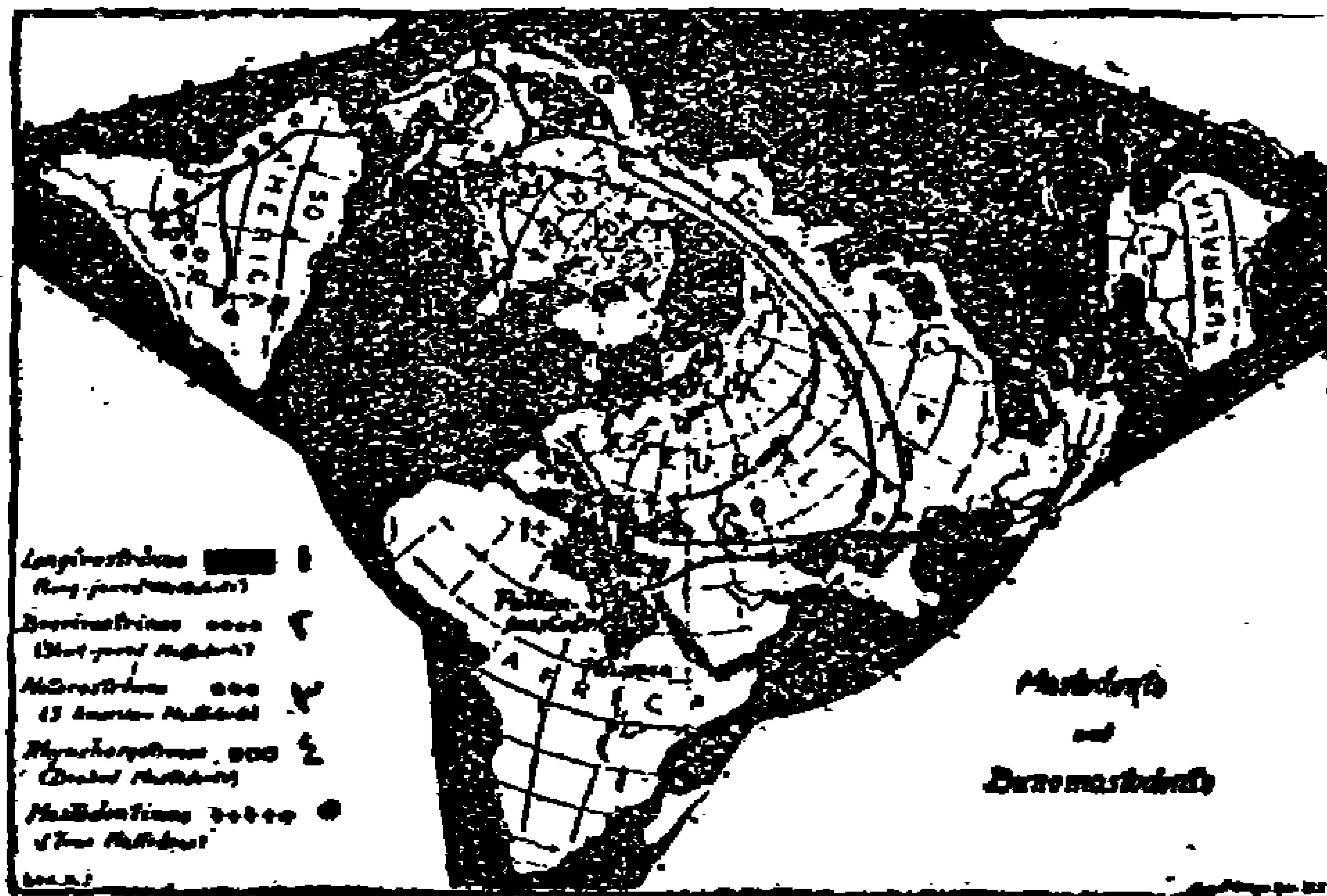


تبين هذه الخريطة نظريا طرق المهاجرة التى سلكتها اسرة الماستودون من اواسط افريقية، المرموز لها فى الخريطة بنقطة صغيرة سوداء واقعة فى شمال مصر، الى كل القارات المعروفة ماعدا اوستراليا. (والى الآن لايعرف المهد الاصلي الذى نشأت فيه الاسرة الفيلية)

ولقد استكشف هذا العلامة في سنة ١٩٠٣ في اقليم الفيوم بمصر بقايا ثلاثة

أفراد من سلالة « الموريثيريوم » ـ Moeritherium ـ . و كثير من بقايا « الفيوميا Phiomia » . وكان كثير العدد ، وقليل من بقايا « الماستودون الحفرى Palaeomastodon » وكان نادر الوجود ، وهو الذى يرجح ان يكون الاصل الذى نشأعنه الماستودون الامريكي .

وكان لاستكشافه هـذا أثر حمله على ان يتابع أبحاثه في البرو بوسيديا ـ Proboscidea أى الخرطوميات ، فتتبع آثارها مذ كانت في مآهلها الاصلية فى افريقية « وإيراسيا » Eurasia ـ الى مهاجرها الجديدة فى امريكا . حتى قال بأن نزعة شديدة الى الهجرة والتنقل قد تمكنت من الخرطوميات في العصور الاولى شبيهة بنزعة التطواف التى ملكت زمام الجماعات البشرية في العصور القديمة . والى هذه النزعة يعزو العلامة «أوز بورن» السبب فى نشوء تلك الصور الشتى التى تمتاز بها أسرة الخرطوميات .



تبين هذه الخريطة الطرق الحقيقية التى سلكها الماستودون الطويل الفك والماستودون الحقيق من مآهلها الاصلية التى نشأت فيها فى شمال أفريقية. وأيضا الطرق التى سلكتها سلالات أخرى وكل رقم من الارقام العربية يدل على هجرة سلالة منها كالآتى (١) الماستودون الطويل الفك (٢) الماستودون القصير الفك (٣) ماستودون الجنوب (٤) الماستودون المنقارى الفك (٥) الماستودون الحقيق

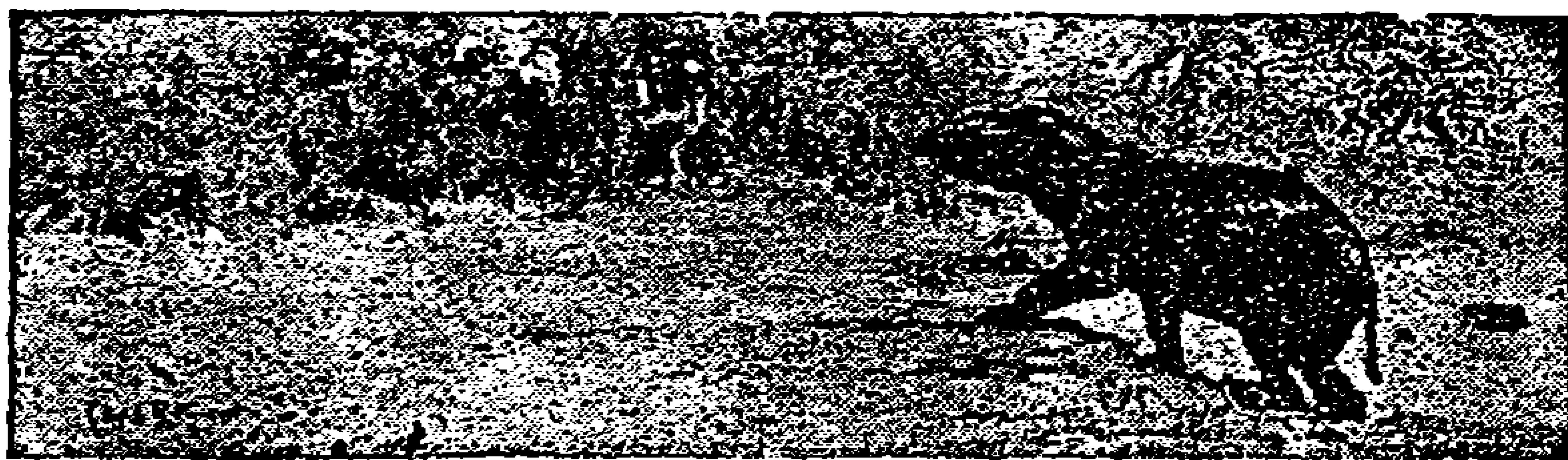
ولقد قسم « أوز بورن » الخرطوميات الى اسرتين تحتويان على ستة عشرة سلالة ، وذكر ان ستة منها قد قعدت بها الظروف عن أن تصل امريكا .

أما هذه فهي المعروفة بالارقام ١ ،٢ ، ٤ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ . و يقول بان تعيين الوقت الذى هاجرت فيه عشرة الصور الاخرى ، لايمكن تحديده تماما . غير أنه يذكر انها في هجرتها الى أمريكا قد سلكت طريق بوغاز بيرنج ، وكان في زمان هجرتها برزخا وأرضاً يبساً.

ولننتقل الى تقسيم الخرطوميات. فقد قسمها «أوز بورن» الى اسرتين : الاولى الماستودونيه Mastodontidae والثانية الالفانتية Elephantidae أى الفيلية

والاسرة الاولى تحتوى على عشر سلالات :هي ـ

١ — الموريثيريات — Moeritheres — وقد اخذ اسمها من بحيرة « مواريس » Moeris المعروفة عند اليونان القدماء ، وهى بركة قارون والمعروفة عندنا في اقليم الفيوم . والموريثيريات فصيلة من أسرة الماستودون أمفيبية العادات ـ أى تأهل البر والبحر ـ قطنت أنهار إفريقية الشمالية وبحيراتها.

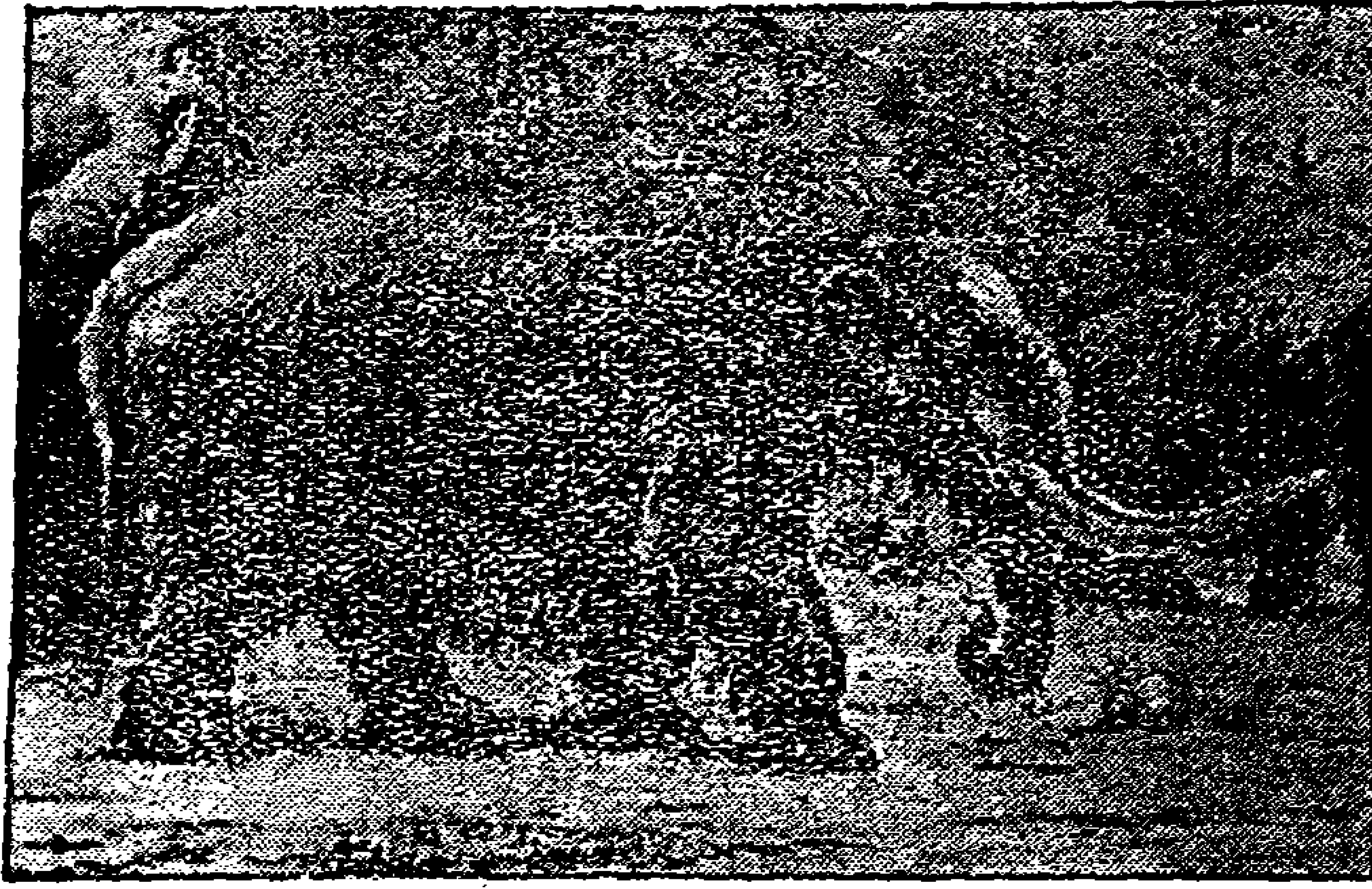


موريثير يوم على شاطىء النيل فى العصور الاولى ، ويدعى المكان الآن مديرية الفيوم فى مصر الحديثة . (عن اوزبورن ونايت)

٢ — الدينوثيريات — Dinotheres — وهي سلالة من الخرطوميات كان منها أنواع كبيرة الأحجام مروعة المنظر . عاشت فى أوروبا وآسيا فى العصر الميوسيني Miocene وأوائل العصر البليوسيني — Pliocene

٣ — الماستودون الحقيقي ـ وقد تنسلت هذه السلالة عن الماستودون المنقرض ، الباليوماستودون Palaeomastodon أو الحفرى ، الذى عاش في العصر الاوليغوسيني ـ Oligocene ـ في مصر . وقد عثر على بقاياه في بقاع متفرقة من الرواسب الفشبية ـ الفحم الحجرى ـ فى أوروبا. وقد ظهر أولا في امريكا في اواخر العصر الميوسيني ، وقد تدرج في الضخامة فكان في أواخر العصر الجليدى ـ Glacial

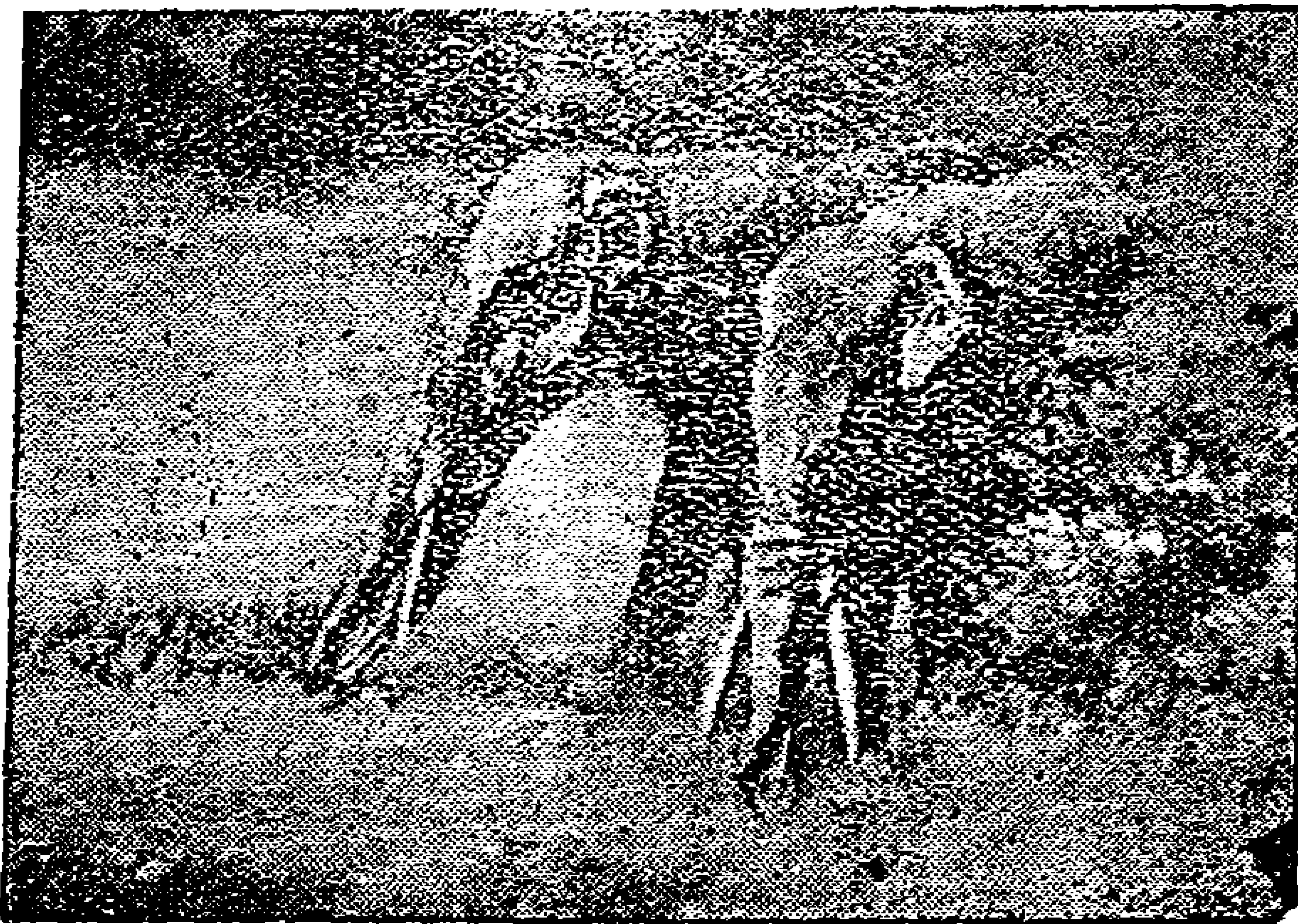
الماستودون العملاق Giant Mastodon الذى أهلت به غابات أمريكا .



الماستودون الأمريكى — Mastodon Americanus — عثر على آثاره فى القيعان البليوستوسينية بالقرب من نيويورك (عن ارزبورن وبايت)

٤ — الماستودون المتصل الأسنان أو الزيجولوفودونت Zygolophodont ظهر أولا فى العصر الميوسينى فى أوروبا . ونشأ منه ماستودون بورسون Borson Mastedon الذى عاش فى الغابات التى كست أوربا وآسيا فى نهاية العصر البليوسينى . وهو قريب الآصرة جدا بالماستودون الحقيقى .

٥ — الماستودون الطويل الفك أو اللونغيروسترين Longirostrines وقد تنسل عن



الماستودون الطويل الفك Trilophodon Giganteus كما عثر على آثاره فى القيعان البليوسينية السفلى فى جنوب داكوتا

«الفيوميا» Phiomia الطويل الفك الذى عاش فى مصر خلال العصر الاوليعوسينى، ثم تطور تدرجا حتى صار الحيوان الذى يطلق عليه اسم «التريلوفودون» Trilophodon الذى عاش فى أوروبا، وهاجر مخترقا أوربا وآسيا فى العصر الميوسينى،



الماستودون الطويل الفك Phiomia Osborni كما كان يرى على شواطىء النيل فى العصور الاولى فى المكان المعروف الآن بمديرية الفيوم بمصر

وانتشر فى نبراسكا وكنساس وجنوب داكوتا والكولورادو فى العصر البليوسينى

٦ — التترالفودون — Tetralphodon — وفى الاسم اشارة الى رؤوس أو بروزات تكون على حافة الاضراس الأمامية. وعثر عليه أولا فى أوائل العصر البليوسينى فى إبلشيم بالمانيا وفى بيكرمى ببلاد اليونان. وهاجر مخترقا بلاد الهند ودخل امريكا أو آخر العصر البليوسينى عندما كان العصر الجليدى على وشك الابتداء

٧ — السير يدنتين — Serridentines — وفى هذا الاسم إشارة الى التسننات المنشارية التى تكون فى مؤخر اضراسه من الداخل و الخارج. وأفكاكه



الماستودون ذو الأسنان المنشارية Ridentitus Producتus يرعى الاشجار كما وجد (هيكله على صورة تامة تقريبا) بالقرب من كلارندون فى شمال تكساس

متوسطة الحجم . وعثر عليه أولا فى رواسب الغابات الأوروبية خلال العصر الميوسيني . وهاجر الى أقاليم امريكا الجنوبية وتكساس وفلوريدا وعاش هنالك حتى أواخر العصر البليوسيني .

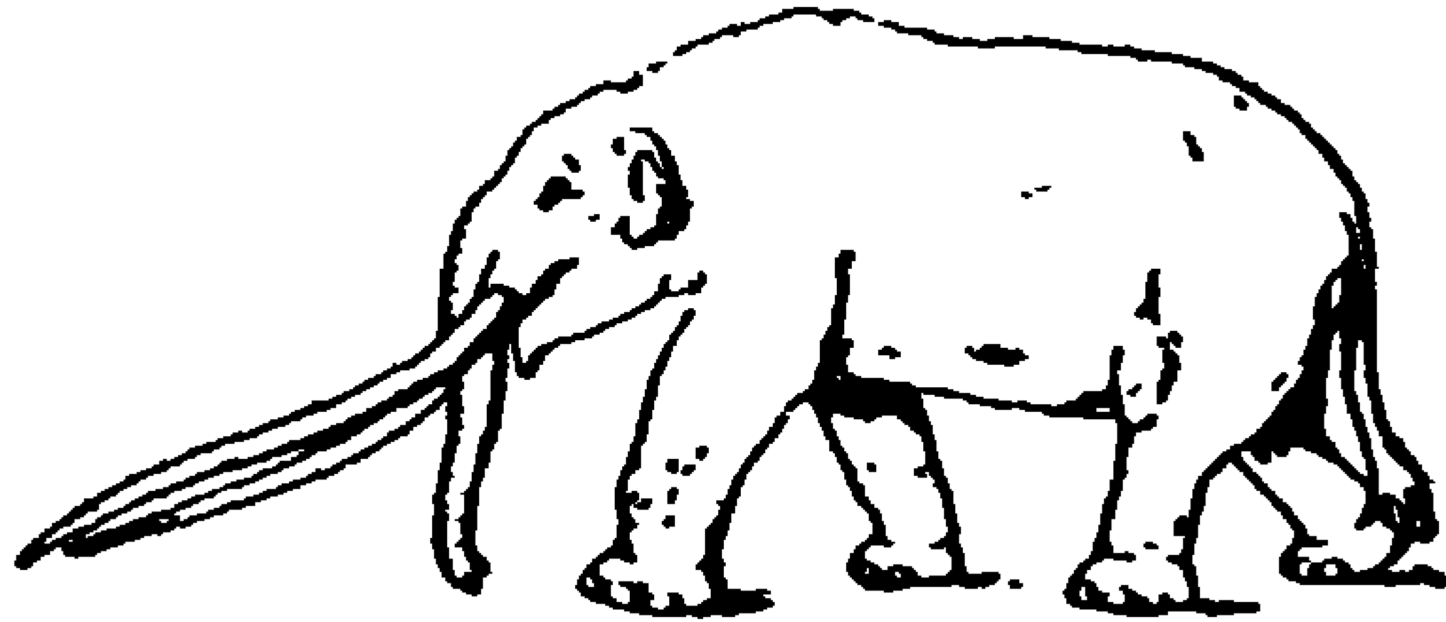
٨ — الماستودون المنقارى الفك أو الرينكوروسترين Rhyncrostrines ويمتاز على الصور الاخرى بانحناء انيابه انحناء كبيراً الى الاسفل بما يشابه الدينوثيريات Dinotheres ولم يعرف أصله فى أوروبا . واستكشفت آثاره في كولورادو وكاليفورنيا وأمكن العثور عليها في بلاد المكسيك .

٩ — النوتوروسترين Notorostrines ومعناه ماستودون الجنوب ، لأن هذه الحيوانات وجدت عادة في كاليفورنيا وجنوب امريكا وكانت قصيرة الافكاك كالماستودون الحقيقي تماماً .



جمهور من الماستودون الامريكى Mastodon Americanus على شواطىء نهر أوهيو ، حيث عثر على بقايا هذه الحيوانات لاول مرة سنة ١٧٣٩

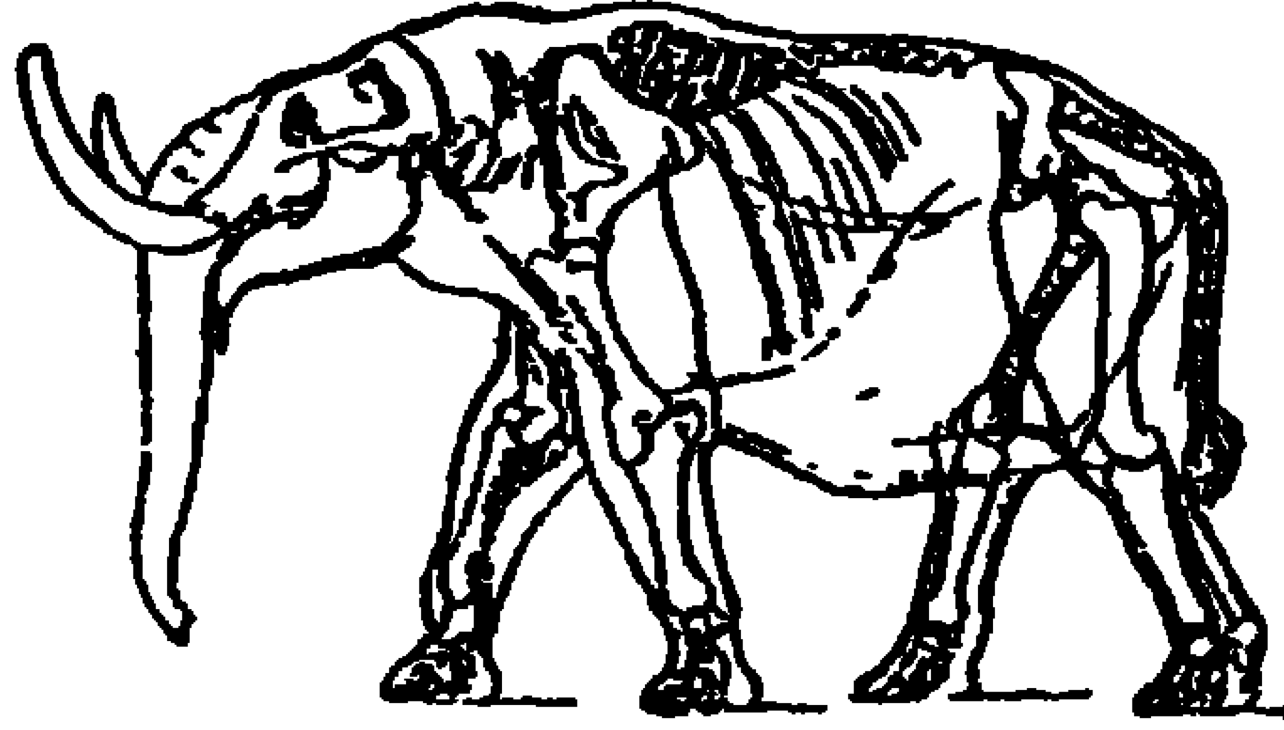
١٠ — الماستودون القصير الفك Brevirostrines — اول ماعرف من انواعه الماستودون المستقيم الانياب فى أوفرنى بفرنسا في العصر البليوسيني . وهاجرت



الماستودن القصير الفك Anancus Arvernensis الذى وجدت آثاره فى أوفرنى بفرنسا وهو كثير الظهور فى القيعان البليوسينية العليا فى ايطاليا وفرنسا وبريطانيا

أنواعه الى الهند ومضت في الهجرة حتى بلغت غربى نبراسكا فى اواسط العصر

البليوسيني ، وعاش في أقاليم امريكا الجنوبية حتى أوائل العصر الجليدي



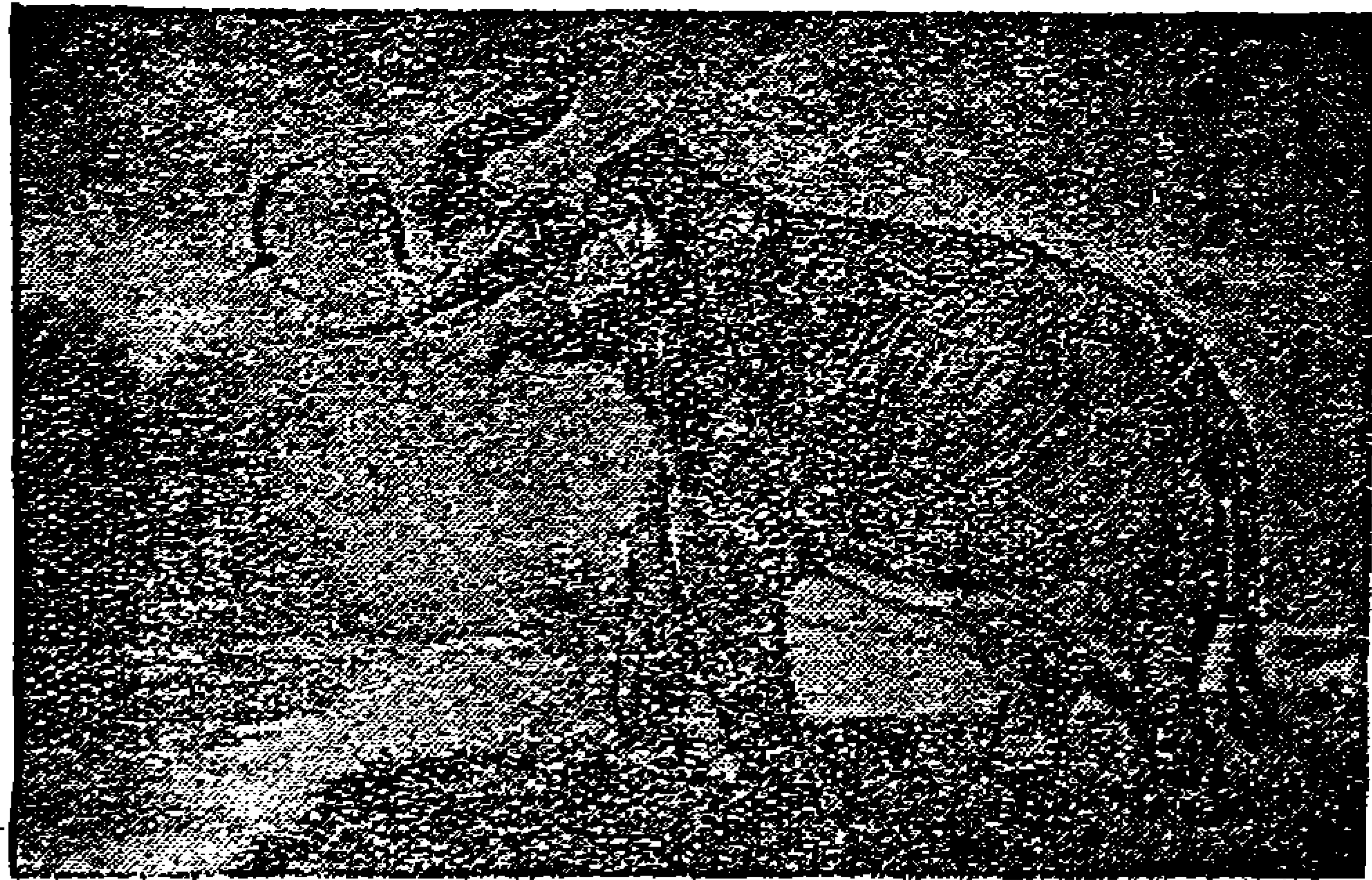
الماستودون القصير الفك الذي وجد في جنوب أريزونا Stegomastodon Arizona Gidley كما استكشفه مستر جدلي في قيمان سان بدرو

واما الاسرة الثانية أي الالفانتية أو الفيلية ، فتتكون من ست سلالات : وهي

١١ــ الأستيجودونت Stegodont أكثر قدماء من الفيلة . وتتبع الباحثون آثار هذا الحيوان في العصر الميوسيني في أوربا الى غابات الهند . وجزائر الهند الشرقية و بلاد الصين

١٢ ــ اللوكسودونت Loxodonts الفيل الافريقي . وتمتاز هذه السلالة باضراسها الشبيهة بشكل المعين الهندسي . ومن هذه الفصيلة صور ذات ضخامة وعظم في الهامة قطنت جنوب أوروبا والهند ثم اخذت تتضاءل تدرجا وشيئا فشيئا حتى كان منها تلك الانواع الصغيرة التي قطنت جزائر البحر الابيض المتوسط .

١٣ — الارشيد يسكودون ــ Aarchidiskodon ــ أو موث الجنوب . عرف اولا في بلاد الهند ، ثم هاجر غربا الى جنوب أوربا ، وشرقا من طريق برزخ



الموث الاكبر Archidiskodon Imperator في نبراسكا و تكساس (عن اوزبورن ونايت)

بيرنج الى أمريكا ، حيث وصل في اوائل العصر الجليدى وهنالك تنسل عنه المدوث الاكبر Imperial Mammoth

١٤ — الباريليفوس Parelephos أى موث المنطقة المعتدلة ، ويعتبر صورة تكميلية للفيلة الحقيقية . عرف أولا في أوربا ، وتتبع الباحثون آثاره الى امريكا حيث ظهر هنالك في اواسط العصر الجليدى . وتنسل عنه في تلك الاقاليم المدوث الجفرسونى ، نسبة الى جفرسون Jefferson



الموث الوبرى أو الصوفى Mammonteus Primigenius على نهر السوم بفرنسا فى نهاية العصر الجليدى الاخير

١٥ — الالفوس بريميجينوس Elehas primigenuis او الموث الصوفى أو الوبرى ، وقد سمى بالاسم الاصطلاحى الذى ذكرناه بعد بلومنباخ البحاثة المعروف ،وقد استكشفت آثاره أولا في شمال المانيا وفي انجلترا .وقطع مهاجراً شمال آسيا حيث وصل امريكا في اواخر العصر الجليدى .



الفيل الهندى الحالى Elephas Indicus والفيـل القزمي الذى يقطن فى الكونغو Laxodonta Africana Pamilio فى حديقة الحيوانات بنيويورك

١٦ — الالفوس ـ Elphas ـ أى الفيلة الحقيقية وقد سميت بهذا الاسم بعد لينيوس العالم المعروف . ويرجح أن تكون قد نشأت في شمال آسيا . وعرف في الهند فى أوائل عصر الانسان ، ومنه تنسل النوع الذى يقطن الآن في الهند و بورما وسيلان .



الفيل الافريقي الحالى Laxodonta Afaricana فى غابات أفريقية اوسطى . وهو يختلف عن الفيل الهندى فى شكل الرأس وحجم الاذنين



عصبة الأمم

قل للعصابة لن تنالى بغية ... من أى شعب غره الافتاء
ان الشعوب وان تطاحن أهلها ... لم يفن منها العقل والعقلاء
فدعى حديث الزور ان الحق لا ... ينفك تجرى خلفه الضعفاء
حتى اذا انعشقت غيوم جبالة ... نالوا الحقوق ، وباءت الغرماء

الى طغاة العالم

عكست آيتهم فما ابتغوا ... من بناء المجد بالسيف الرهيب
حسبوا شمس الضحى شمسهمو ... شمسهم : شمس أفول وغروب
خير مجد جاء عن نور الهدى ... بئس مجد جاء من خنق الشعوب
ليس مجداً ما أردتم شيده ... انما المجد بناء فى القلوب

حسن كامل الصيرفي

«فى القانون الدولى»

« إمريك دى فاتل »

(١٧١٤—١٧٦٧)

مقدمة

« مولده ونشأته»

ولد في الخامس والعشرين من شهر إبريل من سنة ١٧١٤ فى« كونفت» بمقاطعة« نيوشاتل »بسويسرا

وكان والده « ديفيد دى فاتل».David d. Vattel من قساوسة البروتستنت، فورث عنه نزعة الى الفلسفة . ولقد فكر منذ نشأته في أن يقف حياته على دراسة«اللاهوت » ولكنه دخل جامعة « بال » بعد موت أبيه فى سنة ١٧٣٠ وفي سنة ١٧٣٣ انتقل لى «جينيف» وقد تعمق في الفلسفة والعلوم الأدبية تعمقا كبيرا . ولما كان«فاتل» من رعايا ملك بروسيا ويميل بطبعه الى السياسة، فكر في أن يذهب الى برلين ليبحث عن وظيفة في الدوائر الديبلوماتيكية ، فهبطها سنة ١٧٤١ ولكن لم تتحقق أمنيته !! وكانت حالته المالية لاتسمح له بان يطيل الاقامة فى برلين ولذا تركها قاصدا «درسدن»فى سنة ١٧٤٣ وهو متفائل خيرا ! الا انه اضطر الى السفر الى« نيوشاتل »لقضاء بعض مصالحه الخاصة وعاد بعد أن انتهى منها في سنة ١٧٤٦ .

«فشله فى هيامة »

و بقى عاما كاملا يتمتع بلذة المطالعة ، ومعاشرة الاصدقاء، وأخذ يعلل النفس بنواله يد شابة هي الدموازيل «مرفييو» وكان يحبها حبا مفرطا منذ سنة ١٧٤٢ الا أنه لم«يقدر» له أن يقترن بها !!!

« تعيينه سفيراً فى برن»

وبسم له الحظ فعين سفيرا فى برن Berne سنة١٧٤٩ ولكنه قضى شطرا كبيرا من السنة بين أفراد عائلته فى «نيوشاتل» اذ لم يكن قد تهيأ له محلا يقيم فيه

اقامة دائمة ولما كانت اعماله الديبلوماتيكية لاتستغرق جل وقته وجد متسعا للدرس والمطالعة .

«ميله للاجتماع والمعاشرة»

وكان بطبيعته يميل الى حياة الايناس والاجتماع، وصرف عدة سنوات في سويسرا ينعم بحياة هنيئة ، يقوم بواجبه المهين ، فاذا أنتهى منه ، قصد « قاعة الاستقبال » التي كان يستعيض بها عن كل وسائل الايناس واللهو ! ! وقد كتبت المدموازيل «بر وفوست» في رسالة لصديقتها بل دي ز و يلن تقول : إنه يقيم في « نيوشاتل » منفقاً وقته في الدرس والمطالعة ، والاجتماع بالسيدات . إني اراه بين حين وآخر . حقيقة انه في غاية الادب، اما حديثه نشهي «ممتع» !!!

« كتابه الخالد»

وبعد ان ظهر كتابه الخالد« Le Droit de Gens »في القانون الدولى في سنة ١٧٥٨ ، اثناء حرب « السنين السبع » ، استدعاه ملك سكسونيا «أوغسطوس الثالث «Augustus II:وعينه مستشاراً خاصاً للوزارة ، فتخصص لهذا العمل الخطير تخصيصاً تاما ، ولكنه اختلس برهات قليلة كتب فيها آخر رسائله . »

Questions de droit Naturel ou Observations sur le traité de la nature par M. Wolff.

.. وقد نشرت في سنة ١٧٦٣

« موته »

ولكنه لم يعمر طويلا فقد ناء تحت اعباء هموم عمله الخطير ومسؤولياته وكان يبذل مجهوداً طائلا . و بعد ان قضى خريف سنة ١٧٦٦ في « درسدن»اضطر ان يعود ثانية الى «نيوشاتل » فقضى نحبه في ريعان شبابه ، في الثامن والعشرين من شهر ديسمبر من سنة ١٧٦٧ بداء الاستسقاء !!!

« ارملته وطفله »

وترك ارملة شابة هي « مايان دي شسن» ، من عائلة فرنسوية شريفة كانت تقيم في سكسونيا ، تزوج بها «فاتل» في سنة ١٧٦٤ ورزق منها طفلا واحداً هو أودرلف موريس فاتل في سنة ١٧٦٥ .ولقد كان لموت هذا السياسي العظيم

أثراً عميقا في نفوس اصدقائه العديدين من رجال السياسة والادب،وكتبت عنه المدموازيل « بروفست» : « انه رجل حاد الذكاء ، يمتاز بسعة الاطلاع ، وقوة التمييز ، ورقة القلب مع طيبة في النفس . حقيقة كان انيسا ، كريم الاخلاق . عاش عيشة نافعة ، مثمرة ، وان كانت قصيرة ، بين لذة الاحلام والتأملات ونعمة الايناس بالاصدقاء والمحبين » !!!

« آثاره الخالدة »

ما كان يحلم « فاتل» وقد طبع من كتابه « ١٢٠٠ » نسخة !!! ان تصبح لـكتاباته الخالدة كل هذا السحر ، وان يفتتن بها رجال الاجتماع ، والساسة ، والقضاء ، والمحاماة كل هذا الافتتان !!؟

كتب يوما ما ، وقد كان كتابه « تحت الطبع » في رسالة لاحد اصدقائه في ٢٦مايو سنة ١٧٥٧ ، وهي محفوظة حتى اليوم فى مكتبة« نيوشاتل»بسويسرا ، كلمته المتواضعة « سيطبع كتابى أكثر من مرة » !!

وقد تحقق كل ما كان يرجوه ، بل أكثر مما كان «يحلم به »!!!

فاعيد طبع الكتاب في « ليدن» ، وظهرت الطبعة الثالثة ، بعد موته ، في سنة ١٧٧٣ ، مشوهة ، عليها مسحة الاهمال ، وتدل دلالة واضحة على انها طبعت فى شيء كثير من العجلة ، فاستاء معارفه وذكروا انها « لاتصلح الى للبدال » !!! فقام دوماس « Domas » السويسرى وطبع الكتاب طبعة متقنة .

ثم ظهرت بعد ذلك مباشرة ، في سنة ١٧٧٧ ، طبعتان ، احداهما طبعت في « بال » والاخرى في « نيوشاتل » وبها ترجمة حياته!

«مكانته في انجلترا »

كان يعجب «فاتل» بانجلترا ايما اعجاب ، ويجد انه لاينقصها من المميزات التي تؤدى الى نجاح الدولة وعظمتها شيء ، ومدح على الاخص دستورها وذكر انها لأهميتها التجارية تقبض فى يدها على التوازن الدولى فى أوربا وانها تقوم بواجبها الانسانى بشرف ، فلا غرابة اذا أعجب به الانجليز الاعجاب كله ، وكان من دلائل اعجابهم به ، وتقديرهم له ، ان ترجموا كتابه ثلاث ترجمات ، ظهرت

الاولى فى سنه ١٧٦٠ ، والثانية فى سنة١٧٩٣ والثالثة فى سنة ١٧٩٧ .

والواقع ، انه ليس بين علماء القانون الدولى ، وحتى بين الانجليز انفسهم ، من يقتبس عنه فى انجلترا بمثل هذه الوفرة: ويستشهد به بمثل هذه الكثرة كفاتل.

ومهما كانت آراء اوبنهايم ، ولورنس ، ووستليك ، وفوش ، وهايد وغيرهم وأمثال ما كنتوش ووازد ومانتج و بلور وهال فيا وفى فضله وغزارة علمه ، وتضلعه من العلم ، فانه لم يقم بين مؤلفى القانون الدولى من الانجليز ، من بداية القرن التاسع عشر الى يومنا الحاضر ، من يشك ادنى شك في قيمة هذا الأثر الخالد !!!

بل ان القضاة الانجليز يظهرون دائما استعدادهم الكلى للرجوع الى احكامه فى قضاياهم الدولية العويصة كما أنه إمام المحامين الانجليز يرجعون اليه ويستشهدون به و يسترشدون بآرائه السديدة الحكيمة !!!

« اثره في الولايات المتحدة »

ولم يكن تأثيره فى الولايات المتحدة باقل من تأثيره فى انجلترا ، فان نفوذه ان لم يكن فى أمريكا اعظم منه فى انجلترا فانه على اقل معادل له .

والحقيقة ان «فاتل» لم يكن معروفا فى الولايات المتحدة بين سنة ١٧٥٨ ـ وسنة ١٧٧٦ ! وفى سنة١٧٧٣ ادخل القانون الدولى لاول مرة فى« كلية كنجس» (جامعة كولمبيا اليوم) غيرانه لم يدرس فيها . ولكن لم تأت سنة ١٧٨٠ حتى اصبحت كتابات«فاتل»تدرس في كل جامعات امريكا . والواقع ، ان الامريكيين أحبوا « فاتل» واحبوا منه على الخصوص ، دفاعه عن الحرية السياسية ، واعجبهم منه رأيه فى ان واجب الدولة الرئيسى ومطمحها الاسمى يجب ان يكون السهر على اسعاد رعاياها وزيادة رفاهيتهم.

والامريكيون يقدرون «فاتل» ويرون فيه مرشدا حكيما وعونا كبيراً فى حل المعضلات السياسية .

فلما قامت مشكلة الملاحة فى نهر المسيسيبى بين أمريكا واسبانيا ، وقد كانت تملك الجزء الاعلى منه ، استعانت الولايات المتحدة «بفاتل» وقد كان من اكبر انصار حرية الملاحة البريئة وكانت النتيجة أخيراً ان أمضيت معاهدة «سان لورنزو» فى سنة ١٧٩٥ ، وفيها سمحت اسبانيا بحرية الملاحة بين«فلوريدا»

و«لويزيانا» للامريكيين !!!

وفي سنة ١٧٩٧ وقف النائب «سوانويك» في مجلس النواب الاميركي ، وقد كان نائبا عن « بنسلفانيا » ، يدافع عن القانون الدولى قائلا : اذا كان «فاتل» لايوافقنا على رأينا فلنرجع الى «دى مارتنس» ، وكلاهما كانا من ، من أعظم رجال القانون الدولى !!!

ويذكرون دليلا على مكانته بين رجال القانون ، ان محاميا كبيرا هو« باتريك هنرى» قبل ان يترافع في « رشموند » سنه ١٧٩٠ ، فى إحدى محاكم الولايات المتحدة، ارسل حفيده ليستحضر له مايؤيد به دعواه ويقنع به القاضي من مؤلفات «فاتل» !!! وقد كلفه ذلك ان يمتطى حفيده جواداً ويقطع به اكثر من ٦٠ ميلا !!!

« أثره فى فرنسا »

أما فلاسفة فرنسا فما كانوا يذكرون القانون الدولى فى العهد الاول الا للسخرية والاستهزاء ، ويشبهه « فولتير » بصور اجدادنا الذين نحترمهم، مع اننا لم نرهم ، ويقول —:

« يظهر ان تلك الرسائل فى القانون الدولى التى لم تساعد فى أية معاهدة من معاهدات السلام ، ولا فى أى إعلان للحرب ، ولا فى تثبيت أى حق لاى إنسان ، ان هى إلا مجرد عزاء للناس عن الشرور والويلات التى تجرها القوة فى اذيالها .... ليس هناك ما يجعل العقل خاملا مضطربا كقراءة هذه الكتب التى كتبها «غروتيوس وبلفندورف» وغيرهما ممن كتبوا فى القانون الدولى .» ويضيف « ديدرو » « ان كان القانون الدولى لا أثر له عندما تشتعل نيران الحرب »

ولم تكن طعنات «فاتل» القاتلة وهجماته العنيفة على الكنيسة الكاثوليكية كافيه لان يكسب بها قلوب هؤلاء الفلاسفة وعطفهم . فقد كان الحادم لايتفق باية حال من الاحوال مع بروتستنتيته أومع أى مذهب آخر. وربما كان «شالوتيه» هو الرجل الوحيد الذى قرأ كتابات فاتل فى كل فرنسا فى ذلك العصر.

اما « فولتير » فقد مر عليها مرا من غير اعتناء . فلم يكن هناك ثمة توافق في الامزجه . و بعد ان ظهر كتاب «فاتل» بخمس سنوات ، كتب « فولتير » في ٢٨ فبراير سنة ١٧٦٣ الى شالوتيه يقول : « انك ستغريني على قراءته ثانية»

« مكانة «فاتل» في المانيا »

اما نفوذ فاتل في المانيا فنفوذ صادق عظيم . ولكن كتابات « بلونتشل » ومارتنس وهفتر»قد اثرت في العقل الالمانى تأثيراً اعظم من تأثير « فاتل ». وقد اقتبس بلونتشل عن « فاتل » بعض آرائه في حصانة السفراء ، وتسليم الجناة للفارين الى حكومه أخرى ، وقانون الحرب والحياد.

«مكانته في ايطاليا »

إن كتابات « فاتل » ولو لم تترجم الى الطاليانية الاحرالى سنة ١٨٢٥ فان له مكانة سامية في قلوب الايطاليين

« نفوذه في اسبانيا».

وقد ترجمت كتاباته الى الاسبانية في سنة ١٨٢٢ وفي سنة ١٨٣٦ ، وله حظوة كبرى عند الاسبانين لم يحظ بها غيره من المؤلفين.

وقد امتد نفوذه حتى الى الارض السفلى ، والدينمارك والسويد والنرويج وروسيا ...

« فاتل غير مبدع ولا مبتكر»

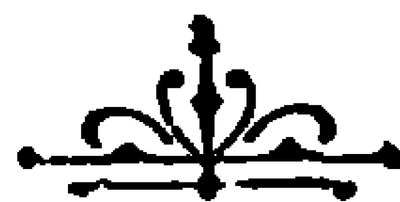
ولا يرجع نفوذ «فاتل» ، ولاترجع شهرته العظيمة الى كونه مبدعاً مبتكراً بقدر ماترجع الى مايسود اقواله من السدادومتانة الحجة. نعم لايعود سحره الى جدة أحكامه بقدر مايرجع الى دقة شرحه وتحليله العرف والتقاليد والعادات .

وفوق ذلك ، تعتبر كتاباته اثرا من آثار الوسط الذى عاش فيه .فقد هاله ما رآه من هول « حروب السنين السبع » التى امتازت بما وقع فيها من ضروب القسوة المتناهية والتخريب، كما امتاز عصره بما كان يجرى عليه رجال السياسة من اساليب الخداع وضروب الغش والوقيعة حتى ضج العالم وتاق الى السلام ، فقام المفكرون يحاولون اخراج العلاقات الدولية من هذه الفوضى التى كانت تحيط بها ، ونادوا بان العلاقات الدولية يجب ان يحكمها قانون أساسه العرف والقانون الطبيعى:

وظهر أولا آيالا (١٥٤٨–١٥٨٤) وسنفرد له فصلا خاصاً، وسوريز (١٥٤٨ ١٦١٧) الذى حلل نظرية القانون الدولى تحليلا عميقاً فلسفياً وفصل بين القانون الطبيعى Law of nature وقانون الامم Jus gentium الذى يستمد قوته من ارادة الدول جميعا، اوارادة أكثريتها – ونادى بضرورة وضع قانون ترضخ له الدول جميعا.
ثم جاء بعده « جنتيليس » ١٥٥٢ – ١٦٠٨ وكان القانون الدولى قد تقدم شوطا بعيدا، وهو استاذ للقانون المدنى بجامعة « اكسفورد » فسئل مرة في قضية تتعلق باحد السفراء، وهذا ما حدا به الى كتابة رسالته الاولى التى أوضح فيها كل مايتعلق بالارساليات الديبلوماتيه، وبحث حصانة السفراء، وعلاقتهم بالدول التى بعثتهم، وبالدول التى ارسلوا اليهـا، وكتب في الحرب، وانواعه، واسبابه العادلة، ونتائجه، وعن المعاهدات وقوتها، وعن الممالك المحايدة، وقد كان فى كل كتاباته عملياً بحتا، طبق نظريات القانون الدولى على مشاكل العصر الذى عاش فيه.
ولا يذكر « جنتيليس » الا ويذكر معه « الحياد » Neutrality

ولكن « فاتل » اعتمد فى كل كتاباته على كتابات عالم المانى كبير يسمى « وولف » (١٦٧٩ – ١٧٥٤) وكان استاذاً بجامعة « هال » وبحث القانون الدولى بحثا معقداً جافا عويصاً. فقـام فاتل يتفهمه ويهضمه ويقدمه غذاء سائغاً سهلا قريب الفائدة بعيداً عن المهوشات وسنأتى بعد هذه المقدمة البسيطة عن « حياة » « فاتل » على « آرائه ونظرياته » ونقارن بينه وبين غيره من رجال القانون الدولى

كامل صموئيل مسيحه
جامعة بيروت



ثمار الفكر الغربي

مراجعات وتلخيص عن أحدث المؤلفات الأوروبية

جان بول مارا

Jean Paul Marat : By Louis. R. Gottschalk

كتاب نشرته شركة (Allen & Unwin) بلندن

نشرنا في العصور من قبل فصلا تناولنا فيه حياة شالوت كورداي وكيف قضت على « مارا » صديق الشعب الفرنسوى . غير اننا لم نتناول شخصية « مارا » بالتحليل الدقيق الذى يظهرنا على حقيقة ذلك الرجل الذى هز فرنسا من اعماقها، والذى نبذته من بعد ذلك فرنسا فذرت مع الريح بقاياه الترابية .

ولقد وقع لنا هذا الكتاب الذى الفه الاستاذ العلامة « لويس جوتشوك » فآثرنا أن نأتى على مجمل مايرى في مارا من رأى

* * *

الواجب على المؤرخين أن يبعدوا عن شخصية مارا الكبيرة كل اثر لتلك النزعات المسفة التى يلصقها به كل الكتاب ، على الرغم من أنه من طينة آدم وحواء له ما لابنائهما من الصفات الممتازة وله أيضا نقائصهم . وطالما تساءل الناس لماذا انضم مارا الى الثورة الفرنسوية ورمى بنفسه فى احضانها الملتهبة ؟ متخذين من انضمامه الى الثورة سببا للتشهير به . غير اننا اذا ذكرنا أن مارا لم يفز من الثورة ومن انضمامه اليها بمال ولا حطام كما فعل دانتون Danton وغيره من زعمائها ، استطعنا على الاقل ان نظهر أن الذين يحملون على مارا تلك الحملات التاريخية غير محقين الى حد بعيد . بل على الضد من ذلك ، فان مارا فقد فى خدمة الثورة آخر ما كان يملك من مال، وقتل وليس له قرشا واحدا من الاموال التى جمعها بكده قبل أن ينحاز الى ناحية الثورة

لهذا يقول البروفسور جوتشوك أن خدمة مارا لمبادىء الثورة كان عن عقيدة ثابتة واخلاص تام . فانه كان من اكبر انصار الاصلاح السياسى ومن الداعين الى تعديل قانون الجنايات وتنقيحه بما ينطبق على مبادىء الرحمة والشفقة . على ان فى هذا مايشير الى شيء من الانقلاب التى لحق عقلية مارا بعد ان حاز اكبر سلطة استخدمها فرد في اخضاع الشعب الفرنسوى . فان الاستاذ جوتشوك يعلل هذا الامر بان في الجائز ان تكون الآلام التى قاساها الشعب الفرنسوى والكوارث التى نزلت به سياسيا واجتماعيا نفثت في مارا روحا جديدة ساعدت على تنمية نزعته القديمة حتى بلغ من حب الضعفاء والقضاء على الاقوياء المستبدين حدا بلغ درجة الجنون الصرف . على انه عمد الى القضاء على القوة فى كل مظهر من مظاهرها وفي كل حالة من حالاتها . لهذا لم يفقه كيف يكون التسامح السياسى وكيف تكون الحرية . كما أن الآلام الجسمانية التى كان يعانيها مارا لا بد من ان تكون قد اثرت في كيانه تأثيراً يمكن ان يعلل به كثير من الفظائع التى ارتكبها وانوقاحة الشديدة التى كانت تبدو فى كلامه وفى خلال مايكتب من مقالات ورسائل .

غير اننا لاننسى بجانب هذا عوامل أخرى يمكن أنه يعزى اليها اشياء غريبة ظهرت في خلق مارا . فانه كان من طينة روبسبير إعتداداً بالنفس وتقديرا لجاهه

ويقول الاستاذ جوتشوك بان مارا لم يهاجم الملوكية مطلقا طوال ذلك الزمان الذى انقضى قبل اعلان الجمهورية ، وانه لم يعتنق المبدأ الجمهورى الا بعد ان اعلنت الجمهورية بالفعل ، ثم يتساءل : هل كان من الممكن ان يندفع مارا فى سبيل الثورة وفى سبيل الشعب كل هذا الاندفاع لو أن طلبه كان قد أجيب فرقي الى مصاف الاشراف ؟ ولقد قال ميرابو ، خطيب الثورة الفرنسوية الكبير ، أن الاسرة المالكة وعلى رأسها لويس السادس عشر ، كان من الممكن أن تربح كثيرا من الرجال الذين كانوا سببا فى سقوطها ، بقليل من الكلام المزوق والابتسامات الحلوة . غير ان تقاليد الملكية كانت تأبى ذلك . لهذا نجد ان مارا قد انقلب عدواً للملكية وللأرستوقراطية التى لم يستطع أن يكون أحد اعضائها ، على نفس

المبدأ الذى جعله من ألد خصوم اكاديمى العلوم ، لانه لم يستطع أن ينال الشرف بان يكون احد اعضائها .

ولقد كان مارا يشعر منذ بدء حياته شعوراخفياً يوحى اليه بانه سوف تهضم حقوقه فى المجتمع الانسانى . وأخذ هذا الشعور يقوى مع الزمن و بتتالى الحوادث حتى اصبح شيأ شبيها بما يسمونه « جنون الاضطهاد » . لقد اعتقد بان الجمعية الانسانية أتماتتآمر عليه لتقضى على نبوغه وتذهب بعبقريته،لهذا عمد الى الجماهير يستخدمها لينقض بها على كل عقبة تقوم حائلا دون غرض من اغراضه ومطامعه الجنونية

ولقد بحث الاستاذ جوتشوك شهرة مارا ،فقال بان مدية شارلوت كورداى لو لم تعجل به الى الموت لنسى سريعاً ولسقط سقوطاً لا يذكر مثله التاريخ . فان سلطته كانت قدأخذت فى الاضمحلال،لان جماهير باريز كانت قد بدأت تبدى سأمهامن اهراق الدماء وقتل الابرياءوكان مريضاً ينتظر الموت حيناً بعد حين ، كما أن نداءاته الوحشية التى كان يدعو الشعب اليها لم تعد تلقى تلك الاذن التى كانت تتلقاها من قبل.

ان قتل مارا قد رفعه الى مصاف الشهداء فى سبيل الوطن ، بل انه قد هيأ ظرفا من الظروف كاد يعتلى به مارا مصاف البشر المؤلهين.على أن أقوى ما يؤيد فكرة الاستاذ جوتشوك،ان مارا بعدأن دفن في البانتيون ستة أشهر وعلق قلبه في قاعة الكوردلييه رمزاً للعبادة والتقديس ، نبش قبره وذريت مع الريح بقاياه . على أن العقل الانسانى كثير الصور.فان مارا لم يكد يسقط عن عرش الوطنية حتى توج ملكا على عرش الاشتراكية والشيوعية منذ ذلك الحين.ففى سنة ١٩٢١ أعيد فى موسكو طبع كتاب صغير استعرض فيه حياته استعراض تمجيد ، على اعتبار أنه من أعلام المذهب الشيوعى .

ومن أهم ما يمتاز به هذا الكتاب طلاوة الاسلوب واتساق الفكرة والاستقلال في الرأى بما يتفق مع الاساليب العلمية الحديثة

هل من أمراض جديدة؟

من بحث لاستاذ انجليزى كبير

ظهر فى أواسط أوروبا وباء جديد لم يعرفه الطب من قبل فكان من نتيجة هذا أن يتساءل الاطباء « هل الانسانية معرضة لهجات أمراض جديدة ؟ » «أم ان الامراض القديمه تظهر مرة أخرى تحت ثوب آخر ؟ »

على أن اصطلاح «مرض جديد» اصطلاح مبهم، لان من عادة الناس اذا انتشر مرض واحد فى فصلين مختلفين ، فكان لذلك بعض التأثير فى ظواهره ، أن يعتقدوا بانه مرضان مختلفان لاختلاف يسير يظهر في أعرض المرض الواحد . كذلك نرى أن لاختلاف نظر الباحثين أثراً فى هذا الامر . ولهذا نجد انه من الصعب أن تعين حقيقه مرض ما ورد ذكره في مؤلفات علمية ما، كتبت قبل أن يهتدى الباحثون الى طرق تشخيص الامراض بالوسائل الحديثة . فكم من وباء بعينه وكم من مرض واحد عاد الى التفشى فى عصور مختلفة، ومع ذلك نجد أن تحديد ماهيته تختلف باختلاف الازمان .

على أن الحقائق التى جمعت خلال قرن من الزمان قد تظهرنا على أن للمرض الواحد صوراً عديدة تظهر ملابسة له بحيث تجعل سيره مختلفاً في كل دورة من دورات ظهوره. فالحمى القرمزية مثلا قد أصبحت مرضاً قاتلا خلال دور من أدوارها بعد أن كانت من الامراض البسيطة، ثم عادت فأصبحت مرضاً قليل الخطر برىء النتائج. وكذلك مرض الروماتزم الحاد في الاطفال. فانه بعد أن كان يصيب المفاصل بشكل عام ويحدث بها آلاما شديدة موجعة ، أصبح يهاجم القلب مباشرة فيفنى ويبيد .

وعلى ذلك نجد أنه من الخطأ أن نسمى كل مظهر من المظاهر التى تلازم مرضاً ما باسم جديد على اعتبار أنه مرض جديد. ومما لاشك فيه أن الحمى القرمزية سوف تعود مرضاً قتالا مرة أخرى على مدى الزمان . وكذلك نجد اليوم أن الانفلونزا (أو الحمى الاسبانية) قد رجعت بعد حدتها مرضاً غير ذى خطر كبير فاصبحت كما كانت سنة ١١٧٣ إذ وصفها أسقف سانت بول بانجلترا عند ما كان

يجول في القارة الاوربية بأن الدنيا «قد استولى عليها فساد سديمى انتشر في الجو يحدث رشحاً في المعد وسعالا عاما» على أن اختلاف المظاهر التى تبدو بها الامراض فى أزمان مختلفة لا يرجع الى اختلاف فى استعداد الاجسام ذاتها ، بل يرجع الى وجود ميكروبات أخرى فى الجسم تشترك مع ميكروب المرض فى احداث حالات يظهر معها المرض القديم كأنه مرض جديد لا عهد للناس به .

والحقيقة ان كل حالة من حالات الامراض المعدية يمكن ان تعد مرضاً جديدا . فان من المتعذر أن تتشابه حالتان ، لانه لا يمكن ان يتشابه فردان تشابها تاماً . وكذلك الميكروبات نفسها قياساً على هذا ، من المتعذر تشابهها . غير ان هذا القول يمكن تطبيقه عمليا على مجموعة من الظواهر المرضية التى تظهر حينا بعد حين ، والتى يغلب أن تنشأ من غير ان يكون لها اسباب ظاهرة. وهذه الاسباب إما ان تكون تغايرات فى الجسم الانسانى نفسه أو تغايرات تلحق تلك الجراثيم المرضية نفسها .

ان مرض النوم Encephabis lethargica يمكن على هذا أن يعد مرضاً جديداً ، لانه لم يكن لدينا أى علم به قبل سنة ١٩١٥، ولم يظهر فى صورة وباء الا سنة ١٩١٦ عند ما بدأ بالظهور على هذه الصورة فى مدينة فيينا . وظهرت اعراضه الاولى باضطراب فى النوم والتهاب فى المخ . وفى خلال سبعة اعوام عم المرض انحاء العالم المعمور كله.

من هذا يستنتج أن التغايرات التى تطرأ على الامراض المعدية قد تكون نتاجا لتغاير يقع فى الاجسام البشرية : فان مرضاً جديدا من الممكن ان ينتشر ويعم بلاؤه لان دفاع الاجسام البشرية ضد هجمات الميكروبات يكون قد ضعف بالاغفال Disuse أو لتغير يطرأ على عادات الناس الاجتماعية أو لانهم عمدوا الى استخدام بعض أعضائهم أو خاصياتهم البدنية الى حد الافراط. غير ان هذا لا يعلل وحده ظهور الامراض في صور جديدة . لان الميكروب نفسه عامل آخر يجب بحثه .

من الحقائق التى لا يجب أن تغيب عنا أن الميكروبات المضرة لها صور أخرى تربطها بها رابطة النشوء وأواصر القرابة ، تعيش عيشة بريئة فى الارض أو الحيوانات

أو الغذاء الذى نتناوله وفى افواهنا وفى القناة الهضمية . فالحلقوم مثلا يحتوى على ميكروبات لا يمكن ان تفترق بشيء عن المكروبات التى تسبب مرض الدفتيريا، من غير ان تحدث ضررا . والسبب فى ذلك ان هذه المكروبات قد انحدرت عن اصول حية وثقت عرى الصداقة بينها و بين النوع الانسانى . وفي طور من الاطوار الزمانية انقلب أحد هذه المكروبات وحشا ثائرا ضد النوع البشرى ونمراً مفترساً يستعذب دماء الناس ، فظهر مرض الدفتريا لاول مرة فى الوجود

وهناك مكربات غير مضرة الى حد محدود اذا بقيت فى جزء خاص من الجسم - مثل باشلوس كولون Colon bocillus الذى يوجد في الجهاز الهضمى عادة، فانه يحدث مرضاً ما أو التهابا اذا أمكن ان ينتقل الى جزء آخر من الجسم ، و يعزو بعض الباحثين كثيرا من صور الالتهاب المزمن الى ان هذا الميكروب قد أخذ يفلت من يد الانسان ليعلن عليه الحرب . فالاضطرابات العصبية التى تصيب كثيرا من الناس من الممكن ان تكون اسبابها راجعة إلى مكروبات لا تحدث الا رشحاً بسيطاً إذا أصابت أجزاء معينة من الجسم ، كما أنه من الجائز ان تكون قد ظلت تعيش في اجسام حيوانات اخرى فلما عمد الانسان الى عيش المدن وكثرت حاجاته الغذائية واستطاعت ان تدخل جسم الانسان وجدت وسطا جديدا يمكنها من أن تؤثر فيه تأثيرا لم تستطعه من قبل في بقية الاجسام التى عاشت فيها .

ولا ينحصر وجه الغرابة في حياة الجراثيم الميكروسكوبية في أنها قد تتغاير بل يتعدى ذلك الى أنها تظل غير متغايرة عدداً كثيراً من الاجيال. فان الموميات المصرية قد دلت على أن أمراضا ما قد ظلت ميكروباتها كما كانت منذ أقدم عصور التاريخ

ويبعد أن تكون الميكروبات قد لعبت دورها الكامل في نشوء الانسان وتطوره . فان وافدة الانفلونزا التى انتشرت سنة ١٩١٨ والتى قتلت من الناس أضعاف العدد الذى ذهبت به الحرب العظمى لا يمكن أن يمنع حبوبها مرة أخرى. على أن تأثيرها يستوى فيه الضرر والنفع .

وهكذا الحياة لها صورها العديدة التى تظهرها عجلتها الدائمة الدوران

الكون الخالد

مسألة الأشعة الكونية The Proplem of Cosmic rays

عن الدكتور فورنييه دالب Dr. E. E. Founier d'Able

ان الاستكشافات العلمية التي كشفت في اواخر القرن التاسع عشر قد اضطرت العلماء الى أن يعيدوا النظر فيما كانوا يعتقدون به من المبادىء فى الجوهر الفرد وطبيعة الكهربائية . فان عاملا جديداً ظهر فى افق البحث هو النشاط الاشعاعى فلم يمض قليل من الزمان حتى أعتقد العلماء أن لهذا العامل شأناً كونياً ، حتى لقد انقلبت الفكرة من الكونيات انقلاباً لم يحلم به احد من العلماء فى عصر لورد كلفن

ولا مهرب من الاعتراف بأن النظرة التى نظر من ناحيتها فى الكون خلال السنين الاخيرة من القرن التاسع عشر كانت نظرة مظلمة فى كل نواحيها . فان الباحثين كانوا يعتقدون اذ ذاك ان كل ضروب النشاط التى كانت تتناول بها القوة الدقائق المادية ، لم يكن لها من نفع مباشر للانسان ، فكان الباحث فى العلوم الكونية مهما جهد نفسه فى البحث لا يصل من ثم الا الى فكرة في الخلاء الصرف واللاصورة التى لا يمكن أن تمضد من صور الحياة شيئاً . بل زادوا الى ذلك أن الكون لا بد من ان تقف حركته يوما ما كما تقف آلات ساعة اصابها عطب حتى ليتعذر على انسان مهما اوتى من مهارة وفن ان يعيدها الى دورتها الاولى

ولقد ترتب على هذه الفكرة أن يعتقد الكونيون بأن الكون لا بد من أن يكون قد حركه محرك بادىء ذى بدء، وأنه من ثم اخذ فى الانحدار الى حالته هذه كما بدأ انحطاط زرادتوسترا عندما اخذ ينحدر من الجبل ليندمج في جوف الجماعات المتمدينة (١) اما فيما يختص بالارض التى نسكنها فان تاريخ بدء حركتها الاولى قد رجع به الى ١٠٠ مليون من السنين. غير ان علم الجيولوجيا لم يقنع باقل من ١٠٠٠ مليون من السنين . والسبب فى هذا أن الباحثين اعتمدوا في قياس عمر الارض على أشياء لم يتيسر لهم غيرها فى زمانهم، كقياس حرارة جوف الارض ومقدار الزمان الذى استغرقه تبرد سطحها الظاهر وغير ذلك من ابحاث اجروها في

(١) المثل مأخوذ من رواية نيتشه «هكذا قال زارتوسترا» — وهو زرادشت الفارسى صاحب الدين المعروف

الشمس وبقية الكواكب ، فلم يكن ثمة من مبرر يبرر لهم ان يقدروا عمر الارض بأكثرمما قدروه به

فلما استكشف « بكريل » النشاط الاشعاعى فى سنة ١٨٩٦ ازاح الحجاب عن نبع للقوةلم يكن ثمة من محيص أن تمحى مع استكشافه كل القواعد والاستنتاجات التى عكف عليها العلماء من قبل . فلقد ثبت ان الكون فى مستطاعه ان يجدد شبابه بقوة كامنة فيه يستمدها في القوة الكائنة فيجواهره الفردة ، وعلى هذا امكن أن يرجع بعمر الارض الى اقصى الازمان التى يتطلبها علم الجيولوجيا وتدل عليها ابحاثه العميقة المستفيضة ، كما امكن ان يقدر للشمس عمراً أطول بكثير من عمرها الذى قدره العلماء من قبل . غير ان النظام الشمسى مع كل ما يمكن ان يقدر به عمره الزمانى لا بد من ان يكون له بداية ونهاية . وعلى هذا الرأى لم يكن ثمة من شىء جوهرى يمكن ان يغير من وجهة النظر الكونية بعدهذا الاستكشاف الا عمر الكون من يوم مولده الاول — والكلام هنا على النظام الشمسى — الى يومنا هذا . ومن هنا يمكن أن نقول أن نظام « لابلاس » Laplace الكونى الذى شرحه في كتابه « نظام العالم» System du Meond من المستطاع أن يقنع به الكونيون اذا أدخلت عليه بعض تعديلات طفيفة وان نمضي معتقدين بأن نظام الكون لا بد من ان ينتهى بعماء صرف ، أى من حيث بدأ

. غير أن الدروس التى تلقيناها عن مبدإ «النشاط الاشعاعى» كانت لها قيمتها في بحث الجوهر الفرد ، شأنها في بحث الاجرام السماوية . فقد دلتناهذه الابحاث على أن كل جوهر من الجواهرالفردة يمكن أن يشبه بنظام شمسى صغير جهد الصغر فيه كهارب — الكترونات Electrons تدور من حول نواة مركزية ، كما تدور السيارات من حول الشمس. وفي هذا النظام الشمسى الضئيل تكون السنة من الزمان عبارة عن قياس حركة الكهارب حول النواة المركزية التى هى نظير الشمس في النظام الاكبر.وكل دورةمن هذهالدورات تحدث بنسبةالف مليونمليون مرة كل ثانية . وعلى هذا يتضح اذا ما نظرنا فى دورة الكهارب حول نواتها ، أن هذه الدورات انما تناظر عصوراً جيولوجية برمتها ودهوراً تكوينية في نظامنا

الـكبير . ومع هذا فلا تقع على تغيير فى النظام او اختلاف فى النسق

على ان هذه المقابلة قد تكون اكثر مما يجب ان يكون فى بحث علمى . غير ان من العلماء من يعتقد انها مفتاح السر الاعظم الذى يعود اليه بناء الـكون ونظامه ، فيتساءلون : لماذا لا يكون هـذا النظام الجرمى Starry System في مجموعه نظاماً أبدياً لا أول ولا آخر له ؟

اذا اردت أن تبحث هذا السؤال فارجع هنيهة الى ما يتواتر معه من الاشياء وسائل نفسك : اذا كان الـكون حادثاً ، فيترتب على هذا ان يكون له مبدأ ونهاية . فاذا حددنا بدء الـكون الزمانى بعشرة آلاف مليون سنـة وان نهايته ستقع بعد مثل هذا الزمن من الفترة التى نحن فيها ، ومضينا نبحث فـكرة الزمان وجدنا ان الزمان عبـارة عن كمية نسبية Relative quanti'y لا غـير ، وأن كائناً ارقى منا بنسبة رقينا عن عالم الجوهر الفرد — وقـد ندعوه في العربية العالم الذرى ـ قد يلوح له ذلك الزمان الطويل الذى تقدر به عمر كوننا هذا بما وقع خلاله من صـور الرقى والنشوء كأنه بدأ وانتهى الى الغاية التى وصلنا اليها في جزء من مليون من الثانية ، من غير أن يتقدمه او يعقبـه شيء ، بل يكون كخاطف ضوء بسيط لا قيمة له ولا معنى .

على أن العقل الانسانى لينفر من مثل هذا التصوير . فانه يظهر العالم كشيء لا تسلم به البديهة . وهكذا تجد أن الفكر الانسانى على الرغم من امتداده واتساع أفقه فى الزمان والمـكان ، لن تهدأ لوعته فى البحث بأية صورة من صور الفلسفة التى لا تسبل على الـكون اذيال العظمة والوقار التى يمكن ان يتخيلها الانسان .

يقول سير « أوليفرلودج » « إن الفـكر العلمى اخذ يميل الى القول بأن الـكون أبدى سرمدى » . ولا بد من ان يكون هذا الطبيعى الـكبير قد بحث فيما بحث ليكون هذه الفـكرة ، مستكشفات الاستاذ « ميلـكان » Millikan الحديثة في الاشعة الـكونية وتأثيرها فى بقاء الـكون . فلقد أثبت هذا الاستاذ الـكبير أن أشعة خفية في مستطاعها أن تخترق سبعة عشرة قدما من اطباق الرصاص بسهولة تامة تصلنا من عوالم خارجة عن نظامنا الجرمى . ويقول بان هذه المستكشفات تعبر

عن نظام التدرج الذى يتبعه العلم الانسانى اذا يضيف كل باحث الى ابحاث ماسبقه مستجدات حديثة يقيمها على نتيجة ابحاث من سبقه من العلماء ، فيتقدم الى الامام ، اذا ساعده الحظ ، خطوة أخرى يفوت بها خطى سابقيه ، حتى أنه سوف يأتى يوم يجد فيه الناس انفسهم وقد بلغوا قمة المجد والعظمة بان يحصلوا على تصور جديد فى حقائق الطبيعة ، من غير أن يشعروا بطفرة يبهرهم بها فجر الحياة الجديدة

اما « الفجر » فسوف يظهرنا على ذلك الاسلوب الطبيعى الذى يجدد به الكون شبابه حينا بعد حين . والظاهر ان السر كامن فى جوف السدم ، وهي تلك السحب التى تتكون من مادة غير تامة التماسك ، وكان يعتقد من قبل بانها عوالم من طور التكوين .

غير أن السدم الحلزونية التى تتضمن تلك القوة التكوينية قد تكون واقعة في جزء من الكون خارج عن حدود المجرة . لأن الضوء الذى يصلنا منها يظهرها لنا كما كانت منذ عشرة آلاف من السنين على الاقل . ويقول الاستاذ « مليكان » انه يحتمل أن تكون الاشعه الكونية تصدر الينا من تلك الابعاد القصية . وإنا لنعلم أية قوة للحياة والموت تتضمنها أشعة إكس . — Xrays — . ومن ذا يعلم أية قوة أو تأثير يمكن أن تنشرها تلك الأشعة في ارجاء الكون ، وهى تزيد في قوة الاشعاع والنفاذ فى الاجسام الف ضعف على أشعة إكس ؟

لقد وقع العلم على نبع للقوة قادر على أن يجدد من شباب الكون و ان يحتفظ بحياة العالم شابة فتية ازمانا لا يمكن تحديدها . وهذا النبع كائن في صميم الجواهر الفردة ومن الممكن أن يكون في العالم ينابيع أخرى للقوة لم يستكشفها العلم بعد، تمدنا بها عوالم اضأل من عالم الجوهر الفرد ، على ضؤولته .

على أن إستكشاف سلسلة من هذه العوالم اذا وقع ، فلابد من أن يحملنا على الاعتقاد بأبدية الكون التى لاتظهر صور الموت والحياة فيها ، الا كفقعات الهواء التى يرسلها الزبد على وجه المحيط الاعظم.

النقد والتأليف

مناظرك نظيرك

الدكتور يعقوب صروف

الوحدة الاسلامية والاخوة الدينية

للسيد محمد رشيد رضا

إن هذا الكتاب قبس ضئيل النور انبثق بين جدران قبر المدرسة القديمة للدلم . إذا قرأة المجدد غاص فى بحر زاخر من علوم الأولين الذى حرمتنا منها مدنية العصر الكاذبة بابحاثها التى قصرت الثقافة الحالية عن تفهم اسرارها فتركتها عيا منها.ومن منا وقف ولو على مبادىء علوم حساب الجمل وأسرار الحروف والزايرجه والجفر والملاحم والمندل والبروج وجغرافية الآخرة مع خرائطها أو على أبحاث في السريانية وصلتها بلغة الملائكة ومن عمر الارض وكيفية تكوينها ؟

والذى يقرأ شيئاً في هذه المواضيع يتضح له مبلغ الخسارة التى أصابتنا من إبعادنا هؤلاء العلماء المتبحرين في هذه العلوم الخالدة عن تقلد زمام ادارة شؤوننا الدينية والمدنية .فلو أننا لم نتبع الغاوين وأسلمناهم زمامنا لكنا ولا شك في جنان النعيم من الخالدين

و إذا قرأ الكتاب العلماء الاعلام لوقفوا على مبلغ الضرر الذى تسببت فيه الجرائد و المجلات التى يحررها خريجوا المدارس النظامية الحديثة التى تنفث سموم ما يسمونها بالعلوم العصرية حتى لقد حاد بعد قراءة بهتانها أحد العلماء عن طريق العلم السلفى،وأخذ يجرأ على الادعاء بان السبب فى قفل باب الاجتهاد نتج عن ضعف ثقة بعض المقلدين بانفسهم لسوء ظنهم بغيرهم من الناس ولزعمهم ان العقول دائما فى تدل وانحطاط ولغلوهم في تعظيم السابقين(ص١٣٦)و بما انني شخصياً أحقر من ان اتطلع الى التداخل فى سلطة الديان جل وعلا ؛ لست متأكداً عما اذا

كان قائل هذ القول يصح أن يكون في رأى السادة العلماء من المخلدين في نار جهنم أومن الذين سيقضون فيها ردحا طويلا أو قصيراً من الزمان أو هو من الذين يقبل منهم التوبة لانه شك وخرج على الاجماع الواجب الاتباع شرعا، ولكنى التمس له الغفران فقد يكون خطؤه عن قصد حسن ذلك بالرغم من انه يفند مزاعم القائلين بان أهل السنة ينتمون الى أربعة مذاهب من شذ عنها فقد شذ عن الاسلام ويعقب على هذا بقوله انهم لا يفهمون أكثر من هذا (ص ١٣٦) وبالله ماذا ينتظر من رجل ينفى العالمية عن علمائنا الاعلام قائلا ان الناقل مقلد وأما العالم فهو الذى يجتهد فشتان بين هذا وذاك فهو يدعى ان باب الاجتهاد لم يقفل الى الآن مخالفا بذلك الجماعة . وكذلك يدعى بجرأة ان عمر نهى عن زواج المتعة اجتهادا منه ولو كان فى ذلك تحريم فأحله النبى (ص ١٢٧)وان التقليد في العقائد غير جائز فاذا استشار شخص آخر فيجب أن تنحصر استشارته فيما قد يكون عنده من كتاب اوسنه لا ان يسأله عن رأيه الشخصى(ص ٦٨)فان فهم الاحكام اسهل من فهم عقائد الفقهاء المختلفة الاساليب والمتصف اغلبهم باضطراب الفهم(ص ٤٩)نسألك اللهم اللطف بنا

واما الكتاب فقد وضع في حوار تم بين شخصين اعتقد انهما ازهريان لعمق المواضيع التى تناولاها: احدهما مقلد كبير السن والآخر مصلح صغير افسده الاطلاع على قشور من العلوم العصرية وعند ما يشعر الاول بالهزيمة يلتجىء الى مقلد مثله ولكن عونه يتقهقر بانتظام امام منطق وفصاحة المصلح وهكذا يترك الخصمان وجها لوجه معا بعد ان ينتصر المصلح لسوء الحظ

وعلى حين فجأة يثب أمامك احمد باشا زكى مستفتيا مؤلف الكتاب عن موضوع الاجماع فيفتيه في بضع صحائف تكون التتمة وهي خير ما تحتويه الصفحات. وانا نرحب بهذا الكتاب ونحث المتصلين بالازهر على الاطلاع عليه

حول اليهودية

قرأت فى العصور ضمن مقالة في اليهودية « زبدة الطورا (التوراة) » فاسمحوا لى اذا شئتم ان اقول ان لا قرابة ولا نسب بين اللفظين ، بل هما بعيدان عن بعض

كل البعد ولكل منهما مصدر على حدة في اللغتين العبرية والعربية فمصدر (طور) هو هو في العبرية (ط و ر) وله ما له من المعانى والتوراة تفعلة من مصدر (ى ر ه) هو في العربية (و ر ى) وهاء المصدر العبرى بمنزلة الالف المقصورة في اللغة العربية والمصدر في اللغتين و ر ى واورى بمعنى نار أنار هدى وفي حديث على كرم الله وجهه حتى أورى قبساً لقابس

أى أظهر نوراً من الحق لطالب الهدى ومن هنا التوراة تفعلة من المصدر بمعناه هذا

مراد فرج المحامى

بمصر

عصر المأمون

من خطاب لصديق عراقى وهو اديب كبير يبدى رأيه في الكتاب قال :

« كدت انخدع بتقريظ الصحف وذلك اللقب الممتاز الذى منحته اللجنة الفاحصة لرفاعى ، حتى وقع الكتاب فى يدى فاذا هو دون العادى . وانى لشديد العجب من ان ينحط الرأى العام الادبى فى مصر هذا الانحطاط فتستقبل الصحف الكبرى هذه المجموعة المبعثرة التافهة بمثل هذه الحفاوة العظمى ! ! وما هو الشيء الجديد الذى أتانا به الرجل اذا كان غاية ما عنده من اسانيد الثقاة .... و ...... الجماعان ...... ؟ الشاب الحديث العهد بالبحث . بينما هو اذا اراد قول محقق اثنانى اكتفى بسطرين او ثلاثة. ثم أين الاسلوب التأليفى الحديث ؟ أين المراجع ونقد المستندات واستعراض المؤلفات الباحثة فى الموضوع ونقدها والفهارس الابجديه المطولة ؟ وهذه منتهى مراجعه الاجنبية ، بضعة كتب معروفة مبتذلة »

هذه كلمات أديب عراقى جاءت في خطاب خاص للعصور . وما نشرناها الا لانها على اية حال تعبر احسن تعبير عن قيمة الكتاب في نظره وا كثر صراحة في القول من مقال يكتب للنشر. على اننا نعرض عما تنشر بعض الصحف الاسبوعية الساقطة في تعرضنا لنقد كتاب عصر المأمون ، فان الذى يحمل القلم في يده كالجندى الذى يحمل السلاح فى ساحة الحرب ، يوم له ويوم عليه



رحلة الاندلس

كتاب جديد للكاتب المعروف والباحث المدقق محمد بك لبيب البتانونى، كان الاولى به أن يطلق عليه إسما غير هذا الاسم . لان المؤلف قصر كل همه على وصف ماترك العرب فى اسبانيا من الآثار والتحف ملحقاً بكل رسالة فذلكة تاريخية عن أصل تلك الآثار وعصر تشييدها والدول التى توالت على الاندلس وهي قائمة ، بحيث يخرج القارىء من الكتاب وقد وعي الشيء الكثير عن تاريخ العرب فى الاندلس وعزهم وعظمتهم ومجدهم ، ولكنه يكون خالى الذهن تماما عن ما عدا ذلك من الاشياء التى تحتوى عليها اسبانيا .

والكتاب على هذه الصورة تتضمن حلقات تاريخية،فهو لا يصل بين عهد العرب فى اسبانيا بما بعده وبما قبله من عصور التاريخ ، ولم يشر الى ذلك الا اشارات ضئيلة على الرغم من الآثار المهمة التى خلفها العرب للذين اتوا من بعدهم في ملك اسبانيا ، والآثار التى دمغوا بها الحضارة القوطية التى اقاموا حضارتهم على أنقاضها . فلم يشر مثلا الى تطور أوروبا السياسى والادبى سواء افي حرب الوراثة الاسبانية أم في ثورة اسبانيا على نابليون الاول.

والكتاب لايعطينا الا صورة ناقصة عن الاسبانيين ،وكان لزام عليه أن يصورهم تصويرا كاملا بالتبسط بعض الشيء فيما يختص باخلاقهم وعاداتهم . على أنه قدعرف عن المؤلف حب الاشادة بكل ماخلف العرب من آثار، غير مميز كالكثيرين ممن يذهبون مذهبه ولعله اشدهم اعتدالا ، بين الحقيقة التاريخية التى لايجب ان يشوب بحثها شائبة من العواطف والميول و بين النعرة الجنسية أو الدينية . وان الانسان ليكاد يعتريه الدوار فى بعض مواقف اشار فيها المؤلف بما كان للعرب من أثر في الثقافة العالمية ، حتى يخيل اليه ان العرب قد سبقوا علماء العصور الحديثة الى كل جديد في العلم والفلسفة ؟ وما بالك بمن يقول ان العرب اصل التجديد الاوروبى والفلسفة الاوروبية،مع علمنا بان مانقل عن العرب الى أوربا

من فلسفة الاغريق لم يكن الاقلا من تراجم سريانية حشيت بصور التبشير النصرانى من طريق اليعاقبة والنساطرة وان ما نقل اليهم عن العرب قد رجع عنه علماء أوربا وفلاسفتها بعد ان استكشفت المتون الاغريقية الاصلية التى كتبت في الفلسفة القديمة . على ان المؤلف العذر وهو عربى يحب العرب ويمجدهم اذا جارى امثال لوبون ودرابر وسيديو وغيرهم . غير اننا ونحن على ابواب نهضة يجب ان نكون أكثر تحقيقا وأشد استقلالا في الرأى لنبنى المستقبل على اساس من النقد صحيح لا تشوبه العواطف ولا تؤثر فيه الميول .

نتقدم بهذه الكلمات القصيرة لحضرة المؤلف الكبير ، معترفين ببسطة معارفه ورسوخ قدمه في موضوعه الذى عالجه

اما الاسلوب فعلى نهج تلك الفئة من الكتاب الذين ماعرفت منهم العربية إلا القليل . فان انسجام العبارة وتخير الالفاظ لا يترك مجالا لاديب يتذوق معنى الادب العربى ويعرف مواضع ضعفه ومواقع قوته لان يتورط في كلمة يقولها أو نقد يبديه .

اما العبارات وتأديتها للمعانى المطلوبة فلا تقل عن الاسلوب رصانة وقوة . وعلى الجملة فالكتاب من امتع الكتب التى ظهرت في العهد القريب وهو على الرغم مما فيه من الهنات الضئيلة عنوان على دقة البحث وتسلسل الفكرة .

على أنا نأخذ على المؤلف بعض الاخطاء البسيطة التى قد نعللها بأنها أخطاء مطبعية قبل كل شيء . مثل قوله فى ص ١١ عند التكلم على سان سباستيان «وفوق هذا الجبل قلعة قديمة وبجوارها مقبرة لبعض الضباط الانجليز الذين ماتوا فى احتلالهم لهذه المدنية اثناء الحرب التى قامت بينهم و بين الاسبان سنة ١٨١٣ » والواقع انه لم يحصل حرب بين الاسبان والانجليز في تلك السنة . بل كانت الحرب بين الفرنسويين والاسبان . ولعله يقصد سنة ١٧١٣ . وفي الكتاب امثال من هذه الاخطاء التى مهما كثرت فان الكتاب في مجموعه طرفة ادبية ممتعة ، نهنيء به المؤلف وأهل العربية في جميع اقطار الشرق العربى

***

سيلان : ارضه الجمال الخالد :

تأليف الاستاذ على بك فؤاد طلبه باللغة الانجليزية فى ٣٥٢ من القطع الكبير نشره بلندن هتشنسون وشركاه

اذكر منذ زمن بعيد انى قرأت بل انتفعت في عهد تلمذتى بكتاب صغير وضعه التلميذ على فؤاد طلبه فى منتخبات مترجمة من اللغة الانجليزية والعربية . ولم يكن هذا أول عهدى بالمؤلف ، بل كنت اسمع من اخوانى فى التلمذة ان شاباً يدعى طلبه يكاد يتقن اللغة الانجليزية كاحد أهلها. وضرب الدهر بينى و بين ذلك العهد بضرباته وافترقنا بضع سنين . ولكن شاء القدر ان تعاودنى الذكرى وان اقع مرة اخرى على صديق الصبا ، وهو فى ريعان شبابه يحمل كتاباً قيما فى سيلان وجمالها الخالد . وهى تلك الارض التى يحمل لها المؤلف فى صدره اخص الذكريات المشوبة بصور من الجمال والالم تراها شائعة فى اسطر كتابه . وكيف لا يكون لتلك الارض من الذكرى ما يتغلغل فى طيات قلبه وهى مهبط والده فى منفاه ومرتع لعبه ولهوه فى صباه ؟

ولم اشأ ان اكتب شيئاً فى هذا الاثر الكبير قبل ان اقرأه واستوعبه استيعاباً. غير أنى لم اكد أتم قراءته حتى رأيت ان الافاضة فى بيان ما تضمنه الكتاب من معان وما احتوى من جمال ، لا يسعه صدر « المصور » بل صدر كتاب من مضاعف حجمها . وان وضع صورة تامة عن الكتاب لا يقل عناء عن الافاضة في شرحه فان الكتاب برمته قطعة من القلب وفيض من الوجدان يتعذر عليك ان تصف آثاره وصفاً قيما أو تخرج به عن منحاه أوتتورط في تصوير مهما احتطت له فانك لن تبلغ به الا صورة ناقصة من الكتاب

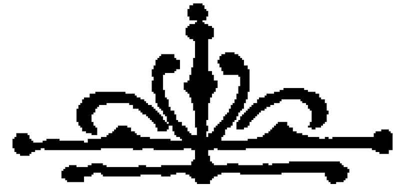
ويكفى انه تحيط بعناوين بعض فصول الكتاب علماً لتقف على مقدار ما فاض على قلب المؤلف من ذكريات الماضى وما فيها من الجمال والالم . فعنوان الفصل لاول « لؤلؤة البحار الشرقية » والثانى « على الطريق الى الجزيرة العطرة »

والثالث « الحياة على سطح الموجة » وفي جماع هذه الفصول وفي غيرها من القطع التي يتناول فيها وصف الجزيرة الخالدة، تقع على أدب فائض وعلم جم، جدير بأن يقبل عليه الانجليز حتى لقد نفدت نسخ الكتاب في بضعة أشهر

هـذا ولا يسعنا إلا أن نهيب بالمؤلف الفاضـل لان يقدم على اعادة طبعه فان في ذلك فخراً لمصر والمصريين وخير ما تخدم به أرض الفراعنة

* * *

العصور — اجتمعت لدينا طائفة من المؤلفات سنوالى نقدها في الاعداد الآتية تباعاً بعد ان نلم بما فيها إلماماً يمكننا من ان نعطيها حقها الاوفى على المبدأ الذى اتبعناه حتى الآن



عن أبي فراس

سمع أبو فراس حمامة تنوح على شجرة بالقرب منه وكان مسجوناً ففاضت شاعريته بهذه الأبيات:

أقول وقد ناحت بقربى حمامة　　أيا جارتا لو تشعرين بحـالى!
معاذ الهوى: ما ذقت طارقة النوى　　ولا خطرت منك الهموم ببال .
أيا جارتا ما أ نصف الدهر بيننا　　تعـالى أقاسمك الهموم تعالى
تعالى ترى روحا لدى ضعيفة　　تردد فى جسم يعـذب بالى
أيحمل محزون الفؤاد قوادم　　على غصن نائى المسافة عالى ؟
أيضحك مأسور، و تبكي طليقة　　و يسكت محزون، و يندب سالى؟
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة　　ولـكن دمعي في الحوادث غالى.

العنصر المصرى

— ١ —

صفات الدم المختلط

كان الاديب الفرنسى «دوكلوس» من خير نقاد الحياة والعادات الاجتماعية فى القرن الثامن عشر . فاتفق أن زار عاصمة ايطاليا فوصف أهلها بهذا العنوان «إيطاليو روما» !

ولم يغب عن الرومانيين ادراك ما في هذا الوصف من السخرية. فثار ثائرهم الى حد أن هـذا النعت صار مشهورا عنهم في التاريخ . وكان غرض «دوكلوس» أن يبرهن على أن الدم الرومانى فقد كل فضائله ومزاياه في عروق الايطاليين. ولا ندرى إذا كان السنيور موسولينى يذكر رأى دوكلوس.

على أن المفكر اليابانى «موريكاتسو ايناجا كي» حين بحث مسألة الاختلاف العنصرى اعترف بتأثير مزايا الدم الاصيل وفضائله، وأيد وجود شعور بالتفاوت العنصرى ، وأن هناك عناصر بشرية أسمى من عناصر أخرى كما هي الحال بين الانواع البيولوجيه .

ولا ينبغى أن ننسى أن الفارق بين العنصر والجنس لا يزال غـير واضح وبناء على قانون « التمصير » يستطيع المراكشى أن يكتسب الجنسية المصرية.

قال« موريكاتسو ايناجاكي» ان هناك نوعين من الفوارق العنصرية . أولهما يرجع الى لون البشرة والشعر وتركيب الجسم وصورة الوجه . ويتعلق النوع الثانى بطريقة الحياة السياسيه والاقتصادية

وثمة وجه آخر للاختلاف بين العناصر البشرية وهو يتعلق بعاطفة تقدير الذات فان الشعور بالمقدرة او بالجمال فى الانكليزى يختلف عنه فى الهندوسي : ولعاطفة الجمال تأثير فى الشعور بالمقدرة . وعادة الرجل الابيض ان يحكم على مقدرة الانسان من ظاهره . وعلى هذا كان رأى البيض فى العناصر الملونة !

واما امكان تفوق عنصر على عنصر آخر من الوجهة الطبيعية فهي مسألة تتعلق بالانثروبولوجيا : أى علم الانسان

ولقد اختار « موريكاتسو ايناجا كي » ان يوضح التفاوت العنصرى من ناحية الصحة والجمال . فقال ان الحالة الصحية في العنصر البشرى تابعة لتأثير الحالة الاقتصادية (احوال النظام) والمناخ (الحالات الطبيعية).وان رأى العنصر الابيض فى الجمال ينحصر فى البشرة البيضاء كما ان العنصر الزنجى يرى مبدأ الجمال فى البشرة السوداء.ولكل عنصر بشرى استعداد لان يظن في نفسه الجمال

. . . .

ونحن لكي نوضح صفات واخلاق اى عنصر يجب ان نبحث طبيعة دمه ومقدار صفائه او اختلاطه بدماء أخرى دخيلة وتأثير ذلك في تكوينه وفى خلقه والعوامل التى تحرك همته فى الحياة . فانهم ينسبون إلى العنصر المصرى الاصيل النشاط في حين أن همته لا تتجاوز النهوض بالعمل الضرورى. اذن فهو خاضع فى حياته العملية لقانون الضرورة وهو ادنأ قوانين العمل . وان مظهر النشاط فى الحياة المصرية الحاضرة إنما ينسب بحق إلى الصبغة الاوروبية المكتسبة ويظهر أننا لا نريد ان نقتنع بان الانسان لايستطيع تحت مناخ مصر ان يؤدى عملا يتجاوز به نطاق الضرورة . وقد اعتاد الفلاح المصرى التبكير الى مزرعته ولكن الانكليزى او الالمانى اعتاد ان يرحل الى امريكا او استراليا لاستثمار اراض جديدة . والفلاح الايطالى لا يترك مزارعه الا لكي يشترك فى مشروعات التعمير في فرنسا . والفلاح اليونانى مستعد للانتقال الى بر مصر للزراعة والمتاجرة والى السودان ومجاهل إفريقيا ما دامت موارد الارتزاق هناك متوافرة ووسائل الاثراء كثيرة

والنشاط هو ان يتجاوز عمل الفرد دائرة الضرورة . ونريد بالضرورة هنا العمل على قاعدة أن القناعة كنز لا يفنى !

ولو انقطع الفلاح المصرى عن التبكير إلى مزرعته فانه يموت جوعاً . ولكن الفلاح الالمانى لا يخشى هذا المصير اذا لم يرحل الى افريقية . ومن ناحية النشاط في العنصر البشرى يمكن الحكم على مزايا دمه وفضائله

. . .

وليس في وسع احد ان يقول ان الدماء التى تجرى في عروق المصريين

المعاصرين هي نفس الدماء التي كانت تجري في عروق معاصري «توت‌عنخ آمن» او «سيزوستريس»

في الشعب المصري وحدة جنسية ولكن دماءه غير صافية. وفي عنصر يته روح قوي حماه من الفناء في العناصر الاخرى . وهو انما يختلط بها عند الضرورة . لان العناصر الاجنبيـة التي حكمت مصر تجنبت في البدء اشد التجنب الخلطـة بالمصريين . كذلك فعل العرب. وكذلك فعل الرومانيون واليونانيون من قبلهم، ولا شك في انه من السهل ادراك وهلة الانقلاب وتأثيرها في النفس وما يكون في روح المغلوب على امره من الاتضاع والذلة

وانما يبتدىء الاختلاط عادة بانحطاط العنصر الفاتح. ولقد اختلط الرومانيون لعهد انحطاطهم بالعبيد. وفي هذه الحالة تنتقل بعض فضائل العنصر الفاتح الى العنصر المغلوب . الا ان هذه الفضائل تنتقل في حالة انحطاطها وقد دانها لقوتها الاصلية. وفي الوقت نفسه تكون قد انتقلت عيوب العنصر المغلوب على أمره ونقائصه الى العنصر المسيطر . اذن يبدأ الاختلاط في الوقت الذي تبقى فيه صفات الانحطاط وطبائعه وعاداته موجودة ومتبادلة بين العنصرين ، الغالب والمغلوب

وعند ما وصل الاغريق الى هذا الطور اختلطوا بالتتر وبالعناصر الاخرى الاشد انحطاطاً . وعند ما وصل اليه الرومانيون اختلطوا بالعبيد

على ان العنصر المغلوب على امره يقوى قليلا بذلك الاختلاط . اذ يحرز بعض مزايا العنصر الفاتح ويشاركه في شيء من امتيازاته واحياناً سلطانه (كالعجم مع العرب) . وانما تقوى العناصر البشرية وتضعف بالاختلاط

ولما اختلط العرب الاقوياء بشعوب في عهد انحطاطها لم يلبثوا ان انحطوا بسرعة غير مألوفة . لان انتقال اخلاق المنحطين وعاداتهم اليهم كانت سريعة

وفي الكيمياء شيء معروف للكثير يستحق ان نتخذه قاعدة في هذه المسألة. وهو أن امتزاج عنصر بعنصر آخر يؤلف عنصراً ثالثاً غريبا عن العنصرين الاصليين . وهو ما اتفق حدوثه للمصريين في حقبة طويلة من الزمن . فقد اختلطوا بعناصر منحطة ففقدوا بذلك دمهم من أصيل ولم ينحط الشعب

المصرى بمقدار ما اضطهد لان طبيعة حياته لا تساعد على الانحطاط بمقدار ما كان نظامه الفرعونى يساعد على الاضطهاد

ولقد اختلط العنصر المصرى بالاغريق وبالرومان والفرس والعرب والترك بالتعاقب فتغير دمه ولكن بقيت صورته type مصونة كما هو ظاهر فى مصر العليا. ولاتزال آثار الاختلاط واضحه فيه، ذلك لانه عنصر قديم

ومن فضائل الدم المصرى الصافى : الصبر والمثابرة بلا ملل على عمل رتيب كالزرع وتخيل الامثلة الفخمة فى النحت والبناء وتحقيقها وصنع الطرائف والتحف الفنية، والازميل المصرى هو اول إزميل نحت من الجرانيت تمثالا لفرعون. وقد بقيت في العنصر المصرى بعض هذه الفضائل كالصبر إلا انه فقد الذوق الفني وفقد مهارته فى الصناعة

وليس غريباً ان تفقد العناصر البشرية مزاياها وفضائلها القديمة. إنما الغريب ان تفقدها الى حد أن تصبح منقطعة الصلة والنسب انقطاعاً تاماً عن مفاخر ماضيها المجيد . ولا يخفى أن الشعوب المتقدمة ترث عن الشعوب المتأخرة مزاياها وفضائلها وطبائعها وتقاليدها

واذا قيل ان الدم المصرى الحاضر دم مختلط كان هذا دليلا على انقطاع الصلة بين المصريين الجدد والعنصر المصرى الفرعونى . وعبثاً نحاول البرهنة على وجود هذه الصلة بالاستناد ألى بقاء الصورة المصرية الاصلية type في سكان مصر العليا . فان الصور الشائعة فى روما الآن تتفق من وجوه كثيرة مع الصورة الرومانية القديمة. ولكن هل يكفى هذا وحده الدلالة على ان دماء البطارقة من معاصرى « يوليوس قيصر » و « اوغسطوس » لا تزال تجرى في عروق إيطاليي روما المعاصرين ؟ كلا .

فان الصورة شيء ، والدم الصافى الاصيل شيء آخر . وفى مصر صور وطنية لا تختلف في شيء عن صور الانكليز . فهل يصح ان يقال ان الدم الانكليزى السكسونى يجرى في عروق اصحابها ؟

والدم المختلط تأثير فى المزاج وفي الطبع وفي النفسية العامة . والمثل كفيل بتوضيح هذا الرأى . أترون أن التركى الذى يولد في القاهرة من أم مصرية او متمصرة يشبه في مزاجه وفي طبعه ونفسيته التركى الذى يولد فى الاستانة من أب

وام تركيين ؟ أترون ان المصرى الذى يولد فى اسيوط من أم (صعيدية) وأب مغربى متمصر، يشبه فى مزاجه وفي طبعه ونفسيته وطبيعة ادراكه المصرى الذى يولد من أب وام مصريين ؟

لا شك في ان اختلاط الدم يوجد الفوارق . على ان للجماعة المصرية مزاجاً يختلف عن مزاج الفرد المصرى .وهذا يفسره قولنا ان في المصريين وحدة عنصرية ولكن دماءهم غير صافية . وللمزاج صلة مباشرة بالدم. اما الطبع فانه قابل للتربية والتكوين . ولقد اظهر علم التربية الحديث المعجزات في هذا الصدد.ألا انه لا بد مع ذلك من الاستعداد

ويثبت العلم ان الدم ينتقل بصفاته ومزاياه وعيوبه . وانتم تعلمون ولاشك أنه يفد على مصر دائماً جماهير مغلوبة على امرها

وتمتاز هذه العناصر الذليلة على غيرها من المهاجرين الى مصر بانها مسلمة. وهو مما يساعدها على التزوج من المصريين فتورثهم أمزجتها وطبائعها ونفسياتها . هذا الى ماورثه المصريون عن أسلافهم فى طور الانحطاط والاضطهاد الماضى . كذلك تراكمت الظلمات فوق الظلمات في حقبة طويلة من تاريخ مصر . فخرج العنصر المصرى وفى دمه شتيت من طبائع وصفات وحالات نفسية ما كانت لتكون فيه لولا خلطته بشتى المهاجرين الاذلاء . وزد الى ذلك ان الدم المصرى افسدته أيضا عصور الحكم الاوتوقراطي . فلا تعجبوا اذا قلنا ان المصريين يحتاجون الى وقت طويل جدا لكي تتكون منهم امة متصفة بكل صفات الامم الراقية ومزاياها .

ومن الاكاذيب المتفق عليها في هذا البلد ادعاء البعض ان المصريين المعاصرين لاينقصهم غير التعليم الراقى لكي يباروا الاوربيين المعاصرين فى ميدان الحضارة. كأن التمدين طريقة تعلم فى الكتب وان نقل امة من حالة تأخر الى حالة حضارة راقية مما يلقن بالدراسة في المعاهد العلمية . ولو كان الامر كذلك لكان لمصر من ابنائها خريجى جامعات اوروبا غنية عن الاستعانه بالاجانب .

ولو كان التعليم المدرسى وحده يخلق حضارة لكانت اليابان ارقى مدنية

وامي ثقافة من المانيا أو انكلترا او فرنسا . ولكن هي مزايا العنصر وغرائزه وملكاته وما أوتي من نشاط ومقدرة على الابداع وتأثير مناخة وموارده الطبيعية الصناعية واختباراية التقليدية والمكتسبة واذواقه الفنية ونظامه السياسى والاقتصادى وصفات المجتمع الذى يعيش فيه ، الى آخر ماهنالك مما لاينبغى اغفاله .

ان المدنيات تتفاوت، فهى درجات . أترون ان فى مقدور اليونانيين الجدد ان يعيدوا الى بلادهم مثل حضارة « بيريكليس »؟ كلا . ذلك لان مزايا دمهم الاصيل وفضائله صارت مفقودة بتأثير الخلطة بالعناصر الاخرى . هذا على فرض ان حضارة « بيريكليس » تصلح لعصرنا الذى يسير بالكهرباء ويحلق في الهواء ويتفاهم بسلك و بلا سلك !

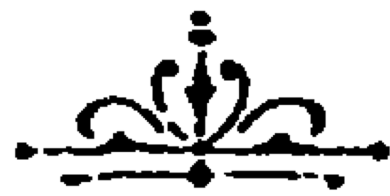
وغرضنا ان نبرهن على تجرد الدم المصرى من خصائصه الاولى ومزاياه . وان العنصر الذى يعيش الآن فى وادى النيل عنصر حديث لاصلة له البتة بالعنصر المصرى القديم . فقد كان من خصائص الدم المصرى الفرعونى النشاط والاقدام، أى أنه كان مستعمرا ومحاربا وفاتحا ، ولا علاقة لذلك بالنظام السياسى. فقد كانت الدولة الفرنسية لعهد الملوك تفتح البلدان بجنود سويسريه . ذلك لان السويسرى نشيط ومحارب . هذه ميزة الدم الذى يجرى في عروقه منذ أزمنة طويلة.

ولهذه الميزة قيمة كبيرة فى دائرة السياسة الخارجية . فقد كان المستر لويد جورج عقب الهدنه يفخر بمزايا الشعب البريطانى و يشير الى الشعوب الشرقية ومن بينها مصر قائلا« ان حكومته لاتستطيع أن تعترف بحقوق سياسية الا للشعوب الجديرة بالحياة « Viable » . وإن الشعب غير المحارب لايستأهل الاعتراف بحقه في تدبير شئونه الخارجية . لذلك حرمت مصر والعراق وفلسطين والهند من تدبير . شئونها الخارجية بنفسها رأساً مع الدول، و إنما ينوب عنها في ذلك سفراء بريطانيا وقناصلها من بعد موافقه الوزارة البريطانية .

ولا يذهب العجب من عنصر بشرى قديم كان محاربا وفاتحاً ثم فقدت مزاياه في احفاده . فهذا طور لا يكاد يسلم منه عنصر بشرى تقريبا . واذكر انى حين قرأت رواية « لاسومولار » لاميل زولا لبثت وقتاً طويلا فى دهشة واستغراب لاستحالة بطل الرواية من عامل نشيط مجازف رضى الخلق ، الى شخص بليد سكير جافي الطباع لمجرد انه أصيب برض فى ساقه

ولكن تبين لى فيما بعد أن ليس في الامر مايدهش وأنه جد طبيعى . وان ذلك التطور تابع لقانون عالى وانه من سنن الطبيعة التى لا تقبل التبديل.

يتبع — عبد الحميد سالم



عن أبى العلاء المعرى

• • •

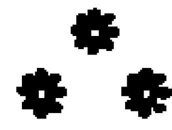
ان هالت أفواهكم فقلوبكم — ونفوسكم دون الحقوق مهلله
آليت ما توراتكم بمنيرة — ان ألفيت الكميت محلله
لا تأمنوا برق الغمام فانما — تلك السيوف من القضاء مسلله
قال افتكار فى الحوادث صادق — جعل الصعاب من الحذار مذلله
هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت — ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنان أهل الارض ، ذو عقل بلا — دين ، وآخر دين لا عقل له

وقال :

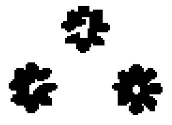
ان كان من فعل الكبائر مجبراً — فعقابه ظلم على من يفعل
والله اذ خلق المعادن عالم — أن الحداد البيض منها تجعل
سفك الدماء بهارجال أعصموا — بالنيل تلجم بالجديد وتنعل
لا تمس نار فى الضمير فراشة — فضغائن الصدر الحريق المشعل

بين الصحف والمجلات

في الشرق والغرب



النقد خير وسيلة لتعويد الفكر على الابتكار ، بل هو طريق الاستقلال الحقيقي . « والعصور» مع احترامها لرأى زميلاتها ، لاتجد محيصا عن ابداء رأيها ورأى قرائها فى الموضوعات التى تشغل العالمين الشرقى والغربى ، حبا فى الفائدة وابتغاء الاصلاح ،،



١ — الهلال : مصر

(ا) مرور مائة سنة على معركة نوارين ـ سنة ١٨٢٧ :

سننشر فى الجزء التالى من العصور مقالا مفصلا عن معركة نفارين بقلم « مؤرخ » درس الموضوع درسا وافياً . غير ان هذا لا يمنعنا عن أن نبدى ملاحظات على مقال زميلتنا الهلال :

اراد الكاتب أن يدافع عن نية الاميرال كودرنجتون وحاول أن يثبت أن اساطيل الاحلاف لم تكن تريد قتالا ولم يكن لها غرض فى الفتك بالاسطول المصرى العثمانى . فبعد ان شرح مسألة المدنة التى وقعت بين ابراهيم باشا و بين قائد الاساطيل المتحالفة قال « وفى غضون هذه الهدنة أمد محمد على باشا إبنه إبراهيم باشا بعمارة جديدة ، فلم يرفض كودرنجتون دخولها فى الخليج ـ نوارين ـ وانضمامها الى الاسطول المصرى . فلو كانت نية كودرنجتون الحرب لمنع هذه العمارة من الانضمام الى الاسطول المصرى » .

والكاتب هنا مصيب في شيء واحد . فالحقيقة أن كودرنجتون لم تكن نيته الحرب ، بل الفتك والغدر بلا اعلان حرب ولاقطع علاقات سياسية . على أن كودرنجتون لومنع المدد المصرى عن دخول الخليج لكان احسن نيةمن السماح له بالدخول . لأنه بحصره داخل الخليج يستطيع أن يقضى عليها بسهولة . اما اذا ترك المدد فى عرض البحر،فانه بذلك يعرض الاساطيل المتحدة لخطر داهم عند بدء المعركة، ويضطر الى تقسيم قواته ، مما يقعده عن الفتك التام بالاسطول المصرى .

والدليل المادى على هذا أن الاميرال كودرنجتون بعد ان ادخل الاسطول المصرى في الخليج لم يسمح لابراهيم باشا بالخروج ثانية ليؤدب عصاة بتراس الذين كسروا شروط الهدنة بالفعل . لأنه لوسمح بهذا ضاعت عليه فرصة الغدر والخيانة . والحقيقة ان السلطان عبد الحميد قد قال قولة حق تنطبق على سياسة اوروبا ازاء تركيا والاسلام انطباقا تاما في ذلك الحين . فقد قال « إن أوروبا تحارب بنا حربا دينية فى قالب سياسى» . ولقد كان هذا صحيحا ولو فى أوائل القرن التاسع عشر على الاقل .

(ب) الخوف : ماهو وما الغاية منه ؟

قال كاتب هذا المقال « إن الخوف احساس اشبه بالجنون منه بالعقل » — وليس الخوف احساساً بل هو حالة نفسية ، أثر الوهم فيها أكثر من أثر الحقيقة.

كذلك استعمل الكاتب اصطلاح « نفسلوجيا» كما لاحظت مرات أن الهلال تستعمل اصطلاح مصرلوجيا ، الاول نظير Psychology والثانى نظير Egyptology ولا أدرى كيف يمكن الجمع بين مقطع اصله من لغة سامية وآخر من لغة آرية . فكلمة نفس اصلها عبرانى ولوجيا اغريقى ، لا اعلم فيما أعلم سببا يجيز هذا الخلط الشنيع . كما انى لاأدرى لماذا لانستعمل اصطلاح بسيكولوجيا معربا ؟ حقا لقد بلغنا الى حد لايحسن السكوت عليه ، بل يجب أن نرجع الى القواعدالتى اتبعها العرب في التعريب ونتخذها اساسا لتعريب الاسماء والمصطلحات ، وهي بين أيدينا وفى المستطاع تطبيقها بسهولة،لنقضى على هذه الفوضى التي ليس لها من آخر .

كذلك لاحظت على الكاتب أنه ينسب الى الصفات النفسيه نعوت الذوات المتحيزة ، فيقول « احساس مجنون » مكررا لهذا الاستعمال مرات عديدة. وهذا مالا تجيزه اللغة ولاجرت عليه اساليب العرب . بل نقول إحساس جنونى ، نسبة الى النعت نفسه • لاننا بالطريقة الاولى نشوش سبيل الفهم ونضيف الى الصفات النفيسة المعنوية ، نعوتا تخرجها عن طبيعتها الواقعة . ولقد جرى كثير من الكتاب على هذه الطريقة ، ونراها من أخطر الاشياء على الاساليب العربية المنتقاه .

• • •

(ج) الثقافة والحضارة : قيمة الثقافة فى انشاء الحضارة وتلوينها : بقلم سلامه موسى •

اعتقد أن الثقافة ، وهي التنوير الذهنى ، يقابلها فى نظام الاشياء الانسانية مانسميه المدنية ، وهي الارتقاء المادى • ويجمع بين الاثنين مانسميه الحضارة. فالحضارة اذن اسم جامع لمقولين هما الثقافة والمدنية • وفي هذا التقسيم تدرج كامل لتحديد المقولات المتخالطة • فالثقافة والحضارة ، وقد اراد الكاتب أن يضع الحضارة ، في موضع المدنية ، مختلفتان في المعقول ولكنهما لاتتناظران ، بل ان تضايفها مكمل لمعنى الحضارة •

وانتقل الكاتب بعد هذا الى القول بأن عصر المأمون العباسى قد بدأت تتحجر فيه على ــ حد اصطلاحه ــ صورة المدنية التى اقتبسها العرب من ثقافة الرومان والاغريق والمصريين • والحقيقة ان هذه المدنيات كانت قد استحجرت بالفعل قبل ان يظهر الاسلام ــ لاالعرب ــ بمدنيته المعروفة • ولم يقم الاسلام ويهب تلك الهبة الكبرى الا على انقاض ما استحجر من المدنيات التى سبقته ونحن مع اعتقادنا بان مدنية الاسلام قد استحجرت وشيكا ، فانا لانوافق الكاتب على رأيه فى السبب الذى من اجله استحجرت مدنية الاسلام • لان نفس الاسباب التى يعزو اليها استحجار هذه المدنية قد قامت بذاتها في أوروبا خلال القرون الوسطى ، فاستطاع أهل أوروبا ان ينفضوا عنهم غبارها . في حين ان الامم

الاسلامية لم تستطع هذا . اذن يجب أن نعتقد أن السبب بعيد عما يتوهم الكاتب ، ويجب علينا أن نفتش عنه في اعماق أبعد بكثير من الاعماق التي وصل اليها الاستاذ في بحثه .

كذلك يقول بان « الثقافة جسم قابل للنمو ، ولكنه يموت ويتحجر في الحضارة » وهنا يفتح لنا مجال كبير للمناقشة . فلا يصح لغوياً ولا علمياً أن تقول إن الثقافة جسم حي قابل للنمو . اما لغوياً فلأن الثقافة « مفهوم » لا يصح ان ينعت بنعوت الاشياء ذوات الاحياز . واما علمياً فلأن القول بان « مفهوم » الثقافة جسم حي قابل للنمو فيه كثير من الغموض الذي يأباه العلم . والممكن علمياً ولغوياً هو ان نشبه الثقافة بجسم حي ينمو ويرتقي ، لا أن تقول إن الثقافة جسم حي قابل للنمو ، والا لجاز للفيلسوف هربرت سبنسر مثلا ان يقول فيما كتب في الاجتماع ان الكائن الاجتماعي Social organism هو فرد Individual عند ما أراد أن يطبق حالة المجموع وتكوينه على حالات الافراد وتكوينهم ، غير أن تكون عقليته العلمية أبى عليه هذا ، رغم أنه فيلسوف ، يجوز له مالا يجوز للعلماء تسامحاً ، فقال بان الكائن الاجتماعي يمكن تشبيهه بالفرد ، ومن هنا جرى على قياسه العلمي

ثم يقول لدى الكلام في تعليل السبب الذي من أجله استحجرت مدنية العرب كما يدعي : « وهذه الثقافة الاغريقية كانت احدى العلل في انحطاط العرب عقب عصر المأمون مباشرة » ونحن نتساءل كيف يمكن ان تكون الثقافة التي دارت عليها رحى النهضة الاوروبية في القرن الخامس عشر هي بذاتها الثقافة التي كانت قد استحجرت في الشرق وبين يدي العرب ؟ وكيف يمكن أن ثقافة تستحجر في ناحية ثم تكون مرنة لينة في ناحية اخرى . ؟ أما السبب الذي جعل هذه الثقافة تظهر بمظهر الاستحجار عند العرب ، فهو ان الثقافة التي نقلت اليهم لم تكن ثقافة اغريقية صحيحة ، بل كانت صورة من النصرانية تلونت بلون اغريقي من طريق اليعاقبة والنساطرة الذين بشروا بمعتقداتهم النصرانية في الشرق متخذين من الفلسفة اليونانية سبيلا الى التبشير الديني . هذا هو السبب الحقيقي

أما التصوف فقد انتقل الى العرب عن مدرسة الاسكندرية والراجح إنها النبع الذى استسق منه العالم كل ما انتشر فيه من صور التصوف والباطنية

. . .

(د) المسرح ومستقبله : وما هو حظنا منه ؟

أنحى كاتب هذا المقال على علامة سيئة تظهر فى المسرح المصرى ، وهى تتلخص فى أن طائفة من المسارح نزلت الى ذوق العامة بل الصعاليك بدلا من أن ترفعهم . انها وهذا الكلام صحيح . ولكن لماذا ينصرف على المسرح وحده؟ ولماذا لا يقال في ٩٩ فى المائة من الصحف والمجلات والسياسيين ومجالسنا التشريعية وعلمائنا ومدرسينا ووزرائنا ، بل ومضحكينا وذوى المجانة الى آخر السلسلة التى يتكون منها طبقات المجتمع فى مصر والشرق ؟

***

٢ — مجلة التربية والتعليم : مؤسسها ساطع بك الحصرى : تصدر فى بغداد: صدر منها جزآن ، حسنة الطبع والورق وتنحصر غايتها فى اصلاح طرق التربية والتعليم

. . .

تطور علم النفس : نظرة إجمالية

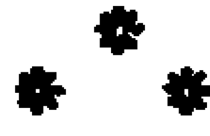
دعونا مراراً عديدة الى تكوين اكاديمى للترجمة والتعريب ، لا يقتصر اعضاؤها على امة دون أمة من اهل العربية ، بل قلنا بان الواجب يدعو الى تكوين أكاديمى مختلط للترجمة والتعريب يرجع اليها ويكون لها الفصل فى تقرير المصطلحات التى يجرى عليها الكتاب والمترجمون والمعلمون والاساتذة ، وان تكون مصر مقرها لتوسطها من حيث الموقع الجغرافي بين البلدان الشرقية

ولم اكد اطلع على مقال « تطور علم النفس » فى مجلة التربية والتعليم حتى زدت اقتناعاً بوجوب تكوين هذه الاكاديمى . فقد ترجم كاتب المقال اصطلاح Objective شيحانياً ، وترجمنا فى مصر باصطلاح موضوعى وترجم Subjective شخصانياً وترجمناها ذاتياً وفي الترجمة التى جرينا عليها مقابلة علمية دقيقة ، اذ يدل « الموضوع والذات » على مقابلة بين المدركات تسهل الفهم على الطالب والشرح على الاستاذ

ووضع اصطلاح « سنن العلية » ترجمة لاصطلاح Causality والحقيقة أن لا سنن للعلية ، بل للعلية أوجه فقط كما أثبت ذلك الاستاذ « بيتى كروزيار » فى كتابه « المدنية والارتقاء » هذا فضلا عن أننا وضعنا ترجمة « سببية » لهذا الاصطلاح ونعتقد انها أدل على المعنى المقصود . لان العلية تعود بالذهن حتما الى العلل الغائية Final causes والفرق بين هذه وبين السببيات Causalities التى هى عبارة عن ترابط اللواحق والسوابق الطبيعية ، كبير شاسع. كذلك اذا جرينا على ترجمة Causality بكلمة « علية » لزمنا أن نعثر على اصطلاح آخر نترجم به اصطلاح Final Causes. وترجم كلمة Determinism باصطلاح « المعينية » ونرى ان ترجمتها بكلمة « قصدية » اكثر دقة ، لان التعيين يدل على شيء محدود تماماً وهذه درجة لم تبلغ اليها مباحث الفلسفة والنفس بعد

وجرى الكاتب بعد ذلك على نهج في الترجمة لا يمكن أن تقبله أساليب التعريب العربية . فقال في فسيولوجيا Physiology « فسلجة » ويريد بطبيعة الحال أن يجرى على هذه القاعدة فيقول فى علم النفس بسيكولوجيا، بسلجه ، وفى الجيولوجيا جولجه ، وفى التشريح Anatomy أنتمه وفى النبات Botany بتننه وفي الحيوان Zoology زوبله وهكذا . . . ولا ندرى كيف يمكن ان تقبل العربية مثل هذه السرطانة الغريبة . ولا ندرى أيضاً بجانب هذا لماذا لا نجرى على القواعد التى انتهجها العرب في التعريب ؟ فقالوا قاطيغورياس وانااليطيقا وفيزيقا . حقيقة أنهم قالوا فلسفة وجرت عليها العربية . ولكن السبب فى هذا أنهم وجدوا لها مفرداً فقالوا فيلسوف ، وجمعا فقالوا فلاسفة. ولكن ماذا نقول في « فسلجة » مثلا. فاذا قلنا فى الجمع « فسالجة » فماذا نقول في المفرد ؟ هل نقول « فيسلوج » أم « فسيلوج » أم « فسلجى » !! اليس في هذا فتح لباب تلوح منه اللغة العربية ألهية يلهو بها الكتاب مجوناً ؟ ولماذا لا نقول فسيولوجيا وفسيولوجيون وعالم فسيولوجى والمدلولات مفهومة بالشرح مروقة بأصولها اللغوية

وقال في ترجمة Evolutional Psycholog « النفسيات التطورية » وقال في Genetic Psychology تكون النفسيات، وحقيقتها « علم النفس النشوئى » و« علم النفس التكوينى» (ص ٨٣ جزء ثان)وقال في Behaviour «مسلك تدقيق الاتجاهات » — ولا أدرى لماذا لا نقول «سلوك» وكفى، ثم قال« ص٨٤ » « وبهذه الصور المختلفة، تولدت ابحاث «النفسيات الفزيلوية» Psychophysique من جهة ، و« النفسيات المسلجيه » Psychophysiologique ولماذا لا نقول «علم النفس الطبيعى وعلم النفس الفزيولوجى » كما أنه جرى في ترجمة Abnormal وnormal على أسوياء وغير أسوياء وحقيقتها الافراد «القياسيون واللاقياسيون » ، على الرغم من أن هذا الاصطلاح لم يتحدد في كل لغات العالم تحديدا تاما يحتمل المعنى الذى أراده الكاتب .



٣ — المقتطف — مصر

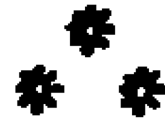
من مقال بعنوان «أسرار الحياة على لوح الميكروسكوب »

المقال طلى حسن الاسلوب كما كثر ماتنشر المقتطف ، مدرستنا التى أسسها استاذنا الكبير الدكتور صروف رحمه الله .

غير أن لنا عليها بعض استدراكات وقعت في ترجمة بعض كلمات. فقد ذكر صديقنا المحرر الفاضل كلمة «البلن» Pollen أو Pollen-grain (ص١٣٣) ولا أرى حاجة الى تعريب الكلمة لانها أولا ليست من الاعلام التى تعود الى الاصول اللاتينية أو الاغريقية ، وعلى هذا يجب ترجمتها ، وقد وضعنا لها كلمة«لقح» وفى القرآن « وأرسلنا الرياح لواقح» — أى تحمل «لقح »زهرة أو شجرة الى أخرى . وكان المترجمون قد جروا في ترجمة هـذه الكلمة باصطلاح « طلع »والحقيقة أن الطلع خاص بالنخيل وحده، وقد جاء في القرآن«والنخل باسقات لها طلع نضيد». واستحسن أن تطلق كلمة « اللقح » على كل أنواع الغبرة النباتيه بما فيها النخل تحديداً لاستعمال المصطلحات العلميه .

وجاء فى (ص ١٣٤) مايلى : « ففى نواة أحد الحيوانات التى من نوع البروتوزوى — والحيوان منها خلية واحدة — نواة أخرى صغيرة »

وقد جرينا فى ترجمة هذه اللفظة بكلمة «نوى» بصيغة التصغير مع ضم النون وفتح الواو — لأننا ما دمنا قد صرفنا على لفظة Nucleus كلمة نواة فلا نستطيع أن نصرفها على Neocleolus بل نصغرها على نفس القاعدة التى جرى عليها علماء أوروبا واضعوا هذه العلوم في العصر الحديثة .



٤ — الحديث : حلب سوريا

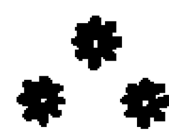
صدر العدد الممتاز من مجلة الحديث التى يصدرها فى حلب الشهباء صديقنا الشاب الاديب سامى الكيالى. والحديث مجلة حديثة بكل ما تحتمل هذه الكلمة من المعانى. فهى حديثة في آرائها وفى نهجها وفى أساليبها التى يجتهد الاستاذ سامى في أن ينوعها بقدر ما تسمح به الظروف التى تحيط بالحديث في موطنها البعيد عن الاحتكاك بالحركة الادبية والعلمية فى مراكزها الحقيقيـة . وقد قصرت الحديث أبحاثها على الآداب والتاريخ والعـلوم الاجتماعيـة . وصـدر الاستاذ الكيالى العدد الممتاز بهذه الكلمة «اذا استطاع انسان أن يقنعنى بأن فكرى غير قيم، أو أن عملى غير صالح، فإنى أغير أسلوب تفكيرى وطريق عملى. ذلك لانى انشد الحقيقة التى هى سـبيل الصلاح والخير» . والكلمة مأخوذة عن تأملات الامبراطور الرومانى والفيلسوف الرواقى المعروف مارك أوريل أنطونين ، وتليها كلمة أخرى هى « جاهر بالحقائق : واقترح للناس ما ينفعهم وأيقن بعد ذلك أنهم سيضطهدونك » . والكلمة الاخيرة تعبر أحسن تعبير عن منزع الحديث ومتجه صاحبه الاديب

ولقد بدأت صلتى بالحديث عن طريق خطاب تفضل الاستاذ الكيالى أن يبعث به الى وكنت لا أزال فى عزلتى الجميلة في ريف مصر بشمال الدلتا منقطعاً عن جلبة الصحافة وحياة المدن . ولقد رأيت من طريق هذه الصلة كيف تتطور الحركة الادبية فى الشرق وكيف تنمو بجهد الشباب الذى يبذل دمه سخياً به في سبيل

المجدوالمظمة.رأيت كيف تغلت حركة الآداب من يدالشيوخ لتكون في يدالشباب المتلىء حرارة وقوة ، وكيف تشق طريقاً جديداً وتفتح سبيلا بكرا

ولما وصلنى العدد الاخير ، وهو عدد الحديث الممتاز ، عاودتنى هذه الفكرة عند ما رأيت في الحديث من الميزات الجديدة في بردها الاخير ماكانت تتضاءل أمامه جهود الصحافة والصحفيين منذ عهد قريب . واذا أضفت الى هذا أن الحديث تظهر فى حلب وفي وسط لم يستسغ بعد معنى العلم وحرية الفكر أمكنك أن تعرف الى أى حد وصل جهد الاستاذ الاديب صاحبها لتكون من الطراز الاول بين المجلات العربية

وأخص ما امتازت به « الحديث » عملها على تحرير الافكار من طريق النقد الحر وهو المبدأ الاوحد الذى لا نجد غيره سبيلا للاستقلال فكراً وعملا .والعصور تهنىء زميلتها بما وصلت اليه من رقى وبما ينتظر لها من ارتقاء على طول السنين والاعوام



٥ — السياسة اليومية : مصر — ٢٢-٢-١٩٢٨

من مقال بعوان : الحياة العربية وأثرها فى الشعر أيام بنى أميه:

هـذا المقال عبارة عن تلخيص لثالث المحاضرات التى القاها الدكتور طه حسين فى الموضوع الذى يحدده عنوان المقال . ولقد اتضح لى وانا أقرأ هـذا التلخيص المقتضب أن المحاضرة برمتها منقولة نقلا سقيما عن احد المستشرقين الذين لم يدرسوا الموضوع درساً وافرا .

لما نشر الاستاذ طه حسين كتابه فى الشعر الجاهلى ذكرنى الكتاب ببحثين فى الموضوع احداهما نشرته السيدة مسز بلنت والثانى اطلعنى عليه صديقى المرحوم الدكتور صروف كتبه الاستاذ المستشرق مرجوليوث فى بحث الشعر الجاهلى ونحى فيه منحى الدكتور طه عينه ، بل وزاد اليه بحثاً مستفيضاً فى معانى الالفاظ

التي أستعملت في الشعر الجاهلي والالفاظ التي وردت في القرآن مضيفا الى ذلك تحديد الالفاظ التي كانت تستعملها القبائل كل قبيلة بذاتها. وأردت حين نشر كتاب الشعر الجاهلي أن أمضي في مقالة أتناول بها بحث الاستاذ مرجوليوث وبحث طه حسين، غير ان المرحوم الدكتور صروف منعني عن هذا وأخذ الكتاب مني وكان هذا آخر عهدي بالموضوع.

على ان نشر هذا التلخيص قد اعاد لى هذه الذكرى واعاد معها فكرة أن كتاب الشعر الجاهلي قد اعتمد فيه الاستاذ على مستشرق أو مستشرقين ممن لم يدرسوا الموضوع درسا وافيا، فجاء على الصورة التي نشر بها في اللغة العربية. على انى لا أنكر أن في الكتاب استنتاجات ذهب بها مؤلفه مذهب التطرف وعدم الاحتياط. ولهذا سبب تكوينى في ذهن طه حسين لا يتيسر له أن ينفك عنه بسهولة. فقد لاحظنا أن الرجال الذين بدأت تربيتهم بين جدران الازهر ثم احتكوا من بعد ذلك بمبادىء مقتطعة من الافكار الاوروبية الحديثة، كثيرا ما ينزعون في الاستنتاج منازع التطرف الشديد. والسبب في هذا أن جمود الطريقة التعليمية التي ينشؤون في كنفها بادىء ذى بدء تؤثر في عقليتهم تأثيرا يجعلهم ينزعون منزع التطرف في الاستنتاج عند أقل احتكاك يستشمون به شيئا من ريح الحرية الفكرية، مفهومة فهما سقيماً.

على ان لدينا على هذه النظرية ادلة مادية يمكننا أن نرجع فيها الى ما قال الاستاذ في محاضراته. فقد حاول مثلا أن يثبت أن العرب فهموا معنى الارستقراطية والديمقراطية وأن هجرة قبائل العرب الى الشام قد لونتهم بعد أربعين سنة فقط بلون جديد (تأقلموا) وتطبعوا بطباع بكر لم تكن معروفة فيهم قبل عهد الفتح الاسلامى. في حين أن هذا القول يأباه علم البيولوجيا وكل فروع العلوم النشوئية الحديثة، فضلا عن ان صور الادب التي ظهرت في الشام والعراق ومصر وشمال أفريقية واسبانيا تدل على أن العرب قد لبثوا وسيلبثون ملازمين لصورهم الاصلية وطبائعهم الرئيسية التي ظهرت في آدابهم وعلومهم ومنازعهم التفكيرية

أزمانا طويلة ، فضلا عن الاحقاب التى قضوها خارج جزيرتهم من قبل هذا العصر .

ولديك دليل آخر لايحتاج الى مناقشة يثبت جميع ماذهبنا اليه . فقد جاء في سياق تلخيص المحاضرة مايلي

أولا — «ولكن شجرت بين الفريقين اليمانيين والقيسيين معركة (مرجرات) انتصر فيها اليمانيون على خصومهم »

ثانياً — « هذه اليمانية التى كانت تستعمر الشام لم تكن عربية في لغتها ولهجتها ، بل لم تكن عربية فى دينها ايضا . بل كانت تعتنق الوثنية»

اما القول الاول فيدل على ان الاستاذ يعتمد على مستشرقين لايزالون حتي اليوم غير عارفين بالنطق العربى للاماكن التى وقعت فيها المارك ، فقال الأستاذ مجاراة لهم «معركة مرجرات» . والحقيقة ان اسمها «وقعة « مرج راهط» وهو موضع يعرفه المبتدئون فى درس تاريخ الاسلام . وقد كتب فى هذه الموقعة العلامة دوزى في كتابه اسبانيا العربية فى اكثر من موضع (راجع ص ٧٥ ، ٧٦ ، ١١٥) وذكر شيئا عن زفر بن الحارث وهو ممن كان لهم علاقة كبرى بالموقعة ، بل ترجم شيئا من اشعاره التى يذكر بها هذه الموقعة ولاازال اذكر بضعة أبيات لا أرى بأسا من إيرادها هنا استشهاداً . قال زفر يذكر هزيمة راهط وفراره وترك صاحبيه في المعركة .

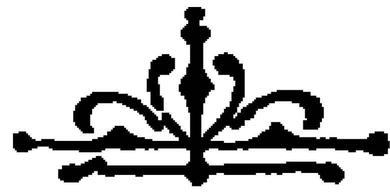
لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ... لمروان صدعا بيننا متنائياً
فلم تر منى زلة قبل هذه ... فرارى وتركى صاحبي ورائيا
انترك كلباً لم تنلها رماحنا ... وتذهب قتلى راهط وهي ماهيا
وقد ينبت المرعي على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا
فلا صلح حتى تدحس الخيل بالقنا ... و تثأر من فيتان كلب نسائيا

فلو ان الاستاذ لم يكن قد نقل عن مستشرق نقلا سقيما إذن لقال « مرج راهط » بدل « مرجرات » كما يكتبها المستشرقون .

وأما القول الثاني فيدل على أنه لم يحط بتاريخ الميثولوجيا . لأن لكل أمة من الامم ميثولوجيتها الخاصة بها ، ولم يكن هناك ميثولوجيا عامة ينسب اليها دين يقال له الدين الوثني كما تقول الدين المحمدي والبوذي والنصراني وهلم جراء ، ولهذا تطرف الاستاذ في الإستنتاج نازعاً منزعه التفريطي الغريب فقال أن الوثنية دين لا انها اسم مرادف للميثولوجيا التي تختص كل امة بصورة خاصة منها .

وفي الواقع تستطيع أن تقول إن الوثنية طور من أطوار الفكر البشري له عصوره وصوره . فكما تقول في نشوء الانسان الطبيعي «العصر الحجري والبرونزي» وهكذا تقول في نشوئه الفكري « العصر الوثني والعصر التوحيدي » وقس على ذلك. فالوثنية اذن ليست ديناً ، بل هي صورة فكرية مرت بها كل سلالة من سلالات النوع البشري .

ولا ندري متى نصل الى غاية عندها تتحدد المصطلحات وتوضع الكلمات في مواضعها التي لا توضع في غيرها . وأظن أن هذا مرهون على ذيوع الاسلوب العلمي لانه يعود العقل على حب الضبط والتحديد. على أنه اسلوب لم يحاول أدباؤنا حتى اليوم ان يطبقوه على صور الادب التي ذاعت في نواحي الشرق حتى الآن .



٥م٩

فهرست

تابع الفهرست

Ancora Imparo



العُصُور

٢٨ - ٩ - ٥٨

العدد ٧ مجلد ٢ شعاع الحكمة يجذبنا اليك مارس ١٩٢٨

الاديان

وهل تصبح شرائع أدبية

لما التقى السير أرثر كيث رئيس المجمع العلمى البريطانى خطبته الاخيرة فى مذهب داروين، وقام الاسقف « بارنز » الانجليزى يؤيد من نظرية العالم الكبير ويحاول تطبيق وجهة النظر العلمية على المرامى التى يرمى اليها الدين ، كان أهم غرض رمى اليه هو تعميم فكرته على كل الاديان ، لا على دين دون دين . فكأنه بذلك يعتقد أن الاديان أساليب مختلفة ترمى جميعها الى غرض واحد . وهذه الوحدة العظمى التى بشر بها الاسقف « بارنز » فى خطابه الذى أيد به السير « كيث » وفي مقالاته العديدة التى نشرها دفاعا عن وجهة نظره ، لا يقتصر أثرها على تغيير القاعدة النظرية التى ترتكز عليها الاديان ، بل تتناول مسائل عالمية سعى الى تحقيقها الفلاسفة والمصلحون منذ أقدم الأزمان .

كانت الأديان في العصور القديمة ، وحتى أواخر القرن التاسع عشرة سبباً فى الخلافات العنصرية التى أدت الى كثير من الحروب التى صبغت الارض بالدماء

وثلت العروش الآمنة وهبطت بكثير من الملوك من سماء عليائهم الى حضيض الذلة والانكسار . لهذا ظلت الاديان طوال العصور الأولى مبدأ للتنازع المذهبي وتعدت الى التناحر العنصري، ولم ترم يوماً الى تكوين وحدة اعتقادية تنتهي معها فظائع الحروب والخلافات الطائفية . وكان السبب في هذا اعتقاد أهل كل دين أن دينهم وحده هو الحق وان ماعداه باطل وانه الطريق الأوحد الى الخلاص الاخروي، فكأن الحروب التي قامت على أساس الخلاف الديني قد رجعت في كل الحالات الى منازع نفسية صرفة أولها شدة الاقتناع بان الدين الذي تعتنقه كل جماعة هو وحده الحق ، وأن الحق يجب أن تكون له السيادة في الدنيا دون الباطل .

من هنا ترى أن الاديان اتخذت كمبادىء أولية لا كوسائل ترمي الى أغراض معينة . أو بعبارة أخرى أن الوسيلة اتخذت قاعدة فكان من وراء ذلك أن تقوم الحروب ويعبث من ناحيته المتعد المذهبي بأخص الصفات والحقوق البشرية

ولقد بحث كثير من المصلحين في السبيل التي يمكن أن يقضى بها على هذه النزعة التعصبية الغريبة وفتشوا كثيرا عن الطريق التي تهدى الانسانية الى الصلاح والخير . فكثرت المذاهب وتباينت الوسائل ، فكان من ذلك أن انتشرت معتقدات ومذاهب أضحت بدورها سبباً أعظم للتفريق بين العناصر الانسانية ورمت بالبشر مرة أخرى في أحضان الحروب والثورات على مدى الازمان

ولو أنهم رجعوا قليلا الى هذه الفكرة البسيطة التي رمى اليها الاسقف « بارنز » اليوم والتي يؤيدها فيه كثير من رجالات الكنيسة الانجليزية ، فكرة أن الاديان وسائل ترمي الى غرض واحد ، وأنها ليست في ذاتها غايات تطلب لذاتها ، واستطاعوا أن يقنعوا الناس بأن هذه الفكرة حق وصدق ، اذن لوفروا على الانسانية كثيراً من متاعبها ، واذن لبلغوا من النشوء الفكري حداً كان من الممكن أن تسير بعده السلالات البشرية في طريق أسلم بكثير من الطرق التي سلكتها حتى الآن .

على أن خطى التطور الفكري ما كانت لتفسح لمثل هذه الفكرات مجال الذيوع . وانما هي نواميس التدرج الفكري التي أوصلتنا الى الغاية التي استطاع

عندها رجال من أمثال « بارنز » أن يبشروا بفكراتهم الجديدة .

* * *

على أن السبب فى أن الانسانية لم تبلغ هذا المبلغ من التطور الاعتقادى بسهوله راجع الى الخلافات الاساسية التى انطوت عليها صور الدين التى ظهرت فى الارض على تتالى الاجيال . فمن الاديان صور دعت الى الخلاص الاخروى ، ومنها ما اتخذ العبادة والزهد سبيلا الى هذه الغاية . ومنها ما اتخذ التأمل وسيلة، ومنها ما نزع الى التسود فى الدنيا فكان شريعة دينية وقانوناً دنيوياً. والى هذه الخلافات الاساسية يرجع السبب فى جزء كبير من الخلافات الدينية التى تناولت المعتقدات كما تناولت الدنيويات .

وعبثاً حاول الكثير من المفكرين أن يقنعوا الناس بان وظيفة الدين تنحصر فى الخلاص الاخروى، لا في تعليل الحوادث الكونية وتنظيم العلاقات الدنيوية التى تتغاير دائما بتغاير الظروف والحالات . غير أن الفكر الانسانى لم يكن أفقه قد اتسع بعد ليسع مثل هـذه المبادىء العليا فتصر دون اللحاق بمن أرادوا أن يسيروا به في سبيل النور والخلاص الحقيقى .

ولقد خطت الانسانية فى سبيل التحرير خطوتين كان لكل منهما آثارها البعيدة فى الادراك العام. أما الاولى فتناولت النظريات و بدأها العلماء فى أواسط القرن الخامس عشر ، وتناولت الثانية العمليات ،و بدأها السياسيون بان فصلوا بين الحكومة والكنيسة . وكان من الضرورى أن تؤدى هاتان الخطوتان الى الفكرة الحديثة التى دعى اليها الاسقف «بارنز» والتى تتخذ وحدة الغاية أساساً تعمل له صور الاديان على اختلاف مناحيها .

* * *

بعد أن نشر العلامة داروين كتابه «أصل الانواع» في أواسط القرن التاسع عشر —١٨٥٩— و بدأت المعركة التى دارت حول الفكرة في الخلق والنشوء تأخذ صورة فاصلة انتهت بانتصار مبدأ النشوء، أخذ العلماء يطبقون هذا المبدأ الاساسى على كل فروع المعرفة وصور الفكر الانسانى. وكان الدين أحد الاشياء التى حاول

العلماء أن يطبقوا عليها مبادىء النشوء ، فاقتحم السبيل عالم اجتماعى دقيق الفكرة بعيد النظر قال بان الدين ضرورة اجتماعية وان وظيفته تنحصر في إحكام العلاقة بين الفرد والمجموع ، وان في العالم الانسانى قوتان احداهما قوة مفرقة تمثلها انانية الفرد وحبه لذاته : والاخرى قوة مؤلفة تستمد مما فوق العقلية الفردية هى قوة الدين التى تجعل خضوع الفرد لحاجات المجموع مستطاعا وتزود الانسان بما يحتاج اليه المجتمع من صفات الغيرية .

وفى معتقدى أن الخطوة التى خطاها «داروين» بالانسانية هي أكبر الخطوات التى خطاها فرد واحد بمجموع الامم خلال كل الازمان التاريخية . ولا يعلم أحد الى أى حد سوف تبلغ بنا هذه الخطوة الكبرى في المستقبل



الله والشر

قل لقوم كرهوا من جهلهم نسبة الشر إلى فعل الآله
انما الله الذى أنشأكم وبنى بالكون ماخار بناه
وهو فوق الكائنات كلها قدراً يبلغ بالكون أناه (١)
أودع العالم قوات مضت قوة تفعل فى أخرى تناه (٢)
فاذا ظلم وعدل حسبما يدرك الناس على غير اكتناه
واذا خير وشر بأثو ر (٣) قوى الكون خفياً مارواه
واذا بالخير شر أثرا لقوى خير بأخرى فى الحياه
فانظروا لاخير في الارض ولا شر بالذات محسات نواه
نظم اودعها حكمته بمتنافى أتلاه (٤) وسباه (٥)
وبها لاشك ظلم قدرا لنظام ماتولاه سواه
واذا ماقيل عنه ظالم عادل فالحكم حكم مانراه
وهو فى عليائه منزه ليس مسئولا بما تقضى يداه

عبد اللطيف ثابت

(١) أناه — غايته (٢) تناه — تنتهى (٣) أثور — جمع أثر (٤) الاتلاه — الحيرة
(٥) السباه — كذراب سكتة تأخذ الانسان .

كارثة نافارين

الاسطول المصرى واوروبا

كان قد مضى أكثر من ثلاث سنين على شبوب الثورة اليونانية الكبرى، وكانت الدولة العثمانية قد عجزت بما فيها من جيوش واساطيل ورجال عن اطفائها، وكان الثوار، يشجعهم بعض شعوب أوروبا، قد شقوا عصا الطاعة وتطاولوا على كرامة الدولة. فمن اعتداء على الآمنين من مواطنيهم المسلمين الى فتك بعمال الدولة العزل وقطعوا طريق البحر على السفن العثمانية وغيرها واحيوا عهد القرصنه فى البحر الابيض المتوسط حتى لقد اصبح السفر فيه من اخطر الاعمال. وأغاروا على شواطىء البلاد الهادئة، وبثوا فكرة الثورة فى جميع جزر هذا البحر. وما تعففوا عن جريمة ولايتورعوا عن كبيرة من الاثم. ضاقت الدولة ذرعا واسقط فى يدها، ولم تدر ماذا تصنع، وكبر عليها سقوط منزلتها فى اعين هؤلاء المتمردين العاصين وتحت اعين محرضيهم من الدول. وعظم على السلطان محموداً ان تفشل دولته ويحبس رجله امام شعب صغير مثل الشعب اليونانى. واخذ يفكر فى من يرد اعتداءهم ويقفهم عند حدهم، فنثر كنانته وعجم اعوادها عودا عودا باحثا عن اصلبها وانفذها واقواها وأشدها ليرمى به هذا الشعب الثائر وتلك الامة المتمردة، فلم يجد الا محمد على باشا، مبيد المماليك وقاهر الوهابيين ومخضع كريد، عش الثورة ووكرها. فولى وجهه شطره ووجه التفاته اليه واوفد اليه نجيب افندى قبوكتخداه (معتمده) بالاستانه باوامر كلها عطف ورعاية، يطلب اليه فى رفق ان يكفيه شر أمة اليونان وان ينقذ شرف الدولة المهان

وصل نجيب افندى الى مصر فى منتصف شهر رجب سنة ١٢٣٩ (مارس سنة ١٨٢٣) وكان محمد على قد بلغه الامر قبل ذلك وسره ان يعهد اليه سلطانه بهذه المهمة الخطيرة رغم دسائس حساده وخصومه فى دار السلطنة ليعرف سلطانه قدر مصر ومبلغ قوتها واستعدادها، وليعلن للعالم عن عظمته و بطولته إكاداً للحساد وتمهيدا لتحقيق ما يجيش فى صدره من المطامع والآمال الكبيرة من انشاء دولة

شامخة ومجد باذخ . فاستقبل نجيب افندى استقبالا حافلا وقرئت الاوامر العلية باعظام واجلال فاذا بها تمنح محمد على سلطة مطلقة في اتخاذ كل مايراه مناسبا لتأديب عصاة شبه جزيرة «مورة» واخضاع جزيرتى ادرا واسبيتزا علاوة على ما كان قد كلف به من قبل من اخضاع جزيرة كريد ، ومحافظة جزيرة قبرص . وللقيام بهذه المهمة ينعم السلطان على ابراهيم باشا بلقب والى موره ونسر عسكر (قائد) الاسطول المصرى زيادة على لقبه الاصلى (والى جده) ويضع تحت امرته عشرين سفينة من سفن الاسطول العثمانى ويطلق له الحرية فى جلب جميع سفن النقل التابعة للحكومة العثمانية والموجودة فى موانى جنوب الاناضول وموانى سورية وفى استئجار مايرغب استئجاره من سفن التجار الافرنج والمسلمين .

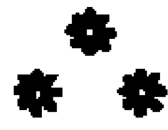
هذه السلطة لم تعجب محمد على كثيرا لانها جاءت على خلاف ما كان يرجو ولم تحقق ما كان يتوق اليه من الاستقلال المطلق فى البر والبحر والقيادة العامة على كل بلاد اليونان وجميع جزر البحر الابيض المتوسط اذ جعلت الدولة له شريكا من ابغض خلق الله اليه الا وهو خصمه الالد ورقيبه العنود محمد خسرو باشا (والى مصر سابقا) اذ جعل قائدا عاما على كل اساطيل الدولة (قبطان باشا) وعهدت اليه باخضاع باقى الجزر اليونانية و بالاشراف على الاعمال البحرية عامة وشعر محمد على ان وجود خصمه فى القيادة البحرية العامة فيه إخلال باستقلاله وانقاص من حريته وعرقلة لمساعيه وارتباك فى الاعمال وتأخير للحركات الحربية و بعد عن النصر وضياع للفخر ، لان البحر كان اهم ميدان للثورة وان خسرو كان قد اثبت عجزه في هذا الميدان من قبل ذلك .

إستاء محمد على من ذلك وانقلب سروره الى كدر وفترت عزيمته بعد ان كان يلتهب غيرة ونشاطاً .و كتب الى كثير من اصدقائه في دار السلطنة يرجوهم ان يتوسطوا له لدى السلطان ليمنحه القيادة البحرية العامة مؤقتا ريثما يقمع ثورة اليونان فلم يقبل هذا الرجاء وتغلب حزب خسرو على حزبه فكان لذلك اسوأ وقع في نفسه ، ولكنه لم يستطيع التنصل من مهمته ،واخذ يعد جيشا بريا وآخر بحريا ويجهزه باحدث ما في ذلك الوقت من مهمات واسلحة ، وما حان شهر

ذى القعده سنة ١٢٣٩ (يوليه سنة١٨٢٣) حتى كانت الاسكندرية تموج بالجند وتغص بالمؤن والذخائر . اما ميناؤها فكانت كحشر لمختلف السفن والقوارب وقامت على شاطىء ميناء المحمودية جبال من بقسماط وسمن وعسل ودقيق وشعير وو . . . . والنقود والمصاريف ؟ فهذا صراف الجيش البرى يتسلم عشرين الف كيس لتوزيعها على الجند وذاك صراف جيش البحر يقبض خمسة الاف غيرها وهؤلاء تجار الافرنج يأخذون اجر سفنهم وأولئك تجار المسلمين يحاسبون على مالهم وهنا مدافع توضع فى السفن وهناك جبخان يقسم على الالايات .

وفي ١٩ ذى القعدة كانت السفن قد اخذت حمولتها واحتملت ركابها . وفى ٢٢ منه سارت باسم الله مجراها ومرساها وعدتها ٥٣ سفينة حربية مابين فرقاطه وجواليت وبريك وقرصان وحراقة حربية و٥٢ سفينة نقلية اسلامية و٩١ سفينة تجارية إفرنجية عليها ثلاثون الف جندى باحمالهم، منهم ثلاثة الاف من الفرسان ، يقودهم البطل الاكبر والقائد الاعظم ابراهيم باشا

وكان محرم بك محافظ الاسكندرية وصهر الباشا على رأس السفن المصريه .



قبل ان نقتف اثر الاسطول المصرى لنعرف اين ذهب ونشاهد اعماله وحركاته يجب ان نأتى على وصف مختصر لرجاله وسفنه ونقفى على ذلك بوصف سفن الثوار ورجالها لنمكن المقارنة بين قوى الطرفين البحرية والحكم على نتيجة الحرب . فالاسطول المصرى رغما عما بذله محمد على فى اعداده وتدريبه كان ينقصه كثيرا فى المعدات ليمهر فى الفنون البحرية .

من لغو القول ان نكرر أن ابراهيم باشا كان من افذاذ القواد . ولكننا لم نسمع شيئا عن اشتراكه فى معارك بحرية قبل الآن ، وكان هذا بلاشك من اهم عوامل الضعف فى الاسطول . اما العامل الثانى فانحصر في ان رجال الاسطول كانوا حديثى عهد بالاسفار الطويلة قليلى الخبرة بفن الملاحة ، ولم يتعودوا على مغالبة الانواء والعواصف والحركة تحت الريح وفوقها والسرعة في الكر والفر وفى

ادارة السفينة واستعمالها ولم يخوضوا أية معركة بحرية وكان اكثر السفن كبير الحجم بطيء السير قديم الطراز مثقل بالاحمال والامتعة . اذا مشت تفرقت عن بعضها وتشتتت أقساما كل قسم لايدرى عن أخيه شيئا . و بعد ماينها من المسافات حتى تصعب قيادتها و يتعذر جمعها و يبليغها ارادت القائد واذا هوجمت احداها لم تدركها الباقيات حتى يكون العدو قد اصابها بضرر أو قضى عليها .

اما اليونانيون فهم ذئاب البحر من اقدم العصور شبوا في حجره وترعرعوا على ظهره فاصبحوا منه بمنزلة الاسماك والحيتان لاتزعجهم العواصف ولاتروعهم الأنواء . سفنهم خفيفة الوزن سريعة السير تسكن فى المنعطفات والزوايا وتترصد فريستها بين الصخور والصدوع ثم تنقض كالصواعق وتعدو كالسهام ، وفيها كثير من متطوعى اوروبا ، يقودها رجال من المشهود لهم بالكفاءة والدربة اما الاسطول العثمانى فكان اسوأ حالا وأقل كفاية من الاسطول المصرى .

ولا حاجة بنا بعد هذه المقارنة لان نقول انه من الصعب جدا ان يوفق الاسطولان الى التغلب على سفن الثوار وانهما يحتاجان الى جهد عظيم لكف اذاها والتخلص من شرها فقط ، وانه كان يستحيل عليهما ان يتقدما مهاجمين . وهذا ماحصل فعلا :

فبعد ان سافر الاسطول المصرى من الاسكندرية قضى أكثر من خمسة اشهر متنقلا بمفرده تارة ، ومع الاسطول التركي تارة أخرى ، بين جزر بحر ايجة وسواحل الاناضول وجزيرتى قبرص وكريد ، واشتبك مع الاروام في معركتين نال في الاولى بعض التوفيق وانهزم فى الثانية ، وفر خسرو باشا باسطوله عند ابتداء المعركة الثانية تاركا الاسطول المصرى امام قوة اكثر منه عددا . و بعد هاتين المعركتين اقتنع ابراهيم باشا بتفوق اعدائه فعزم على التزام خطة الدفاع والاكتفاء بالوصول بجيشه البرى الى موره ليضرب فى البر ضرباته المشهورة ، وليفهم الاروام ان مهارتهم البحرية لاتكفى وحدها لارغام الدولة ونيل الاستقلال ، وانه وان كان البحر ميدان المهارة وخفة الحركة فالبر ميدان الشجاعة والثبات .

وكتب لوالده يطلعه على جلية الامر حتى ينظر في امر تنظيم الاسطول من

جديد ، وكان محمد على لايجهل هـذا الامر بل إنه أوصى منذ زمن ببناء سفن في معامل فرنسا وايطاليا و بعث رسله لجلب ضباط و بحارة من أوروبا للاشراف على تـكوين اسطول لايـكفى فقط لقهر اليونان بل يتحدى به عنـد اللزوم اية دولة أوروبية

وفي شهر رجب وصل جيش البر الى مورة (اكتوبر سنة ١٨٢٤) وانزل عساكره في ميناء مودون وقد كان الجيش البرى موفقاً فأحرز نجاحا باهرا خلال بضعة أشهر . ففى شعبان تمـكن من الاستيلاء على قلعة نفارين الحصينة وفى ذى القعدة دخل مدينة تريبوليسا ولم تمض عليه السنة حتى كان قد اخضع جميع بلاد موره الداخليه . ولم يثبت فى وجهه الامدنية ميسولونجى التى قاومت مقاومة تدعو الى الاعجاب ، ولـكنها أخذت عنوة في رمضان سنة ١٢٤١ (ابريل سنة ١٨٢٥) وكان سقوطها ضربة قاضية على جمعيات محبى اليونان في اوروبا وقسم لظهر الثورة ولم يبق فى مورة من تحدثه نفسه بالمقاومة وركن من كان فيهامن زعماء الثورة الى الفرار ناجين بارواحهم ، وانقسموا الى طائفتين طائفة تريد التسليم واخرى تريد دوام النضال. وكان هذا النصر كافياً لانهاء الثورة لوأن البحر تطهر من الثوار. ولـكنهم كانوا مسيطرين عليه بل ازدادوا جرأة ووقاحة. فعول محمد على على امداد ابرهيم بحملة ثانيه بعد أن يدخل تعديلا هاما على الأسطول ويضم اليه عنصرا جديداً من رجال الفن من أحسن السفن الحديثة ولـكنه صمم على أن لا يرسل هذه الحملة حتى يعزل خسرو من قيادة الأسطول وحتى تكون له قيادة السفن التركية التى تضم الى الأسطول المصرى . فقبل الباب العالى طلبه في أواسط سنة ١٢٤٢ هـ سنة ١٨٢٦ م وعزل خسرو وتعين بدله عزت باشا على ان لايخرج إلى البحر الابيض «لـكي لايكون مرؤوسا لوزير مثله» وعين طاهر باشا ليكون في معية ابراهيم باشا . ولـكن دول أوروبا المحرضه لليونان وخصوصا انجلترا كان قد أزعجها سقوط ميسولونجى وأدركت ان ضربة أخرى في البحر تقضى على اليونان قضاء مبرما وتجعل الباب العالى تحت نفوذ محمد على المطلق، وحسبت حسابا كبيرا لما يكون بعد أن يقضى محمد على على اليونان ولديه أسطول ضخم مدرب يشرف على تنظيمه رجال من أعظم

رجال البحرية الفرنساوية . فكرت انكلترا في كل هذا وتصورت شبح الاسطول المصرى ينافسها في البحر الابيض والتجارة أيضا ؟ وقد كاد محمد على يحتكر التجارة الشرقية وهو بلا أسطول فكيف به إذا صار صاحب اسطول له السياده على البحر الابيض ؟أليست فرنسا تشجعه ؟ من يدرى فربما اتفقا ضدها وانتقمت فرانسا .

كل هذه الافكار كانت تشغل بال الوزارة الانجليزية حينما دعت فرانسا وروسيا للتداخل لمصلحة اليونان في (يونيه سنه ١٨٢٥)

كان سرور محمد على بانتصاره على خصمه العنيد خسرو أعظم بكثير من انتصاره جيشه في مورة . لان خسرو كان من ألد خصومه القدماء الدائبين على الكيد له والايقاع به عند سلطانه ولا يترك فرصة تمر دون ان يلقى في روع السلطان أن محمد على غير مخلص للدولة وانه متى قوى جيشه وأسطوله قلب لها ظهر الجن وانفرد بالبلاد التى تحتلها جنوده (مصر والسودان والحجاز والعسير وكريد وقبرص ومورة) وكانت أقوالهم تلقى اصغاء تارة واعراضاً تارة أخرى .

والحقيقة أن مخاوف الدولة من اتساع نفوذ محمد على اتساعا لم يبلغه وال آخر لم تكن مبنية على الوهم والخيال بل كان من اعماله ما يبررها . ولكن ماذا تعمل الدولة اذ الم بها خطب جسيم ولم تجد من ينقذها منه غير محمد على ؟ قبلت مكرهة عزل خسرو وجعل اسطولها فى البحر الابيض بامرة محمد على ونشط هو لتجهيز الحملة الثانية وأرسل يدعو سفنه الجديدة من أوروبا ورجع الاسطول الى الاسكندرية لاستكمال نواقصه واصلاح ما أصابه من عطب

لم يحفل محمد على بادىء بدء بقرار الدول وظن أن الامر لا يتعدى التهديد والتخويف وأن فرانسا صديقته الحيمة لا تبيع صداقته حبا فى الاروام ولا تتعدى عليه بغير حق فلم يبزغ فجر سنة ١٢٤٢ (سنة ١٨٢٧ م) حتى كان قد أتم إعداد أسطول يفوق الاول عدة وعددا وفيه كثير من الضباط والبحارة الفرنساويين ذوى الكفاية والمقدرة ومن بين سفنه أربع بوارج من أضخم البوارج وأحسنها وأرسله الى مورة مزودا باكثر من خمسة عشر الف جندى من المشاه .

وصلت هذه الحملة الثانية الى مورة فقامت انكلترا وقعدت وأيقنت ان اليونان

قد قضى عليهم وأن الباب العالى قد تخلص من أكبر مشاكله وان محمد على اصبح نابليونا ثانيا ، فدعت حليفتيها (روسيا وفرنسا) للقيام بعمل مشترك لايقاف أعمال ابراهيم باشا بالقوة مادامت المساعى السياسية التى قامت بها لدى الباب العالى قدفشلت ولم يقبل منها التداخل بينه و بين رعاياه عادا ذلك امرا من أموره الداخلية البحتة .ولقد أيقن محمد على ان موقف الدول المتحالفة أخذ يتطور وأن مذكراتها ومخابراتها تدل على انها لاتهزل هذه المرة وانها لامحالة ستقرن تهديدها بالعمل، فخاف سوء العاقبة وكتب الى الباب العالى يلتمس منه ان يتساهل فى أمر اليونان ويمنحها استقلالا داخليا ولو مؤقتا ارضاء للدول المتحفزة وكفا لشرها ، لان الباب العالى لاقبل له بحربها ولا قدرة له على دفع اعتدائها وحذره عاقبة العناد والتصلب .فلم يكترث الباب العالى بما يقول وأصر على موقفه السلبى نحو الدول وأرسل لمحمد على يطلب اليه الثبات وأن يأمر ابراهيم بالمضى فى أعماله الحربية . فلم يعجب محمد على هذا العناد الذى لا يبرره ضعف الدولة فكتب ثانيا وثالثا يكرر ما قاله والباب العالى لايتزحزح عن موقفه . وكان أسطول المتحالفين قد وصل الى نفارين وأرسل انذارا الى ابراهيم باشا بتوقيف اعماله و بعدم الحركة الى أى مكان فهال ذلك ابراهيم وغاظه هذا التعسف والاستبداد واجاب على انذارهم بقوله إنه موفد من قبل والده والسلطان وانه مكلف بتنفيذ أوامرهما ولايعترف لغيرهما بسلطان عليه. ومادام لم يتلق أمرا من والده بالكف عن الحرب فلا يكف عنها ومع ذلك فهو يمنح الثوار هدنة الى ان يأتى اليه الجواب على شرط ان لايقوم اليونانيون من جانبهم باى عمل عدائى وان يكون له الحق بتموين عساكره المحافظين فى قلاع السواحل .فرضى قواد الاساطيل المتحدة بجوابه وانتهى الامر على ذلك .

وجد محمد على ان عناد الباب العالى سيجره الى حرب لاقبل له بها ،وربما اصيب الجيش المصرى والاسطول بنكبة فكتب الى ابراهيم يأمره بالتلطف مع الدول و بتوقيف الهجوم على جزيرتى ايدرا و اسبتزا ، الذى كان قد عزم على القيام به بعد وصول الحملة الثانية اليه ، وكان ابراهيم باشا يرى عدم الاذعان

لمطلبات الدول لان فيها جرحا للعزة والكرامة ولكنه اضطر الى الخضوع لأمر والده فوافق على الهدنة كما ذكر . وفي اثناء ذلك بلغ ابراهيم ان عمارة يونانية اتت لمهاجمة احدى الموانى ، وكان هذا العمل مخالفا لشروط الهدنة فرأى نفسه في حل من اقتصاص اثر هذه العمارة والتنكيل بها ولكنه للتخلص من كل لوم اعلن انه يريد تموين احدى القلاع واعد لذلك حملة ارسلها تحت قيادة احد زعماء الجيش فعد الأميرال الانجليزى هذه الحركة خروجا على الهدنة واقتفى اثر الحملة وكان ابراهيم باشا قد تبعها بنفسه بعمارة أخرى فاعترض الانجليز سيره واوقفوه عن التقدم وكاد القتال ينشب بين الفريقين لولا أن قامت عاصفة حالت دون ذلك ، واجبرت ابراهيم باشا على الرجوع الى ميناء نفارين . وفى اليوم التالى لهذه الحادثة — ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧ — بينما كان الأسطولان المصرى والتركي مرابطين فى الميناء لايتوقعان شرا ولايحسبان حسابا لمفاجأة وكان ابراهيم باشا قد ذهب الى داخل مورة ، اذا باساطيل الدول الثلاث تدخل الميناء متحفزة للقتال، فلم يرتب أحد في نيتها ولم تطلق عليها حصون المدخل طلقة واقتربت الى أن اشتبكت صواريها بصوارى الأسطولين وأخذ الاميرال كودرنجتون يعين لكل منها موقفه و يتخير لها الامكنة التى تجعلها قادرة على تسديد المرمى واصابة الهدف وبعد أن تم له ذلك أرسل الاميرال الفرنسى رينى خطابا الى الضباط الفرنسيين الذين فى خدمة الاسطول المصرى يقول فيه ان فرنسا تعد من يبقى في مكانه خائنا وانه يجب عليهم الانسحاب في الحال وترك الاسطول المصرى. فلم يمض غير قليل حتى انسحبوا جميعا وتركوا الخدمة في وقت يطلب فيه اداؤها ولم يتخلف منهم الا اثنان ظنا من الشرف ان يؤديا عملا اخذا عليه اجرا ولكنهما مع الاسف ، لم يسيرا الى النهاية

ولفتح باب الشر ارسل الاميرال الانجليزى الى احدى الحرقات التركية قاربا يأمرها بالابتعاد فلم تمتثل لانها لم تجد لذلك معنى فاطلقت عليها بارجة الاميرال وابلا من رصاص البنادق فقابلتها بالمثل وقتل ضابط انجليزى ووجدت وسيلة للانتقام من محمد على وتنفيذ المشروع المقرر تنفيذه ولو لم توجد هذه الوسيلة . وأخذت البوارج المتحدة تطلق النار يمينا وشمالا فارتبك الاسطولان

وحارا في أمرها وجاوبت بعض السفن التركية ، وحاول محرم بك ايقاف القتال ودخل فى مخابرات مع الأميرال الانجليزى فكان يراوغ و يماطل اكتسابا للوقت وتأخيرا للسفن المصرية عن الاشتراك في القتال فلما أصبح حاكما على الموقف قطع المخابرة ورفض التفاهم

استعرت نار القتال واشتد هبوبها ثلاث ساعات متواليات ودافع المباغتون دفاع الابطال ولكن ماذا يجدى دفاعهم وقد اخذوا على غرة وداهمتهم قوات تفوقهم عددا وسلاحا . وقعت الكارثة وغرق كثير من سفن الأسطولين وانسحبت أساطيل الاعداء تجر أذيال الفخر والمباهاة بما أتت من بطولة تخلد لها فى بطون التاريخ ، ولكن فى صحف الغدر والقرصنة !

وكأن القدر لم يقنع بما رمى به المصريين والترك فسلط ابليس على قواد الأتراك فوسوس لهم أن المصلحة في أن يغرقوا مابقى من سفنهم فاحرقوها بأيديهم وغرقت المؤونة فاصبح الجيش محصورا فى هذه البلاد .

هذه هي الكارثة العظمى أرويها كما رواها ثقاة المؤرخين لا كما لفقت بايدى المغرضين ليطلع عليها كل مصرى ، و ينقشها على صفحات قلبه ، ولا ينسى اعتداء قضى على حرية بلاده .

مؤرخ

حضرموت وسلطانها

قطر كبير من الاقطار العربية واقع فى اقصى جزيرة العرب من جهتها الجنوبية بين درجتى ٤٧ ، ٥٣ : طول شرقى، ودرجتى ١٥ ، ١٩ عرض شمالى، تحدها شمالا الاحقاف و بادية الدهناء وجنوبا خليج عدن وبحر عمان وغربا اليمن وشرقا سلطنة مسكت ، ويبلغ طول سواحلها من الشرق الى الغرب ١٥٠٠ كيلومترا اما عرضها من الجنوب الى الشمال فلا يزيد على عشرين كيلو مترا . وهذا القطر جبلى تحده سلستان من الجبال تأتيان من بلاد اليمن يفصلهما واد يشقه نهير يخترق البلاد من الشرق الى الغرب ثم ينعطف جنوبا و يصب فى بحر عمان عند قرية صحوت . وترتفع الجبال فى الجهة الشرقية ثم تنحدر فى أقصى الغرب الى تلال رمايه وفى الوسط يتكون منها نجد مرتفع ويبلغ ارتفاع اعلا قممها ٢٤٠٠ مترا وسطحها يكاد يكون مستويا وهي جرداء لايرى فيها ألاقليلا من اشجار الصبر وشجرات شوكية و بعض اشجار الصفصاف . اماالوادى فارضه خصبة عامرة بفضل النهير الكبير وما يصب فيه من نهيرات اخرى كثيرة العدد . ويزرع على ضفافها القمح والذرة والتمر والعنب والتين والتبق والبسلة والسمسم والدخان .

اقليم حضرموت جاف صحي صيفه حارجدا وشتاؤه قارس جدا والمطر قليل فوق الجبال وكثير نوعا على السواحل . ويوجد الجليد فى اعلا الجبال حتى في الصيف. وتغل الارض هناك ثلاث مرات في السنة وهي تروى بطرق صناعية بما يجمع من المياه فى الآبار والسدود . لم يكتب مؤرخو العرب كثيرا عن حضرموت لوجودها فى العدوة القصوى من بادية الدهناء ولعدم اشتراكها في النزاع على الخلافة والملك ولذلك فليس لدينا اخبار صحيحة عن تلك البلاد وكل مانعلمه عنها هو من قبيل القصص . وهو انها تنسب الى حضرموت ابن يعرب ابن قحطان وان هوداوصالحا بعثا الى اهلها ولا يزال قبريهما هناك الى الآن ثم سكنها قوم يقال لهم الصدف، وهاجر اليها بعد ذلك قوم من كندة اتوا عن طريق البحرين و يقول مؤرخوا اليونان ان حضرموت كانت اعظم مما هي الان وكان لها عاصمة تسمى سباتا وكان يجلب

منها بخور الآلهة الذى لا تزال شجرته تنمو فيها الى الآن ، واختلفوا في سبب تسميتها فالعرب يقولون انها مركبة من كلمتين حضر مقابل البادية وموت ، ومعناه بلاد الموت ، لفساد اقليمها وهذا التعليل لا يطابق الحقيقة لان اقليمها صحى. اما اليونانيون والعبرانيون فيقولون ان دخان شجرة البخور قاتل وبهذا سميت .

والذى نعلمه من الاخبار الصحيحة عن هذه البلاد ان الاشعث بن قيس سيد الحضارمة وفد على النبي فى رهط من قومه فاسلم ثم رجع ونشر الاسلام في بلاده لكنه ارتد في خلافة ابى بكر ثم آب . وان قوما من الحضارمة ابلوا بلاء عظيما في الفتوحات الاسلامية ونبغ منهم بعض الشعراء الجيدى الشعر ثم ينقطع عنا أخبار هذه البلاد زمنا ويقال لنا بعد ذلك ان الشيخ أحمد بن عيسى من الطبقة السابعة من أولاد الحسين ابن على وفد على حضرموت من البصرة منذ عدة قرون ومعه ثمانون شخصاً من آل بيته فاستوطن حضرموت وتناسلت فيها ذريته فكثر عددهم وعظم مقامهم وكونوا لانفسهم صنفا ممتازاً يعرف الآن (بالسادة)

ويبلغ عدد سكان حضرموت الآن بما يتبعها من بلاد مهره والشحر مليونا ونصف تقريبا ينقسمون ألى ثلاث صنوف،قبائل وسادة ورعية . اما القبائل فهم القادة والزعماء والحكام وعددهم كثير ويلقب زعيم القبيلة بالمقدم أو السلطان ويسكن حصنا محاطا بالابراج يقوم على حراسته طائفة من رجال قبيلته ويعتبر حاكما على أهل المدن القريبة منه من التجار والصناع يدينون له بالطاعة ويدفعون له اتاوات عن متاجرهم وصنائعهم فى مقابل حمايته .

أما السادة فهم ذرية الشيخ احمد بن عيسى المتقدم ذكره وهم معظمون محترمون معافون من الضرائب يسيرون في جميع البلاد آمنين مطمئنين لا يحملون سلاحا ويقومون بوظيفة الارشاد والتعليم الدينى ويعيشون من استغلال مزارع يستعملون فيها عبيداً من زنوج أفريقية ومن الصومال ويلقب كل منهم بلقب (حبيب) و(منسب).والرعية هم سكان المدن والقرى المشتغلون بالتجارة والصناعة وهم قوم مجتهدون نشطون يحملون حاصلات بلادهم على سفنهم الى الهند والبحر الاحمر وسواحل افريقية الشرقية ويجلبون من هناك مايحتاجون اليه ويشتغلون

بصناعة السفن ولكنهم هم فقط الذين يدفعون الضرائب في البلاد ولكل مقدم وكيل فى المدينة يسمى (ابو) يشرف على تحصيل ضرائبه و بيع حاصلاته بواسطة الدلالين الذين يسميهم الاهالى(كلاب السوق)أما الزراعة والجندية (وهى ليست جبارية)فهى في يد القبائل .

وعلى العموم فاهل حضر موت رجال جد وعمل ذو وصبر على المكاره وتحمل للمشاق واذا ضاقت باحدهم الحالى ترك بلاده مهاجراً الى الهند اوالى جاوه وصوماتره فيشتغل بالتجارة او الملاحة أو الحمل حتى يثرى فيرجع الى بلاده يقضى بقية عمره فى راحة وهناء . ولهم الآن جالية كبيرة في جاوه وفي الهند ويذهب أولاد زعماء القبائل الى الهند فيلتحقون بخدمة نخامة النظام سلطان حيدر أباد فيكرم مثواهم و يستخدمهم كضباط في جيشه على الجنود من أبناء بلادهم و يرقيهم الى المراتب العالية فى الجيش . وهم رضيو الاخلاق كرام النفوس متعصبون فى دينهم ليس في بلادهم يهودى ولا نصرانى وأثر العلم ضئيل بينهم وقبائلهم لا تسكن الخيام بل الاكواخ والمغارات وأهل الحضر يسكنون بيوتا مرتفعة البنيان و يتكلمون بلغة عربية تقرب من لغة أهل اليمن الا في اقصى الشرق فيتكلمون لسانا يسمى العقيلى .

وأعظم القبائل نفوذا الآن قبيلة «كيتى» حى من احياء يافع جاءت الى هناك من اليمن وهي أكبر القبائل نفوذا وفى يدها أهم موانى البلاد ومدنها وهي الشحر ومكلا من الموانى وحورا وشبام وحاجرين من مدن الداخل والى هذه القبيلة ينتسب عظمة السلطان صالح بن عوض نزيل مصر الان وهو من أوسع السلاطين نفوذا وأعظمها خطرا تعلم تعلما راقيا فى الهند وعمل على ادخال النظم الحديثة والتعليم في منطقته وتنظيم الضرائب والتسوية فيها بين الاهالى وهو على صلاة سياسية مع الحكومة الانجليزية وقد اعترفت الاخيرة بسلطنته . و بما ان بلاد حضر موت من البلاد التى تجمعها بمصر روابط عديدة فاننا نرحب بعظمة سلطانها في بلادنا ونتمنى له طيب المقام كما نرجو أن يجد في مصر مايليق بمركزه كزعيم شرقى اسلامى كبير من الحفاوة والاجلال

محمد خليل

هل صاب اليهود المسيح؟

ملخص عن كامبل

طفت بحار دموع وانهملت دماء على الطريق الصخرى الوعر الذى أخذ يقطعه اليهودى التائه منذ ضرب في انحاء المعمورة بعد ان هدم بيت المقدس وطرد من ارض الميعاد . ولهذا الاضطهاد المريع سببان، الاول اقتصادى جنسى، والثانى دينى

ولست اقصد في هذه العجالة تقدير النسبة المئوية بين الاسباب الاقتصادية الاجتماعية والاسباب الدينية — فهى لا تنقص عن أربعين فى المائة ولا تزيد عن ستين في المائة على أى حال — ولكن الذى أقصده هو محاولة الاجابة على السؤال الآتى « ما هى المبررات التاريخية التى تبرر مطاردة المسيحيين لليهود منذ قرون عديدة مضت، بفكرة أنهم هم الذين صلبوا الآله الخالد وقبا تجلى في شكل مواطنهم يسوع الناصرى ؟ »

ولو كانت أعمال البشر تسير بموجب قواعد المنطق لوجب على الكنائس كافة أن تزج في صلواتها دعوات حارة لليهود لاشتراكهم في تنفيذ فكرة الخلاص. أليس اليهود هم الذين صلبوا المسيح وهو الامر الذى هبط الى الارض من أجله؟ ألم يأت ليخلص العالم وليغفر خطاياه بدمه وليزيل وصمة الخطيئة الاولى من جبين الانسانية ؟ فاليهود لم يكونوا إذن أكثر من آلة صماء سخرها القدر لتنفيذ القضاء حسب ما هو مسطور في كتاب الله . فالواجب علينا اسداءهم الشكر بدلا من ان نتعقبهم ونعمل على إفنائهم وهم هم الذين تسببوا في نشر السلام والمحبة على الارض بعد أن أزهقوا روح المسيح

ولكن ليس على ظهر البسيطة من مفكر منطقى غير الاطفال السذج الذين يسبحون بأفكارهم فى أثير شفاف غير ممتلىء بالقذى . إذن فلنحاول بحث الموضوع على أساس آخر

هنالك من يعتقد أنه ليس لدينا بينات تثبت وجود شخص اسمه المسيح وروح

هذه الجماعة هي مدرسة الكتاب المقدس الهولندية التى تقول إن المسيح ليس الا شخصية خيالية أنبتتها الثقافة اليونانية عندما مزجت بتعاليم مدرسة الاسكندرية اليهودية الاغريقية. فهي قد تمثلت مثلا أعلا نبشته من قصص العهد القديم ومن كتاب « جمهورية أفلاطون » الذى صور فيه الرجل العادل، وتنبأ عما يلاقيه من الاضطهاد والظلم والسجن والعذاب وتكون نهايته الصلب. فاذا ما ماشينا هذه المدرسة وجب التسليم بفكرة انه ما دام المسيح لم يوجد فلم يحدث أنه قد قتل؛ ويتبع ذلك ان ليس هناك قاتل

ولكنى لن أجادل على أساس تعاليم هذه الجماعة ولا تعاليم المدرسة الالمانية التى ترجع قصة المسيح الى ما يسمونه « أساطير العامة » والتى لا تعلق مثقال ذرة من الاهمية على شخصيته، مع أنها لا تصرح جهاراً نافية وجوده. فانا سأبحث الموضوع على أساس أن المسيح وجد حقيقة فى القرن الاول الميلادى، ولكن يجب التفريق تماما بين التسليم بان المسيح كان موجوداً وبين الاستنتاج عن وجود مستندات ذات قيمة تثبت أنه كان موجوداً. فهذا مالا يمكن العثور عليه مطلقاً

اسلم بان المسيح كان موجوداً برغم ما شاب قصة وجوده من معجزات منها إحياء الموتى، وبالرغم من وقوع حوادث مرعبة قبل ولادته كقتل « هيرودوت » لآلاف من الاطفال. الامران اللذان لم يذكر عنهما يوسيفوس خبرا ولو طفيفا مع أنه كان يقيد كل واردة وشاردة من مظالم ذلك الطاغية (هيرودوت) وكذلك لم يذكر المؤرخون المعاصرون بالاقل مجزرة الاطفال المرعبة. أجل اسلم بوجوده بالرغم من أن ظروف محاكمته غير معقولة وسترى البرهان وبالرغم من حدوث أمور مدهشة وقت صلبه مثل انتشار الظلام لمدة ثلاث ساعات وقيام الاموات القديسيين من قبورهم لزيارة المعارف والاحباب، لأن سينيكا و بيلينى الكبير، لم يذكرا هذا الحادث « الطبيعى » المدهش، في حين أنهما سجلا كل ما حدث في وقتهما من الظواهر الجوية والتغيرات الفلكية. اجل اسلم بانه كان موجوداً بالرغم من أنه قام من بين الاموات وعاش على وجه الارض مدة تتراوح بين أربعين ساعة واربعين

يوما، ولو لم نعثر فى سجلات الحكومة الرومانية، حتى ولا على إسم يسوع المسيح دون ذكر بعض حوادثه .اسلم بكل هذا لأن اسم المسيح قد زج بين سطور ما كتبه يوسيفوس خلال كلامه عن عهد يختلف عن العهد الذى يزعمون ان المسيح وجد فيه

ابدأ فاقول إن أقرب تاريخ يقدره أكثر المحافظين لكتابة أول إنجيل من الاناجيل الاربعة يبعد جيلا واحداً على أقل تقدير من العهد الذى يقال ان المسيح وجد فيه، أى أن الذين عاصروا المسيح ليسوا الذين كتبوا عنه ،بصرف النظر عن الاخذ بالتقديرات البعيدة فوالحالة هذه يمكن القول دون تحزب أنه لم تؤخذ مذكرات دقيقة عن حياة وأعمال المسيح تباعا . فالصورة التى تحاول لاناجيل اظهارها عن تأثير المسيح فيمعاصريه فيها شيء كثير من التخيل والمغالاة

واذا رجعنا الى الاناجيل الاربعة نجدها ملآى بالاختلافات والتضارب والبون شاسع بين ما ذكر في انجيل يوحنا بالاخص وثلاثة الاناجيل الاخرى، ليس فى العموميات فقط ،بل في الاسماء والاماكن والظروف نجد مثلا ان مسرح يوحناهوأرض «يهودا» فى حين يكتب الآخرون عن حوارات وقعت فى الجليل وفى بيت المقدس على وجه خاص ولا يتمالك القارىء ذاته من القلق اذا شاء التثبت من يوم صلب المسيح أكان فى ١٤ أو في ١٥ نيسان (إبريل) وهو أمر حقير في ذاته اذا لم يتوقف عليه تعيين يوم عيد الفصح

كذلك يتضح للذى يقرأ بولس الرسول انه كان فى عهده انجيل اختفى وكان هذا الانجيل شوكة في حلقومه . وهذا واحد من عدة أناجيل اختفت في عصر اوروبا الدينى المظلم الامرالذى يصح الاستنتاج بهبان هناك كانت فترة من الوقت اقدم فيها الكتاب على تصنيف قصص خيالية حاولوا فيها تصور شخصية علیا. هل كان من الممكن أن يصلب اليهود المسيح متخذين بيلاطس آلة صماء لتنفيذ أغراضهم ؟ يجب أن يتبادر للذهن لاول وهلة ان الجريمة ترتكب لاجتناء فائدة من ورائها فاذا ما وافقنا على ذلك فلنبحث بعده عن الذى كان يستفيد. من أزهاق روح المسيح،ومن هو الذى كان من صالحه التخلص من التعاليم المسيحية ؟

اجل كانت توجد بين تعاليم المسيح والتعاليم اليهودية بعض فوارق الا انها كانت — في بادىء الامر — غير ذات بال . وقد ظهر غيره بامثالها دون أن يهتاج الرأى العام الى الدرجة التى يرومون تصويرها لنا .ومن الاناجيل يمكن بسهولة ملاحظة أن المسيح لم يحاول أن ينسخ، بل أتى ليتمم .وبمقارنة تعاليمه بما هو موجود بالعهد القديم وبالتلمود سنجد فرقاً يكاد لا يذكر ،في حين أنه اقتبس شيئاً كثيراً جداً منهما

وقد يقول قائل إنما تكون لهجته هي التى أهاجت اليهود عليه مثل «يانسل الافاعى وخلافه» وردا على ذلك أقوال إنى أستبعد صدور هذه الالفاظ من شخص كامل كالذى يصورونه وأرى أنه من المعقول أنها كتبت فى القرن الميلادى الثانى تشهيراً باليهود لان الخلاف بينهم و بين المسيحيين كان على أشده والمذابح تحدث بين آن وآخر . ثم اليست حملة المسيح على الكهنة تشبه شيئا مما حوته كتب أشعيا وارمياء والحكمة؟

كان المسيح وطنيا اكثر مما كان يحتمله عصره ومن أجل مبدئه الوطنى ساوى بين اليهود وغير اليهود وهذه النصرة الوطنية مع لقب ملك اليهود لها اثر فى الاناجيل ولكن هذا الاثر ليس بكثير البروز لان ماتتناقله ايدينا من الاناجيل الحالية ملآى بذكر المعجزات والاقاويل .في حين ان الجزء التاريخى منها موجز جدا ومضطرب . وهل لايستلفت النظر حادث دخول المسيح الى بيت المقدس وترحيب الناس به ترحيبا فخما والقاؤهم بسعف النخل فى طريقه؟ فكيف لايمكن التوفيق بين هذا الحادث و بين قضية اتهام بيلاطس له بالثورة بل كيف ينتظر ان يهتف له الشعب يوم الاحد ويهينونه يوم الجمعة أى بعد اربعة أيام فقط ؟ قد يقال ان هذا ليس بمستغرب من العامة وهم هكذا دائما ،ولكن يجب ان نتساءل هنا،اذن كيف يمكن التوفيق بين هذا المظهر الغيرمستبعد و بين ما تحاول الاناجيل افهامه لنا من انه كان للمسيح سلطان عظيم على الناس ؟!أكان كاحد قواد العامة العاديين ام كان صاحب مبدأ جذاب آلهى ؟

وأليست قصة يهواذ غريبة أيضا ؟ يقال إنهم رشوا يهوذا ليدلهم على مكان

المسيح مع أنه دخل المدينة جهارا دخول المنتصر وذهب الى حيث كان يقيم ولم يذكر بانه كان قاطع طريق هاربا من وجه العدالة

وهل كان القانون الرومانى يخول لرجال الدين تشكيل محكمة من اختصاصها الحكم بالاعدام وهو حكم مدنى يختص به القضاة والمحلفون وفقا لنص الشريعة الرومانية ؟ لنفرض ان هـذا حصل، فهل غاب عن أولئك الاذكياء ان الحكم بالقتل من الاشياء التى يكاد يحرمها الشرع الاسرائيلى ؟ فالاعتراف فى شريعة موسى لايعد دليلا كافيا الا اذا شهد بوقوع الجرم شاهدان عادلان في ميسورهما اثبات ان المتهم وجد من حذره من نتيجة ماهو قادم على اقترافه فلم يعر التحذير التفاتا • يضاف الى ماسبق ان من شروط حكم الاعدام صدوره في مكان مخصوص من الهيكل وفي رابعة النهار وليس كما هو مذكور فى الاناجيل من ان الحكم صدر بمنزل كبير الربانين فى غسق الليل كأنما الحكم قد اصدرته جمعية سرية ارهابية . كذلك توجب الشريعة اليهودية ان ينفذ حكم الاعدام بعد عقد جلستين في يومين تفرقهما على الاقل ليلة واحدة ليتيسر للقضاة مراجعة ضمائرهم فيها. وكذلك يعطى لكل من حكم بالادانة فرصة لتغيير رأيه في الجلسة الثانية، في حين يمنع الذى حكم بالبراءة في أول جلسة عن الرجوع عن رأيه ولعدم تأثر القضاة تؤخذ الاراء مبتدئة من الصغير فالاكبر ويعطى أكبر الكل رأيه اخيرا وذلك حتى لايتأثر صغير السن والمركز برأى رؤسائه

ولاتعقد المحاكم فى ليالى السبوت ولاليالى العيد ولكن الاناجيل تذكر ما هو مخالف لهذا تماما. فهل لم يتقيد اليهود متدينوهم وخاصتهم مع عامتهم باحكام التوراة لان الاناجيل تقول كذلك ؟ كان اليهود وما زالوا اكثر الامم تمسكا بحرفية احكام كتابهم المقدس

ويصف المؤرخان فيلو ويوسيفوس وغيرهما بيلاطس بعكس ماوصفته به الاناجيل تماما . فبينما نقرأ أن الامبرطور تيبيريوس ارسل له يقول « يدبر الراعى الصالح شؤون قطعيه وليس يقتلهم » من جراء مااقترفه من الجرائم اعتمادا على الظن وبدون محاكمة، تقول الاناجيل ان بيلاطس قرر بان المسيح برىء وانه لايحمل دمه. أليس ذلك من الغرابة بمكان ؟

صبوح محمود

التناحر على البقاء

وتطبيقه على النظام الاجتماعي

قامت النظرية الداروينة فى النشوء على مذهب الانتخاب الطبيعى . على أن الانتخاب الطبيعى لا يكون له أساس الا بالتناحر على البقاء . والتناحر على البقاء لا يكون له وجود الا بنزعة الأحياء الى التغاير والاختلاف . اذن فمذهب النشوء الحديث قائم على مايظهر فى العضويات من ضروب الاختلاف عن صفات آبائها . فالافراد الذين يمتازون على غيرهم بصفات جديدة يتغلبون على سواهم فى معركة التناحر على البقاء وتكون النتيجة انتخاب الاصلح أو الانتخاب الطبيعى .

على ان العلامة داروين لم يقتصر فى بحثه على نتائج الانتخاب الطبيعى وحده بل دعم نظرية الانتخاب بابحاث مستفيضة فى الانتخاب الصناعى ، الذى هو رهن على اختيار الانسان لأرقى الأفراد لاستيلادها ، والانتخاب اللاشعورى ، الذى هو رهن على نزعة الإنسان اللاشعورية الى الانتقاء .

ولقد قامت حول هذه النظرية معركة قلمية كبرى اشترك فيها علماء منهم هكسلى وسانت جورج ميفارت وأساقفة كان على رأسهم مستر ولبر فورس أسقف منشستر ولم تكد تضع هذه الحرب القلمية أوزارها وتنتهى بانتصار النشوئيين حتى بدأ العلماء يطبقون المذهب على فروع العلوم الحديثة من أدبية وعلمية واجتماعية . غير أن نظريات داروين لم يسىء فهمها فئة من الكتاب والباحثين بقدر ما أساء الاجتماعيون . فقد أخذوا الفكرة على ظاهرها وطبقوا المذهب على اعتبار أنه حقيقة انما تعبر عنها المعانى الظاهرة من اصطلاح « التناحر على البقاء » . لهذا أخطؤوا ومضوا فى خطئهم زمانا طويلا ظهرت خلاله صور من الفلسفة الاجتماعية كانت فلسفة نيتشه فى المانيا و بنيامين كيد فى انجلترا عنواناً عليها ورمزاً لها .

ولقد بنى نيتشه على هذا المبدأ مذهبه فى السوبرمان — أو الانسان الأعلى — جاعلا مثله الذى تخيله انسانا لا بد من أن ينتهى بالانتصار فى معركة

التناحر على البقاء . وبدأ الناس يخضعون لموحيات هذا المبدأ مطبقاً في الاجتماع على هذه الصورة حتى لقد تناول هذا المذهب تصورات رجال الحرب والسياسة والمتاجرين ، وكاد ينقضي بذلك عصر الاخلاق الفاضلة — بل كادت الانسانية تتجرد من كل ما تمتاز به من الصفات التي ترفعها عن أفق الحيوان . صفات الرحمة والشفقة والعمل على إغاثة ذوي الضعف والفاقة .

أما العالم الانجليزي الفذ « كيد » فقد بنى فلسفته الاجتماعية على ما يقرب من هذه الفكرات غير أنه لم يذهب في التطرف مذهب نيتشة . ففي كتابه الاول « التطور الاجتماعي » Social evolution وفي كتابه الثاني « علم القوة » Science of Power قد مضى يضرب الامثال على مذهب التناحر للبقاء وانتهى من بحثه بفكرة أن التناحر قانون ثابت في نظام الاجتماع .

وكانت لهذه الفكرات آثارها العميقة في الادراك العالم . وما نظن أن الحرب الكبرى الا نتيجة من نتائجها وأثر من آثارها . فان فئة ما اذا اعتقدوا يوما بان الانتصار في الحياة يرجع الى القوة وحدها والامتياز بصفات ليست لغيرهم من سلالات النوع البشري ، لاجرم ينزعون الى القوة ويتخذونها في الحياة دستورا وملجأ يفزعون اليه للتسود في هذه الدنيا

غير أنه من حسن حظ الانسانية أن عمر هذه الفكرات كان قصيراً . فلم يمض على ذيوعها عقدين من الزمان حتى ظهر في ميدان البحث العلامة الكبير البرنس كوربوتكين الروسي واثبت بما لا سبيل الى ادحاضه أن التناحر على البقاء في عالم الحيوان معناه التعاضد المتبادل بين الصور الحية مطبقاً بذلك نظرية داروين على وجهها الصحيح ، لان داروين في الواقع كان قد نبه في غير موضع من كتابه « أصل الانواع » على أن اصطلاح التناحر على البقاء مجازي صرف لا يجب أن يطبق على مقتضى المعاني المدركة في ظاهره

وعقب عليه العلامة الكبير « وولتر بيجهوت » فنشر في مجلة الفورتنيتلي سلسلة مقالات جمعها من بعد في كتاب عنوانه الطبيعيات والسياسة Physics & Politics وقضى به على كل أثر للفكرة القديمة في التناحر على البقاء لدى تطبيقها على

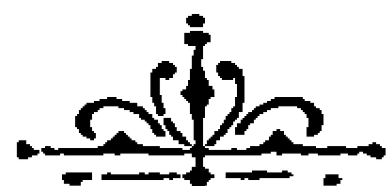
الاجتماع ، وأثبت فوق ذلك أن عصر التناحر الانسانى سيكون ذهنياً صرفا أى يرجع الى الجدل والتفوق العقلى .

ولقد كتبنا هذا الفصل بعد أن اطلعنا على بحث اجتماعى ملأه كاتبه بكثير من الدعاوى التى لا يقوم عليها دليل واحد من الادلة العلمية .ولا جرم ان مباحث العلم اذالم تحدد تحديدا صحيحا لايمكن ان تؤدى الى نتيجة علميةثابتة كما انها فى العمليات قد تؤدى الى أسوإ النتائج

والحقيقة أننا في حاجه الى تحديد مصطلحات العلم تحديداً تاما . ونحن أحوج الى فهم مدلولاتها أضعاف مانحن محتاجون الى تحديدها وتعريفها .

منذ بضع سنوات ، قرأت فى احدى المجلات الكبرى بمصر بحثاً فائضاً لرجل من كبار رجال العلم الذين عهد اليهم اذ ذاك بتربية النشءالحديث اذ كان يشغل وظيفة عليا في وزارة المعارف ضمنه، كثيراً من الآراء التى أقامها على مذهب داروين فى التناحر على البقاء وادعى فى سياق ذلك البحث الغريب أن الانسانية لا بد من أن تنتهى يوما مابتفوق سلالة واحدة من سلالاتها العديدة ودافع عن فكرة ابادة الشعوب الملونة فى أمريكا وأوستراليا وجزر المحيط الهادى. ولا ريبة مطلقا فى أنه مادافع عنهذه الفكرة الا وهو مقود باعتقاد راسخ فى أن التناحر على البقاء عبارة عن معركةدموية شديدة يسود فيها القوى على الضعيف ويبيده .

ان تزويد الناس بسلاح مثل هذا انما يحل من روابط المجتمع بل ويقضى على فكرة القانون . اذا ماتطرف الناس فى تطبيقها ومضوا يجنون ثمراتها التى تحفزهم اليها غرائزهم الشهوانية . فالواجب إذن ان نفهم مصطلحات العلم بمدلولاتها الصحيحة لئلا نقع في فوضى اجتماعية اذا ما انتحلنا فكرة اسأنا فهمها وأخذنا نطبقها على مقتضى مافهمناه منها .



الضحية

رواية تمثيلية كاملة

تاليف الشاعر الالمى العظيم

رابندرانات طاغور

الاهداء

«الى الابطال الذين ايدوا السلام ، فى الوقت الذى تقدمت فيه الضحية البشرية الى آلهة الحرب » .

***

مقدمة المترجم

ليس من شيء هو أبعد عن الاقساط فى القول ، وأدنى الى العسف من وضع مقدمة يحاول فيها الباحث أن يلزم القراء أن يقفوا بادراكهم عندما وصل اليه إدراكه من هذه الرواية . فان المعانى ضخمة عظيمة ، والصور ملآى فائضة .

ولكن الواجب فى هذا الموضع أن ننبه على أن أشخاص الرواية اذا اخذوا على أنهم شخصيات جامدة ، لا شخصيات معنوية ، فقد الباحث أخص ماتقوم عليه الرواية من المعانى التى رمى اليها الشاعر الكبير. وكذلك الحال في أكثر روايات طاغور ، فان شخصياتها معنوية صرفة . لهذا نجتزىء من الاطناب بتعريف ماتمثل الشخصيات من المعانى . واليك ما أدركنا من المعانى :

غوفندا — الارادة	الآلهة قالى — الوهم
جاسنج — التضحية	نكشاترا — الضعف النفسانى
راغوباتى — الاعتقاد	ابارنا — الحق
نايان راى — الواجب	جونافاتى — الامومة

فانك اذا قرأت الروايه قراءة أو رأيتها ممثلة على هذا ، أمكنك أن تدرك المرمى الحقيقى الذى رمى اليه طاغور في روايته ، وهو حب السلام والقضاء على آلهة الحرب التى تمتص دم الحياة وتضحى بها على مذبحها ؟

اسماعيل مظهر

***

الضحية

معبد في تبيرا

تدخل المليكة جونافاتى وتخاطب النصب

جونافاتى — هل أغضبتك ياأمى العزيزة ؟ أنت تمنحين المتسولات أولادا يبعنهم ليعشن بما يبذلن لهن من ثمن ، وللباغيات يقتلنهم ليسلمن من العار . وهاأنذا ملكة عظيمة ، وتحت قدمى تسجد الدنيا كلها . هاأنذا أمضى باحثة بلا أمل فى أن أحظى بلمسه طفل أضمه الى صدرى ، لعلى أنعم بعاطفة تجعل حياتى أغلى قيمة وأكبر خطراً . أى جرم اقترفت ؟ وأية كبيرة ارتكبت ياأماه ، لأستحق كل هذا ، ومن أجلها تطردينني من ملكوت الامهات ؟

يدخل الكاهن راغوباتى

جونافاتى — هل علمت ياأبت أنى قصرت في واجبات التعبد ؟ وزوجي ! ألست تجد فيه من صفاء القلب مايشبه صفاء الآلهة ؟ فلماذا شاءت آلهتنا التى تغزل شبكة هذا الوهم الدنيوى ، أن تنبذنى فى صحراء العقم المجدبة ؟

راغوباتى — إن أمنا هيكل مجسم من القواسر العاتية . إنها لاتعرف قانونا . أما أحزاننا ومسراتنا ، فمجرد وساوس تمر على خاطرها . اصبرى يابنتى ! فاننا سنقدم اليوم ضحية باسمك ، عساها ترضى !

جوناغاتى — تقبل طاعتى واحترامى ياأبى . ان قرباناتى في طريقها الى المعبد حيث أرسلت بأغصان الهيبيسكوس الحمراء ، والحيوانات التى سوف يضحى بها

(يخرجان)

***

يدخل الملك غوفندا ، وجاسنج خادم المعبد ، وأبارنا السائلة

جاسنج — ماهي رغبتك يامولاى ؟

غوفندا — هل صحيح أن هذه البنت الفقيرة قد أحضر عنوة الى المعبد ليضحى به ؟ وهل تتقبل أمنا مثل هذه العطية بقبول حسن ؟

جاسنج — كيف يمكننا أن نعرف من أين يلتقط الخـدم الضحايا التى تقـدمها كل يوم اثناء تعبدنا ؟ ولـكن ! لماذا تبكين أيتها البنت؟ أيخلق بك أن تبذلى دموعك سخية فائضة من أجل شىء أخذته منك الام العظمى ؟

أبارنا — الام ! إنى أنا أمة . اذا تأخرت عن القدوم الى كوخى ، فانه يرفض الحشائش التى تقدم له طعاما ، ويظل متطلعاً بعينيه الى الطريق. إنى أضمه بين ذراعي لدى عـودتى ، واقتسم واياه غذائى ، وحاجات حياتى . إنه لا يعرف أماً غيرى.

جاسنج — لو انى أستطيع أن أرد على العنز الحياة ثانية ، ولو فقدت بذلك قسما من حياتى ، لفعلت عن طيب خاطر . ولـكن كيف أستطيع أن أرد شيئاً أخذته الأم بنفسها؟

أبارنا — الأم ! ان هذا لـكذب . كلا . انها ليست بأم، بل شيطان. !

جاسنج — يالـلكفر !

ابارنا — هل أنت مقيمة هنـا أيتها الام ، لاعمـل لك الا أن تسلبى من بنت فقيرة مثلى ما تحب ؟ إذن فأين العرش الذى أقدم اليه شكواى منك ؟ خبرنى عن هذا أيها الملك ؟

غوفندا — إنى صامت يابنيتى . ليس عندى من جواب .

أبارنا — هل هذه القطرات التى تجـرى على الدرج هي قطرات دمه ؟ عنـد ما اضطربت صائحاً رهبة على حياتك ، لماذا لم تصل الى صميم قلبى صرخاتك من بين جنبات هذه الدنيا الصماء ؟

جاسنج — (موجها الـكلام الى النصب) أيتها الام«قالى»: لقد خدمتك منذ حداثتى ، وحتى الآن لاأستطيع أن أفهمك ! هل الشفقة شىء خصت به الذوات الفانية الضعيفة وحـدها ، ولم تخص به الآلهة ؟ تعال معى يابنتى ،فلأفعل لك ما أستطيع فعله . ان الغوث يجب أن يبذله الانسان ، اذا ضنت به الآلهة .

(يخرج جاسنج وأبارنا)

***

يدخل راغوباتى ونكشاترا أخو الملك والبطانة الملكية

الكل — فليحيي الملك .

غوفندا — اعلموا جميعاً بأنى أمرت بأن لاتهرق دماء داخل المعبد بعد الآن .

وزير — أأنت تأمر بأن لا يضحى للآلهة ؟

الجنرال نايان راى — أتأمر بمنع الضحية ؟

نكشاترا — ما أكبر هذا ! أتمنع الضحية ؟

راغوباتى — هل هذا حلم ؟

غوفندا — ليس حلماً ياأبت ! إنها يقظة . لقد حضرت الى الام فى صورة ابنة مقهورة ، وأخبرتنى أنها لاتسمح بإراقة دماء بعد الآن .

راغوباتى — لقد ظلت تشرب الدماء أجيالا . فمن أين جاءت الكراهية ، ومن أين هبط التعفف عن الدماء ، فجاءة وبلا انذار ؟

غوفندا — كلا . انها لم تشرب دماء أبداً . بل ظلت طوال العصور مترفعة عن هذا .

راغوباتى — إنى أحذرك ! فكر واعتبر ! إنك لاتستطيع أن تعطل شرائع جاءت بها الكتب المقدسة .

غوفندا — إن كلمات الله فوق كل الشرائع .

راغوباتى — لاتمزج أوهامك بالكبرياء . هل بلغت سفاهتك مبلغاً يخيل اليك معه أنك وحدك الذى سمع كلمات الله ، ولم أسمعها أنا ؟

نكشاترا — ان هذا لعجيب ! وأعجب منه أن يكون الملك قد سمع من الآلهة ولم يسمع الكاهن !

غوفندا — ان كلمات الله ترن أصديتها فى جنبات الدنيا كل آن . ولكن الذى يتصامم عنها لايسمعها .

راغوباتى — يالك من ملحد ! يا لك من مجدف !

غوفندا — أيها الأب . اذهب لتقوم بفرض الصباح ، وأعلن على الملأ أنهم سوف يعاقبون منذ اليوم بالنفى اذا تجرأ أحدهم على أن يهدر دم الحيوانات في عبادة الأم : موجدة كل المخلوقات.

راغوباتى — أهذه كلمتك الأخيرة ؟

غرفندا — نعم .

راغوباتى — إذن فعليك اللعنة ! هل زين لك وهمك ، بل صورت لك كبرياؤك أن الآلهة ما دامت تقيم فوق أرضك فقد أصبحت من رعيتك ؟ هل تتوهم أنك تستطيع أن تقيدها بشرائعك ، وأن تمنع عنها حقوقها ؟ إنك لن تفعل هذا ! انى أصارحك به ، أنا خادمها وعبدها .

نايان راى — اسمح لى يا مولاى أن أسألك . هل لك هذا الحق ؟

الوزير — أيها الملك . ألم يبق من محل لأن ترجع عن أمرك ؟

غرفندا — اننا لا نجرأ على أن نتلكأ في استئصال الخطيئة من أرضنا !

الوزير — لا يمكن أن تمتع الخطيئة بعمر مديد كهذا . هل يمكن أن تكون تلك المراسم التعبدية التى نشأت وأربابها تطاول الزمن حتى اعتقت تحت قدمى الآلهة من الخطيئات ؟

(يصمت الملك)

نكشاترا — بالتحقيق . إن هذا غير ممكن .

نايان راى — هل لك من حق فى أن تستأصل شيئاً كسب مع الزمان حقاً وأصبح لزاما ؟

غرفندا — لا أريد أن تتمادوا في هذه الشكوك والمناقشات . اذهبوا وأذيعوا أمرى في كل البلاد .

الوزير — لكن! يا مولاى ! إن الملكة قد ارسلت بقرباناتها للتضحية فى هذا الصباح ، وأنها تكاد تبلغ باب المعبد الآن .

غرفندا — عودوا بها .

(ويخرج)

الوزير — ما هذا ؟

نكشاترا — هل سنهبط إلى مستوى البوذيين الذين يظنون أن العجماوات لها مثلنا حق الحياة ؟ يا للحماقة !

(يخرجون جميعاً)

* * *

يدخل راغوباتى ووراءه جاسنج وبيده جرة فيها ماء

جاسنج — أيها الأب .

راغوباتى — إذهب !

جاسنج — هنا قليل من الماء .

راغوباتى — لا حاجة لى به

جاسنج — وثيابك ؟

راغوباتى — إذهب بها بعيداً .

جاسنج — هل أغضبتك فى شيء ؟

راغوباتى — دعنى منفرداً . لقد تضخمت أشباح الخطيئة . إن عرش الملك يرفع رأسه المرور فوق مذبح الهيكل .

أنت يا آلهة هذه الأيام المعكوسة المنكوسة ! هل أنت على استعداد لأن تتقبلى شرائع الملك حانية الرأس ، خاشعة البصر ، خاضعة له خضوع البطانة والحاشية ؟ هل اجتمع الناس والشياطين متناصرين ليذهبوا بملكوت الآلهة من هذه الارض ، وعجزت السماوات عن أن تذود عن حظيرة شرفها ؟ ولكن لدينا البراهمة ، إن غابت عنا الآلهة . ولسوف يقدم عرش الملك لنيران غضبهم قرباناً .

يابنى إن عقلى مضطرب ذاهل .

جاسنج — أى شيء حدث يا أبت ؟

راغوباتى — أعجز عن أن أجد كلمات أعبر بها عما حدث . اسأل الأم ، آلهتنا التى استبيح حماها .

جاسنج — استبيح حماها. ومن استباحه؟

راغوباتى — الملك غوفندا .

جاسنج — الملك غوفندا يستبيح حمى الأم « قالى » !!!

راغوباتى — لقد استباح حماى وحماك وحمى الكتب المقدسة ، وحمى

كل البلاد والأزمان . استنباح حمى «مها كالى» آلهة الزمان المنحدر بلا نهاية ، وهو جالس على عرشه الضئيل المتداعى .

جاسنج — الملك غوفندا . . !

رغوباتى — نعم نعم . ملكك غوفندا ، حبة قلبك ، وسمير فؤادك بالقلة وفائك ! أبعد أن اهبك كل قلبى لأنشئك وارفع ذكرك ، أجدك أكثر وفاء للملك غوفندا مما أنت لى ؟

جاسنج — إن الطفل انما يرفع يديه للبدر المضيء وهو جالس على صدر أبيه · انت ابى . أما بدرى المنير فالملك غوفندا .

أحقيقة إذن ما أسمع من الناس بأن الملك حظر التضحية داخل المعبد ؟ ولكننا لا نستطيع أن نطيعه في هذا .

راغوباتى — النفى لمن لا يطيع .

جاسنج — ليس بخطب أن ينفى الانسان من أرض تصبح فيها عبادة الام ناقصة مبتورة . كلا فانى ما دمت حيا ، فلا بد من أن تظل خدمة المعبد كاملة وواجباته مؤداة على أحسن حال .

(يخرجان)

* * *

تدخل جونافاتى ومعها خادم

جونافاتى — ما الذى تقول ؟ أيرجع قربان الملكة من باب المعبد ؟ هل فى هذه البلاد انسان يحمل فوق أكتافه أكثر من رأس واحد ليجرأ على أن يفعل هذا ؟ من هو ذلك المخلوق التعيس ؟

الخادم — انى اخشى أن اسميه

جونا فاتى — اتخشى ان تسميه وأنا أسألك ؟ من في هذة البلاد تخافه أكثر مما تخافنى ؟

الخادم — اعف عنى

جونافاتى — مساء الامس ليس ببعيد عندما حضر مغنو البطانة يرتلون

مدائحى . وبالامس باركنى البراهمة . والخدم كانوا يتقبلون أوامرى فى صمت وهدوء . فماذا حدث حتى تنكرت كل الاشياء فى برهة واحدة ؟ أأنكرت على الآلهة عبادتها ، كما أنكرت على الملكة سلطتها ؟ هل أصبحت بلاد «تريبورا» أرض الاحلام ؟

بلغ الكاهن تحيتى وأسأله أن يحضر الى .

(يخرج الخادم)

* * *

يدخل غوفندا

جوناقاتى — هل سمعت ايها الملك ان قربانى قد رد ثانية من باب معبد الام ؟

غوفندا اعرف ذلك

جوناقاتى — انت تعرف ! ومع هذا تقنع رأسك للاهانة !

غوفندا — إنى اسألك العفو عن هذا الجانى

جونا فاتى — انى اعرف ايها الملك انك رحيم القلب . ولكن هذه ليست رحمه. ان هذا لضعف . اما اذا كانت شفقتك ستكون سببا فى ان تصفدك بالاغلال، اذن فاترك أمر العقاب في يدى . وما عليك الا ان تخبرنى من هو ؟

غوفندا — أنا الجانى أيتها الملكة . أما جريمتى فليس لها أثر، الا انى جعلتك تتألمين .

جوناقاتى — انى لا أفقه ماتقول

غوقند — منذ اليوم منعت اهراق الدماء فى هيكل الآلهة في بلادى .

جوناقاتى — من الذى يمنعه .

غوقندا — الأم نفسها .

جوناقاتى — من سمعها

غوقندا — أنا .

جوناقاتى — أنت ! ان هذا يضحكنى . أتحضر ملكة الدنيا برمتها وتتقدم

الى أعتاب ملك « تريبورا » وبيدها عريضة تطلب بها معونته..!

غوفندا — لم تحضر بعريضة في يدها، ولكن بأحزانها.

جونافاتى ـ ان سلطتك لاتتعدى الى داخل المعبد. لاترسل باوامرك إلى هناك، لانها لن تنفذ.

غوفندا ـ ليس الامر أمرى. ان الامر أمرها. أمر الأم

جونافاتى ـ اذا لم يكن لديك من شك فى أمرك هذا، فلا أقل من أن لاتقف عثرة في سبيل معتقدى. دعنى أقوم بواجب دينى حسب ما أرى.

غوفندا ـ لقد وعدت آلهتى بأن امنع تقديم الضحايا الحية في المعبد، ويجب على أن أنفذ ما وعدت به.

جونافاتى ـ وأنا أيضا وعدت الآلهة بدم مائة عنز ومائة عجل. ولا بد لى من تنفيذ وعدى. ولك أن تتركنى الآن.

غوفندا ـ كما تريدين

(يخرج)

***

يدخل راغوباتى

جونافاتى ـ لقد عادت قرباناتى من المعبد ياأبتاه!

راغوباتى ـ ان الصلاة التى يقوم بها أدقع المتسولين وأشدهم خصاصة، ليست باقل قيمة من صلواتك أيتها الملكة. ولكن البلوى في أن الأم قد جردت من حقوقها. والكارثة فى ان كبرياء الملك قد انقلبت تنينا مزعجا منتفخ الاوداج، يمنع عنا الرحمة القدسية، ويحدج المصلين المتعبدين بعينيه الناريتين القادحتين بالشرر.

جونافاتى ـ وأى شيء يترتب على هذا ياأبتاه؟

راغوباتى ـ هذا في علمها هى: التى تزود هذه الدنيا بما يلذ لها من احلام. أما الذى انا متحقق منه، فهو أن هذا العرش الذى يريد الجالس عليه ان يغشى على معبد الام بسلطانه، سوف ينفجر كفقاعة ماء، ويفنى في خلا بلا نهاية.

جونوفاتي ـ كن رحيما ونجنا ياأبتاه .

راغوباتي ـ أنا أنجيكم !! أنت زوجة ذلك الملك الذي يفخر بأن ملكوته قد ملأ الارض وفاض عنها فوصل الى السماء ؟ هذا الذي يظن أن الآلهة والبراهمة يجب ان يطيعوه ؟ ياللعار ! يالهذا الزمان الاعوج . سترين كيف يكون الامر عندما تنصب عليه لعنة البراهمة ، وتلدغ عقله حتى الجنون .

(ويحاول تمزيق خيط التضحيات)

جونافاتي ـ (تمنعه) ارحمنا .!

راغوباتي ـ اذن ردوا على البراهمة ماهو حق لهم

جونافاتي ـ سافعل . اذهب ياسيدى وانصرف الى صلواتك ولا تهتم بشيء بعد الآن .

راغوباتي ـ لاشك في أن مروءتك تغمرني . إن لحظا واحدا من سحر عينيك، كاف لان ينقذ شرف الآلهة من العار ، ويرد على البراهمة حقوقهم المقدسة . ولتكوني مباركة الى يوم الدين (يخرج)

***

يعود الملك غوفندا

غوفندا ـ ان ظل الغضب الظاهر على جبينك ، يخفي كل الانوار المنبعثة من قلبك .

جونافاتي ـ اذهب ! لاتكن سببا فى صب اللعنة على هذا البيت .

غوفندا ـــ ان ابتسامة المرأة تذهب بكل لعنة من البيت. اما حبها فرحمة من الله .

جونافاتي ـ اذهب ولا ترني وجهك مرة أخرى !

غوفندا ـ سارجع أيتها الملكة عند ما تتذكرينني

جونافاتي ـ (متعلقة بقدمى الملك) ... سامحني ايها الملك . هل تصلب قلبك حتى انك نسيت أن تحترم كبرياء المرأة ؟ الا تعرف ياحبيبي أن الحب اذا وثل حيث ينتظر أن ينجح ، تنكر بثوب الغضب ؟

غوفندا ـ إني أموت ولاشبهة اذا فقدت ثقتي فيك . انى اعرف ياعزيزتى أن مقام السحب لساعة ، أما الشمس فلكل الايام .

جونافاتى ـ ستمر السحب ، وسوف يرتد الرعد ، صوت الغضب الآلهى ، الى اجوائه القصية ، ولسوف تشرق شمس الايام على التقاليد القديمة الباقية منذ أبعد العصور . نعم يامليكي العزيز ، مر بهذا . ليرجع البراهمة الى مزاولة حقوقهم والتمتع بها ، ولتعد الآلهة الى ضحاياها ، ولترتد سلطة الملك إلى حدودها الزمنية

غوفندا — ليس من حق البراهمة أن ينتهكوا الخير المطلق — الخير الابدى . ان دم المخلوقات ليس وقفاً على ضحايا الآلهة . وانه من حق الملك ، كما أنه من حق أحقر فلاح ، أن يحافظ على الحق ، وأن يدفع عن الاستقامة ما يعوق سبيلها .

جونافتى — إنى أعفر نفسى فى التراب راجية ، وعلى مواطىء قدميك أركع جاثية . إن العادة التى تجيزها الازمان الطويلة ، والقرون المتعاقبة ، ليست من حق الملك فى شيء . إنها كهواء الجو ، ملك للجميع . ومع هـذا فان ملكتك تستجديك ، ضامة يديها على صدرها ، بالنيابة عن الناس ، وبالاصالة عن نفسها . هل يمكن أن تظل ساكتاً أيها الرجل المتكبر ، رافضاً رجوات الحب لتقوم بواجب لا ريب فيه ؟ إذن فاذهب . إذهب من أمامى ، وابتعد عنى .

(يذهبان)

* * *

يدخل راغوباتى ومعه جاسنج ونايان راى

راغوباتى — أيها القائد . إن ولاءك للأم أمر معروف غير مشكوك فيه .

نايان راى — إنه تقليد ورثته عن أسلافي .

راغوباتى — إذن فلتتزود من هذا الحب القدسى بشجاعة لا يشوبها خوف ولا تعرف نكوصاً ، ولتجعل شجاعتك نصل سيفك قويا حاداً كرعيد الآلهة ، وليستعلى بمكانه على كل القوات والاماكن التى هى فى الارض .

نايان راى — إن تباريك البراهمة لن تذهب سدى .

راغوباتي — إني آمرك أن تحشد زحفك وتحطم عدو الأم إلى الحضيض، وتجعله ترابا.

نايِن راي — خبرني يا أبت من هو عدوها ؟

راغوباتي — غوفندا ..!

نايِن راي — الملكنا !

راغوباتي — نعم. هاجمه بكل ما أوتيت من قوة

نايِن راي — إنها لنصيحة فاسدة. يا أبت ! هل تقول لي هذا القول لتبلوني ؟

راغوباتي — نعم لأبلوك. ولأعرف خادم من أنت ؟ دع عنك كل تلكؤ أو توان. وأعرف أن الآلهة تدعونا. وهنالك يجب أن ينفرط عقد كل الروابط التي تربط الناس فوق الارض، مادامت قد دعتنا.

نايِن راي — ليس في ذهني توان أو تلكؤ. انى أقف ثابتاً في مكاني الذى وضعتنى فيه الآلهة.

راغوباتي — إنك لشجاع.

نايِن راي — أأكون أحقر من خدم الأم بأن أطيع الأمر، فأصبح خائناً جباناً ؟ إنها هي بذاتها التي تقوم حفيظة على العقيدة التي ينطوى عليها قلب الانسان ! هل يمكن أن تسألني هي أن أحل روابطها وأن أنقض عهدها ؟ أما إذا وقع هذا، فليوم ينبذك الملك الى الحضيض، وفي الغداة تنسف الآلهة مع الريح !!

جاسنج — ما أشرف هذه الكلمات وأنبلها !

راغوباتي — إن الملك، وقد خان عهد الأم، قد فقد كل سلطان عليك، وجعلك بعمله هذا في حل من طاعتك وخضوعك له.

نايِن راي — لا تقذف بي يا أبت إلى تيه موحش في الجدل العقيم. إني لا أعرف سوى طريق واحد، هو الطريق المستقيم، صراط العقيدة والحق. وإني على الرغم من أني أعتبر نفسي خادماً ضعيف الفهم من خدام الأم، لا أستطيع مطلقاً أن أتنكب هذا الطريق العلوى، طريق الامانة والشرف. (يخرج)

جاسنج — لنثبت على عقيدتنا كما هو ثابت ياسيدى. لماذا نطلب مساعدة الجنود ؟ إنا لذوو قوة في أنفسنا جديرة بإتمام واجبنا الذي تدعونا اليه السماء.

افتح يا أبت باب المعبد على مصراعيه ، ودق الطبول ، ونادى : إلى أيها الناس ! إلى لتعبدوا الأم التى سوف تذهب بكل خوف من قلوبكم .. تعالوا يا أبناء الأم العظمى

(يدخل جمع من الرعية)

الأول — تعالوا . تعالوا . إننا مدعوون .

الكل — النصر للأم .

(يغنون ويرقصون)

« الأم الهائمة ترقص عارية في ساحة القتال ،

« ولسانها مندلع من بين شفتيها كلهيب النار الحمراء ،

« وجدائلها السوداء تطاير مع الهواء وتمشى على الشمس والنجوم ،

« ومن أطرافها الداكنة بلون السحاب الثقال تجرى أنهار من الدم ،

« والدنيا تضطرب وتترقع صدوعها من وقع أقدامها .

جاسنج — هل رأيتم عجلوات القربان آتية نحو المعبد يسوقها خدام المملكة ؟

(الجميع يصيحون)

النصر للأم . النصر لمليكتنا .

راغوباتى — أسرع يا جاسنج وهيئ الصلاة .

جاسنج — كل شىء قد تهيأ يا سيدى .

راغوباتى — أرسل رجلا ليدعو الأمير نكشاترا عنى .

(يذهب جاسنج والجماهير تغنى وترقص)

***

يدخل الملك

غوفندا — إلزم الصمت يا راغوباتى ! أتجرأ على أن تفسق عن أمرى .

راغوباتى — نعم سأفعل .

غوفندا — إذن فلست بجدير بأن تبقى في بلادى .

راغوباتى — كلا إن الأرض التى تجدر بى هي التى يقبل فيها تاج الملك

التراب . كلا .

أيها الناس ! احضروا ضحايا الأمم الى هنا

(يضربون على الدفوف)

غوفندا — اسكتوا

(ومشيراً الى أتباعه)

أدعوا الى قائد جيشي . انك ياراغوباتى قد حملتنى على أن أدعو الجند ليحموا ذمار الحق الآلهى . انى لاشعر بخجل من أجل هذا . لان قوة السلاح انما تعبر اصدق تعبير عن ضعف الانسان .

راغوباتى — أيها الشاب. هل أنت على يقين من أن البراهمة قد فقدوا كل حقدهم القديم ؟ كلا . فان السنتها ستندلع من قلبى لتحرق عرشك وتتركه رماداً . أما اذا عجزت تلك النار عن أن تفعل هذا ، إذن فسوف ألقى بالكتب المقدسة الى النار ، ومعها كبرياء البراهمة ، وكل الاكاذيب الهائمة من فضاء المعبد وهيا كله

***

يدخل نايان راى وشندبال قائد الجيش الثانى

غوفندا — قف هنا بجنودك لتمنع التضحية بالحياة في المعبد .

نايان — سامحنى يامولاى. فان خادم الملك المطيع ، عاجز مفقود الحيلة بين جدران المعبد الآلهى .

غوفندا — أيها القائد . ليس لك أن تناقش أوامرى . وعليك أن تنفذ كلماتى . أما خطؤها أو صوابها ، فذلك من شأنى وحدى .

نايان — إنى خادمك يامولاى . ولكنى رجل قبل كل شيء . بى عقل ولى دين. وكما أن لى ملكا ، فلى أيضاً آله .

غوفندا — إذن سلم سيفك الى شندبال ، انه سوف يحمى المعبد من إراقة الدماء .

نايان راى — لماذا أسلم سيفى الى شندبال ؟ ان هذا السيف اعطاه أجدادك الملوك الى آبائى الاولين ، فاذا أردت أن أرده ، فانى انما أرده لك أنت لا لغيرك .

« اشهدوا على يا آبائى ، يامن يعيشون فى جنة الابطال ، اشهدوا بان هذا السيف

لذى ألبستموه ثوب القداسة بولائكم وشجاعتكم ، يسلم الآن الى الملك ».

(ويخرج)

راغوباتى — ان لعنة البراهمة قد بدأت تنصب وتعمل عملها .

(يدخل جاسنج)

جاسنج — لقد تهيأت العجلاوات للتضحية .

غوفندا — تضحية ؟

جاسنج — إصغ أيها الملك لتوسلاتى القلبية. لا تقف فى الطريق لتحجب الآلهة عن الانظار ، وأنت ذات فانية .

راغوباتى — جاسنج ! أى عار هذا . قف واسألنى العفو ، أنا أستاذك وسيدك. إن موقفك يجب أن يكون عند قدمى لا عند قدمى الملك . أيها الاخرق الاحمق. أتسأل اجازة الملك لتقوم بفروض الخدمة لله ؟ لنترك الصلاة والتضحية . ولنقف متريثين ناظرين ما سوف تؤدى اليه كبرياؤه في النهاية . تعالوا معى .

(يذهبون)

تدخل أبارنا

أبارنا — أين جاسنج ؟ أليس هنا ؟ بل انت هنا وحدك أيتها الصورة الصماء التى لا يمكن لشىء أن يحركها ؟ أنت تسلبيننا كل ما هو لدينا عزيز من غير أن تنبسى ببنت شفة . إنا نجرى وراء الحب ، ونموت فى الجوع والتسول بحثاً عنه ومع هذا فهو يأتيك غير مطلوب ولا مرغوب فيه ، ولو انك فى غير حاجة اليه ؟ كالقبر الصامت تخزنين الحب تحت أحجارك الثقيلة ، ضانة به على الدنيا التى تنشده . وأنت ياجاسنج ؟ أية سعادة تجد فيها ؟ وأى كلام فى مستطاعها أن تلقيه اليك ؟

أى قلبى ؟ أى قلبى المرور المحل ؟

(يدخل راغوباتى)

راغوباتى — من أنت ؟

أبارنا — أنا بنت متسولة . وأين جاسنج ؟

راغو باتى — أتركى هذا المكان في الحال . إنى عالم بانك إنما تغشين هذا المكان لتسلبى قلب جاسنج من الآلهة .

أبارنا — هل للآلهة أن تخشى منى شيئاً ؟ انى أخافها

(وتخرج)

***

يدخل جاسنج والامير نكشاترا .

نكشاترا — لم ناديتنى ؟

راغو باتى — في الليلة السابقة أخبرتنى الآلهة بانك ستصبح ملكاً فى خلال اسبوع

نكشاترا — آه . ان هذا لجديد بالتحقيق .

راغو باتى — نعم . ستكون ملكا

نكشاترا — انى لاأستطيع أن أصدق هذا

راغو باتى — أتشك في أقوالى ؟

نكشاترا — لاأريد أن أشك . ولكن أفرض أنه صودف ولم تتحقق .

راغو باتى — كلا انها سوف تكون حقيقة .

نكشاترا — ولكن خبرنى . كيف يمكن أن تصبح حقيقة ، و بأية وسيلة ؟

راغو باتى ـ ان الآلهة عاطشة . ولا تروى الا بدم ملك .

نكشاترا ـ دم ملك !

راغو باتى ـ يجب أن تهبها هذا الدم وتضحى به من أجلها قبل أن تصير ملكا .

نكشاترا ـ ولكنى لا أعلم كيف أجده .

راغو باتى ـ لدينا الملك غوفندا

(لا تتحرك يا جانسج)

أتفهم ؟ اقتله سراً . واحضر دمه حاراً الى المذبح

(جاسنج ! أترك هذا المكان اذا لم يكن فى استطاعتك السكون)

نكشاترا ـ ولكنه أخى وأنى أحبه .

راغو باتى ـ ولهذا ستكون تضحيتك اكبر قيمة وأنبل ذكرا.

نكشاترا ـ ولكنى قانع بأن اظل كما أنا يا أبت . إنى زاهد في الملك .
راغو باتى ـ لامفر لك ، لان الآلهة تأمر به . انها عاطشة لدماء من بيت الملك .
فاذا كان أخوك سيعيش ، فلا بد لك من ان تموت .
نكشاترا ـ ارحمنى يا أبت !
راغو باتى ـ انك سوف لا تكون حراً ، ميتا أو حيا ، حتى تنفذ رغبتها .
نكشاترا • اهدنى يا ابت كيف انفذها !
راغو باتى ـ انتظر في صمت . سأخبرك بما تفعل عندما تؤذن الساعة .
فاذهب الان .

(يخرج نكشاترا)

* * *

جاسنج ـ ماذا الذى سمعت ؟ أيتها الام الرحيمة أهذا أمرك ؟ أرغبتك فى أن يقتل الاخ اخاه ؟
سيدى ! كيف تقول بان هذه هي ارادة الام ؟
راغو باتى ـ لم تكن لدى من وسيلة أخرى لاخدم آلهتى .
جاسنج ـ وسيلة ! ولماذا الوسائل ؟ أيتها الام . اليس لديك سيفك القاطع لتنفذى أنت بيدك القوية ؟ أهو لزام أن تذهب ارادتك حافرة تحت الذى انفاقا ؟ كما يفعل اللص القاتل، لتسلب سرا في الظلام ؟ يا للخطيئة !
راغو باتى ـ ماذا تعرف عن الخطيئة !
جاسنج ـ ماعرفته منك ؟
راغو باتى ـ اذا قف معى . قف وتلق درسك ثانية منى . ليس للخطيئة من معنى فى الواقع . انك تقتل لتقتل . ليس في ذلك من خطيئة أو أى شيء آخر . الست تدرى أن ترى هذه الارض انما يتكون من عدد غير محدود من حوادث القتل والتقطيع ؟ ان الزمن القديم ما ينفك يخط حوادث الحياة المنحدرة فى جوف العدم مع مخلوقاتها بمداد من دم. يقع القتل أينما تتصور . فى القفر المجدب وفى حظائر الانسانية ، وفي عشوش الطير، وفى حفر الحشرات ، وفي البحر ، وفي

السماء .وهنالك قل من أجل الحياة، وقتل من أجل التسلية ، وقتل للاشيء اصلا. الدنيا تقتل من غير أن تهدأ . نوبتها . وكذلك الآلهة «قالى» ، روح الزمان الفائض بالفتنة، واقفة ولسانها العاطش مندلع من فمها ، وكأسها بيدها ، حيث اليه يتسرب دم الحياة القانى ، كما يتسرب الرحيق الى الدنان من عناقيد العنب الشهية .

جاسنج ـ قف يااستاذى . اذن فالحب تضليـل ، والرحمة سخرية ؟ وكل ما فى هذه الحياة ، من حق باق منذ أبعد الازمان ، منحصر في نهمة القتل والتعطش الى الهدم والتحطيم ؟ و إذا صح هذا افليس من المعقول أن تكون الحياة قد حطمت بعضها بعضا وفنت منذ ازمان قصية ؟

إنك انما تلعب بقلبى يا أستاذى ؟ انظر هنالك . انها تنظر الى وعلى شفتيها تلك الابتسامة الحلوة التى تنم عن السخرية .

أيتها الام المتعطشة الى الدماء . هل تقبلين دمى ؟ هل أغمد هذا الخنجر في صدرى وأضع نهاية لحياتى ؟ هل الدم الذى يجرى في هذه العروق لك فيه شهوة، وفى عقلك منه نزوة ؟ ايتها الام العاطشة دماء .

ياأستاذى ! هل تدعونى ؟ إنى لأعلم انك انمـا تريد أن ينفطر قلبى ألماً فيفيض من صدرى على قدمى الام ، وهذه تكون التضحية الصحيحة . ؟ولـكن دم الملك ! هذه الام الولهة حباً فيك ، أتتهمها بنزوة القتل وحب الدماء ؟

راغو باتى ـ اذن فلتتعطل التضحيات في المعبد

جاسنج — نعم ! ليكن . كلا . كلا

ياأستاذى انك تعرف الحق ، كما تعرف الباطل . ان شرائع القلب ليست بذأتها شرائع الكتب المقدسة . العيون لاتستطيع أن ترى بنورها هي . بل يجب أن يأتى اليها النور من الخارج . اعف عنى ياأستاذى . أعف عن جهلى . والان خبرنى يا أبت . أصحيح انالآلهة ترغب فى دم الملك ؟

راغوباتى — وأسفا يا بنى . هل فقدت ثقتك بى ؟

جاسنج — ان حياتى تتوقف على ثقتى فيك . واذا كانت الآلهة ترغب حقيقة

فى دم الملك فانى احضره اليا . وسوف لاامسح معالقا لاخ ان يقتل اخاه .

راغو باتى ـ لا يمكن ان يكون تنفيذنا لاوامر الله خطيئة

جاسنج ـ كلا انه لزام ان يكون خير . وسأنتهز فرصة نيله

راغو باتى ـ ولكنى انشأتك يابنى منذحداثتك ، وشببت قريبا من قلبى ، ولااستطيع ان افقدك مهما كانت الاحوال

جاسنج ـ سوف لا اجعل حبك مدنسا بالخطيئة . ويجب عليك إذن ان تحل ألامير نكشاترا من عهده

راغو باتى — سافكر ، ثم اخبرك عما ارى من رأى فى الغداة .

(يخرج)

* * *

جاسنج ـ ان العمل والتنفيذ ، مهما كان فيه من القسوة، لاروح على النفس من جحيم الفكر والشك . انك لعلى حق ياأستاذى، والصدق فيما نطقت به. لاخطيئة فى أن تقتل . ولا خطيئة فى ان يقتل الاخ اخاه . ولا خطيئة فى ان تقتل الملك .

الى اين انتم ذاهبون ؟ الى سوق نيسابور ؟ الى حيث ترقص النساء. آه ما احلى هذه الدنيا ! ان اطراف الفتاة الراقصة جميلة متناسقة

من اجل اية تسلية تجرى هذه الجماهير على الطريق مالئة جوانب الفضاء بصياحها المتعالى ؟ ساتبعهم لارى

(يدخل راغو باتى)

راغو باتى ـ جاسنج !

جاسنج ـ انى لا اعرفك ساغمر نفسى فى عمق الجماهير . فلماذا تأمرنى بالوقوف؟ اذهب فى طريقك .

راغوباتى — جاسنج !!

جاسنج — الطريق ممهود أمامى : سأسلكها وبيدى جرة الصدقات وهى البنت المتسولة أتخذها رفيقة . من ذا الذى يقول بأن طرق الدنيا ماتوية متعسرة؟ على أية حال سوف تبلغ بنا النهاية : النهاية التى تنتهى بمهاسلطة الشرائع والاحكام

وتنسى معها خطيئات الحياة وآلامها ، حيث تلك الراحة الابدية : ماذا تجدى عنا الكتب المقدسة ، والمعلمون وتعاليهم ؟ يا أستاذى : يا أبت ما هذه الكلمات البارزة التى نطقت بها ؟ أكنت في حلم ؟ هنالك يقوم المعبد ، كالحق فى ثباته وقوته . ماذا كانت أوامرك يا أستاذى ، انى لم أنسها بعد ؟

(ويخرج مديته)

انى أحد كلماتك في ذهنى ، حتى تبلغ من المضاء مبلغ هذه المدية . هل لديك أى أمر آخر لأتلقاه منك

راغوباتى — يا ولدى ! ياحبة قلبى بأى لسان أعبر لك عن مبلغ حبى لك ، وعطفى عليك

جاسنج — لا يا أستاذى .لا تحدثنى عن الحب . فلا فكر دائماً فى الواجب. إنما الحب كالحشيش الاخضر وكالأشجار وكموسيقى الحياة ، كلها أشياء ينعم بها سطح الارض . إنها تأتى وتفنى كالأحلام . ولكن من وراء هذه الاشياء يكون الواجب ، كطبقات الصخور العاتية ، أو كحمل ثقيل لا يمكن أن تزحزحه القوات

(يخرجان)

* * *

يدخل غوفندا وشندبال

شندبال ـ يامولاى انى اخشى ان تأخذ حذرك

غوفندا — ماذا تعنى؟

شندبال — ان مؤامرة تدبر لاغتيالك

غوفندا — من ذا الذى يريد حياتى

شندبال ـ احذر ان اخبرك يامولاى. لئلا يكون الخبر افعا في قتلك من المدينة ذاتها الامير نكشاترا . . . . هو الذى

غوفندا ـ نكشاترا !

شندبال ـ لقد وعد راغوباتى بأن يحضر دمك الى المعبد

غوفندا للآلهة ؟ إذن فليس لى أن ألومه . لأن الانسان يفقد انسانيته ، اذا مس الأمر آلهته . أنت تذهب الآن لعملك وتتركنى وحدى .

(يخرج شندبال)

الملك مخاطباً الصورة :

« تقبلى هذه الزهرات ، أيتها الآلهة ، قرباناً واتركي مخلوقاتك تعيش في سلام . أيتها الأم ، ان الضعفاء في هذه الدنيا قليلو الحيلة . أما الاقوياء فقساة غلاظ الأكباد . ان الطمع بلاشفقة ، والجهل أعمى ، والكبرياء لاتبالى عندما تحطم الأضعفين تحت أقدامها . أيتها الأم . لاترفعى سيفك وتقفى تتلظمين متعطشة للدماء . لاتثيرى الأخ على أخيه ، والمرأة على رجلها . أما اذا كانت شهوتك متجهة الى أن أطعن بيد شخص هو أخى ، اذن فلتكن رغبتك ، ولتنفذ مشيئتك . لأن الخطيئة يجب أن تنضج وأن تذهب الى أقصى حد من البشاعة قبل أن تنفجر براكينها ، وقبل أن تموت ميتة سحرية غير محسوس بها . فان دم الملك اذا أهرق بيد أخيه ، فهنالك تختفى نهمة الدماء وجهها الشيطانى ، تاركة تبعة العمل واقعة على عاتق الآلهة . وما دامت هذه هي ارادتك ، فانى أطأطىء لها الرأس احتراماً »

(يدخل جاسنج منزعجاً)

جاسنج ــ خبرينى أيتها الآلهة ! هل أنت حقيقة في حاجة الى دم ملكي ؟ اطلبيه بصوتك ، وأنت تنالينه .

صوت ــ أريد دماً ملكياً .

جاسنج ــ أيها الملك صل صلاتك الاخيرة ، فان ساعتك قد حانت .

غوفندا ــ ماالذى جعلك تنطق بهذا القول ياجاسنج .

جاسنج ــ ألم تسمع ما نطقت به الآلهة .

غوفندا ــ انها لم تكن الآلهة التى نطقت ! اني سمعت صوتا أعرفه حق المعرفة . انه صوت راغوباتي.

جاسنج ـ صوت راغوباتى ! كلا . كلا . لاتقذف بى من شك الى شك. سواء أصدر الصوت عن الآلهة ، أم عن الاستاذ ....

(يخرج مديته ويقذف بها بعيداً)

أصغ الى صياح أولادك أيتها الام . تقبلى الزهرات الجميلة وحدها قربانا . لا تطلبى من الدماء مزيداً ! إن هذه الزهرات حمراء بلون الدم . هذه الباقات المحوكة من زهر الهيبيسكوس . إنها نشأت من قلب الارض المتفجر غضباً وحقداً على قتل أولادها . تقبلى هذا ! انه يجب عليك أن تقبليه . انى لاأخشى غضبك . أما الدماء فلست تناليها أبداً من بعد هذا . لترفعى سيفك ، وتجحظ عيناك ! صبى علينا مهلكات السخط والتخريب . اننى لاأخافك ولاأرهبك . أيها الملك . اترك هذا المعبد لآلهته . واذهب لرجالك .

(يخرج غوفندا)

واأسفاه . أفي لحظة واحدة أبذل كل ما كان لدى . استاذى ! وآلهتى !

(يدخل راغوباتى)

***

راغوباتى ـ لقد سمعت كل شيء أيها الخائن . لقد خنت أستاذك .

جاسنج ـ عاقبنى ياأبت .

راغواباتى ـ أى عقاب تستحق ؟

جاسنج ـ عاقبنى بالموت

راغوباتى ـ كلا . فان الموت لاشيء . اقسم قسمك وأنت تلمس قدمى الآلهة

جاسنح ـ المس قدميها ؟

راغوباتى ـ قل : سأحضر دماً ملكياً الى مذبح الآلهة قبل أن ينتصف الليل !

جاسنح ـ سأحضر دما ملكيا الى مذبح الآلهة قبل أن ينتصف الليل .

(يخرجان)

. . .

تدخل جونافاتى

جونافاتى ـ لقد أخفق سعيي . لقد ظننت بأني لو ظللت جامدة هادئة بضعة أيام ، فانه سوف يسلم بما أطلب . كان فى وسعى أن أنعم بمثل هذا الاعتقاد . أية امرأة خرقاء أنا ! أظهرت أشد الغضب ، وظللت بعيدة عنه . وكان كل هذا بلا نتيجة . ان غضب المرأة كلألاء الماس ، يضيء ، ولكنه لا يحرق . كنت أحب أن يكون كالرعد ينفجر فوق قصر الملك ، فيزعجه من نومه العميق ، ويحطم كبرياءه إلى الحضيض .

(يدخل الفتى دروفا)

* * *

جونافاتى ـ إلى أين أنت ذاهب ؟

دروفا ـ إن الملك يدعونى .

(يخرج)

جونافاتى — هنالك يذهب هذا الفتى ، حبة قلب الملك . لقد اغتصب أولادى الذين لم يولدوا بعد حب أبيهم ، واعتدى على حقهم حيث تربع فى قلب الملك سلطانا آمراً . أيتها الام « قالى » : إن خلقك بلا نهاية ، مملوء بالصور والاعاجيب . ارسلى الى بطفل اضمه بين ذراعى ، ولو في الخيال وخطرات الوهم . أنه لن يكون اكثر من قطعة من اللحم البشرى تسد فراغي ، وتؤنس وحشتى ، وسوف لا ابخل عليك بهباتى مهما طلبت. (يدخل نكشاترا)

أيها الامير ! نكشاترا . لماذا ترجع ؟ انى امرأة ضعيفة ، مفلولة السلاح ، بل مملوءة ذعراً ، فائضة رعبا .

نكشاترا — كلا . لا تناديني :

جونافاتى — لماذا ؟ أى ضرر فى هذا ؟

نكشاترا — انى لا اريد أن اكون ملكا .

جونافاتى — ولأى شيء انت فى هذا الانزعاج ؟

نكشاترا — اتمنى ان يعيش الملك عمراً مديداً ، وان اموت كما أنا ، أميراً لا غير

جونافاتى — اذن قمت باسرع ما يكن . هـل تفوهت بشىء أغضبك ؟
نـكشاترا — اذن خبرينى اى شىء تطلبين منى ؟
جونافاتى — ان اللص الذى يريد ان يسلب التاج في انتظارك — ابعده عنا . هل تفهم ؟
نـكشاترا — نعم • من هو هذا اللص
جونافاتى — الفتى دروفا ! الست ترى ان حبه يتزايد في قلب الملك ، وكيف يتدرج في الاستعلاء ، حتى لقد يأتى يوم يصل فيه الى التاج ؟
نـكشاترا ـ نعم . لقد فكرت في هذا الامر كثيراً . لقـد رأيت أخى فى مباذلة يضع التاج على رأس الفتى .
جونافاتى — إن اللعب بالتاج لعب خطر . فاذا لم تبعد اللاعب ، فانه سوف يلعب بك أيضاً .
نـكشاترا ـ نعم إنى لا أحب هذا.
جونافاتى ـ ضح به للآلهة « قالى » . ألم تسمع بأن الآلهة متعطشة للدماء .
نـكشاترا ـ ولـكن ؟ أيتها الاخت . ليس هذا من شأنى .
جونافاتى ـ أيها الأبله . هل يمكن أن تتصور بأنك فى أمن ما دامت الأم في نهمتها متلظية عاطشة ؟ يجب أن تنعم بالدماء . نج حياتك اذا استطعت .
نـكشاترا ـ ولـكنها تطلب دماً ملـكياً .
جونافاتى ـ من ذا الذى أخبرك بهذا ؟
نـكشاترا ـ عرفته من شخص ترسل اليه الآلهة بأحلامها .
جونافاتى ـ إذن يجب أن يموت هذا الفتى فداء للملك . إن دمه أغلى على أخيك من نفسه . ويمكن أن ينجو الملك بأن يدفع فدية هي أثمن عليه من حياته.
نكشاترا — فهمت !
جونافاتى — إذن فلا تضع وقتاً ، اتبعه ، انه لم يذهب بعيد ، ولكن تذكر! ضحه باسمى
نكشاترا — سأفعل .

جونافاتي — ان قربانات الملكة قد ردت ثانية من باب معبد الام ، أسألها أن تغفر لي .

(يخرجان)

*

* *

يدخل جاسنج

جاسنج — أيتها الام ! هل بقي من شيء صغير أم كبير قد سلم في نزوة تخريبك ؟ اذا كان قد بقي لديك اضعف شعاع من اقباسك المضيئة ينير نجماً قصياً في أبعاد الوجود ، فأجيبي ندائي ، ولو ان صوتي هافت ضعيف

ناديني ! قولي ! « يابني ها أنذا »

كلا ! انها ليست في مكان . انها غير موجودة . انها عدم . ولكن إرحمي ضعف جاسنج واشفقي عليه . أنت يأتيها الوهم المجسم أنقلبي حقيقة من اجله . هل انت باطل صرف ، وعدم مطلق ، حتى ليعجز حبي عن أن يبعث أقل أثر من الحياة في فراغك الذى هو لا شيء أصلا ؟

أيها المجنون ! لمن تقلب كأس حياتك لتفرغ كل ما فيه ! — أمن أجل هذا الفراغ الذى لا يرد سؤالا ولا يحير جوابا . ألهذا الفراغ ، الذى لا حقيقة له ولا رحمة فيه ، ولا حباً أبويا يهديه ؟

(تدخل أبارنا)

أبارنا ! لقد أقصوك عن المعبد وهكذا تعودين اليه مرة ثانية . لانك حق دائن ، والحق لا يمكن أن يستأصل . إننا نقدس الباطل فى معبدنا ، ونعبده خاضعين منيبين ، ومع كل هذا فان الام لن تكون هنالك . لا تفارقيني يا أبارنا اجلسي الى جانبي . لماذا أنت حزينة ؟ ياحبة قلبي ! هل فقدت إلهاً لم يصبح إلهاً بعد ؟ وهل لنا من حاجة بالآلهة في هذه الدنيا الصغيرة ؟ لنكن بلا آلهة ، ولنبق على هذا بلا خوف ! وليقترب بعضنا من بعض . انهم يريدون دماءنا ولهذا هبطوا الى تراب هذه الارض ، تاركين أبهة السماء وعظمتها . ليس لديهم من أناسي فى ملكوت سماواتهم ، كلا ولا مخلوقات ، تقاسي الآلام والتعذيب . كلا يابنيتي ، ليس لنا آلهة .

أبارنا ـ إذن فاترك هذا الهيكل واتبعني حيث أذهب .

جاسنج ـ أأترك هذا المعبد ؟ نعم . سأذهب بعيداً ، وا أسفاه ياأبارنا ! إنه يجب ان أذهب بعيداً ، يجب أن أفارق المكان ، ومع هذا فاني لا أستطيع أن أذهب قبل أن أقوم بوفاء آخر ما على من دين ..... ولكن . فليكن ذلك ، اقتربى منى ياحبيبتى ، اسرى شيئاً فى أذنى يغمر هذه الحياة بالجذل والنعماء ، بل يغمر الموت نفسه .

أبارنا ـ إن الكلمات لا تتدفق عند ما يكون القلب ملآناً الى الحافة

جاسنج ـ فاسندى رأسك الى صدرى إذن. دعى سكونا اللانهايتين، الحياة والموت، يلتقيان. ولكن لا أريد مزيداً من هذا ،

أبارنا ـ لا تكن قاسياً ، ألا يمكن أن تشعر بما قاسيت ؟

جاسنج ـ أأنا قاس ؟ أهذه آخر كلمة اسمعها منك ؟ قاس . كهذه الكتلة الصخرية التى ندعوها إلهتنا . يا أبارنا ، ياحبيبتى ، لو أنك كنت آلهة إذن لعلمت أى نار تحرق قلبى ، ولكن أنت إلهتى ، هل تعرفين كيف وصل هذا الى علمى ؟

أبارنا ـ خبرنى

جاسنج ـ إنك إنما تحضرين الى محبك كل برهة كما تحضر الام الى طفلها ، ان الآله يجب أن يكون تضحية صرفة ، ليصب عناصر حياته فى معين كل المخلوقات

أبارنا ـ جاسنج ! تعال الى . دعنا نفارق هذا المعبد ونذهب بعيدا مترافقين

جاسنج ـ نجينى ياأبارنا ، إرحمينى واتركينى . ليس لى فى هذه الحياة سوى غرض واحد فلا تغتصبى من قلبى ذلك المكان الذى حل فيه هذا الغرض

(يفر خارجا)

أبارنا ـ لقد تألمت ثم تألمت ، ذهبت قوتى ، تفطر قلبى

(تخرج)

...

يدخل راغو باتى والامير نكشاترا .

راغو باتى ـ أيها الامير أين خبأت الفتى !

نكشاترا ـ إنه في الحجرة ، حيث توجد آنية العبادة . لقد حاول أن ينام. أظن انني عاجز عن ان أحتمل هذا ، عند ما أراه مستيقظاً ثانية

راغو باتى ـ كان جاسنج فى سنه عندما حضر الى ، وأتذكر كم بكي حتى نام عند قدمي الآلهة ، ومصباح المعبد يرسل نوراً ضعيفاً على وجه المبلل بالدموع ، وكانت ليلة عاصفة كهذه الليلة تماما

نكشاترا ـ لاتتمهل ياأبت، أريد أن أنهى كل أمر وهو نائم ، ان صراخه يخترق قلبي كمدية محدودة الغراب .

راغو باتى ـ سوف أسقيه منوماً اذا استيقظ

نكشاترا ـ ان الملك سوف يعرف الحقيقة، اذا لم تسرع ، لانه يفرغ في الليل من مشاغل الملك ليشغل نفسه بهذا الفتى

راغو باتى ـ كن أكثر ثقة في الآلهة ، فان الفريسة الآن بين يديها ،ولن تفلت

نكشاترا ـ ولكن شندبال يقظ وعلى حذر

راغو باتى ـ ليس هو بأكثر يقظة من أمنا

نكشاترا — ظننت انى رأيت شبحاً مر قريباً منا

راغو باتى : انه شبح مخاوفك

نكشاترا ـ ألسنا نسمع صوت استغاثة ؟

راغو باتى ـ إن هذا صوت قلبك . أقص عنك المخاوف أيها الامير . دعنا نشرب هذا الخمر في أوانه . ان الغرض الذى يرمى اليه الانسان ، ليظل ضخما عظيما مخيفا مادام كامناً بين طيات العقل لم يخرج الى حيز الوجود . أما بعد تنفيذه فانه يلوح صغيراً ضئيلا . ان البخار انما يكون داكن اللون منتشراً في الفضاء يغشاه . فاذا استحال ماء ، أصبح قطرات ضئيلة شفافة .

أيها الامير: إن الامر كلا شيء . إنه لا يستغرق لحظة واحدة . لا أكثر مما يلزم لاطفاء قنديل . إن ضوء هذه الحياة إنما ينطفىء فى طرفة عين ، كالبرق

إذ يتراءى فى ليلة عاصفة من ليالى الصيف ، ولكنه يترك في قلب الملك عاصفة منقضة تبلغ الى اعماقه

ولكن لماذا أراك أيها الامير صامتاً باهتاً ؟

نكشاترا ـ أظن أنه من الحكمة أن لا نذهب الى هذا الحد من الخرق. فلنترك هذا العمل الى الليلة القادمة :

راغوباتى ـ ان هذه الليلة مثل القادمة ، وربما كانت أنسب

نكشاترا ـ اصغ الى وقع الاقدام !!!

راغوباتى ـ لست أسمع شيئا

نكشاترا ـ أنظر هنالك ! أنظر الضوء

راغوباتى ـ لقد أتى الملك ! اخشى أن نكون قد توانينا كثيرا

يدخل الملك ومعه بطانة

الملك ـ اقبضوا عليهما : (والى راغوباتى) هل عندك شيء تقوله

راغوباتى ـ كلا

الملك ـ هل تعترف بجريمتك ؟

راغوباتى ـ جريمة ! نعم ! إنما جريمتي في ان ضعفى قد أخرنى عن أن أقوم بخدمة الام. ان هذا العقاب تنزله بى الآلهة . إنك لست بشيء سوى آلة فى يدها

غوفندا ـ تنفيذا لشرائعى سوف يذهب بك جنودى إلى المنفى ياراغوباتى ، حيث تمضى ثمانية أعوام من حياتك

راغوباتى ـ أيها الملك إنى لم أجث أمام مخلوق فان من قبل في حياتى . إنى برهمى. ان قصرك أضأل من قصرى وأدنى مكانة . غير انى أفزع اليك ، بكل خضوع أن تؤجل نفيي يوما واحدا

غوفندا ـ لقد أعطيت سؤلك

راغوباتى ـ (باستهزاء) أنت ملك الملوك . وما من شيء في هذه الدنيا يتساوى مع جلال قدرك ، سوى رحمة قلبك . بينما أجد نفسى كدودة حقيرة تدب فوق الثرى (يخرج)

غوفندا ــ اعترف بجريمتك يا نكشاترا !

نكشاترا ــ انى مجرم يامولاى . ولا أستطيع أن أطلب عفوك

غوفندا ــ إنى اعرف انك طيب القلب أيها الامير . فخبرنى من ذا الذى زودك بهذه النصيحة الفاسدة

نكشاترا ــ لست بذاكر أى اسم أيها الملك. إن الجريمة جريمتى وحدى . ولقد عفوت عن أخيك الاحمق اكثر من مرة ، وانه ليقف أمامك الآن يطلب عفوك مرة أخرى

غوفندا ــ نكشاترا ! قف واترك قدمى ، ان القاضى ما زال أشد تقيدا بالشرائع من اسيره الذى يقف بين يديه في موقف الاتهام

البطانة ــ تذكر يامولاى انه أخاك واعف عنه

غوفندا ــ يجب أن أتذكر أنى ملك . سيظل نكشاترا منفيا ثمانية أعوام في ذلك القصر الذى شيدته على ضفاف النهر المقدس خارج حدود تريبورا

(ويمسك يدى نكشاترا)

إن هذا العقاب لا ينزل بك وحدك يا أخى ، بل ينزل بى أيضاً . وانه لأشد وقعاً على لأنى لا أستطيع أن أشاركك فيه بجسمى . إن الفراغ الذى سوف تتركه في قصرى تحز ذكراه فى قلبى كل يوم ، وعسى أن تكون الآلهة اكثر حنواً عليك في منفاك ، منى عليك هنا بين أحضانى .

(يخرجون)

* * *

يدخل راغوباتى وجاسنج

راغوباتى ـــ إن كبريائى تتمرغ فى أقذر حمأة . لقد دنست برهميتى . إنى لم أعد أستاذك بعد يا بنى . بالأمس كان لى الحق في أن أوجه إليك بأوامرى . واليوم أمت اليك أن تساعدنى . إن ذلك الضوء الذى كان ينير قلبى قد انطفأ . ذلك الضوء الذى كان يعطينى الحق في مقاومة سلطة الملك . إن الأنوار الارضية يمكن إشعالها مرة بعد أخرى ، أما النجم إذا فقد ضوءه ، فقد انقرض الى أبد

الا بدين . إن الأيام التى نقضيها في هـذه الحياة ، ذرة من هباء . إنها لأقل أعطيات الاله . ومع هذا فقد طلبت من الملك أن يهبنى يوماً واحداً من أيامها جاثياً على ركبتى . ولسوف لا أترك هذا اليوم يمر عبثاً ويذهب سدى . فلأخضب جبين هذا اليوم بدم الملك الفانى قبل أن تمر ساعاته .

لماذا لا تتكلم يا بنى ؟ أليس لى الحق في أن أطلب طاعتك وأنا فى مكان الأب منك ، ولو أنى فقدت الحق في أن أكون أستاذك ؟ أنا الذى لى عليك ما للآباء على أبنائهم . ألم أنشئك يتيما فقيراً ؟

إن الرجل الذى يستجدى الحب لأتعس المتسولين . ألا تزال صامتاً يابنى؟ إذن فلأجث أمامك على ركبتى . أنت يامن كان أقصر من ساقى طولا عندما أخذته في أحضانى .

جاسنج — ياأبت . لا تزد من وخزاتك المؤلمة فى جوانب قلب كسير . أما إذا كانت الآلهة عاطشة إلى دم ملكي ، فإنى سوف آتيها به قبل أن يحل ظلام الليل . سأقوم بتأدية كل دينى وأدفع ما على • انتظر عودتى ، فإنى سأرجع سريعاً

(يخرج) — عاصفة فى الخارج •

راغوباتى — لقد استيقظت أخيراً • لقد استيقظت الخيفة المرعبة . ان لعناتها تسير في ممرات القرية صاخبة غاضبة • إن المرعبات الجائعات يهززن أغصان الشجرة الدنيوية بكل ما لديهن من قوة وبطش ، حتى لتكاد النجوم أن تصعق الأرض انقضاضاً •

أيتها الأم • لماذا تتركين أبناءك تائهين في فلوات الشك مرغين فى حمأة الاحتقار طويلا ؟ لا تتركى لخادمك الضعيف أن يرفع سيفك في يده • ارفعى ساعدك القوى ليعمل عمله وينفذ الارادة القدسية •

إنى أسمع وقع أقدام •

* * *

تدخل أبارنا

أبارنا — أين جاسنج ؟

راغوباتى — إذهبى بعيداً أيتها المشؤم الجسم •

(تخرج أبارنا)

وماذا يكون العمل لو أن جاسنج لا يعود ثانية ؟ كلا • أنه لن ينقض عهده • لك النصر أيتها العظيمة « قالى » • أنت يا من تمنحين الفخار والنجاح لمن يطلبه منك • ولكن ما العمل لو عاقه عائق ، ماذا يكون لو قبض عليه العسس وأزهقوا روحه ؟

لك النصر يا إلهتنا اليقظة . يا أمنا القاهرة . لا تفقدينا الثقة بك، ولا تجملى بسمات السخرية منك تنطبع على شفاه أعدائك •

أما إذا كان لزاما أن يفقد أولادك كبرياءهم ، ويعدموا ثقتهم بامهم العظمى ، وأن يحنوا رؤوسهم ذلة أمام الثائرين عليهم ، فمن ذا الذى يمد يده فى هذه الدنيا اليتيمة ليرفع أعلامك ، ويشيد بذكرك ؟

إنى أسمع وقع أقدام • ولكن ! أهكذا سريعاً ؟ أهو عائد بعد أن أتم غرضه؟ كلا إن هذا غير ممكن . لماذا ؛ ان وقوع المعجزة لا يحتاج الى زمان محدود •

أيتها السيدة المتربعة على هامة الزمان ، يامن تفز عيننا بعقدك المحوك من الجماجم البشرية .

(يدخل جاسنج فى سرعة)

جاسنج أين الدم •

جاسنج — إنه معى • إمنحنى الحرية . دعنى أقدمه بنفسى

(ويدخل الهيكل)

أأنت فى حاجة إلى دم ملكي ، أيتها الأم العظمى . أنت يامن ترضعين الدنيا وهي وعلى صدرك بلبان الحياة ؟ أنى من سلالة ملوك كشاتريا !!! لقد تربع أسلافى فوق العروش ومنهم من شرع للناس وتحكم في رقابهم . إن في عروقى دما ملكياً . خذيه إذن ، وردى عطشك إلى الأبد .

(يطعن نفسه بمدية ويسقط صريعاً)

راغوباتى — جاسنج ! يالك من قاس . يالك من قليل الوفاء . لقد ارتكبت

أشنع الجرائم . إنك قتلت أباك . أعف عنى يا جاسنج . عد ثانية الى قلبي ، فأنك كنزه وسلوته . انى لأموت حيث مت .

* * *

تدخل أبارنا

أبارنا — ان هذا ليذهب عقلى ! أين جاسنج ؟ أين هو ؟

راغوباتى — يا أبارنا ، تقدمى يابنتى . أدع جاسنج بكل ما أوتيت من قوة الحب . أعيديه ثانية الى الحياة . خذيه لك ، واذهبي به بعيداً عنى . ولكن أعيدى اليه الحياة .

(تدخل أبارنا الى الهيكل وتسقط مغشياً عليها)

(راغوباتى ينطح أرض المعبد بمقدم رأسه)

— أعطينيه . رديه الى . أعيديه الى ثانية

(ويقف مخاطباً الصورة)

أنظروا كيف تقف هنالك ، تلك القطعة الصخرية الصماء العمياء الخرساء . كل الدنيا الحزينة تبكي عند بابها . وأنبل القلوب تنداك محطمة تحت قدميها الحجريتين .

ردى على جاسنج .... كل هـذا عبث . ان صرخاتنا المزعجة الحزينة تمضى مع الريح تائهة فى خلاء اللا نهايه . في ذلك الخلاء الذى نحاول أن نملأه بأمثال هذه الأقانيم الصخريه .

لتذهب هذه الاحلام الفارغة الخاوية بعيداً عنا ، تلك الاحلام التى تستحجر فتصير صخراً ، ينوء باثقاله على كاهل الدنيا

(يلقى بالصورة إلى الأرض ويخرج إلى فناء المعبد)

* * *

تدخل جونافاتى

جونافاتى — لك النصر يا إلهتنا العظيمة . ولكن ! أين الآلهة ؟

راغوباتى — ليس هنا آلهة !

جونافاتی ـ أعدها ثانية يا أبت . لقد أحضرت اليها قرباناتي . لقد حضرت أخيراً لاشبع جوعها ونهمتها بدم قلبي ؛ لتعرف أن الملكة صادقة الوعد ، باقية على العهد .

إرحمني يا أبت وأعد الآلهة هذه الليلة . هذه الليلة فقط .

خبرني أين هي ؟

راغوباتي ـ إنها ليست في مكان ! لا فى العلاء ، ولا في الحضيض .

جونافاتی ـ ألم تكن الآلهة هنا في المعبد ؟

راغو باتی ـ آلهة ! إذا كان في أطراف الدنيا آلهة حقاً وصدقاً ، فهل فى مستطاعها أن ترتكب كل هذه الموبقات لتلطخ إسمها بالعار .

جونافاتی ـ لا تؤذنى وتزيد ألمى . أصدقنى . ألا يوجد من آلهة ؟

راغوباتی ـ كلا . لا يوجد .

جونافاتی ـ إذن فمن كان هنا ؟

راغوباتی ـ لا شيء . لاشيء .

(تخرج أبارنا من الهيكل)

أبارنا ـ يا أبت !

راغوباتی ـ يا بنيتى العزيزة ! أتقولين يا أبت ؟ هل قلت هذا ؟ أتوبخينني به ؟ هل خلف لى إبنى الذى قتلته الآن بيدى الآثمة هذا النداء الشهى وراءه ممثلا في نبرات صوتك الحزينة ؟

أبارنا ـ يا أبت ؟ أترك هذا المعبد . لنذهب بعيداً عن هنا .

* * *

يدخل الملك

غوفندا ـ أين الآلهة ؟

راغوباتی ـ الآلهة ليست في مكان !

غوفندا ـ ولكن دم من هذا ؟

راغوباتى ـ دم جاسنج أيها الملك ؟ جاسنج الذى أحبك وأخلص اليك . قد قتل نفسه .

غوفندا ـ قتل نفسه . ولماذا ؟

راغوباتى ـ ليقتل الاوهام ، التى تمتص دم الحياة الانسانية .

غوفندا ـ إنه لعظيم خالد ! لقد غزى الموت وأذله . فله تحياتى وعليه حزنى

جونافاتى ـ أيها الملك !

غوفندا ـ لبيك يا معبودى !

جونافاتى ـ إن الآلهة لم تعد كائنة بعد .

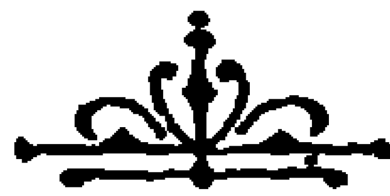
غوفندا ـ لقد هجرت هيكلها الصغرى ، وحلت ثانية فى قلب المرأة ،

أبارنا ـ تعال بعيداً .

راغوباتى ـ تعال يابنيتى . تعال ياأمى. لقد وجدتك . أنت آخر ما بذل جاسنج ونهاية عطاياه ؟

(ويخرجون في خشوع)

برقين — ١٥ يناير سنه ١٩٢٧



تأملات في الأدب والحياة

من الاقوال المأثورة عن الكردينال نيومان : انك اذا لم تحدد الاشياء تحديدا تاما ، كانت المناقشات إما بلا نتيجة وإما بلا فائدة. ولا ريبة مطلقا في صحة هذا القول. على أن الذى يحملنا على الكلام فيه عدم تحديدنا لشيء من الاشياء التى ندعى بان نهضتنا الحديثة في مصر خاصة ، وفي الشرق عامة ، قد قامت عليها

على انى لا انكر أن هنالك من المقولات ما لا تتفق عليها التعاريف والتحديدات المختلفة . فلعمرك كيف يمكن أن تحدد الوطنية مثلا ، بل كيف تحدد القومية ، وهي من اكثر الاشياء جريا على الالسنة والاقلام ، والناس مختلفون فيها اشد الاختلاف ؟ على اننا والحق يقال لم نفهم من الوطنية الا انها « ما يتفق مع المصالح الذاتية » . هذا مفهوم الوطنية فى الشرق ، أو على الاقل الفكرة السائدة فيها .

غير اننا اذا التمسنا عذرا عن تحديد المقولات فما عذرنا فى عدم تحديد الاشياء المادية . فالعلم والادب والفن ، ثلاثة اشياء اقتبسناها حديثا عن أوروبا محدودة تحديدا تاما . ولا شك في أن البعض سوف يقولون باننا لم نقتبس هذه الاشياء بالذات ، ولكننا اقتبسنا صورها الحديثة ، أما أصولها فنحن واضعوها على أن هذا القول ليس ببعيد عن الصحة كثيرا وأن كان غير صحيح تماماً . فان اقتباسنا للعلم والفن وللادب عن الغرب حديث فعلا ، اذا اعتبرنا الصور القديمة التى نقلها الينا الزمان عن اسلافنا من هذه الاشياء . فاننا اذا قلنا باننا اقتبسناها حديثا ، فانما نعنى أننا أخذناها محدودة على حسب كفايات العقل الانسانى ، وذلك ما لم يصل اليه الشرق في سالف ازمانه

غير ان نزعاتنا القديمة تغلبت على الصورة الحديثة التى حددت هذه الكفايات العقلية فتخالطت تخالطا شنيعا . ولا جرم اننا لا نستطيع أن نخطوا الى الامام خطا واسعة ثابتة قبل أن نحدد المقولات على مقتضى كفايات العقل الانسانى تحديدا

ينير السبيل ويقضى على الفوضى السائدة اليوم في نواحى الحياة فى الشرق .

***

يخطىء كثير من الكتاب ، بل يخلطون بين مايسمونه مدنية العرب ، ومدنية الاسلام . والحقيقة أنه لا يوجد شيء يقال له المدنية العربية. واذا قلنا تجاوزا «مدنية عربية» هوينا بمعقول المدنية أو الحضارة الى تلك الصور الغريبة التى كنت تراها فى بلاد العرب أيام الجاهلية . قبائل رحل لاتعرف طريقا للحياة الا الغزو والحروب المستمرة .ولست ادرى كيف تكون مدنية تلك التى لم تستقر الحياة فيها على قاعدة أو قانون ، اللهم الا الارادة المطلقة من كل القيود الاولية التى تقوم عليها أبسط صور المدنية

والحقيقة ان الاسلام لم يكن دينا فقط بل كان دينا ومدنية وحكومة. فالمدنية التى نخطىء ونسميها مدنية عربية هي لدى الواقع مدنية اسلامية ، استمدت من مختلف صور المدنيات التى احتك بها الاسلام وقام على انقاضها. على مدنية الفرس والبيزنطيين والقوط في اسبانيا . والغريب في امر الاسلام انه قضى على الصور المدنية القديمة قضاء تاما واحل محلها مدنيته المنتحلة ، فصبغ الفرس والمصريين والبيزنطيين واليهود الذين دخلوا حوزته بمدنية واحدة وصورة واحدة لاتزال حتى اليوم الطابع الخاص للمسلمين فى انحاء الارض. وماقولك في ان الهندى والصومالى والجاوى والصيني والبربر والشوام ، على اختلاف صورهم الخارجية، لهم طابع مدنى واحد وهو طابع الاسلام اذا كانوا مسلمين

وطابع آخر مختلف عن هذا تمام الاختلاف اذا كانو غير مسلمين

والحقيقة ان التوراة اذا كانت قد نجحت فى الاحتفاظ بالطابع القديم الذى تصف به اليهود ، فان القرآن قد نجح بدوره فى خلق مدنية لانظن انها تزول من سطح الارض على مدى الازمان

***

وماقولك بمن يقولون «الفلسفة العربية» ؟ هؤلاء أيضا مخطئون اذا حق للانجليزى ان يقول الفلسفة الانجليزية ، وللالمانى ان يقول الفلسفة

الالمانية ،وللفرنسوى ان يقول الفلسفة الفرنساوية ، صح لنا ان نقول فلسفة عربية. والسبب في هذا أن صور الفلسفة ومذاهبها ليست وقفا على شعب دون شعب أو فريق دون فريق .إنها مشاع بين الناس ، بل تكاد تكون أول مايطبق عليه مذهب الشيوعية بنجاح عظيم

اعتقد ، واظن انى محق ، ان القول بان هناك فلاسفة عرب ، اقرب الى الفهم من القول بان هناك فلسفة عربية .وهذا ينطبق على كل الامم . فالفكرة الفلسفية الواحدة قد تتفرع الى عدة مذاهب وقد يبنى عليها مدرسة جديدة أو عدة مدارس.ومن الجائز أن تكون مستمدة في الاصل من اليونان أو اليهود أو الصينيين أو المصريين ، لتقوم عليها مذاهب في أوروبا، وقد ترجع في اصلها الى أوروبا، فيقوم عليها مذهب في الشرق وهذا اقرب صور الشيوعية لما يعنى الشيوعيون

على انني لاارى مانعاً علمياً من ان نجرى على استعمال الاصطلاح اذا حدد هذا التحديد وعرف على هذا النحو . اما تحديد الفلسفة بانها عربية اوشامية او انجليزية او صينية اوغير ذلك ، تحديد تخصيص لاتعميم، ففيه كثير مما يأباه العلم ولاترضى به الحقيقة

* * *

احتار كثيرا فيما اسمى به اللزوميات وسقط الزند ، لابى العلا المصرى . هل اسمى الكتابين أدبا أم فلسفة ؟ واحتار ايضاً في تحديد الصورة التى طبع بها ابى العلاء نفسه . فبينما تراه شديد الايمان قاسى العقيدة تراه فى موطن آخر كبير الشك الى حد الفسوق تقريبا . و بينا تراه مؤمنا تقع عليه وقد نهشت اللاأدرية كل نواحي دماغه الكبير

على ان هذا الطابع يؤثر كثيرا فى تحديد الصفة التى تدمغ بها كتبه التى وصلت الينا . وليس هذا هو السبب الاوحد فيما تجد من حيرة . فان وضع مبادئه الفلسفية فى صورة شعرية سبب آخر لايجعل تحديد فلسفته او مراميه الفكرية سهلا مستطاعا . ولو كان المعرى قد كتب فلسفته التى بثها في أشعاره التى وصلت الينا،

نثرا لظهر لنا في أقبح صور التناقض واشنع الوان التضارب الفكرى . ولكن الشعر يعمى على كثير مما في فلسفته من النقائص .

وبعد هذا ، هل نستطيع ن أندعو أشعاره تأملات ، كتأملات ديكارت أو مارك أوريل أنطونين ؟ كلا ـ فان تأملات ديكارت كانت أساس مدرسة حديثة تحددت تحديداً تاما . وتأملات انطونين تكاد تكون مثال الفكرة الرواقية التي بدأها الفيلسوف زينو . ولو أنك أردت أن تحدد بحق شخصية أبي العلاء الفلسفية تحديداً صحيحاً على اعتبار انه فيلسوف، كما نقول تفريطاً ، لألحقناه بعشرة مدارس فلسفيه تجاوزاً ، ولاقتصصنا أثره الى مالا يقل عن عشرين فيلسوف من القدماء !

* * *

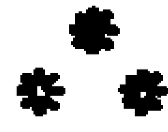
من أكبر ما تقوم عليه النهضة الحقيقية استعاقنا فى درس التاريخ . وحتى الآن لم نبدأ بذلك، فكأننا نبنى نهضتنا على أسس لا تجمع بينها جامعة واحدة. وهذه الجامعة هي ولا شك درس التاريخ .

على اننا لم نهمل فقط درس التاريخ ، بل اننا لم نحدد بعد معناه والمكان الذى يشغله فى كفايات العقل الانسانى . هل التاريخ علم ؟ ام هو فن ؟ ام هو مزيج من كليهما ام ، هو يتخذ الاسلوب العلمى البحت حينا والفنى حينا آخر من غير مزج ولا ادماج ؟

على ان جهد ماوصلنا اليه حتى اليوم فى درس التاريخ لا يتعدى قص الحوادث ونسردها . بل لم نعن الا بتاريخ التهديم دون تاريخ البناء . عرفنا تاريخ الوقائع الحربية والمحاربين . ولكن اين تاريخ المدنية ، واين تاريخ الجماعات البشرية واين تاريخ الادب والفن ؟ الى غير ذلك .

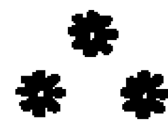
ليس لدينا شيء من هذا بل ليس لدينا من التاريخ الا الاسم . ومع هذا نقول أننا فى نهضة واننا ناهضون. كذلك يجرى البعض في قياس معيار النهضة بكثرة ماتخرج المطابع من مطبوعات والجرائد من ورقات . ولكن القيمة الحقيقية

لا تنحصر في الكم بل فى الكيف ، على حد استعمال المناطقة . أى أنها لا تنحصر في الحجم بل في الصفة . وهل نستطيع أن نقول إن «الصفة» التى اتصفت بها المؤلفات والمطبوعات الحديثة تدل على نهوض صحيح قائم على أساليب جدية ؟ أخشى أن يكون الجواب سلباً



من الجائز ، والاصح ان نقول انه ليس من المستحيل ، أن يبارى الشرقيون الغربيين فى ظواهر المدنية ، إما في حقيقتها فان فكرة الجواز ذاتها قد تكون تطرفاً في القول ، وتعميا لامبرر له .

تقوم المدنية فى الغرب على معقولات قد ندركها تماماً ، ولكن يتعذر علينا أن نطبقها تطبيقاً صحيحاً. نصرف هذا الحكم على الحالة القائمة اليوم والتى سوف تظل قائمة ازمانا مديدة . ولكن من ذا الذى يستطيع ان يتهكن بما يخبأ المستقبل البعيد ! لعل فى طبائعنا متسعا لتطبيق العمليات بقدر ما فى اذهاننا من قدرة على ادراك النظريات . اما اذا صح هـذا فلا شك في اننا سننهض ، وأننا سنترك اثرا خالدا في تاريخ العالم ، ونعيد المجد القديم بصورة جديدة.



كتبت لاستاذى المرحوم الدكتور صروف مرة ضمن خطاب أنى مكب على قراءة كتاب حديث في حياة «سيزار بورجيا» المشهور ، فكان جوابه أنه لايهتم ببورجيا ، وماذا ينقص الانسان اذا لم يعرف بورجيا هذا في حياته ، بل ولم يمر اسمه على اذنه ؟

والحقيقة ان هذا الجواب قد أوقعنى فى سلسلة طويلة من التأملات . ترى لماذا يهتم إذن المؤلف بوضع كتابه هذا ويجهد نفسه فى جمع أدلته واسانيده مما لا يقل عن خمسين كتابا ؟ واذا كان ما قال الاستاذ صحيحا ، فهل يوافقه الكثيرون ممن يقرؤون التراجم على رأيه ؟ واذا كان بورجيا هذا على شهرته التاريخية وانفراده بشخصية فذة لا يستحق الاهتمام ، فمن أى شيء اذن يتكون تاريخ الامم ؟

غير أني اهتديت الى الجواب . فالاستاذ نشأ نشأة علمية . ومن ينشأ هذه النشأة لا يهتم بسيزار بورجيا ولا بكل بورجيا في الارض . كذلك خطر لي أن أهل أوروبا قد فرغوا مما تحتاج اليه صورة المعرفة لتكون تامة على وجه التقريب ، ولهم أن يبحثوا و يعيدوا البحث فى أشياء تلوح لنا تافهة ، لاننا لم نبلغ من المعرفة صورة ولو ضئيلة . أما اذا بلغنا مبلغهم فعندها نهتم بما يهتمون به ونجد من يهتم به .

والحقيقة أن سوق العلم والادب في الشرق قائمة . ولكن على العارضين . أما الطالبون للبضاعة فاين هم ؟ فتش عنهم ولو بمصباح ديوجينيس .!

. . .

الحياة مجموعة متناقضات تكون كلا واحداً فيه ألفة واتساق . وقد نجد فى الحياة متناقضات ظاهرة جلية وأخرى خفية عميقة . أما المتناقضات الظاهرة بل اجلى هذه المتناقضات مسألة الموت والحياة. فان هذه السلسلة التي لا تنتهى مكونة من متناقضين لا يقوم احدهما إلا بالآخر . اما المتناقضات الخفية العميقة فتلك التى تقع عليها من اعمق اغوار النفس.حب وكراهية.رغبة ورهبة.ظلم وعدل إلى آخر ما هنالك من تلك الاشياء الوجدانية التى تترك آثارها البارزة فى الحياة العملية .

فهل يمكن أن يكون التناقض هو القاعدة والاطراد هو الشذوذ ؟ وأى شيء في الدنيا ليس له نقيضه، وأى كائن في هذه الحياة ليس له ضده ومناظره ؟

إننا انما نعيش فى عالم من التناقض ، بل في عالم التناقض قاعدته. أما السبب الذى يتعب الانسان و يكده ويذهب به في هذه الحياة مذاهب الالم الحسى والنفسي فراجع الى أنه يريد أن يحدث اطراداً وتناسقاً في جو لاوجود فيه الا للمناقضات

فيلو بونس

الحيوان الخالد

الأميبا (١)

ان من غرائب الطبيعة أن يكون أدنى الحيوانات تركيباً أخلدها وأبقاها. ولعل هذا ناتجاً عن بساطة تركيبه. فالأميبا حيوان ميكرسكوبى مؤلف من خلية واحدة، ليس له شكل محدود يمكن وصفه به، لأنه يتخذ أشكالا متعددة، ويعيش غالباً فى الماء العذب والمياه الراكدة والمستنقعات في القاع على سطح الطين والحجارة والأعشاب المائية. وقليل منه يعيش في الأماكن الرطبة. كما ان بعضاً منه يعيش متطفلا داخل جسم الحيوان والانسان. وقد غالى بعضهم، فعد منه ستين نوعا، وآخرون أربعة فقط. والحقيقة أن عدد الأنواع هو بين هذين الرقمين.

أما مستكشف هذا الحيوان فهو العالم الألمانى « ريزيل فون روزينهوف» Roesel Von Rosenhof وقد وصفه وصفا دقيقاً سنة (١٧٥٥) أيده من بعده العلماء.

(١) الأميبا حيوان كامل أو تام

الأميبا حيوان تام التركيب، حجمه نحو ربع أو خمس مليمتر تقريباً ينساح فى الماء أو على وجه الطين والحجارة بحركة أشبه بدحرجة الكرة أو كما يصفها الاستاذ واطسون أنها « حركة كحركة عربات التانكس». وقد وصف حركته أيضاً الاستاذ (ينج) Yennig الامريكي فقال: « ان حركته تشبه التدحرج. فيدور سطح جسمه كله، فيصير الأعلى أسفلا، والأسفل أعلا مداولة وهكذا على التوالي؛ ويشاهد ذلك في الأجزاء الصغيرة الغذائية الموجودة داخل جسمها. فانها تتحرك وتنتقل بحركة الجسم فتكون تارة في مقدم جسم الحيوان وتدور معه. وبحركة أخرى تصير في مؤخره. وهكذا على التوالى. فترى أن جزءً صغيراً من جسمها قد يدور جملة مرات تبعاً لحركة الحيوان.

---

(١) من كتاب التاريخ الطبيعى للاستاذ اصفهانى تحت الطبع.

٢ — آلات الحركة .

يتحرك الأميبا بكل جسمه وذلك بارسال نتوات عن غشائه الخارجى ترسل فيه البروتو بلاسما الداخلية فيملؤها قليلا قليلا حتى يكون الحيوان أفرغ كل مادته السائلة من ذلك النتوء . وإذ ذاك يتحرك الحيوان تبعاً لحركة البروتو بلاسما من الداخل. ولأن وظيفة هذه النتوات فى تأدية الحركة تشبه الاقدام فى الحيوانات الراقية سماها العلماء باسم «الاقدام الـكاذبة» Psuedopoda_ أما السبب في حركة الاميبا فيقولون بأنه راجع الى حركة البروتو بلاسما نفسها، باعتبار أن الحركة المستمرة هي الخاصية الاساسية لها .

٣ — التغذية

يتغذى حيوان الاميبا بكائنات نباتية ميكروسكوبية أهمها نوع الدياتوم . وهو نبات ميكروسكوبى يتـكون من خلية واحدة فقط . وكيفية التغذية هي أن الحيوان عند ما يشعر باقتراب الغذاء منه ، يمد قدمين كاذبتين من اقدامه ويحيط به، ثم يدخله في جسمه بطريقة لا تزال مجهولة والغذاء. يدخل جسم الحيوان مع قليل من الماء وعندئذ يحيط به فراغ من جسمه يسمى « بالتجويف الغذائى» وهذا التجويف يشبه فقاعة الصابون ، ويحتوى فضلا عن الغذاء والماء الخارجى على جزء من البروتو بلاسم الداخلى يحتمل أن يفرز عصارة هضميه لهضم الغذاء وتمثيله

وقد حاول بعض العلماء أن يدخل فى جسم الاميبا مواداً غذائية كالزجاج مثلا . فأفلحوا فى ذلك بعض الشيء . الا ان الحيوان كان يترك المواد غير الغذائية و يمر فوقها أو بجوارها تماما من غير أن يأبه لها .

وقد رأى بعضهم أن الاميبا تتغذى أيضاً بالمواد الحيوانية ، وشوهد مرة أن أميبا كبيرة الحجم قد حاولت اقتناص أميبا صغيرة مرتين ، وفى كلتاهما تفلت هذه من الاقتناص . غير أن هذا شذوذا فى الطبيعة وليس قاعدة .

٤ ـ الافراز والتنفس

يفرز الحيوان بكل جسمه وعلى الاخص بواسطة فجوة كبيرة فى جسمه تسمى الفجوة المتحركة أو المنقبضة . وهي فجوة تشبه فقاعة الصابون وتمتلى بعصارة

مائية يظن أنها مواد مفرزة . ثم تضغط عليها مادة البروتو بلاسم المحيطة بها فتنفجر فجأة وتفرغ ماتحويه في الماء المحيط بها . وتعود ثانية للظهور فى بضع ثوان . أما الذى حدا بأهل البحث أن يعتبروا الفجوة المنقبضة جهازاً افرازياً فهو لأنهم وجدوا أن السائل الموجود بها يحتوى على حامض بولى .

أما التنفس فمن المحتمل أن يكون بكل جسم الحيوان . وكذلك يحتمل أن الفجوة المنقبضة تساعد على ذلك بسبب الماء الداخلى والخارجي الذى يحوى أوكسجيناً .

٥ — التكيس .

عند ماتكون الحالات الخارجية ضارة بحياة الحيوان ومانعة له عن تأدية وظائفه الحيوية كقلة الماء مثلا ، يحصل أن يتجمد الغشاء الخارجي بواسطة مادة تفرزها الأميبا .

ويتقلص الحيوان ويوقف كل وظائفه فلا حركة ولا أدنى علامة على وجود الحياة فيه ويظل على هذه الحالة الشبيهة بالموت حتى تتبدل الأحوال وتعود الامور الموافقة لحياته كسابق عهدها فيتنفس ثانية ويستأنف حياته من جديد .

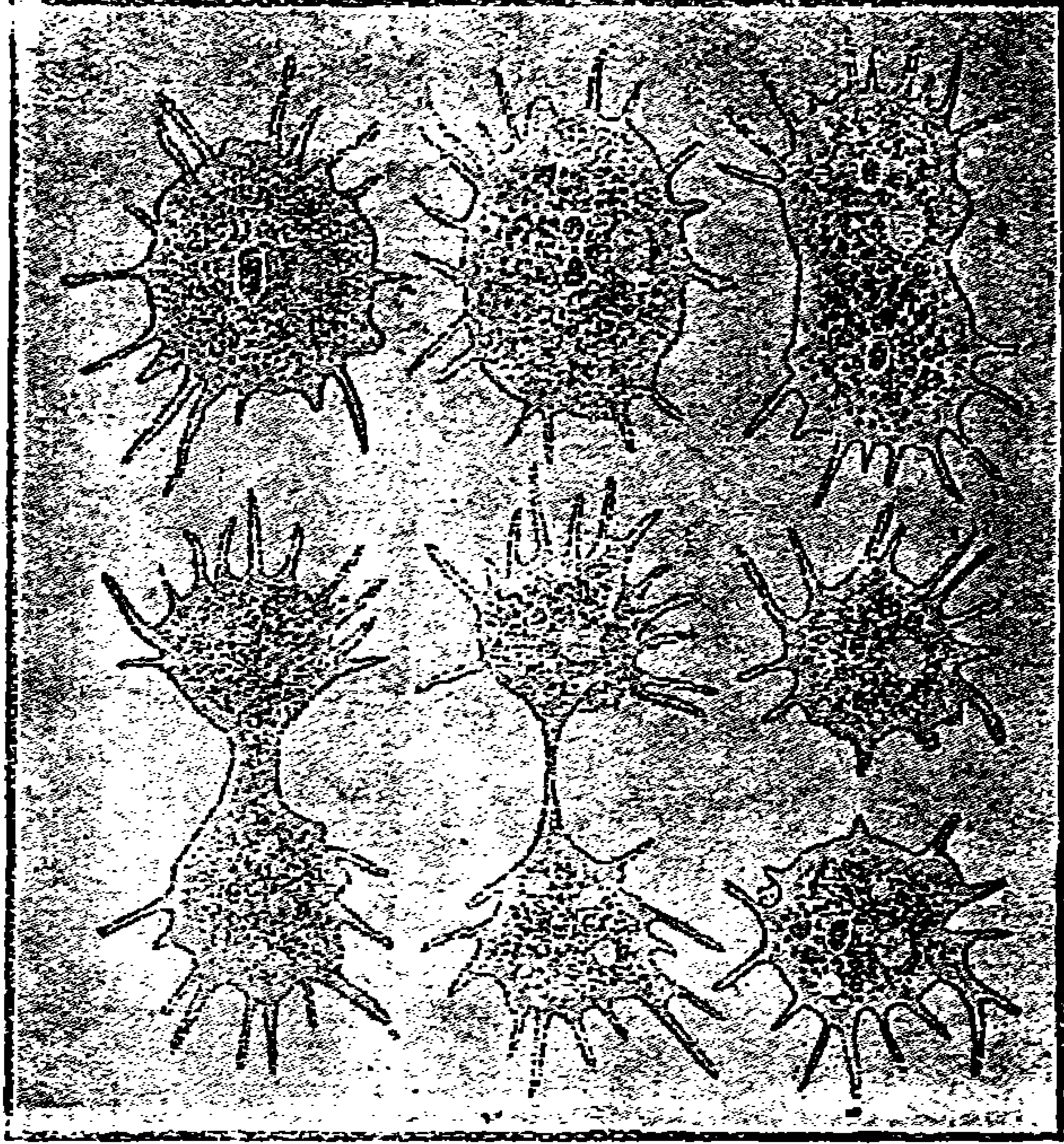
٦ — التكاثر

تتكاثر الأميبا بواسطة الانقسام المباشر ، وذلك بان يكبر حجم الحيوان أكثر من اللازم ، وعندئذ يستطيل ثم يضيق قليلا قليلا من الوسط وتكون النواة قد انقسمت الى نصفين قبل ذلك ، وذهب كل واحد منها الى حد جزئى الحيوان ، ثم تنقسم الاميبا مرة واحدة

وهناك طرق أخرى للتكاثر ، منها التبرر وهو عبارة عن تضخم جزء من أجزاء الحيوان ثم انفصاله عنه حيوانا كاملا كما فى أميبا الديسينطاريا .

ويرى البعض أن التكاثر في الاميبا والحيوانات المماثلة لها هو ضرب من النمو . وذلك لان الحيوان يكون قد نما بكثرة التغذية الى حد لايستطيع معه غشاءه الخارجي أن يحتوى كل المواد الغذائية المدخرة فيه . فلئلا ينفجر الغشاء ويموت الحيوان ، يحصل الانقسام ويقع التكاثر وعلى هذا فالاميبا خالدة ،

إذ لايحصل لها موت طبيعى . (راجع الشكل)



٧ — تطبع الحيوان للبيئة .

تتأثر الاميبا بالمؤثرات الخارجية ، فتتجنب المركبات الكماوية الضارة وتدنو من المواد الغذائية . واذا ماتركت فى الماء أرسلت أقدامها الكاذبة باحثة عن سطح جامد تستند اليه . والماء يؤثر فيها ، ويذهب الكثيرون الى أن تأديتها لشتى الوظائف الحيوية ، دليل على أنها مركبة من نسيج متناه فى الدقة ، لاتمكننا وسائلنا العلمية اليوم من تحليله ومشاهدته . وهم يقارنون الاميبا بالغرفة الواحدة المهيأة بكل لوازم الساكن .

وأما الحيوانات الراقية فهى بمثابة المنزل الكثير الغرف والمخصص كل غرفة منه لأمر خاص ، ولذلك فدراسة وظائف الحيوانات العليا أسهل بكثير من الحيوانات الدنيا المنحطة المرتبة لاستحالة تعيين أجزائها

أن تغير مواقع الأجزاء الغذائية فى جسم الاميبا تبعاً لحركة الحيوان قد حدا بالبعض الى القول بان البروتوبلاسم الداخلى هو بمثابة فقاعة الصابون وأن الاجزاء

الداخلية للأميبا ليست أعضاء ثابتة بمعنى الكلمة بل إنها تتكون فى أى موقع من جسم الحيوان . ويعرف هذا الرأى « بالرأى الفقاعى » أو « النظرية الفقاعية » على أن الرأى السائد هو أنه من المحتمل أن يكون البروتوبلاسم مؤلفاً على هيئة شبكية بحيث يحتفظ الحيوان بكل جهاز فى موضعه الخاص ويعرف هذا الرأى « بالرأى الشبكي »

٨ — الاميبا المرضية

يعيش بعض أنواع الأميبا فى أمعاء الحيونات وبالأخص فى أمعاء الانسان. وهي نوعان . نوع منها يسمى « الأميبا المعوية » — A. Coli — وهي غير مضرة والآخر يسمى أميبا الديسينطاريا ؛ وهي التى تسبب المرض المعروف ؛ وتمتاز عن بقية الانواع بانها تتكاثر بطريقة التزرر التى شرحناها من قبل

حسين تقى أصفهانى



سر العالم

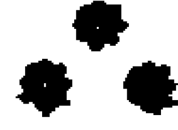
—

سألت النجوم وقد ازهرت لماذا اتخذت السهاد حياة ؟
تطلين فوق وجود حوى عوالم شتى بعين الشغوف
بصمت يكاد يمل ولا يزيدك صمتك الا ثباتا
كأنك فيه مريب يشك وفى نظراتك كالفيلسوف !!
فألقت على ضياء عجيبا خشعت له صامتا ساجدا

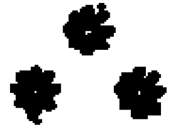
***

وللبدر حين طغى موجه شعاعا على الكون قد أغرقا ...
بعثت سؤالى يجوب الفضا فلم أحظ منه له بالجواب
وقد كان يزهو بحراسه على عرشه عاليا مشرقا
فلما درى بالسؤال توارى خجولا وراء كثيف السحاب

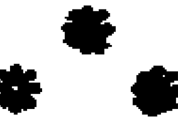
وخلف من نوره قطعة ضربت بالجلال تثير فؤادي



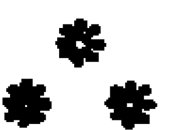
ولما بدى الروض فى حلة يضاهي النعيم بجناته
همت بآذان أزهاره سؤالى فقالت الى الجدول
وأغفى البنفسج أنظاره يخالس من تحت خاماته
فقلت انزعن حجاب الحياء ويازهرة الحسن لاتخجلي
هب النسيم فلم ادر ما اسر الى الزهر حتى انثنى



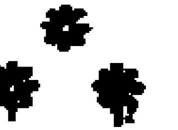
وفوق الغصون شدا طائرا بصوت رفيع يحاكي الانين
فقلت لمن وانصت ؟ حينا لصوتى ... وصار الى وكره
وعاد يردد تحنانه فيدوى بجوف الظلام الرنين
فاسرفت في الصمت كي لايها ب وظلت أتوق الى سره
كأنى به لا يريد قرار على الغصن أووكره من الم !!



وللبحر سر قضى نحبه وبالكون في نفسه هازىء
يهيج فينذر شطئانه بويل . ويصفو كحلم الطفولة
أبى ان يبوح باسراره فلا الموج يدرى ولا الشاطىء
يسرح قلبى انظاره بأمواجه فتعود كليله
وكيف تبين اسراره صخور على جانبيه أقامت ؟



صرخت بجوف الفضاء فمن يرد على الجواب إذن ...؟
سالت الطبيعة فاستبهمت سؤالى هل الكون لاينطق ؟
اذالم تجبنى الطبيعة عنه فبعد الطبيعة اسأل من؟
فجاوبنى الفجر فى رحلة سل القلب فيك لمن يخفق؟؟.
ومد الصباح يديه ليقطف زهرالندي فاستبانت ذكاء



السر المغلق

أيها الباحث عن سر الحياة: لست تدرى أى سر
انما سر الحياة مبهم الحل عسير
إننا في الدهر سر مغلق طى الضمير

...

قد سألت الناس ماهم ؟ فأجابوا كيف ندرى
إننا الاشباح تغدو وتروح
غافلات فهى تشدو وتنوح
كلنا فى الدهر سر متغلق طى الضمير

...

وضمير الدهر قبر مظلم لاضوء فيه
وهو صخر جلمد ميت، لاحس فيه

...

فسل الصخر اذا الصخر اجابا ماالحياة ماالوجود، ما المنون؟؟
لن يجيب الصخر من يسأله فدع الفكر، ونم ملء الجفون
تلك اسماء ولكن اسمها واحد يدعى بدنيانا المنون!

حسن كامل الصيرفى

مذكرات (أنا)

بقلم (ى)

— ١ —

ولى من جيل ثلثه وكأنه ما مرّ وها عيناى تتطلعان إلى الخلف قصد استقصاء ما فات فلا تريان سوى ماضياً منسياً ترصعه ذكريات تكاد تكون قاتمة وعبثاً يحاول فكرى تحريك مياه الامس الآسنة . بالطبع ولدت ودرجت ثم مررت بدورى الصبوة فالشباب كبقية جميع الناس ولكنى وأنا على وشك دخول باب الرجولة يخيل الى أن باب الفتوة أيضاً سيوصد خلفى بعنف فلا يتبقى لدى منه بعدئذ غير ذكريات المراحل التى سبقته. لذلك أنا أقيد ما بقى في ذاكرتى منه وهو غير كثير

تألمت كثيراً وسعدت ولكن من لى بالذى يصور له دواعى الغبطة والتعاسة لازنها بميزان العقل عساى أرى هل كنت محقاً أو غير محق فى ذرف تلك الدموع وفي ارسال تلكم التنهدات، بل هل كانت شفتاى تنفرجان عبثاً بالابتسامات وهل كان فؤادى يخفق سروراً للاسباب .

إيه سن الشباب! خبرنى فأنت هو الاقرب وقل كيف يخاطب القمر بل كيف يتفاهم الناس مع الزهرر ويوسطون النسيم بينهم و بين من يصبون اليه . لا تنزعجوا أيها المحبون فقلبى لم يعد يفهم للفظة الحب معنى فقد شاخ ، أجل شاخ ولما يمضى عليه أكثر من ثلث قرن بعد

الدماغ النشط لم يعد كما كان بل أصاره الزمن ساحة نضال يناجز فيها المعقول غير المعقول وذلك القد المعتدل الذى كان يعجز صاحبه عن تقدير قيمته أصبح عبأ ثقيلا ولم تتقدم خطواتى لقطع مرحلة الرجولة بعد

وأين تلك الساحرة التى كانت تبدل اللحن تغريداً وتقلب الشعر آيات بينات. فهذه هي قصائد الغزل والنسيب ملقاة جانباً لا أجد فيها لذة ولا شبه لذة .

أحقيقة خلق الله عينين اثنتين فقط لحاظهما كالسهام القاتلة وجعل لهما صدراً يقتبلها مغتبطاً هانئاً ؟ أحقيقة منح الله لغادة واحدة فقط قداً أهيفاً في إمكانه أن

يضعق إذا أدبر وبقدرته أن يحيي إذا ما أقبل ؟ أأوجد الله إنسانة لا شبيهة لها لا تنفرج ثناياها إلا عن نغمات مطربة ؟

تكلموا أيها المؤمنون وخبروني هلا تزالون تقيسون سعادة المؤمن بمقدار ما ينصب عليه من الألم ؟.. الألم المضني ، الألم الساحق الملازم للذلة والاستكانة مع الاستسلام التام ؟ هذا ما كنت أشعر به عند ما عرفت معنى الايمان . ها أنا أتطلع إلى صورة شمسية لامرأة لا تفترق أبداً عن أية من اللاتي تقابلهن في الطريق ، قدها مشابه لقدهن وعيناها كبقية الأعين وملامحها لا تستحق اهتمام تلامذة روفائيل ، ومع ذلك أقسم أن الصورة لم تعد جذابة كما كانت وأقسم أيضاً أنها لم تخرج منذ سنين عشر من مخبأها وانها هي هي لم تستبدلها يد أثيمة بأخرى دونها بمراحل في الجمال

لم قضيت إذن تلك الليالي الطويلة متحملا زمهرير الشتاء وأنا أطوف حول المنزل الذي كانت تقطنه غير عابئ بالريح الصرصر العاتية وغير شاعر بافواهالقرب تقذفني ماء وبرداً ؟ ولم كنت أقف في طريقها غير مهتم بما كانت تسلطه على ذكاء ودون أن أزيل نقط العرق الذي كان يغمر جسدي وذلك فقط كي أسعد برؤية محياها لا أكثر

ولما كنت أمدد ليدها يدي كنت أشعر بقلبي ساكناً كأنه لا ينبض وكنت أغمض عيني وكان يمتنع تفكيري .وأكثر من هذا وذاك كان ينعقد لساني ويعتريني ذهول أعتقد تمام الاعتقاد أن متعاطي المغيبات لا يتحصلون على شيء مشابه له ولو ببعض الشبه.هذا إذا تمكنوا من استهلاك كل ما تصل اليه أيديهم منها

وكنت أقرض الشعر ، صدقوني انني كنت أفعل ، وكان شعراً أقل ما يقال عنه أنه طالما أطرب أترابي فاستعادوني اياه . وكانت أناملي تتحرك به بينا ذهني عنه منصرف الى لاشيء لوصح له هـذا التعبيروكنت أشعر بقلبي ينتفض وكم تصورت أن الذي كان يملى على بناني ما كنت أحسبه كافياً لابهاج الانس والجان كما يقولون . ولـكن ها هي مجموعة السخافات المكونة من الفاظ مبتذلة جوفاء ملقاة أمامي على المنضدة وها أنا أضن عليها بنظرة بعد ما كادت عيناي تلتهمها

كل يوم مئات من المرات وانى شهيد بان شفتاى تعودتا تقبيلها كل يوم مرات بمبلغ ما كنت أفهمه من معنى الخشوع وكان ذلك في وقت من الأوقات

مسألتى أطرحها لعلماء النفس وأنا يائس تماما من قدرتهم على الاجابة والى الذين يجرى فى عروقهم دم الشباب أقدمها وأنا ضامن أنهم لن يحيروا جوابا بل ينغمسون فى حبهم إلى آذانهم وسوف يتساءلون كما أنا أتساءل الآن ولكن حين لا ينفع سؤال

— ٢ —

يالسنين الشباب الملآى بالاحلام والتفاؤل. هي فترة من العمر يبلغ الانسان فيها غاية مايصل اليه طول حياته من الميل الى تصديق كل ماتسمعه أذناه مما يحب ومما يكره . وكنت بدأت أدرس الفلسفة الاخلاقية فحفظت ماحوته كتبي المدرسية من معانى وتفاسير الخير والشر وكنت أبذل جهدا عظيما لا كون نموذجا للخير الذى وصفوه لى و بت أعتقد تماما أن مدرس الفلسفة الاخلاقية منزه عن الشرو خدعتنى عيناى فابصرت موجة الاخلاق الفاضلة تكتسح من الوسط الذى كنت فيه آثار كل شيء ردىء . هكذا عشت عيشة نقية بسيطة زاهدا فى اللذة محرمة كانت أو محللة فاذا ماتصادف واجتمعت بشخص لم يسبح فى فلسفة الاخلاق كما كنت أنا و وسطى نفعل، فسرعان ما كنت ألاحظ أنه فى حاجة الى استماع محاضرة أخلاقية و بالفعل كنت اقرعه بالوعظ والارشاد الى أن يفلت من موقفه بمعجزة وهو يتنهد شاكيا سوء حظه

حقيقة كنت قانعاً بوجه الدنيا المضيء الذى نبهت الى وجوب النظر اليه دون غيره وحقيقة كنت أشعر بسعادة أعجز عن وصفها الآن وكانت سعادة بلهاء ساذجة ولست أعرف بالضبط كم من الوقت ظلت هكذا مؤمناً أقول بامكان الحياة الى الابد في الجو الذى ألفته الى أن شعرت بيد أستاذ الفلسفة الاخلاقية تصفعنى دون رحمة فأصبت بذهول . أجل فقد كذب وكنت أظنه عن الكذب معصوما ولم يكن لدى مجال للشك فى انه كذب متعمداً واذا بالماضى يرتد نحوى حاملا مجرياته فلاحظت لسوء الحظ ذلك الرجل — دون غيره — في أحقر مايمكنك

تخيله من الصور فيدى لي كذبه فى حوادث عديدة . فياله من ذئب اتخذ شكل حمل وديع . فكرهته سراً فيالبدء ولم ألبث قليلا حتى تشجعت فجاهرت المقر بين بسرى العظيم المكنون ولم تنته السنة المكتبية حتى وكان لى حزب لا يستهان به من الرفاق يجمع على احتقار « الوغد الكذاب »

و بدأت السنة الجديدة فحضرت على أستاذ خصص لتدريس علوم المنطق والاقتصاد والنفس والاجتماع معا وكان عملياً وميالا للاخذ والرد مع تلامذته يفحمهم دائماً ولكنه في بعض الاوقات يتظاهر أمامهم بأنه كان مخطئاً فيعترف بخطأ موهوم وأظنه كان يفعل ذلك ليعلم تلامذته أن الرجوع للحق فضيلة وكان ملحداً . هذا ما كنا نعرفه عنه وكان السبب فى احتراسنا منه ؛ فكنا نتعمد التشاغل عن درسه حتى لا تجد تعاليمه الالحاديه منفذا الينا ولكن لباقته أفلحت في جذبنا الى مجال المناقشة معه وهو ما كنا نتحاشاه جهدنا إذ كان كلنا يعتقد ان الغير قد يغتر بألفاظه الخلابة فيفقد إيمانه وصار كل منا ينتهز الفرص ليختلى به و يقارعه الحجة بالحجة وكنت أحد المغرورين الذين يمنون أنفسهم بالانتصار عليه ولذلك فعلت كما يفعل الجندى قبل نزوله ساحة القتال فتزودت بكلما حوته كتب الاخلاق التى تمكنت من الوصول اليها و بدت لى فرصة صالحة . فقد كان يتكلم عن الملكية فتدرج الى شرح رأى الاجتماعيين من أنها نتجت عن السرقة وعن الاستئثار بقوة الزراعة ثم أردف يقول ان البعض يدعى أن «لا تسرق» ليست الا وصية الذين امتلكوا للذين لم يكن لهم مايملكونه، والمقصود منها المحافظة على الغنيمة. و بعضهم يقولون ان بقية النظريات الاخلاقية وضعها أشخاص أنانيون استلبوا وأبوا على غيرهم أن يعاملوهم بالمثل. فاذا بعيني تقدحان شررا فصحت به أنت تكذب، ذلك فى نفس الوقت الذى فيه صاح الرفاق محتجين ولكنه لم يغضب بل تبسم وقال لى أظنك تقصد أن تقول أن ما قلته خطأ فاعلم أنه قول الغير لا قولى ثم أجابنى بان عمله يحتم عليه بسط وجهات نظر الناس لنا لكي نستنتج منها ما نظنه معقولا وكذلك أجاب أن الخطأ والصواب اصطلاحان نسبيان مثلهما مثل الخير والشر ثم قال بان اقتصار المدارس على ملء أدمغة الطلبة بنوع مخصوص من التعاليم مضر

يهم كل ضرر فان ضعف طلبة الجامعات ينحصر في جهلهم بحقيقة الواقع وهو أمر خطير إذ كم يكون اندهاشهم عظيما عند ما يفاجئون بعد خروجهم للحياة العملية بوجود وسط غير الوسط الذى كانوا يتخيلونه وقد تتواتر عليهم الصدمات فتفل عزائمهم ويسقط في يدهم أو ربما انقلبوا حانقين على الوسط لدرجة قد يصيرون معها أعداء للمجتمع. وقضيت معه ساعة بعد انتهاء الدرس. وأعترف انني دهشت عند ما أظهر لى أن مدرس الاخلاق لم يخرج عن كونه انسان له سقطات قد يضطر اليها أو يختارها ظنا منه بانه ينقذ الموقف أو بالاقل ليعطيه رونقاً وجاذبية وهل يوجد فى الناس من هو معصوم عن الخطأ

ومع انه قد انقضى على ردح طويل من الزمن وانا فكر، اعترف بانني لا أزال عاجزا عن أى الطريقتين اتبع وهل يجب علينا أن نظهر لابناءنا العالم .

(١) كما يجب أن يكون أو

(٢) كما هو الآن بحسناته وسيئاته

ولكن والحق يقال أنا أميل الى الرأى الثانى فان المتفائل قد ينقلب متشائما خطرا اذ ظن ان العالم هو عكس ما ظنه تماما ذلك بخلاف الذى يتمرن على فهم الدنيا بخيرها وشرها فقد يقبلها على ماهى عليه أو ربما ساعدته الظروف فينقلب متفائلا متطرفا

هذا موضوع يستحق البحث أيضاً أليس كذلك ؟

ملخصة بتصرف

(...)

النقد والتأليف

مناظرك نظيرك

الدكتور يعقوب صروف

أردشير وحياة النفوس

تأليف واقتباس أحمد زكي أبو شادى في ١١٤ صفحة من القطع الصغير ؛ وهى قصة غرامية تلحينية طبع المطبعة السلفية بمصر .

الأستاذ أحمد زكي أبو شادى من أكثر الشعراء انتاجا ومن أشدهم غيرة على تجديد الأدب من طريق الشعر والتأليف المسرحى . وقدأهدانا هذهالقصة فلم نشأ أن نتناولها بالنقد قبل ان نلم بما فيها الماما تاماً . ولقد نشرنا من قبل كلمة نقد في رواية إحسان والحق أن ناقدنا كان قاسياً في نقده بعض الشيء ، وان كان على حق في أكثر مارأى من نقد .

فليس يكفى في القصة التلحينية مثلا أن تكون منظومة ، بل يجب قبل كل شيء أن تكون مفهومه متسقة الابيات ، سهلة الفهم . والا فان مرمى القصة نفسه يضيع من أذهان الذين يشاهدونها اذا كانوا سيجهدون أنفسهم على الدوام ليستخلصوا من الابيات تلك المعانى الخفية التى ألبسها الشاعر دائماً ثوباً من الخيال يبعد كثيراً عن المعنى المفهوم من ظاهرها ، أو على الاقل أسبل عليها ثوبا من المعنويات لايمكن أن تؤدى اليه ظاهر الابيات . ولقد عمد شاعرنا الاديب في أكثر المواقف الى حشو بعض شطرات في خلال كلام متسق جميل لايمكن أن يتسق معناها مع مابعدها وما قبلها ، فأضاعت عليه جهداً كان يكبره فيه الادب وتكبره فيه العبقرية ، لولا هذه التحشيات التى لايمكن أن يفهم لها معنى الا اذا التمسته على طريقة التأويل التى يلجأ اليها مفسرو الكتب المقدسة في تفسير مالا يفهم من ظاهر القول ، او مالا يتفق مع السياق او مع الحقائق الواقعة .

خذ مثلا النشيد الاول الذي تفتتح به الرواية :

الجلال والسيادة للملوك الاكابر
والجمال والعبادة لا الشكوك للازاهر

فهذا النشيد لا يتعدى أنه كلمات مرصوصة لا أكثر ولا اقل . فما العلاقة مثلا بين الجمال والعبادة و بين الشكوك ؟ و بين الازاهر ؟

ولكنك تخرج من هذا الى شيء فيه جمال بحق. فاذا قرأت مثلا .

يامليكا مستقرا ساد من جب الرعية
عش لشعبك عش لشعبك
لن ينال الملك عزا ومكانا في البرية
دون حبك . دون حبك

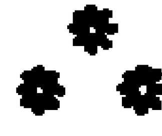
وقرأت بعد هذا المقطع مطلع النشيد الاول نسيت جمال هذا بقبح ذاك . وعلى هذا تجد الكثير مما فى رواية أردشير .

ولقد اصاب الاستاذ إذ انتقى هذه القطعة عن الف ليلة وليلة ، فانها ولاشك قصة شيقة الوقائع حسنة السبك جميلة المرامى . غير اننا مع هذا نتفق أيضا مع الاستاذ فى كراهية الاقتباس وندعو الى الابتكار ، ابتكار الوقائع أو صب الوقائع التاريخية فى قالب قصصى روائى .

ولا نزال نأخذ على الاستاذ طول المقدمات والاشادة بذكر تواليفه وذكر نبوغه فان هذه الاشياء ليس من شأنها أن ترفع قيمة تواليفه ولاقيمة شاعريته، بل بالضد من ذلك تنزل بها الى الدرجة التى لا نرضاها له . فلست استحسن مثلا ان يكتب في مؤلف وفي مقدمة كتابه « انه الشاعر البناء المطبوع » ، وانه « اطلق من غيره يدا في الشعر القصصى وامضى في اقتحام هذا الطريق المجهول من الادب العربى ، ولا نشك في ان شاعرا مثله جدير بان يضطلع بهذا العبء أو ينهض به »

ولقد عرض ذكر الاستاذ سيد درويش فى المقدمات التى وضعت للرواية واغتبطت بان تهدى اليه لاول مرة رواية قصصية في مصر تقديرا لمجهوده الذي بذله في ترقية فن الغناء العربى . غير أن لى فى المرحوم سيد درويش رأيا لا

أظن أن الـكثيرين يوافقوني عليه . فانه على الرغم من كل مجهوداته التي اجلها واحترمها ، اعتقد أنه خرج بالغناء العربي عن طريقه التقليدية الصحيحة . . وعلى هذا نحتاج الى وضع قواعد جديدة . وهذه القواعد لم توضع حتى الآن . ولن يكون للمرحوم سيد درويش من أثر خالد الا بوضع هذه القواعد التي نرجو أن توضع في أقرب حين .



مهاتما غاندى

تأليف رومن رولان وترجمة عمر فاخوري . هدية مجلة الكشاف سنة ١٩٢٧ مطبعة طباره ببيروت ، فى ١٥٣ صفحة من القطع الكبير جيد الورق والطبع .

الظاهر ان مؤلف هذا الكتاب من المعجبين بالزعيم الهندى ومن أكبر المناصرين لحركة الاستقلال القائمة بين الامم الشرقية والتى بعثت بعد الحرب العالمية بعثاً جديدا . والحق أن أمثال رولان قليلون جيد القلة بين الاوروبيين . وآخر من عاش منهم فى فرنسا بيير لوتى العظيم الذى نصر الشرق ، ونصر الاتراك في أحرج مواقفهم ، وحمل على أعدائهم في الوقت الذى تألبت عليهم فيه أوروبا كلها .

من اصعب الاشياء أن نحدد شخصية غاندى . فانك لا تستطيع أن تقول انه سياسى ، ولا زعيم ثورى ، ولا نبي أتى بدين جديد، ولا فيلسوف بشر بمذهب حديث ، ولا أنه من رجال الديبلوماسى على القواعد التى جرى عليها أهل أوروبا في العصور الاخيرة . فان أول ما يتطلب السياسى من الصفات أن يكون ليناً في في الحق وفى غير الحق وليس هذا من صفات غاندى فان صلابته في الحق تكاد تكون من أخص صفاته . والزعيم الثورى لايفهم معنى للمبادىء التى يبشر بها غاندى . فالثورى لا يعرف غير القوة من سلاح يحارب به المستبدين. انه لا يعرف للسلب ولا للاستكانة معنى بل يعرف أن عدم التعاون دليل على الضعف الانسانى وبرهان على الاخلاد للقوة التى لا يمكن أن يدال منها الا بقوة مثلها . كذلك لا يمكن أن نقول ان غاندى نبي جديد ، على الرغم من أنه من أشد الناس

استمساكا بقواعد الدين الهندوسى ولزوما لظاهر ما تنص عليه قواعده الاولية . لان من أخص صفات النبى أن يدعى بانه موحى اليه من قوة عليا يستمد منها النهى والرشاد . ولا تستطيع ان تقول انه فيلسوف لان الفلسفة تبعده عن قيادة الجماهير بقدر ما يبعد الدين على حقيقته عن الدنيويات . ولاهومن رجال الديبلوماسى الحديثة لانه لايفهمها ولا يستطيع أن يوفق بين مبادئه السلبية ومذهبه الدينى و بين مراوغاتها الغريبة . إذن فالمهاتما غاندى يعيش فى هذا العالم بجسمه فقط دون روحه . وهو عند حد قول رصيفه الكبير طاغور إذ يصف الناسك « شىء ولا شىء »

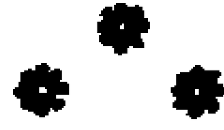
ولقد أردت أن أستخلص من كتاب روللان شيئاً أستطيع أن أحدد به شخصية المهاتما الكبير فلم أستطع . والحق أنى انتهيت من الكتاب أشد حيرة مما بدأته . ولن يكون للانسان من سبيل يطفىء به حيرته وينقع غلته إلا بتحديد الشخصيات إذا أراد أن يخرج بنتيجة ما من كتاب يتناول حياة نابغة كبير بالوصف والتحليل . والحقية ان الكتاب فائض الجوانب فى شرح هذه الشخصية الفردية غير أنه بعيد عن أن يعطيك في غاندى فكرة محدودة ، فانك ولا شك تجد نفسك بعد أن تقرأ الكتاب محتاجاً إلى من يجيبك « من هو غاندى وماهى شخصيته ؟ »

على أنه من أكبر العسف أن نلزم روللان بان يفهم من غاندى ما لم يستطع أهل الهند أن يفهموا منه . فهو لغز من الغاز الطبيعة وسر من أسرارها العميقة التى قعدت عقليات أهل الشرق التى هي أقرب اليه من غيرها عن أن تفهمه وتعرف سره . على أنك لا تكون أكثر بعداً عن تحديد شخصية غاندى منك إذا لجأت إلى الخيال ، فقلت أنه كتلة متحركة من الأخلاق الفاضلة ، أو جبل لا يتزحزح عن الحق ، وملاك يحلق في سماء المعنويات . فانك مهما قلت من أمثال هذه الأشياء لن تصل إلى شىء من تحديد شخصية الزعيم الكبير .

أما في العمليات فان غاندى أبعد عن أن يؤثر فى السياسة عملياً تأثيراً يؤدى الي مبدئه فى « الهندسواراج » أى استقلال الهند الذاتى . فان الفرق بين طرائقه

العملية وبين ما ترمى اليه من مقاصد بعيدة، حتى ليخيل اليك أن غاندى يريد أن يهبط الاستقلال على الهند من السماء .

ولغاندى في الهند أعداء سياسيون لا يرون فى طرقه السلبية من فائدة عملية مطلقاً . بل أظن أنه من خير الهند أن تنزع الى التجديد الحديث على القواعد الأوروبية لتفهم ما هى حرية الفكر وما هي النتائج التى تترتب على اختلافاتهم الطائفية . فإن اتحاد الهند سبيل الاستقلال الحقيق . ولا سبيل لهذا الاتحاد الا بالقضاء على النزعات الطائفية التى تغلى مراجلها فى صدور أهل الهند على اختلاف أديانهم ومذاهبهم . على أن الاختلاف الطائفى فى الهند أمر موروث منذ أبعد الأزمان ، وكان سببا فى أن يخضع أهل الهند للملوك من مختلف بقاع الارض . على أن الانجليز هم أكثر من عرف من الناس كيف يستغلون هذا الخلاف ليخضعوا الهند بعدد من الجنود لا يتجاوز عدد أهل مدينة واحدة من مدنهم الكبرى .



لماذا أنا مسيحى

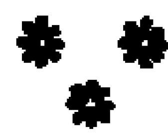
تأليف الدكتور فرانك كراين ، وعربه بتصرف الأرشيمندريت أنطونيوس بشير ونشره يوسف توما البستانى فى ٣٤٦ صفحة من القطع الصغير .

نشرنا فى العصور من قبل بحثا لخصناه عن الفيلسوف الكبير برترند رسل تحت عنوان «لماذا انا ملحد» . والحقيقة ان اسم الكتاب «لماذا انا غير مسيحى» غير اننا اخترنا أن ننشر التلخيص بهذا العنوان تخفيفا لوقعه فى آذان اخواننا المسيحيين . ولم يكد نظرى يقع على عنوان هذا الكتاب «لماذا انا مسيحى» حتى عادت بى الذاكرة الى كتاب «رسل» فقلت فى نفسى ان هذين الكتابين عنوان على ما في هذه الحياة من التناقض الغريب . رجل يشرح لماذا هو مسيحى وآخر يحاول ان يفهم الناس لماذ هو غير مسيحى ، والفرق شاسع وشقة الخلاف بعيدة . على ان كلا الرجلين يعيش عيشة راضية حسن الأخلاق بعيدا عن الاضرار بالناس ، فهل يمكن ان يكون اساس الاخلاق في هذه الدنيا مسألة عقلية لادينية ؟ وان الدين عبارة عن خلاص الانسان في الآخرة تقاء اعماله

في هذه الدنيا من غير احتياج الى الاعتقاد بمجموعة من الأقوال والحوادث التي تتنافر مع العقل والعلم تؤدي والباحث الى حيث وصل «رسل» ؟

قال أحد القديسين أن كل شخص سوف يعامل في الآخرة بحسب شريعته. هذا ليعلل أن عظماء الوثنية سوف يحاسبون على مقتضى شريعتهم، فمنهم من يدخل الجنة ومنهم من يدخل جهنم اقتصاصاً منه تلقاء ما فرط في حق الوثنية. فاذا صح هذا القول وصح تطبيقه على الوثنيين الذين عبدوا الله من طريق الوهم والاصنام، فكيف لا يصح على المسلمين في نظر النصارى وعلى النصارى في نظر المسلمين، وعلى الموسويين في نظر الاثنين، وعلى أهل كل الاديان في نظر الجميع، والكل يعبدون الله من طريق اختاره لهم من لا اختيار لهم في اختياره ؟

« لماذا أنا مسيحي » سؤال لا يمكن أن يجيب عليه المسلم أو اليهودي جوابا يختلف عن الجواب الذي يجيب به النصراني. فالكل يقولون ولأول وهلة لأن أبي كان نصرانيا أو مسلماً أو يهودياً. اذن لا اختيار للانسان في دينه كما أنه لا اختيار له في ان يوجد او لا يوجد في هذه الحياة. والحقيقة ان كل الأجوبة التي أجاب بها مؤلف الكتاب رداً على سؤاله هذا، يمكن أن يجيب بها المسلم واليهودي والبوذي والزرادشتي والبراهمي، بل وجميع أهل الأديان الذين يقطنون هذه الارض. والحقيقة أن الناس ما اضاعوا من وقتهم ومن جهودهم بقدر ما اضاعوا من الاجابة على مثل هذه الاسئلة العقيمة التي لا تؤدي الى شيء اصلا. على اننا ندعو الناس على اختلاف مللهم ونحلهم الى قراءة هذا الكتاب. فان كلا منهم سيجد فيه ما يعزز به معتقده الديني بصرف النظر عن مسيحيته او اسلامه او يهوديته او وثنيته.



رمل وزبد

الفه بالانجليزية جبران خليل جبران وترجمه انطونيوس بشير ونشره يوسف توما البستاني في ٨٦ صحيفة من القطع الصغير محلى بالصور

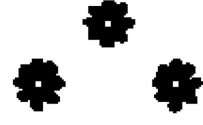
الادب الذي انتشر في المهجر السوري بامريكا أدب لا يحتاج الى كثير عناء ولا

الى دراسة عميقة ولا الى اعمال الفكرة . بل ولايحتاج الى اسلوب . فان الكاتب مهما بلغت درجته يستطيع أن يكتب جملا قد تؤدى معنى أو لاتؤدى فى سطر لاتزيد كلماته على العشرة ولا تقل عن الاربعة .

ولقد انتشر هذا الضرب من الادب بين كثير من ادباء سوريا . على انه لم يصل الى مصر بعد ولعله لا يصل اليها الا من طريق أمريكا وسوريا . وخذ لذلك الثلا

« مع ان الامواج تغمرنا أبداً . فان عمقنا صامت أبداً » — « عبثاً يحاول الشاعر أن يهتدى الى أم أناشيد قلبه » — « كثيرا ماينتحر الانسان في الدفاع عن نفسه . »

ولا نريد أن نزيد من الامثال فالكتاب فيه منها الكثير . واعتقادى أن هذا الشعر المنثور لاتأتى فيه الحكمة الاعفو الخاطر، لاعن عمد وعن تفكير صحيح . والحق أن مثل هذا الادب بعيد عن أن يحدث أثرا في الارتقاء الادبي أو تجديد في الاساليب ، لانه غير محدود ، واسع كالمحيط ، ولكنه قليل الماء ، كالضحاضح .



أصول علم النفس

تاليف أمين مرسى قنديل أستاذ علوم النفس والتربية بمدرسة المعلمين العليا . الجزء الاول يقع فى ٣٣٤ صحيفة من القطع الكبير، حسن الطبع

الكتاب مدرسى تعليمى صرف لااستعراض فيه لمختلف المذاهب القائمة اليوم فى علم النفس والاصول التى تقوم عليها هذه المبادىء . وحسنا صنع الاستاذ فى مؤلفه اذا كان الكتاب سوف يدرس لتلاميذه أما اذا كان الكتاب قد وضع لمجرد الاطلاع وتوسيع منطقة البحث ومدى النظر العلمى فالكتاب ناقص من هذه الجهة . واخص ناحية من نواحي النقص فيه ان المؤلف لم يعن بحصر أسانيده التى اعتمد عليها في البحث والموارد التى استمد منها القواعد التى بنى عليها مختلف النظريات التى استعرضها في الكتاب

على أن مؤلف كتاب فى علم النفس مهما ادعي بانه تحرر عن التأثر بالمذاهب

وأنه أخذ بالاصح منها لن يسلم مطلقاً من التأثر بمذهب دون مذهب ومن العكوف على أسلوب تفكيري دون أسلوب . وكان من الواجب عليه أن يسهل مهمة الذين يعكفون على دراسة كتابه القيم بأن يعلن عن الناحية التى يرى أنه أميل اليها في البحث والمذهب الذى هو أكثر تأثراً به . على أية حال أرى أن المؤلف قد تأثر بما كتب الاستاذ وليم جيمس المعروف سواء أكان قد استمد منه مباشرة أو استمد من مؤلفين اتبعوا مذهبه الجديد في علم النفس .

على أن علم النفس على الرغم من التقدم الكبير الذى تقدمه خلال الخمسين عاما الفارطة لا يزال محتاجاً أشد الاحتياج الى متابعة البحث في الكثير من مسائله . لهذا لانعرض لشيء من شتى الآراء التى نثرها المؤلف بكثير من المهارة والوضوح بين دفتى الكتاب ، ولا نعنى بشرح بعض المذاهب التي يرى أصحابها خلاف ماذهب اليه . لان ذلك مما لا يتسع له البحث في عجالة كهذه نريد أن نعطى القارىء بها فكرة مجملة عن الكتاب.

ولقد عنى المؤلف بترجمة المصطلحات العلمية التى صادفته فى خلال البحث ، والظاهر أنه ترجم هذه المصطلحات بعد بحث دقيق فيما تحمل من المعانى وماتؤديه من الغايات العلمية ولهذا جاءت ترجمته صحيحة في غالب الامر .

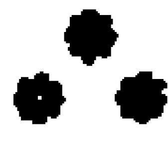
وكنت أود أن أحصر هنا كل المصطلحات العلمية التى وضعها بين دفتى الكتاب لتكون بمثابة معجم صغير تقدمه العصور لقرائها يرجعون اليه عند الحاجة لولا أن كثرة المصطلحات التى عكف الاستاذ على ترجمتها تحول دون هذا القصد على شدة حاجة المشتغلين بالعلم اليه . غير أن هذا لايقوم حائلا دون ذكر بعض مصطلحات منها ، وقد نبدى عليها بعض الملحوظات:

قال في Introspection التأمل الباطنى وفي Retrospection التفكير فى الخاطر عقب حدوثه ، والاصطلاحان كما يرى متقابلان . وترجم Normal عادى . وهذه الكلمة لم يتفق المترجمون على اصطلاح يجرون عليه فى ترجمتها فمنهم من يترجمها (سوى)ومنهم من يترجمها قياسي. والاستاذ قنديل يترجمها عادى.وأظن أن ترجمتها بقياسي خير ترجمة يجرى عليها المترجمون . وعلى الاخص اذا استطعنا أن نحدد

الشخص القياسي في علم من شأنه أن يحدده، كعلم النفس . وقال في Individual Psychology سيكيولوجية الافراد ولا أعلم لماذا لا يقول علم النفس الفردي ، وقد قال في Comparative Psychology علم النفس المقارن وفي Animal bsychology علم النفس الحيواني . وعاد فترجم Abnormal بشاذ وهي في الواقع مقابل عادي .

وهنا لايجب أن ننسى أن كلمتي Normal و Abnormal لم تتحدد مدلولاتها في اللغات الاجنبية تحديدا يمكننا من ترجمتها ترجمة صحيحة . فقد كتب أحد الاساتذة الذين يدرسون علم النفس بحثاً أثبت فيه أن مانحسب أنه قياسي أو عادي هو الشاذ وأن اللاقياسي أو الشاذ هو القاعدة . لهذا نجد كثيرا من الصعوبة في تحديد مفهوم هاتين الكلمتين وبالتبعية لذلك في ترجمتهما ترجمة ثابتة غير قابلة للتغير . على أن الاستاذ قد ترجمها ترجمة أرى أنها على بساطتها تؤدي الاغراض التي رمى اليها .

وقال في ص(٢٦) سيكولوجية الجماعات. وهو يعني بها Social psychology ويمكن أن تترجم بعلم النفس الاجتماعي .وترجم كلمة Consciousness بشعور ثم قال في ص (٤٥) شبه الشعور وهو يقصد بها كلمة Sub-conscisousness • وهو لا يرى بالطبيعة رأي الذين يترجمون هذه الكلمات الثلاث بوعي ، وتحت وعي ، ولا وعي . على أن كلمة « وعي » تؤدي عندي المعنى تماماً وهي فضلا عن ذلك جارية على الالسن ، ولا تقل في الاستعمال العلمي عن كلمة « شعور » . ولم يترجم اصطلاح Rationalism مع أنه من الممكن ترجمته « بالاسلوب العقلي » . وقال في Dissotiation انقسام الشخصية ، والحقيقة « انحلال الشخصية » فإن كلمة «انقسام » لا تؤدي المعنى العلمي تماما . أما « الانحلال » فيدل على أن الشخص قد « انحلت » شخصيته الاولى ولابس شخصية أخرى تظهر في مظاهر مختلفة عن شخصيته الاولى تماما . أما القوة الدافعة (ص ٥٥) التي يختلف على تحديدها النفسيون ويدعوها الانجليز Mneme أو قوة الحياة life force فقد شرحها الاستاذ سيمون فسماها « الذاكرة اللاشعورية »



Unconscious Memory وهي الدوافع التي تدفع الشخص على الاتيان بأفعال لا يفكر فيها ومنها حفظ الحياة فانها صفة من أخص الصفات التي تدعونا اليها ذاكرتنا اللاشعورية. وقال في Displacement الاستبدال، وفي Sublimation الاعلاء. غير أن الاعلاء لا تؤدي المعنى تماما في نظري لانها قد تنصرف الى أشياء مادية صرفة ولو سماها التمجيد أو التسامي لكان أقرب الى الحقيقة. وقال في Projection الانعكاس. والاصل في وضع هذا الاصطلاح للتعبير عن الحالة النفسية التي يحاول فيها شخص أن يلصق صفاته بغيره من الناس. فكيف تؤدي كلمة « الانعكاس » هذا المعنى؟ انما تؤديه في العربية كلمة « الاعزاء » وهي اقرب الى المعنى الاصلي. وقال في Associatien اشتراك الافكار وقال في Suggestion الاستهواء والبعض يصرف عليه الايحاء، وقال في Dissociation انفصال وفي Prestige sug-gestion استهواء صيتي وفي Contra-suggestion الاستهواء العكسي وفي Hetero-suggestion الاستهواء الخارجي وفي Auto-suggestion الاستهواء الذاتي.

ولا نجد في الفصل الذي عقده الاستاذ في « العقل والجسم » من اصطلاح واحد يصح ان يجد فيه الباحث ما لا يوافق عليك فالالفاظ مسبوكة على معانيها كالثوب المحكم على الجسم الحسن التقاطيع. سواء كان في ترجمة المصطلحات النفسية أو التشريحية

وعلى الجملة فالكتاب طرفة علمية نهنيء به الاستاذ المؤلف ونهنيء به العربية فانه ولا شك فتح جديد في موضوع لا يعرف له قيمته وخطره الا الاقلية من الناس، في عصر أخذ كل من جمع بضعة وريقات من شتات الكتب يدعى أنها دائرة معارف وأنها حوت علم الاولين والآخرين، ولله الامر من قبل ومن بعد.

ولقد عرب الاستاذ بضعة كلمات في سياق البحث فقال فيزيقي. وهذا ما نوافقه عليه كل الموافقة ونؤيده فيه كل تأييد. على ان في المصطلحات الاجنبية بعض الاخطاء المطبعية التي كان من الواجب أن يشير اليها الاستاذ دفعاً للبس على المبتدئين

ثمار الفكر الغربي

مراجعات وتلخيص عن أحدث المؤلفات الأوروبية

* * *

العقل والايمان

Reason and Belief: By Sir Oliver Lodge

كتاب نشرته شركة (Methuen & Co. Ltd.) بلندن

السير أوليفر لودج من كبار العلماء الذين اشتغلوا بالرياضيات والطبيعيات. وقد لانبالغ إذا قلنا بأنه من كبار علماء العصر الحاضر في انحاء الدنيا كلها . فان آثاره في العلوم الرياضية وابتكاراته الكثيرة في علم الفيزيقا مما يتوج به البحث العلمي في هذا الزمان . هذا ماتوحى اليك به نظرتك في سير لودج اذا اعتبرت جهوده العلمية الصرفة . أما اذا نظرت فيه كفيلسوف نزل الى الدرك الاسفل من الفلاسفة الذين يعتقدون بكثير من الاساطير التقليدية التى لا يؤيدها العلم ولا يقبلها . وعندى أن أغرب مايرى في سير لودج نزعته الى التوفيق بين التقاليد المنقولة وبين مستكشفات العلوم الحديثة بأسلوب لاتستطيع أن تحكم فيه حكماً مقطوعا بصحته،أهو أسلوب علمى أم أسلوب نظرى أم مزيج من كليهما ؟

على انى لاأريد أن أذهب بالقارىء بعيداً وأن أغوص معه فى تلك الاعماق التى غاص فيها السير لودج واتدرج به من مبادىء العصور الاولى الى الوثنيات الى الدين النصرانى وأتمشى معه فى التوفيق بين مستكشفات العلم الحديث ومبادىء الدين النصرانى ، فانى على الرغم من اعتقادى بأن هذه الابحاث عقيمة غيرمثمرة مقتنع تمام الاقتناع بأنها مفسدة لنظام العقل الانسانى . فان الخلط بين الذاتيات والموضوعيات، خلط في الواقع بين كفايات العقل البشرى ، ما تنتج إلا نتائج تساويه تهويشاً واختلاطاً .

لهذا أبعد القارىء عن التردى فى مثل هذه الحمأة الفكرية وأرجع به الى

نظريتين دافع عنهما سير لودج جهد مستطاعه، وأمعن في شرحهما إمعاناً لا مبرر له في نظرنا إلا عجزه عن اثباتهما بالاسلوب العلمي . الاولى نظرية تناسخ الارواح ، والثانية نظرية الروح وحلولها في الجسم البشري عندما بلغ من التدرج النشوئى مبلغا ما .

وقبل أن نشرح لك مايرى سير لودج من رأي تلقاء هاتين المشكلتين الكبيرتين ، نمضى في شرح بعض نظرياته التى اراد أن يوفق من طريقها بين العقل و بين الدين . ولانرى من مثال نضربه لك على المنحى الذى انتحاه هذا العلامة الكبير، الا بما حاول أن يعلل به نظرية آدم ونظرية الخطيئة . وقال فى آدم ص ٣٤ مايلى :

« لقد مضى خلال الادوار النشوئية التى تقلب فيها الانسان ، عهد تحقق فيه انه اصبح حرا في تحديد افعاله وأعماله . ولماحقق هذا عرف بالضرورة معنى الخير ومعنى الشر وفرق بينهما، واستطاع أن يختار اى الطريقين يتبع، وأدرك بوجدانه وغريزته الفرق بين الخطأ والصواب ، ومن ثم أخذ يستخدم القوى التى حبته بها الطبيعة. ومن طريق هذه القوى امكنه ان يدرك العظمة ، كما امكنه أن يدرك المخاطر ، التى تترتب على هبة الحرية ، ووقف لاول مرة على العلاقة التى تربطه بيولوجيا بالحيوانات ، ونفسيا بالآلهة »

« وهذه القوة الادراكية العظيمة التى استطاع الانسان ان يكون من طريقها حرا مختارا ، وهي ظاهرة من اخص ظواهر انسانيته، لابد من ان تكون قد اشعت اضواؤها القوية فى عقل نابغة عبقرى من افراد النوع البشرى ، وكان شاعرا أو عرافاً أو كاشفا للغيب ، نفثت فيه الروح الحيوية موحياتها بقوة وصلابة . فهل نستطيع أن نسمى هذا العراف « الرجل الأول » الذى نفخ فيه الروح القدسي فاصبح روحاً حية » ؟ وهو بالطبيعة لايعنى «بالرجل الاول» سوى آدم.

ثم قال فى ص ٣٥ ممايلى

«ولا مشاحة فى أن العصر الذى تلى هذا الحادث هو عصر « الخطيئة »

لان الانسان لا شبهة قد برهن اذ ذاك على أنه غير جدير بقوة الكشف التى أعطى اياها ، والتى كانت نتاجا لرقيه واستملائه . »

ثم قال في ص ٣٦ — « اما وقد تزود الانسان بهذه القوة ، القوة على فعل الشر ، فانه اخذ يستخدمها فاخطأ وهوى . وهنا دخلت الخطيئة في تاريخه ، وهى عمل ما تدرك انه خطأ . اما قبل هذا العهد فان الانسان عاش بريئاً نقياً صافياً كالحيوانات ، وفى حالة لا يتحمل فيها مسؤولية ولا يعرف فيها معنى البراءة . وتلك حال كان لا بد من ان يخرج منها الانسان ليلج عالم المعرفة والاحزان ، اذا ما كان من الضرورى ان تتطم الصورة الحيوانية بروح قدسية تنبت فيها »

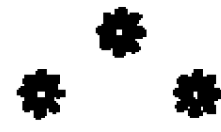
هذا هو آدم لودج وهذه هى خطيئة الانسان فى نظره . وهذه اقوال تبعد عن الاساليب العلمية بقدر ما تبعد عن مفهوم آدم والخطيئة كما عرفتها الاديان جميعا . بل هذا كلام تتبين فيه من أثر الطفرة مالا يقبله العلم النشوئى الحديث . وعلى هذا نجد أن سير لودج عالم رياضي فيزيقى نشوئى دينى اسطورى فى آن معاً

بعد هذا نشرح لك نظرية سير لودج في تناسخ الأرواح . ولا ريبة مطلقاً في ان معتقده فى تناسخ آت من طريق معتقده فى الأرواح وفى مخاطبتها واتصالها بهذا العالم . فهو يعتقد بان الروح ينتقل من جسم الى جسم وانه يتطهر فى سرى تناسخاته الكثيرة ليبلغ فى النهاية الى الدرجة التى يكون عندها قادرا على الاندماج في الحقيقة الأخيرة . وهذا معتقد قديم عرفه اهل الهند ومصر القديمة واليونان . معتقد لم يقم عليه دليل علمى ولا شبه علمى بل هى ملابسات عقلية لادليل عليها ولا برهان يزكيها

وهنا نسائل سير لودج كيف تختلف الأمم من حيث الأخلاق وتختص كل أمة بطابع معين لا تشاركها فيه أمة أخرى اذا كانت الارواح تعود الى هذا العالم ثانية لتتقمص ابدانا ليس لها اختيار في تقمصها ؟ وهل الجسم يؤثر في الروح بما يحدث اخلاقا بعينها ؟ واذا صح هذا فكيف يتأثر الخالد بالفانى ؟ هذه مشكلات لا نظن أن سير لودج يجد فى دفعها من السهولة ما وجد في اختراع فكرة آدم

ثم نعود إلى النظرية الثانية . فنجد أن سير لودج يسلم بان الانسان يمت إلى

عالم الحيوان بأدنى آصرة وأقرب نسب ! بل يسلم بان الانسان حيوان ارتقى فوق أفقه الاصلى بروح حلت فيه عندما بلغ من النشوء مبلغاً خاصاً . فكأنه يتصور تصوراً أن الانسان لما بلغ من حسن الترتيب وا كتمال النسق مبلغاً خاصاً ، سكنته الروح القدسية لترفعه فوق أفق الحيوان . وانى لاعجب كيف أن سير لودج يستطيع التدليل علمياً على أن الروح سكنت الجسم الحيوانى بعد أن بلغ مدرجا خاصاً من النشوء ؟ بل كيف يستطيع أن يوفق بين الاسلوب العلمى و بين هذه الاقوال الغريبة التى يرسلها ارسالا في جمل خطابية وأبيات من الشعر ، فيها من جمال الاسلوب وحسن السبك بقدر ما فيها من البعد عن العلم الذى يمثله سير لودج في ناحية أخرى من نواحى نبوغه المتضارب الصور الكثير الالوان



قصة الفلسفة

The Story of Philosophy : The lives and opinions of the greater philosophers : By Will Durant

Ernest Ben Ltd. London كتاب نشرته شركة ارنست بن بلندن

لا شك مطلقاً في أن عنوان هذا الكتاب يدل دلالة واضحة على أن موضوعه غير محدود بحد ولا معين بنظرة خاصة يمكن أن تتخذ قاعدة لبحث الكتاب . فان كتابا يقال في عنوانه انه في « حياة عظام الفلاسفة وآرائهم » . لا محالة يؤدى الى الاعتقاد لأول وهلة أن قاعدة الحكم فى هؤلاء الفلاسفة اختيارى صرف ، راجع الى مجرد مايرى الكاتب في الفلاسفة الذين سيتناولهم من رأى قد يخالفه فيه الكثيرون ممن يكبون على درس تاريخ الفلسفة وحياة الفلاسفة .

فان كاتباً يختار مثل هذا الموضوع ، مثله كمثل من يحاول أن يحكم في لوحات خطتها أيدى كثير من الفنانين تختلف أذواقهم ونزعاتهم باختلاف العصور . فان حكمه يكون اختياريا صرفا لا قاعدة تحكمه ، ولا حدود تحصره . فاذا علمنا أن الفنانين والفلاسفة ، والقدماء منهم على الاخص ، قد تناوبوا على مدى الازمان درجات الصعود والهبوط ، فمن عرف منهم في عصر واشتهر أمره وذاع صيته،

نسى فى عصر آخر وأهمل ذكره ، أيقنا بان الحكم فيمن هم أعظم الفلاسفة أو الفنانين، بعيد عن أن يتقيد بحكم او يجرى على قاعدة . وما مثل اسبينوزا عنا ببعيد . فان هذا الفيلسوف الكبير بعد ان نسى واهمل السنين الطوال اخذت مدارس الفلسفة الحديثة تهتم بشأنه مرة أخرى و يكب الفلاسفة والمتفلسفون على قراءة مؤلفاته وتحليل شخصيته وفلسفته . ومن يدرى لعل اسبينوزا يحمل فى مثل هذه الفورة الحديثة من الآراء ما لم يرو من المذاهب مالم يذهب اليها ومن التأملات ما كان يبعد عن أن يمر بذهنه أو يخطر بخاطره .

على أنك لا تلبث أن تتأثر بهذه الفكرة من عنوان الكتاب حتى تزيد اقتناعا بها اذا ما استعمقت فيه وغصت في عبابه الزاخر . والحقيقة أن مستر « ويل ديورانت » قد استطاع ان يبعث كثيراً من فلاسفته الذين أحبهم ، بل أعاد الحياة الى الكثيرين منهم. فانك اذا قرأت ما كتب فى اسبينوزا على الاخص أحببت أن تقرأ كل ما كتب اسبينوزا وأن تشارك اسبينوزا آلامه ومسراته . ولاجرم أن هذا أقصى ما يطمع أن يناله كاتب من قارىء .وعندى أن هذا وحده كاف لان يجعل للكتاب قيمة كبرى وخطراً عظيما. بل لا اتلكأ فى القول باننا فى الشرق أحوج ما نكون الى هذا الاسلوب التشويقى الغريب الذى لم يستطع كاتب أن يحظى به حتى الآن .

غير أن هذا لا يوازى فى نظرى خطأ المؤلف في اختيار عنوان الكتاب . ولو اقتصر هذا الخطأ على العنوان وحده ولم يمتد الى صلب الموضوع لما أعرناه التفاتا . غير أنه امتد الى اللباب امتداداً يبرر كل ما وطأنا به للكلام في هذا الكتاب. فمن بين أصاغر الفلاسفة فى نظر « ديورانت » ديكارت وليبنتز وهيجل، بيد أن لوك وبركلى وهيوم لم يستحقوا من صفحات « ديورانت » الا مقدمات تمهيدية مقتضبة لا تروى ظامئا ولا تنقع غليلا .

ومن الجائز أن هؤلاء الفلاسفة وأمثالهم لم يحيوا فى كتاب « ديورانت » إلا لان اعادتهم الى الحياة أصعب من اعادة غيرهم وأعسر سبيلا. فكأن عجز « ديورانت » عن احيائهم و بعثهم، أعمل من بقائهم حيث هم مقبورون فى طيات الزمان ، من ضعف عناصرهم الفلسفية بالذات .

أما اذا اتخذت عدد الصفحات التى اختص بها كل فيلسوف من هذا الكتاب قاعدة لقياس العظمة ألفيت أن فولتير أعظم الفلاسفة جميعا فى نظر المؤلف.وان عظمة نيتشه توازى عظمة كانت.وهربرت سبنسر يوازى اسطوطاليس وباكون وشوبنهوور يساويان اسبينوزا . فلكل من هؤلاء أربعون أو خمسة وأربعون صحيفة.ولفولتير وحده ثمانية وخمسون ! وهذه نسبة يقف أمامها الباحث حائراً . بل لا نعلم أى مذهب أو فكرة فى الفلسفة من شأنها أن تعلى فولتير الى هذه المنزلة العظيمة التى لم يدانه فيها فيلسوف أو مفكر منذ بدء الخليقة الى هذا العصر؟

على أن المستر « ديوارنت » بعض العذر اذا اعتبرنا أن تقديره للفلاسفة محدود بآثارهم الاجتماعية، وتأثيرهم فى فروع علم الاجتماع. ولهذا يضع مستر « برترند رسل » فى القمة ويعتبره أكبر فلاسفة الانجليز وأقدر مفكريهم فى العصر الحاضر.

غير أنك تعمياً لا تستطيع أن تنفى عن أى فيلسوف من عظام الفلاسفة أثره فى عالم الاجتماع. واذا كان هذا هو المقياس الذى اراد المؤلف ان يحذو عليه، فكيف به يضع فولتير فى مكان انكره على اوغست كونت ؟

على أن الكتاب مهما كان فيه من امثال هذه الهنات ، ومهما احتوى من الاشياء التى يصح ان تكون عرضة للنقد، فان مستر « ديوارنت » قد نجح ولاول مرة فى تاريخ التأليف فى مذاهب الفلسفة فى كتابة مقدمة للفلسفة يستسيغها كل الناس كما ينتفع بها الاخصائيون.

***

انفصال الجنس فى الانسان والحيوان

Sex in Man and animals. By John R. Baker. Wiht a Preface by Julian Huxeley.

كتاب طبعته شركة (Routledge and Co.) بلندن . مؤلفه مستر جون باكر.

من أخص ما يمتاز به هذا الكتاب وضوح الفكرة وطلاوة الاسلوب وسلاسته على ما فى الموضوع نفسه من استغلاق وعمق . ومن أمتع ما تقع عليه فى هذا المؤلف الطريف جدة الطريقة التى استطاع بها المؤلف أن يعالج الحقائق التى يمكن بها تفسير ملخصات هذا البحث الذى يعتبر من أحدث ما تناول العلم فى العصور الاخيرة.

أما اذا أخذت فى قراءة هذا الكتاب . فلا تلبث الا قليلا حتى تعتقد أن سراً من أغلق الاسرار التى ظلت من الالغاز المستعصية على الانسان قد أخذت رموزه تنحل أمام العقل رمزاً بعد رمز ، وأبوابه تفتح باباً بعد آخر . على انك اذا فرغت من قراءته تجد أن عقلك قد تأثر بفكرة أخرى محصلها أن العلم الانسانى لا يزال أمامه من المستغلقات ما يطلب من العقل حلها ، ليبلغ من المعرفة درجة يمكنه عندها أن يتقى كثيراً من الاخطاء التى تعتور مباحثه العلمية .

لم تصبح الذكورة والانوثة من الاشياء التى يفصل بينها ذلك التصور القديم الذى كان يوحى الينا بأن الذكر والانثى شيئآن منفصلان انفصالا عنصرياً بعيداً . فقد كشف العلم الحديث انه على الرغم مما هو معروف من ملابسة الذكورة للانوثة أو بالعكس في بعض الحالات ، فان من الحيوانات ما ينتقل من احدى هاتين الحالتين للاخرى . فان نوع السمك المسمى « حيز بون » ـ Hagfish ـ عند ما يكون صغير الحجم يلوح كأنه جميعه في حالة الذكورة فاذا نما لابسته حالات الانوثة . وهنالك نوع من صليب البحر — أو نجم البحر — يسمى اصطلاحا « أسترينا غيبوزا » ـ Asterina gibbosa ـ قد يكون ذكوراً أو أناثاً أو كليهما معاً تبعاً للسن وتأثير الحالات الطبيعية . ولديك أنواع السرطان فانها عندما تغزوها الساكولينا - Sacculina - لتعيش متطفلة عليها ، وهى من الطفيليات التى تغير كثيراً من صفات مضيفها — Host — فانها قد تتغير من ذكور إلى أناث ، بل قد تتغير بعض مظاهر الذكورة فيها وتنقلب إلى أنوثة صرفة . ويقول العلامة بولتزر — Baltzer — ان يرقات الدودة الخضراء المسماة « بونيليا » Bonellia تنمو إذا بقيت في الطين إلى اناث كبيرات الاحجام ، ولكنها تصير ذكورا قزمية ضعيفة اذا ظلت عالقة في خراطيم افرادها البالغة :

ان اكثر المشتغلين بهذه الابحاث يعتقدون بان الجنس انما يتعين ، وذلك في بعض الاصول الحيوانية على الاقل ، بحالتى وجود أوفقدان تلك الكروموسومات التى تدعى كروموسومات الجنس Sex-Chromosomes فى الخلايا الجرثومية Germ-cells . ففي بعض الحيوانات ، ومنها الحيوانات الثديية ، تحتوى أنوية

البويضات الانثوية على كروموسومات جنسية خاصة ، يمكن آن توجد أيضاً في نصف الحييبونيات المنوية ولا توجد في النصف الآخر . فاذا اتحدت بويضة بحييوين منوى وكان في كليهما كروموسومات جنسية يكون النتاج أنثى . ولكن إذا اتحدت بويضة فيها كروموسومات جنسية بحييوين منوى خلو من هذه الكروموسومات يكون النتاج ذكراً .

أما فى غير الثدييات من الأصول الحيوانية ، كالطيور وأنواع العث ، فان الخلايا المنوية كلها متشابهة ، ولكن يوجد نوعان من الخلايا البيضية Egg-cells ، في بعضها كروموسومات جنسية والبعض الآخر خلو منها . ومما هو جدير بالاعتبار أن الغالب على معتقد الطبيعيين أن كروموسومات الجنس لا تعين جنسية النتاج لا غير ، بل أنها مكمن لكثير من الصفات المتوراثة ، التي يدعوها المشتغلون بهذه الابحاث « الصفات ذوات الترابط الجنسى » Sex-linked كالعمى فى الظلام — العشى — والتدمية — وهى نزول كميات كبيرة من الدم من الجسم — وكلا الصفتين خاصتين بالذكور .

وهنالك نظرية لتعيين الجنس أكثر ارتباطاً بالوظائف التناسلية وأكثر قرابة لعلم الفزيولوجيا . وتعلل بعديد من النظريات المتخالطة فى الكيمياء وفى مقدار الاستعداد لتمثيل الاجسام للأغذية وغيرها .

• • •

اما القسم الذى تناول فيه المؤلف الكلام في النتائج التى وصلت اليه التجاريب فى العث والضفادع والحمام والارانب والفيران اذ استطاع المجربون ان يحتكموا في نسبة ما تنتج من الجنسين ذكورا واناثاً فممتع مفيد. ولا جرم ان هذه التجاريب سيكون لها قيمة تجارية كبيرة اذا استطاع الباحثون تطبيقها على الدجاج وغيره من الحيوانات الداجنة. ولا جرم انها تكون اكثر قيمة اذا امكن تطبيقها على النوع الانسانى . ولا ريبة مطلقاً فى ان الاحتكام فى جنسية النسل من طريق العلم قد اخذ يقترب من عالم الانسان خطوة بعد اخرى .

ولقد استعرض المؤلف كثيرا من المشكلات العلمية الدقيقة بكثير من اللباقة

والمهارة حتى ان القارىء ليتخيل انه مكب على قراءة قصة مشوقة،لا على موضوع علمي عويص. ومثالها البحث الذى عقده فى« التناسل العذرى الصناعى » Artificial parthenogenesis والهرمونات التناسلية ونشوء الصفات الجنسية الثانوية الى غير ذلك من موضوعات العلم العويصة .

وليس في الكتاب من شيء يرى فيه الباحث ما يخالف اساليب العلم الحديثه ، لولا انه عمد الى الصفات «الروحية » يتخذها من الوسائل التى تقرب الجنسين بعضهما من بعض،ويحمل عليها بعض الظاهرات الطبيعية في التناسل. نعم لا ننكر ان المظاهر الخارجية والحب في عالم الحيوان له أثره فى التناسليات، غير ان هذا الاثر لا يتعدى احكام الروابط النفسية بين الاحياء بعد ان يهبط الميل الفزيولوجى الى درجة العدم.وهذا رأى الاستاذ جوليان هكسلى المعروف. وعندى أن هذا الرأى يمكن تطبيقه على السلالات لا على الافراد والازواج فقط. والحق أن اضعف ناحية من هذا الكتاب هى تلك الناحية التى حاول المؤلف أن يتخذ فيها الصفات النفسية كمؤثرات تحدث فى عالم التناسل آثارا ما .

كذلك يعتقد المؤلف أن الفرق بين المرأة والرجل راجع فى الاكثر الى التربية والنشأة.والحق أن الفروق تكوينية تتناول التركيب الحيوى والعضوى.وهذا ما لا شبهة فيه وهو ما يؤيده الاستاذ ارثر طومسون فى كل ما يكتب فى هذا الموضوع



سبينوزا ومذهب مكيافيلى

للاستاذ القانونى السير فريدريك بولوك

* * *

نشر واحد من الاطباء يدعى « بونتكوك » في « لاهاى » سنة ١٦٧٩ رسالة عن خصائص «عشبة الشاى الطيبة » أعلن فيها عرضانيته — وهى النية التى لم يحققهــا الا ظاهراً — ان يفند فى يوم ما « تآليف الملاحدة « سبينوزا» و « هوبس » و « مكيافيلى » ثلاثة من أكبر الآثمين الذين لم يخلق لهم نظير على وجه الارض . هذا الحكم الذى يستوجب الضحك انما يدخل مع ذلك فى عداد الاخطاء التى تتيح لنا معرفة شىء ما . وهو انه لا بد من أن يكون هناك رأى يشترك فيه « سبينوزا » و « هوبس » و « مكيافيلى » . ومن طبيعته انه يحمل بصفة خاصة السفهاء على قذفهم بالسباب . وهذا الرأى غير نظريتهم في نظام الحكم . واذا كانت لمكيافيلى نظرية في الحكم فانه لم يضعها في صيغة. وكذلك قلما تعثر على هذه النظرية اذا افتقدتها فى معتقداتهم السياسية . فلقد كان مكيافيلى جمهوريا بمقدار ما كانت الجمهورية ممكنة في ايطاليا وكان « هوبس » من أصحاب مذهب الحكم المطلق . وأيد أن ملك انكلترا انما هو ملك مطلق السلطان . وأما « سبينوزا » فان فكرته فى الحرية السياسية وفي التسامح الفكرى متطرفة مثل فكرة «لوك». فقد أعرب صراحة عن ايثاره للحكم الدستورى الذى يدبره القانون (راجع رسالته فى اللاهوت والسياسيه.١٦٠. ويلزم التنبيه هنــا الى أنه يستدل من مصطلحاته في التعبير أن الديموقراطية تتفق مع تسلط الاقلية) ويتفق رأى الثلاثة مع ذلك في نقطة تثير أكثر من غيرها سخط رجال الاكليروس، سواء كانوا من الكاثوليك أو من شيعة لوثر او « كلفن » . وهى ان من حق الحكومة أن تكون صاحبة الامر فى دارها. وانها لا تستطيع أن تتساهل فى وجود أية سلطة منافسة تدعى لنفسها امتيازات الاعفاء من الضرائب وغيرها وتستحوز على مناطق نفوذ خاصة ليس لأحد أن يتدخل فى شأنها بحجة أداء

رسالة روحية منزلة من السماء. وان الشئون العامة ينبغى أن يقوم على تدبيرها ساسة من ذوى الكفاية . وليس لأحد من بعد ذلك سلطان . هـذا المذهب الذى يصـدم الاسس نفسها التى قامت عليها اطماع رجال الدين ويرجع دعاوى الاكليروس وادعاءآتهم إلى قانون مستقل مع جميع مزاياه الادبية والمادية قد أثار معارضة أشد بكثير مما أثارته نظريات الالحاد . إذن فمن الطبيعى أن يوصف أنصار هذا المذهب بالآثمين من جانب كبار القساوسة ومن أشياعهم . وثم نقطة أخرى يتفق عليها رأى الفلاسفة الثلاثة المغضوب عليهم وهي أن أفعال الانسان محدودة بوجه عام برغبات حب الذات أكثر مما هى محدودة بالحكم الصادر من العقل . وبناء عليه فانه أولى للمشرع والسياسى أن يقدرا البواعث الخسيسة في الانسان قبل تقدير البواعث السامية . وهـذا لعمرى رأى شديد ربما ثقل احتماله على أغلب القراء المعاصرين إلا أن ما فيه من تشاؤم لا يكفى مع ذلك لحمل علماء اللاهوت على الحكم عليه . فان أيديهم بعد مغلولة بعقيدة الخطيئة الاولى . هذا إلى أن الفارق الوحيد بينهم والذين يكتبون في السياسة من غير الدينيين أن هؤلاء يسلمون بالقضية دون تفسير في حين يريد أولئك تأويلها . وقد كشف هذا العصر عن كل تدابير الاقتصاد السياسى في مذهب أهل التشدد والجمود الذى يعد الانسان مجرد حيوان يسعى لمنفعته ويكل لفروع العلم الاجتماعى الاخرى أن تقيم البرهان على ذلك .

إلا أنه يلزم التمييز بين المذهب القائل بان الحكومة تملك فى دائرة اختصاصها سلطة روحية وزمنية عليا تتناول جميع المسائل وتشمل جميع الاشخاص والنظرية التى تنفى أن الحكومة تخضع لأية قاعدة أدبية في علاقاتها مع الحكومات الاخرى أو مع رعاياها بل في مسائلها الداخلية نفسها . ولا تمنع سيادة الحكومة عادة ما أسماه « سبينوزا » بالاستحالة الادبية للطاعة أى الفرض الادبى بعصيان أوامر الحكومة في الاحوال الشديدة والاستثنائية . وهذا الفرض يستخلص بالضرورة من المذهب الذى كان التسليم به عاما فى القرون الوسطى ونعنى به المذهب الذى يضع الناموس الطبيعي فوق كل قانون وضعى إنسانى بل فوق التعاليم الخاصة للديانة

المنزلة . وليس يراد من ذلك أن الديانة المنزلة لا يمكن أن تتفق في الواقع مع الناموس الطبيعي ولو أنه حين يعارض هذا الأخير باحدى الوصايا الآلهية وجب أن يكون هناك خطأ في الموضوع أو في التأويل وأما المذهب المناقض لذلك وهو الذى يجعل الحكومة بمنزلة الحكم الوحيد والمطلق في أعمالها فيطلق عليه في العرف اسم مذهب مكيافيلي « مكيافيليسم » . وهي بلاريب تسمية خطأ ولكن قد جرى استعمالها سواء كان هذا الاستعمال مبرراً أو غير مبرر • على أن شراح الناموس الطبيعي في مذهب القرون الوسطى قد عنوا باضافة أن الشخص الذى يعارض قانون الحكومة بالقانون الطبيعي و يؤوله طبقاً لما يمليه عليه ضميره، يتحمل كل مسئولية هذا الفعل الذى يعرض للخطر سلامته وحريته . كذلك كانوا من سلامة الحكم بحيث يتخذون مجرد الاختلاف البسيط في الآراء حجة للثورة . انما يبقى الاختلاف أساسياً بين وجهتى النظر ولو وضعت الفروق البسيطة من هذا النوع في الموضع الذى تستحقه . واعلم أن « سبينوزا » قد ذكر أخيراً على أنه من أشياع مذهب مكيا فيلي بالمعنى الدارج الذى سبق بيانه . على أن «رسالته في السياسة» معروفة أقل من سائر تآليفه ولا نجد رسالته في اللاهوت والسياسة اليوم من القراء أكثر مما يجده كتابه « الاتيكا » ولو أن الأمر فيما مضى كان على عكس ذلك. إذن لا يكون من العبث البحث فيما إذا كانت هناك حقاً أسباب تدعو إلى عد « سبينوزا » كؤسس أو مفكر سبق الكل إلى التبشير بالمكيافيلية التى اكتسبت فجأة صبغة المسائل الراهنة في سياسة هذا العصر .

ومن حسن الحظ أن « سبينوزا » قد أعرب بما لا يترك مجالا للشك عن رأيه في كتب « مكيافيلي » الصحيحة • وعادة « سبينوزا » أنه أقل بكثير من سائر معاصريه إحالة للقراء على المؤلفين وهو إذا فعل فانما يدل بذلك على تقديره واحترامه الخاص للمؤلف الذى يذكره • وفي آخر الفصل الخامس من « الرسالة السياسية » فقرة كاملة عن « مكيافيلي » ونحن نعرضها على القارئ :

« بسط المفكر البارع « مكيافيلي » بإفاضة الوسائل التى ينبغي أن يستعملها أمير مدفوع بمحض الرغبة في التسلط لكي يقيم سلطته و يحفظها • واذا كان

غرضه حميداً وهو ما ينبغى أن نعتقده فى رجل عالم مثله فقد شاء فى الظاهر ان يدل على خطأ اولئك الذين إذا ارادوا عزل طاغيـة ولم يستطيعوا القضاء على الاسباب التى تجعل من الامير طاغية يعملون ضد مايقصدون اليه حين يستعينون بوسيلة لارهاب الامير. وهو ما يتفق حدوثه عند ما يضرب الجمهور المثل لذلك فيعدم الامير ويفخر بقتله كما يفخر بعمل محمود ». (١)

« ومن الممكن ان يكون قد اراد ايضاً ان يبرهن على مقدار ما هو مفروض على الاحرار من الحذر في تفويض امر سلامتهم إلى فرد ان لم يبلغ به الغرور الى حد ان يحسب ان في وسعه ارضاء الجميع فانه لا بد من ان يعيش فى خوف دائم من المؤامرات وهو لـكي يحمى نفسه من شرها يشرع فى التآمر ضد شعبه بدلا من أن يفـكر في خيره . وانى محمول على أن أرى هـذا الرأى في ذلك المؤلف البصير مقدار ما كان على الدوام نصيراً للحرية ومقدار ما قدم من نصائح نافعة في وسائل الدفاع عنها . »

وقليل من القراء المحدثين يتفقون مع هذا التأويل لمذهب مكيافيلى ، وانما نحن الآن نعد « الامير » كرسالة غير مغرضة في سياسة الحـكم المطلق كما كان يتصورها المؤلف في عصره وفي بلده ، والغرض الاساسى الذى يرمى اليه في كتابه انما هو الرغبة فى تحرير ايطاليا من السيطرة الاجنبية بالوسيلة الوحيدة الممكنة وهى: تنصيب مستبد ايطالى قوى البأس ظافر . وليكن هذا المستبد «أميراً جديداً» أى مغتصب لا يحجم عن شيء ولا يرحم عند اللزوم فليس كل ذلك بالامر الذى يمكن أن يستحق الاعتبار بالقياس إلى الحسنات التى يحققها باخراج الامراء الأجانب .أما من جهة التفاصيل فمن الممكن أن تكون خير صيغة تعطى لغرض مكيافيلى فى هذين السطرين وهما بيت شعر من قول « مارفل » :

« ان الفنون الواحدة التى تربح المعركة يجب أن تعتمد على القوة وتحوزها »

---

(١) يحتمل أنه يشير الى الشئون الانكليزية . فقد رأى سبينوزا فى رجوع الملكية الى انـكلترا حركة رجعية على أن الثورة الـكبرى لم تفد أية فائدة . ولا ندرى من هم مبلغيه الذين ساقوه بذلك الى الخطأ . وعلى كل حال فانه لا يفضل عديد من الانـكليز فى المصادر التى استقى منها معلوماته عن الثورة الانـكليزية

وليس غرضنا فى هذا المقال أن نهتم للخطأ الذى وقع فيه « سبينوزا » : والامر الجوهرى أنه لم يكن ميالا كل الميل الى ان يعد « مكيافيلى » كدافع ومحبذ للمكيافيلية بالمعنى الدارج لهذه التسمية وانه آثر ان يعطى كتاب « الامير » تفسيراً آخر ولم يعرف مع ذلك ان يشرحه شرحا وافياً كما يستدل من عباراته .

وليس من الممكن انكار ان « مكيا فيلى » انما قصد الى التوسع في شرح مبدأ القانون الرومانى العام الذى يقول بان « سلامة الشعب فوق كل قانون » وقد اراد ان يخص بذلك الأجانب المعتدين على حرية ايطاليا . غير انه لم يكن من هذا الوجهة جديدا . فان الرأى القائل بأن لا شأن لقواعد القانون الأدبى الخاص بالشئون العامة قد شاطره فيه علماء اجلاء سبقوه بزمن طويل . وأتى به ايضا المؤلفون الذين جاءوا من بعده بحقبة زمنية طويلة دون ان يكون هناك ما يدل على انهم اقتبسوه من « مكيا فيلى » . وحتى القتل السياسى كان « طريقة معترف بها ومتبعة من الحكام المعروفين بالاستقامة والتقوى » وتولى الدفاع الجدى عنه اللاهوتيون وهو ما اثبته اللورد « اكتون » فى تصديره لكتاب (الأمير) مستندا على امثلة عديدة ، وهنا لابد من التمييز . فان قرارات التنفيذ التى تصدر بلا أية صيغة للاجراءات القضائية تجرح شعورنا الحديث بالعدل الا أنه لا ينبغى أن تعد سوى حد أقصى من المصادرة . ومتى كانت هذه القرارات سرية فانها تكون شرا من قوانين الحرمان من الحقوق المدنيـة فى التاريخ الانكليزى . وليس قرار المصادرة الانـكليزى الذى يصدر بمقتضى قانون يضعه البرلمان مع مراعاة جميع الاصول القانونية المتبعة سوى امتياز قانونى — وان يكن ممقوتاً — مثل إعلان حبس أموال الدوق دى مالبورو الذى صدر نقضاً لقواعد القانون العام فى المملـكة . واذا كان الحـكم بالاعدام الذى يصدر بصفة استبدادية من مطلق السلطان غير قانونى فليس فى معنى خرق القانون إذ ليس ثمة أصول تخالف أو تخرق فى الدائرة التى تقوم فيها إرادة الامير مقام القانون . هذا إلى أن الحـكم بلا قضية لم يكن مجهولا فى قانون القرون الوسطى . فلم يكن يحق للمجرم الذى يقبض عليه متلبساً بالجريمة ويوجد ضده شهود عدول فى انـكلترا حتى القرن الثالث

عشر أن يطالب بحكم قضاته ولا أن تراعى بازائه الأصول القضائية فمتى كانت الجريمة ثابتة بطل حقه فى الاعتراض واتبعت قاعدة Hoc non protest dedicere التى كانت تقرن بتنفيذ جزئى . وكان الممكن ان يعد الاحرام الذى هو عمل قضائى عام كافيا فى نظر امير مطلق السلطه لأن يتخذ دليلا لاجدال فيه على الادانة بحلل عدم مراعاة الأصول القضائية امام محكمة اهلية . ويلزم ان يضاف الى ذلك ان الضحية تكون فى احوال متعددة واقعة تحت طائلة الحكم الصادر من الكنيسة . « الا يكفيكم انى حكمت عليه ؟ » . (العبارة المأثورة) . والمحامى الذى يجد من ضميره مايسول له القضاء الجزئى على الأشخاص الضارين يجد بالحرى من نفسه مايسول له انكار وجود فروض بين الملوك بل تبرير وجوه الاعتداء على الايمان العام . ومن الثابت على كل حال ان (سبينوزا) لم يدافع في أى موضع من تآليفه عن تلك القاعدة السياسية الخاصة ولم يوافق عليها .

ولننتقل الآن الى آراء « سبينوزا » فى حقوق الدول ذوات السيادة والتزاماتها . ويجب أن نخص بنظرنا مصطلحاته في التعبير التى وان شابهت مصطلحات « هوبس » دون أن تكون صوغاً لها تختلف كثيراً عن المصطلحات التى كانت مستعملة في عصره وهو مايمكن أن يفضى الى التباس عظيم . ولامحيص من افتراض أنه تعمد ذلك . وأما نظريته العامة فانها مبسوطة فى الفصل السادس عشر من رسالته « فى اللاهوت والسياسة » وفى الفصول الثانى والثالث والرابع من رسالته في « السياسة » حيث ذكر أنه يعود إلى الموضوع نفسه لمجرد أن يسهل مهمة القراء . اذن نستطيع أن نسلم دون أن تكون حاجة الى مقابلة النصوص بالدقة بأنه ليس ثمة أى اختلاف جوهرى بين الاثنين .

وان أبلغ صعوبة من ناحية المصطلحات انما تتأتى من أن « سبينوزا » أبى أن يستعمل هذا التعبير « القانون الطبيعى » بمعناه المألوف . ولقد كان له حتى في خلافات حركة الاصلاح (القرن السادس عشر) معنى صريح ومقرر بوجه عام . ويراد به على الاخص مجموع القواعد التى يمكن أن يرشد اليها العقل البشرى وتكون عمدة لسلوك الانسان من حيث أنه مخلوق مميز بالعقل . ولم ينف « هوبس »

وجود مثل هذه القواعد ولم يعترض أى اعتراض على الاصطلاح وان كان قد اختار أن يدل عليها باسم مبدأ المحافظة على النفس.

قال في الفصل الرابع عشر من كتابه «ليفياثان» : « ان سنة الطبيعة التى يطلق عليها العلماء عادة اسم القانون الطبيعى انما هي حرية كل انسان في استعمال مقدوره حسبما يشاء فى سبيل المحافظة على ذاته وبالتالى يعمل كل مايرى بثاقب فكره أنه خير وسيلة لبلوغ هذه الغاية ».

وتبدو وجهة نظر « هوبس » لاول وهلة مشابهة لوجهة نظر « سبينوزا » الا أن المراد بالطبيعة دائماً عند هذا الاخير، انما هي طبيعة الاشياء يقصد بها الى الكلى. كذلك لايراد بالقانون الطبيعى سوى الامكان أو حرية كل شيء كامل وقادر على العمل والحياة وفعل كل ماتتيحه له أهليته : أى مجموع الكفايات الطبيعية التى لاهي فى ذاتها صالحة ولا طالحة. فان مطامع الاسكندر وشهوات سمك الكراكي وقابلية الاوكسيجين الى الاتحاد بالفحم كل هذا يقع تحت تعريف القانون الطبيعى. وليس من المحقق أن « سبينوزا » قد تصفح كتابا في القانون الرومانى أو سمع حديثاً عن « القانون الذى تلقنه الطبيعة لجميع المخلوقات الحية » هذا الرأى الوخيم العاقبة الذى أتى به أحد أساتذة البيان من الاغريق وتناوله من بعده الفقيه الرومانى « اولبيان » وورد فى قوانين الامبراطور « يوستنيايوس » قد أعضل الشراح وأجهدهم. ولو أن « سبينوزا » قد اهتدى اليه لكان من الممكن أن يتقبله على أنه مستند يؤيد نظريته الاان حاجة المفكرين فى القرون الوسطى الى الاستناد على نص موثوق به في تآليف السابقين لم تكن من دأبه ولا من طريقة تفكيره. وهو ماأدى الى أن المبادىء التى يطلق عليها عادة اسم القانون الطبيعى اكتسبت في تعبير « سبينوزا » معنى تعاليم العقل وارشاداته • وانه طالما يعيش الانسان وفقاً لهذه التعاليم ففى الامكان أن يقال أنه منقاد للعقل ومن الممكن أن يلاحظ من وجهة النظر هذه تشابه هام بين « سبينوزا » — ومن المحقق أنه لم يدركه — ومذهب القانون العام الانكليزى كما صاغه في القرن السادس عشر علامة مثل « سان جرمان » في كتابه « الدكتور والطالب »

ولم يكن « القانون الطبيعي » من مصطلحات الفقهاء الانكليز الاولى . أولئك الذين ادعوا لعدم توفر الثقة الكافية فيهم أنهم منقادون للعقل أو « لمبدإ العقل » . ولا فرق بينهما في المعنى . وانه في حالة عدم وجود سابقة وحيث لا يخلو التطبيق الجديد لاحد الاصول القانونية من التباس تعين على محا كمنا البحث عن الحل الا كثر انطباقاً على العقل . لذلك كان في وسع المحامين الانكليز والقراء العارفين بتاريخ القانون الانكليزي ادراك هذا الفارق الطفيف الذي تتميز به رسالة « سبينوزا » في السياسة .

و بناء على ماتقدم يكون معنى الخير والشر من وجهة النظر الادبية اتباع قواعد العقل أو مخالفتها . وأما من الوجهة السياسية فان مقياس الحق ينبغي أن ينشد في الارادة العامة للجماعة . ولابد من الاستعاضة عن السلطة القانونية بحقوق الافراد الطبيعية عند الكلام عن الدول ذوات السيادة . والفرد عند الخضوع أحيانا لاوامر الحكومة التي يرى أنها غير منطبقة على العقل يختار الضرر الاخف من محو الحكومة والسلطة القانونية . واذا كان الفرد لا يكون حقا مالكا لحريته وقوته الا اذا كان منقادا للعقل فكذلك هي الحال بالنسبة للحكومة هذا الى أن الفرد يحفظ حريته في الدوائر المختلفة التي لا تستطيع الحكومة أن تتداخل فيها حيث تبقى أوامرها بلا تأثير . وما دامت هناك أصول قانونية مرعية فليس في وسع الحكومة أن ترتكب أي عمل ضار . اما انها تنقاد أولا في أعمالها للعقل فمن الممكن أن تفعل الخير أو الشر وقد تبين لنا أن سياسة صاحب السلطة المطلقة التي رسمها مكيافيلي لم تبد منطبقة على العقل ولا هي جديرة بالاتباع .

والافراد أعداء بعضهم البعض ماانقادوا لرغباتهم وشهواتهم . وكذلك هي الحكومات لولا انها تستطيع كما يستطيع الافراد أيضاً أن تنظم سلطاتها وأن تعيش في سلم . (وهو مايستخلص من خطأ مذهب الذاتية أو الفردية الذي هو قاعدة كل النظم الحكومية المبنية على مبادىء العقد الاجتماعي في أي شكل كانت ولا شأن لنا هنا في هذا الموضوع) . وفي وسع الدولة المستقلة أن

تقيم الحرب وفقا لمشيئتها ولكنها لاتستطيع أن تبرم الصلح الا بطريق الاتفاق المتبادل

ولم يوضح (سبينوزا) ارتباط العلاقات الوديه المجردة • ولا ينبغى أن ننسى أن القانون الدولى والدبلوماسيه الحديثه كانا وقتئذ فى طور الطفولة • اذ كان لكل معاهدة غرض معين وكانت تؤدى الالتزامات المتبادلة التى تنشأ منها مابقى السبب فى وجود المعاهدة من ناحيه الموضوع •

«لايجوز لاحد ان يتعاهد للمستقبل اللهم الا اذا قبل دوام الاحوال السابقة، واذا طرأ تغيير على هذه الاحوال تغير أيضا السبب فى بقاء التعهدات . ويجب ان يحكم كل متعاهد من جانبه اذا كانت التغييرات المذكورة قد حدثت»(راجع الفصل الثالث من الرسالة السياسية) وهو مايشبه ان يكون موافقه تامة على مبدأ

(Rebusic Stantibus)

الذى لايترك اى أساس ثابت للالتزامات الناشئة من المعاهدات . ولابد من ان يلاحظ مع ذلك ان هذا المبدأ معروف في القانون المدنى . فان عقوداً كثيرة تبرم على حسبان ان غرضا أو حالة ماتتحقق في تاريخ العقد أوانها ستتحقق فى وقت معين في العقد . وغالبا يكون هذا الحسبان ضمنيا . ومنذ اكثر من نصف قرن يسلم القانون ــ في انكلترا على الاقل ــ بان عدم وجود الشيء المتعاقد عليه أو تبدده من حيث لم يكن يتوقع المتعاقدان أوزوال الاحوال التى يفترض انها جوهرية يجوز فسخ العقد أو يمنع من ابرامه . وفي الحق انه لو اريد تنفيذ العقد بنصه فى مثل هذه الاحوال لاقتضي الامر ان يفرض على أحد الطرفين أو عليهما معا التزامات لم يكن فى نيتهما قط ان يتحملاها . ولقد طبقت هـذه القاعدة اخيرا على عدة اتفاقات تجارية وملاحية بوجه خاص صار تنفيذها غير ممكن من جراء حجز السفن والمهمات أو حبس المتاع فى أعمال للمصلحة الوطنية. واخيرمن جراء عوائق اخرى ناشئة من حالة الحرب .هذا الى المسائل الاخرى التى تنجم من تحريم المتاجرة مع العدو. واذا كانت هذه هي القاعدة المتبعة بين الافراد فليس ثمة ما يدعو الى عدم اتباعها بين الدول . هذا الى ان حالتها اشد صراحة ووضوحاً فان حق الفرد في عقد تعهدات باسم من يخلفونه انما تحدده قوانين بلاده

في حين ان حق الحكومات في تقييد خلفائها بتعهدات لاجل مسمى أو غير مسمى لا يرتبط باى قانون وضعى ولا يمكن ان يبرره سوى دواعى المنفعة العامة . وفي وسع الافراد الالتجاء الى المحكمة التى تنظر فيما اذا كانت الاحوال الجوهرية التى يرتبط بها تنفيذ التعهدات منطبقة أو غير منطبقة على نص القانون . اما الدول فليس لها أى حكم عام واذا استثنينا المنازعات التى يمكن ان تحل بطريق التحكيم فان حكومة كل دولة تكون بالضرورة حكماً في قضيتها . وكذلك فهى مسؤلة عن حكمها كما ان الفرد مسئول عن افعاله فى الحدود التى ترسمها قوانين بلاده.

ولا بد من الاعتراف بان « سبينوزا » بسط هذا الموضوع بصفة عامة وفي غير تدقيق • ويستخلص منه بطلان جميع المعاهدات التى تبرم لعدد مسمى من السنين او التى تكون موضوعا للتنقيح باجراء قانونى خاص أو التى تشتمل على نصوص صريحة لهذا الغرض • وثابت مع ذلك انه لم يتناول برأيه الاتفاقات المتعلقة بالتجارة أو مشروعات السلم الاخرى•

فان النص يحمل على اعتقاد أنه لم يفكر إلا فى المحالفات الحربية . ولقد كان يرى في رفض ايطاليا السير الى جانب المانيا والنمسا في الحرب الحاضرة يرمز الى الحرية التى احتفظ بهـا للمتعاقدين في كل معاهدة . وعلى كل حال فليست هذه الفقرة سوى استطراد غير مقصود الى التفاصيل لان كل المعاهدة انما تختص بقواعد الحكومة عامة ولا تتناول العلاقات بين الدول المستقلة .

وقد بحث «سبينوزا» في الفصل التاسع من رسالته السياسية انشاء جمهورية اتحادية تحت نظام اريستوقراطى . على انا لم نعثر فيه على أية اشارة الى الحرية التى تملكها كل مدينة من المدن الجمهورية المتحدة في الانفصال عن غيرها بحجة أن الظروف قد طرأ عليهـا التغيير . ولا حاجة الى تنبيه القراء الى أنه عنى بهذا الرأى فى البلاد المنخفضة. وليس من باعث على اعتقاد أن سبينوزا كان لا يؤيد مشروعا قابلا للتحقيق يقيم العدل بين الدول. على أن الكتاب الجليل الذى ألفه «ويليم بن» الممنون باسم «رسالة في حاضر السلم ومستقبله في أوربا» لم يظهر إلا في سنة ١٦٩٣ أى بعد موت «سبينوزا» بسنوات عديدة .

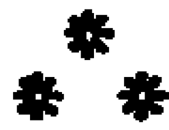
ويستنتج من كل نظرات « سبينوزا » السياسية أنه مؤيد لنظام الحكم الدستورى الذى يدبره القانون وهوفي رأيه يعطى خير الضمانات ضداعتداءالسلطة المطلقة التى يباشرها فرد أوطائفة من الوطنيين.ويرىأنالتأثير المحسن للمناقشات العامة يقلل كثيراً من الخطر الذى يمكن أن يصيب سياسة البلاد الخارجية من جراء تلك المناقشات . وفى الفصل السابع من الرسالة السياسية أن ترك الاعداء يقفون على مناقشات الحكومة العلنية الصريحة خير من ترك الطاغية يخفى عن شعبه أسراره المنطوية على الغدر.ولوأردنا أن نعطى صورة أكمل لآراء «سبينوزا» لاقتضى الامر تأليف كتاب .



الــكمنجة المحطمة

عن الجداول لايليا أبو ماضى

شاهدتها كالميت فى أكفانه	فوجمت الاعبرة أذريها
مهجورة كسفينة منبوذة	فى الشط غاب وراءه ماضيها
نسجت عليهاالعنكبوت خياطها	وكسي الغبار غلالة تكسوها
اقوت وباتت كالمسامع بمهدها	لاشيء يطربها ولا يشجيها
وكأنها في صمتها مشدوهة	أن لاترى بهتافها مشدوها
لاحس فى أوتارها لاشوق فى	اضلاعها ، لا حسن فى باقيها
فارزح بحزنك ياحزين فانها	لاتنشر الشكوى ولاتطويها
واذا انقضى عهد التعلل بالمنى	فالنفس يشفيها الذى يرديها



على عهد مر لى فى ظلها	أبكي عليه وتارة ابكيها
كانت كأن ضلوعها موصولة	باضالعى وسرائرى فى فيها
كم مرة حامت غرابيب الاسى	لتقيت من قلبى الجريح بنيها
فاذا الاغاريد اللطيفة دونها	سور يصون حشاشتى ويقيها

كم هزني الشدو الرخيم فساقطت نفسي هموما أوشكت تبليها
فاذا أنا مثل البنفسجة التي ذبلت فبا كرها الندى يحييها
وكم سمعت خفوق اجنحة المنى وحفيفها في نغمة توحيها
فسكرت حتى ما أعي سكر أمرء بالخمر اترع كاسه ساقيها
ورأيتني في جنة سحرية لا يرتوي من حسنها رائيها
ولمحت احلام الشباب مواكبا تترى امامي والهوى راجيها
سر السعادة في الرؤى إن الرؤى لا كف تثنيها ولا تمحوها
ولكم سمعت دبيب اشباح الاسى عند المسا في أنة ترجيها
فذكرت ثم محاسنا تحت الثرى غابت وشوهها البلى تشويها
فاذا انا كالسنديانة شوشت اغصانها الريح التي تلويها
أو كالسفينة في الضباب طريقها ضلت وغابت انجم تهديها
شهد الدجي والفجر انى جازع لسكوتها جزع الغدير اخيها
ما إن سمعت أنينه ونشيجه الا ويعرو النفس مايعروها
روى الثرى ياليت روحي في الثرى أو في النبات لعله يرويها

* * *

ياصاحبي وفي حنايا أضلعي هم يكظ الروح بل يدميها
ان التي نقلت حكايات الهوى لم يبق غير حكاية ترويها
كمدينة دك القضاء صروحها دكا وكفن بالسكوت ذويها
نعيت فريع الفجر وارتعش الدجي ما كان أهونها على ناعيها
لا تعجبا في الغاب من نوح الصبا وعويلها ان الصبا ترثيها
لو تسمعان نحيبها متمشيا كالسحر في الارواح يستهويها
لعلمتما أن القضـاء أغتالها كيلا تبوح بكل سر فيها

الزقوق

أساطير عربية

—١—

اساف ونائلة

كانت ليلة عيد الميلاد . وقد اجتمع الدكتور ويلهلم فيريكس المستشرق الهولندى بطائفة من أساتذة جامعة كامبريدج وانضمت اليهم مسز فالستر المساعدة الكيماوية في معمل الجامعة . وكان الضوء الاحمر ينعكس من الموقد على المستشرق الشيخ الذى اقترب بكرسيه الكبير من مصدر الدفء . وأخذ بيده المرتعشة قدح الشاى يتناول منه جرعات طويلة . وجلس المستر هاريزون استاذ الفلسفة يحدث مسز فالستر عن الفضيلة المسيحية فى تقديس عيد الميلاد . وكانت الكيماوية تستمع وتحلم . ولما أشار المستر هاريزون الى الحاد البعض التفت الى أستاذ الفزيولوجيا وكان من أنصار مذهب (داروين) فاكتفى هذا الاخير بأن ابتسم في صمت ولم يعره أى اهتمام . وبقى يدخن في غليونه مصغياً الى مناقشة حادة بين المستر « بلا كبول» أستاذ الآداب والناقد الفنى لمجلة «راوند تيبول » وكان هذا الناقد قد (سمح لنفسه) حسب تعبير أستاذ الآداب ، باصدار رأى فى رواية (هاملت) . فابت غيرة المستر بلا كبول على الادب أن يقبل رأيا من ناقد فنى فى البلاغة الدرامية . وعدذلك منه جرأة غير مسموح بها !

اجتمع هؤلاء الاساتذة فى نادى الشاعرة (دوروثى) لتوديعها قبيل سفرها الى الهند وقد اشتهرت (دوروثى) فى كل الامبراطورية البريطانية بأشعارها فى أساطير الشرق. وهي انما أرادت السفر الى الهند لجمع موادقصة شعرية جديدة

ولما انتهت الخادم من تقديم أكواب الشاى عقب عشاء فاخر دعت اليه الشاعرة أصدقاءها تقدمت (دوروثى) الى المستشرق الشيخ الذى قدم لوندرا لمهمة علمية وجعلت تسأله عن الهند . وكان الدكتور ويلهلم فيريكس قد أقام بها مدة طويلة . وهو علامة فى اللغة السنسكريتية ، لغة البراهمة المقدسة .

ولما بدأ المستشرق يحدث عن الهند اصغى اليه بعض اساتذة الجامعة . وكان

المستر بيري استاذ الفزيولوجيا قد زار الهند والشرق الاقصى . وافاض الدكتور ويلهلم في كلامه عن الهند وحضارتها واشعار البراهمة وفلسفة تصوفهم . فاستمع اليه سائر الاساتذة واقتربوا منه بكراسيهم .

واشار المستشرق بالضرورة عند وصف ديانة الهندوس الى الوثنية في آسيا واقترانها باصول المدنية القديمة .

فقال الناقد الفني . ان الوثنية عنصر جوهري في الحضارة القديمة .

فاراد المستر هاريزون ان يعترض على هذا الرأي استنكارا لعقائد الوثنية . وقال إن فيلسوفا متدينا لا يقيم وزنا لاي رأي خارج دائرة المسيحية . الا ان المستر بلا كبول أيد الناقد الفني هذه المرة بقوله ، انه لولا الوثنية وعقائدها لما كانت هناك حضارة قديمة !

فابتسم الدكتور ويلهلم واجاب استاذ الآداب بلطف انه يخالفه في رأيه واضاف الى ذلك : ان العرب الاولين كانت لهم وثنية ولم تكن لهم حضارة .

فأثار المستشرق بهذا الاعتراض الرغبة في الحصول على معلومات عن وثنية أولئك البدو الرحل الذين احتضنتهم الصحراء واقاموا خيامهم فوق رمالها المطهرة

وارتسمت امارات الاشمئزاز والنفور على وجه المستر هاريزون عند سماع كلة وثنية مقدار ما انبسطت أسارير «دوروثي» التي كان يهمها ان تقف على معلومات جديدة عن شعر الوثنية العربية .

فقال الدكتور ويلهلم فيريكس ان معلوماتي عن وثنية العرب لا تنحدر في سلم العصور الى ابعد من الزمن الذي سبق ظهور النبي محمد . فان اولاد اسماعيل بن ابراهيم حين سكنوا مكة كان لا يظعن منهم ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا به .

ثم أفضى بهم ذلك الى أن عبدوا ما استحبوا واستبدلوا بدين اسماعيل عبادة الاوثان . وهذا حديث المؤرخ العربي (ابن الكلبي) في كتاب (الاصنام) .

فسأل الناقد الفني : وكيف كانت عبادة الاصنام عند العرب ؟

قال المستشرق الهولندى : إنى أروى لكم قصة وثنية عربية تستخلصون منها بعض معلومات ثمينة عن عبادة الاصنام عند العرب قبل الاسلام .

فتأفف الاستاذ هاربزون وقال : أنختم ليلة عيد الميلاد بقصة وثنية ؟

فابتسمت الشاعرة (دوروثى) وقالت له : انى أجل شعورك الدينى، ولكنى ألاحظ انها مجرد معلومات تاريخية .

قال الناقد : انها أقرب الى الفن منها الى التاريخ .

قال المستر بلاكبول: اننا اذا جردنا الآداب من أساطيرها ورموزها الوثنية فقدنا شيئاً كثيراً من رقة البلاغة وحلاوة الوقع .

وأضاف الدكتور ويلهلم قوله : ولا تنس علاقة التاريخ بالفوكلور (عادات الأمم)

فقالت مسز فالستر : نعم . إنى مولعة بهذا العلم الجديد .

إذ ذاك قال المستر بيرى فى لهجة تدل على عدم المبالاة بالاعياد وتقاليدها:

«قص علينا أيها الدكتور الاسطورة الوثنية .»

فروى المستشرق انه ظفر برقوق مخطوطة بالكوفي ترجع الى ما قبل الهجرة وقد كتبها السادن (تيم) من (جرهم) يروى فيها قصة (إساف) و (نائلة) اللذين مسخا صنمين فعبدتهما قبيلتا (قريش) و (خزاعة) ومن حج الكعبة بعد ذلك من العرب .

قال : كان (إساف) بن (يعلى) من أشراف (جرهم) ومن أشجع فرسانها وكان مليح الوجه ظريفاً عظيم النفوذ بين العرب . وكانت جرهم تهابه أكثرمما تحبه . وقد أوتى حكمة الشعر والكهانة . وجمع الى الجمال قوة العماليق .

شيد له صرحا في أرض اليمن كعش النسر . ولم يسكنه الا بعد ان أخذ بثأر أبيه ونحر على قبره الاسرى والسبايا واحتفر للغنائم من حوله حفراً ختمها بالحديد.

هذا الجبار الذى كان يتلهى بقتل عبيده في أوقات الفراغ وقع أسير حب (نائلة) بنت زيد من (جرهم) وكانت من أجمل نساء العرب وأكثرهن ذكاء. تنشد الشعر وتترك النارمشبوبة حول بيوتها للضيفان. وكان ربما خرج (إساف) للصيد والقنص فصادف جواريها يستقين فيسمعنه من أشعارها مايطربه .

وما كان (إساف) ليأنف أن يقف للناس في الاسواق وهو الزعيم القوى البأس لكي ينشدهم شعره فى (نائله) فتشهر عشق البطل لربة الجمال . وتغنت به اركبان في أرض اليمن . وكان من عادات العرب التفريق بين العاشقين .

فلما أقبلت (نائله) من اليمن لكي تحج الكعبة، كان (إساف)قد سبقها الى الحجيج . وكانت العرب تعظم الكعبة وتبالغ فى حبها والتبرك بها . وكانت تضع فى جوفها أصنامها المعبودة .

ودخل إساف ونائلة ذلك البيت المقدس حجاجاً . وما كان أشد اشتياق البطل الى محبوبته . فاتفق أنهما وجدا غفلة من الناس وخلوة فى البيت : فتقدم اليها إساف فى لهفة وقبلها. فصدرت في الحال همهمة مروعة من أجواف الاوثان. فغضب (إساف) ولعن الاصنام المعبودة . وكانت الاصنام ترمى بالشرر من يلعنها .

فلما اصبح الحجاج وجدوهما صنمين على صورتهما من عقيق احمر . فعدت قريش مسخهما فضلا من الآلهة ورحمة . واحتفلت خزاعة بهما ونصبتهما للعبادة فى أرفع مكان بالكعبة . وكانت تتقرب الى عبادتهما بالهدايا والقرابين . وتنحر عندهما . وكلما حجت العرب الكعبة تمسحت النساء بالصنم (نائله) وتمسح الرجال بالصنم المعبود (إساف) وطافوا من حولهما

وبالغت قريش في تقديسهما فأقامت لهما منحراً ينحرون فيه الهدايا من النوق العتاق الشياه السمان. واختارت سدنتهما من مشايخها. وكانت بنات « نائله » السادنات يرسلن شعورهن ويلبسن المسوح السوداء وينتظرن ظهورها على قارعة النخل مرة كل عام.

وكانت « نائلة » تظهر في صورة شيطانة رائعة الجمال مرسلة الشعر يركض بها جواد أشهب الى مقر الكعبة . فاذا بلغتها اختفت وسمع من الصنمين صوت قبلات المتبادلة . وربما يكون الاعرابي الحاج في تلك الفترة على مسافة الف فرسخ من مقر زوجه أو أمته فيشعر كأنه قد قبلها وقبلته ! »

فضحكت الشاعرة «دوروثى» ضحكة طويلة . وشاركها فى الضحك بعض الاساتذة . وكسا الاحمرار وجه مسز فالستر، إلا انها لم تلبث أن ضحكت . وبقى الكل يتحدثون في سيرة « إساف » و« نائلة ».

عبد الحميد سالم

في ثورة أمريكا

خطبة الوطني الأكبر

باتريك هنري

في مؤتمر المندوبين العام في ٢٨ مارس سنة ١٧٧٥ (١)

باتريك هنرى سياسى أمريكى وخطيب ولد فى ستودلى -Studley- بمقاطعة « هنوفر » فى ٢٩ مايو سنة ١٧٣٩ . وبعد أن أخفق كل اخفاق فى الزراعة والتجارة ، امتهن المحاماة ، وظهرت شهرته أولا عنـد ما دافع فى قضية تناولت موارد رجال الدين المالية المشروعة . ولقد قاوم بكل قوة فى مؤتمر الممولين بفرجينيا قانون التمغة سـنة ١٧٦٥ وافتتح المناقشات فى مؤتمر القارة سنة ١٧٧٤ بخطاب أعلن فيه أمريكيته بأن قال : « لست من أهل فرجينيا ، بل أنا أمريكى » وكان حاكماً لمقاطعته التى ولد فيها مرات عديدة ، واعتزل الاعمال العامة سنة ١٧٩١ ومات فى « ريدهيل » بكونتية « شارلوت » فى ٦ يونية سنة ١٧٩٩ .

* * *

سيدى الرئيس :

ليس من يقدر وطنية النبلاء المحترمين الذين خطبوا المجلس الآن وكفاياتهم أكثر مما أقدرها . غير أن اختلاف الناس يجعلهم يرون الأمر الواحد فى صور مختلفة . ولذا أؤمل أن لايتبادر الى أذهانهم أنه مما يهينهم ، ان أدلى بآراء تضاد في طبيعتها آراءهم التي أدلوا بها . وعلى هذه القاعدة ساعبر عن مشاعرى بحرية و بلا تحفظ . إن هذا الوقت ليس وقت الرسميات . والمشكلة المطروحة على المجلس هى احدى المشكلات التى يتوقف عليها مستقبل

(١) ان المبادىء التى دافع عنها مستر باتريك هنرى فى خطابه الذى ننقله هنا لقراء المصور هى المبادىء التى يحتاج اليها الشرقيون اليوم ليدفعوا العاصفة الاستعمارية التى تهب عليهم من أوروبا . ولا جرم أن الوطنية واحدة لاتتعدد واذا تعددت فانما تتعدد مظاهرها ، أما جوهرها فواحد . ولا شبهة فى أن هذا الخطاب فيه جوهر الوطنية ولبابها . غير أن الوسائل يجب أن تختلف عن الوسائل التى دعى اليها الخطيب الكبير اعتبارا لحاجات الزمان والمكان والظروف السياسية . ولا جرم أن جهادنا المشروع السلمى هو خير وسيلة ننال بها حقوقنا اذا احتفظنا بلباب الوطنية على مايجب أن نفهمه

هذه البلاد . أما أنا فلا اعتبرها أقل من أنها مسألة يترتب عليها إما الحرية وإما الاستعباد . وعلى مقدار ما يكون من خطورة الموضوع يجب أن تكون الحرية فى مناقشته . وليس لنا طريق غير هذا لنصل الى لباب الحق ، وأن نقوم بعبء المسؤولية التى نحملها أمام الله والوطن . وانى لاعتقد أنى اذا حبست أفكارى فى مثل هذا الظرف حذراً من أن اسيء لاى كان ، فانى لا اكون أقل من مرتكب لجريمة الخيانة العظمى لوطنى ، ولعمل ، أقل ما يقال فيه ، انه فسوق عن الطاعة لرب السماوات ، الذى أمجده واحترمه أكثر مما أحترم كل الملوك الذين هم فوق الارض .

سيدى الرئيس

إنه من الطبيعى أن يتعلق الانسان بأوهام الأمل . ونحن معرضون لان نغلق عيوننا عن الحقائق المؤلمة ، ونظل نصغى الى تلك النغمات التى تطير بين جوانحنا حتى يأتى وقت تنزل فيه الى درجة السوائم والوحوش . فهل هذا هو الواجب المفروض على رجال اشتبكوا فى معركة حامية الوطيس دفاعاً عن الحرية ؟ هل فرض علينا أن نكون في عداد هؤلاء الذين لهم عيون ولكن لاينظرون ، ولهم آذان ولكن لايسمعون ، تلك الوقائع التى تهدد خلاصهم الدنيوى ؟ أما أنا ، فمهما كان فى ذلك من الالم النفسانى ، فانى مستعد لان أعترف بالحقيقة الكاملة وأن أعيها ، وأن أعرف الأسوأ من الاشياء واتخذ العدة له .

امامى مصباح واحد ينير لى السبيل لاخطو الى الامام ذلك . مصباح التجربة والاختبار .ولا أعرف سبيلا احكم به على المستقبل إلا الماضى . فاذا حكمنا بما بلونا في الماضى من تجاريب ، فانى أريد أن اعرف أى شيء ظهر فى سياسة الوزراء الانجليز يبرر لنا أن نستمسك بتلك الآمال والاحلام التى شاء النبلاء الذين خطبوكم من قبل ان يهووا والمجلس إلى اتوارها ؟ اهي تلك الابتسامة الصفراء التى قوبلت بها مطالبنا الاخيرة ؟ لاتؤخذ بها ايها الرئيس ! فانها سوف تبرهن في المستقبل على أنها القيد الذى يقيد أرجلنا عن السير الى الامام . لاتخدعوا انفسكم بحلاوة قبلة تنطوى على العداء . سائلوا أنفسكم كيف يتفق قبول النظر في

مطالبينا على هذه الصورة الغريبة ، مع تلك الاستعدادات الحربي الكبير الذي يغشي مياهنا ويظلم أرضنا ؟ هل الاساطيل والجيوش اداة ضرورية لعمل يقوم على اساس الحب والتفاهم ؟ ليس لنا أن نتافق وانفسنا . انما هذه عدد الحرب وآلات الجلاد وادوات الاخضاع والاذلال . وانما هي آخر ما يلجأ اليه الملوك من براهين وحجج . إنى اسألكم ايها النبلاء ماذا يكون معنى هذه الاخذة العسكرية ، اذا لم يكن الغرض منها أن نخضع ونستكين ؟ هل للنبلاء أن يعينوا لى أى غرض آخر ، أو أى باعث خلاف هذا ؟ هل لبريطانيا العظمى من عدو في هذه البقعة من الارض تستجمع له جيوشها وأساطيلها ؟ لا ياسيدى ! ليس لها من عدو . ان هذه القوات تستجمع من اجلنا . وليس من غرض آخر لها سوى هذا ! لقد أرسلت تستعبدنا بتلك القيود الثقيلة التى حاولت الوزارة البريطانية أن تقيدنا بها منذ امد بعيد . فبأى شيء نقاومها ؟ أبالمناقشات والادلة والبراهين ؟

سيدى :

لقد جربنا الادلة والبراهين عشر سنوات طوال . فهل لدينا من جديد نعالج به المشكلة ؟ لاشيء ! لقد قلبنا المشكلة على كل وجوهها المحتملة . ولكن كل هذا ذهب سدى وذرى مع الريح . هل نلجأ الى الاستجداء ومد اليد للسؤال ؟ واذا فعلنا فأية وسيلة من وسائل الاستجداء نستخدم بعد الذى استخدمنا ؟ وانى أرى انه لايجب أن نخدع انفسنا ياسيدى اكثر مما خادعناها .

سيدى :

لقد بذلنا كل شيء يمكن عمله لنتقى العاصفة التى تكاد تهب علينا الآن . أرسلنا مطالبينا ، ثم تظاهرنا . ثم استجدينا . لقد عرضنا انفسنا على اعتاب العرش وطلبنا منه المعونة في أن يرفع عنا حيف الايدى المستبدة التى تمثلها الوزارة والبرلمان . فرفضت عرائضنا . وزادت مظاهراتنا العسف والجور شدة وزادتنا احتقاراً ومهانة . أهمل استجداؤنا ونسى . ولم يزدنا الترامى على اعتاب العرش إلا مذلة وتحقيراً . فكيف يجدى بنا الأمل فى السلم والتفاهم بعد كل هذا ؟ لم يبق في قوس الأمل من منزع . فاذا أردنا أن نتحرر ، وان ندفع عن تلك

الحقوق المقدسة التي لا يمكن أن تقدر بشيء في الدنيا. فوائد الاستقلالية، وإن نمضي في تلك المعركة الشريفة التي اشتبكنا فيها منذ زمان طويل، والتي تعاهدنا أنفسنا على أن لا نفر من ميدانها، حتى نحقق الأغراض التي من أجلها خضنا غمراتها، إذن فإلى القتال! إني أكرر هذا القول ياسيدي: إلى الأمام إلى القتال. وليس لنا من سبيل إلا السلاح، والاعتماد على الله نصير اللاجئين.

سيدي

قيل بأننا ضعفاء، ليس في مقدورنا أن نأخذ بضلع في مثل هذه الغمرة الشديدة. ولكن فليخبرونا متى سنكون أكثر قوة؟ هل نكون أكثر قوة خلال الاسبوع القادم، أم السنة التالية؟ هل سنكون أكثر قوة عند مايجرد من سلاحنا، أم عندما يحتل البريطانيون منازلنا؟ هل يمكن ان نستجمع قواتنا بالاستكانة والوقوف موقف السلب الصرف؟ هل يمكننا ان نحوز وسائل الدفاع الشرعي عن حريتنا بأن نستلقي على ظهورنا مستسلمين إلى خيالات الامل وأوهامه، حتى يستمكن منا الاعداء ويأخذوننا بالايدي والاعناق؟

سيدي

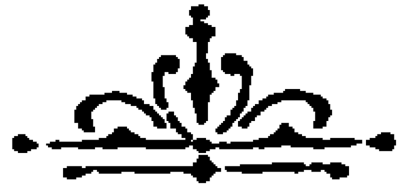
اننا لسنا ضعافا اذا استخدمنا الوسائل التي وضعها الله، رب الطبيعة، رهن أيدينا. فان ثلاثة ملايين من الرجال مسلحين ليدافعوا عن الحرية المقدسة، وفي مثل هذه المملكة التي هي ملك لنا دون غيرنا، لايمكن كسرهم بأية قوة يمكن أن يرسلها عليهم العدو. وفضلا عن هذا، فاننا لن نقاتل منفردين. فان من ورائنا إله عادل يهيء للامم غاياتها، وسوف يرسل الينا بأصدقاء يمدون لنا يد المساعدة في معاركنا الشريفة.

ان النصر ياسيدي ليس للقوي وحده. أنه من نصيب المؤمن والعامل والشجاع. كما واننا ليس لنا اختيار في هذا. واذا فرض وكنا من الانحطاط بحيث نختار الاستكانة، فاننا قد تأخرنا كثيراً في التقهقر عن القتال. أما التقهقر فلا معنى له إلا الخضوع والعبودية. ان الاصفاد في انتظارنا. أن صلصلتها تسمع فوق

وديان بوسطون ! لا مفر من الحرب اولتأت بويلاتها ! أقول (لتأت) مكرراً ،شديد الايمان بالنهاية .

سدى ياسيدى ينهب كل مجهود لتقف بلا قتال . ان الاصدقاء قد يصيحون السلام ! السلام ! لاسلم ولا سلام . لقد بدأت الحرب بالفعل . فان العاصفة التى ستهب فى الشمال سوف تنقل الى آذاننا قرع السلاح . ان اخواننا في الميدان . فلماذا نقف نحن هنا مكتوفي الأيدى؟ ماذا يريد النبلاء بعد هذا ؟ ماذا يرجون أن ينالوا ؟ هل الحياة غالية الثمن ، أم ان السلام حلم لذيذ ، لنشترى كلاهما بالاصفاد والعبودية !

انى لا أعرف أى طريق يلذ لغيرى السير فيه . أما أنا فأقول (دعنى حراً أو دعنى أموت) .



لماذا اشتركت أميريكا

فى الحرب الاوروبية الاخيرة

اذا تركنا الكلمات الجوفاء التى يستعملها الساسة جانباً وبحثنا فيما يسمونه القانون الدولى وراجعنا حوادث العالم قبيل نشوب الحرب تيسر لنا الوقوف على شيء من الحقيقة .

رصاص دمدم

اجتمع مؤتمر السلاح قبيل الحرب بسنين وفيه طرح موضوع وجوب منع استعمال رصاص دمدم في الحروب فاتفق الحاضرون على ذلك ولكن أبدت دولتا بريطانيا وفرنسا تحفظاً يجيز للامم المتمدينة استعماله عند مقاتلة الامم الملونة الهمجية .فاعتماداً على هذا التحفظ استعمل الالمان هذا الرصاص ضد أعدائهم على أساس أن الامم الاوروبية المحاربة لدول الوسط استوردت قوات كبيرة من الهند ومن السنغال وغيرها من بلاد المتوحشين وكانوا يؤلفون الكثرة الساحقة من الجيوش المعادية لالمانيا فلما أرادت أميريكا أن تتداخل في الأمر بحجة أن

الرصاص المذكور يصيب البيض كما يصيب الملونين أجاب الالمان بانه يجب والحالة هذه فصل الفرق البيضاء عن الملونة وترك كلا منهما تعمل فى ساحة وحدها وبالطبع لم يهم الحلفاء بهذه الملاحظة فامطروا دول الوسط رصاصاً منه في حين لم يكن بين جيوشها ولا عسكرى ملون واحد . فلم تحرك أميريكا ساكناً .

السفن والبضائع المحايدة

عقد اجتماع دولى للبحث في هذا الموضوع فقالت بعض الدول إن البضاعة الخاصة بأمة معادية اذا وجدت على مركب محايدة تصبح ملكا حلالا للعدو واذ عثر عليها فى السفينة المعادية تصبح ملكا للعدو بما عليها من البضائع . فزادت أميريكا على ذلك قائلة : « المملوكة للعدو فقط وأما المملوكة لمحايد فترد أو يعوض عنها » أما عن النقطة الاولى فكان رأى أميريكا أن المركب المحايدة هي كالارض المحايدة غير قابلة للتفتيش بأى حال من الاحوال . فلما ضيق الحلفاء الحصر البحرى على المانيا صارت الممالك الاوروبية الشمالية المحايدة تحمل المؤن خصوصاً والذخائر للمحاصرين على مراكب محايدة فكان الحلفاء يصادرونها. وليس هذا فقط بل زاد الامر لدرجة أن بريطانيا كانت تمانع من استيراد دول الشمال لمؤن أكثر من الكميات التى كانت تستوردها قبيل الحرب ولم تحاول أميريكا المحايدة أن تقرر وجهة نظرها عند مااحتج لديها الشماليون فى ذلك .

المنطقة الخطرة وضرب المراكب بعد انقاذ الارواح

يعرف القانون الدولى شيئاً اسمه المنطقة الخطرة ويحتم على الدول المتحاربة اعلان الامم المحايده عن تلك المناطق مع ارشادها الى الأمكنة الميسور للمراكب المحايدة والغير حربية المرور منها. فما كان من المانيا الا ان طوقت الجزائر البريطانية بمنطقة خطر بعد ما تركت ممراً في أقصى الجنوب الغربى من انجلترا للمراكب المحايدة والتجارية وكان هذا الممر يؤدى الى شاطىء وعر لا تجمعه بداخل الجزائر البريطانية مواصلات ما فكانت الغواصات تضرب كل سفينة تعثر بها فى منطقة الخطر معتبرة انها خطرة فعارضت انجلترا فى ذلك مدعية أن المنطقة الخطرة هى فقط التى يلقى فيها العدو الغامه لاعمال حربية أو لاعاقة الملاحة وحصر العدو وأما

الغواصات فهي سفن يجب عليها أن توقف السفن وتفتشها ثم بعد ازال الخلائق يصبح لها أن تعمل بها كيف تشاء . فردت المانيا قائلة ان هذا تعريف لما كان يحصل يوم لم تكن الغواصات معروفة وأنها تفهم ان منطقة الخطر هي التي لا يجب على المراكب المحايدة والتجارية المرور فيها الا على عهدتها فعززت أمريكا وجهة النظر البريطانية ولما لم تكف الغواصات عن عملها سلحت البواخر التجارية وبذلك صارت هذه البواخر في نظر الالمان حربية لانها مسلحة فكانت تغمر بها داخل وخارج المنطقة المذكورة

قاعدة منرو

كان منرو رئيس الولايات المتحدة قد وضع قاعدة هي أمريكا للامريكانيين وصرح رسمياً ان اى تداخل اجنبي فى شئون الدول الامريكية يعد تحديا صريحاً للولايات المتحدة وعملا عدائيا فاظهرت انجلترا انها لا تمانع اذا خرج ما يمتلكه فى القارة قبل وضع هذا القاعدة عن هذا الحكم واكتفت فرنسا وإيطاليا وأسبانيا بان تكون امريكا الجنوبية لاتينية واما المانيا فقد احتجت عليه ولأنها وجدت سوقا لبضائعها رابحة في جنوب القارة وبدأت تنشر نفوذها هناك فلما شهرت الحرب ساعدت الولايات المتحدة الحلفاء سلبيا وأدبيا ولكن تفوق المانيا عليهم اضطرها الى التداخل الفعلى

عمر عنايت

بين الصحف والمجلات

في الشرق والغرب

« النقد خير وسيلة لتعويد الفكر على الابتكار ، بل هو طريق الاستقلال الحقيق . والمصور مع احترامها لرأى زميلاتها لا تجد محيصاً ،عن ابداء رأيها ورأى قرائها فى الموضوعات التى تشغل العالمين الشرق والغربى ،حبا فى الفائدة وابتغاء الاصلاح .

* * *

١ — الهلال : مصر

(١) من مقال بعنوان « النور الجديد » لهيكل بك

السياق قوى والحجة يكاد يسيغها الانسان كما يسيغ شراباً لذيذاً . والاسلوب سهل فيه جمال ودقة في التعبير . والذى فهمته من هـذا المقال أن قلة الايمان بما كان يستمد الانسان « مما فوق عقليته » قد أحدث قلقاً نفسانياً يشعر به كل المفكرين ،وأن المفكرين باعتبارهم قادة الدنيا وهداة السواد من الناس ،قد لقحوا العامة بما يشعرون من قلق وفوضى . وأن الهداية سوف يعثر عليها التائهون القلقون في جوانب الشرق ،لانه منبع الهداية الروحية منذ أبعد الازمان . أما السبب الذى أحدث هذا القلق النفسانى فتهديم العلم لما كان قائماً حول الغيبيات بصورها من أساطير وخرافات اطمأن لها الناس أزماناً طوالا . أما واجب الوجود — الله — فان الفكرة فيه لا تتغير في المستقبل عما كانت فى الماضى . أما الذى سوف يتغير ويتبدل فما يلى ذلك من المعتقدات التى بشرت بها الاديان على اختلاف صورها وتباين مناحيها .

هذا ملخص مافى المقال الذى صبه الصديق هيكل بك في قالب جميل الصورة حتى ليخيل اليك أن الفكرة فى واجب الوجود سوف تظل في المستقبل كما كانت في الماضى ، وأن الانسان إنما يجد حقيقة فى سبيل الحصول على فكرة

يطمئن اليها فى العلاقة التى تربطه بواجب الوجود مغايرة للفكرة القديمة التى عششت فيها الاساطير والخرافات . والحقيقة التى أعتقد بها أن الفكرتين ، فكرة واجب الوجود ، وفكرة علاقة الانسان به ، قد تغيرتا بالفعل عما كانتا في الماضى تغيراً كاملا فى الاعصر الحديثة لاول ولآخر مرة في تاريخ الفكر البشرى .

لم تحدد الاديان فكرة كاملة في واجب الوجود يرضى بها العقل المستقل في دور ما من أدوار النشوء الفكرى . بل ان الاديان ألزمت الناس فيما ألزمتهم به الاعتقاد بوجود الله متخذة من سلطتها الاستعلائية مبررا الى هذا الالزام . وحدد كل دين ربه أو آلهه على مقتضى المبادىء التى نزل بها الكتاب الذى يتخذه نواة له . فالاله الذى يعرفه كونفوشيوس مخالف تماما للاله الذى يعرفه بوذا ، وكلاهما مخالف تماما لاله زرادشت . وآله التوراة الذى يقول – « لانى أنا الرب آلهك ، آله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء من الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى ، واصنع احساناً الى ألوف من محبى وحافظى وصاياى » – مخالف تماما لاله الاناجيل ، بل مباين لاله مزامير داوود ، على قرب النسب بين التوراة والمزامير ، وكل هؤلاء مخالفون للفكرة الآلهية التى بثت فى القرآن .

وكل الاديان سواء في تصوير آلهتها بصورة ترضاها منازعها . إذن فلم يكن ثمة من فكرة عامة في واجب الوجود ارتضتها كل الاديان . فمنهم من علم الناس على أنه ذات متحيزة ، ومنهم من قال بأنه قوة ، ومنهم من قال بأنه فكرة ، ومنهم من رمز له رمزا ولم يقل فيه شيئاً . أما الفلسفة الحديثة فقد اهتدت الى فكرة جديدة لا نظن أن الاديان تبغضها ، كما لا نظن أن العلم لا يرضاها . ذلك أن وجود واجب الوجود فرض الزامى لا يمكن للعقل أن يحتفظ بألفته من غير أن يؤمن به . هذه هى الفكرة التى خلص بها العقل الانسانى من جهاده الماضى الطويل . وهي فكرة على الرغم من أن الاديان لا تبغضها كثيرا وترضىء نها المنازع العلمية ، حددت علاقة الانسان بالله تحديدا غير تام ، ولكنه مرض على كل حال .

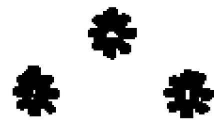
أما تفكير الانسان الجدى فاصبح في تحديد علاقته ، لا بواجب الوجود ، ولكن بالكون . فبعد أن اسقط العلم الانسان عن عرش الملائكة العلوى ، وانزله

الى افق الحيوان ، اخلت الانسان فكرة جديدة ليست بأقل اشكالا من الفكرة التى تملكت زمامه من ناحية الاديان .

بعد أن أظهر النشوئيون اصل الانسان الحيوانى واثبتوه علميا ، وبعد أن اثبت الجيولوجيون قدم الارض ، والفلكيون قدم النظام الشمسى ، واظهر هؤلاء بابحاثهم سلسلة التدرج الطويل التى مضى فيها الكون لينتهى بظهور الحياة فوق الارض ، وعرفوا أن سلسلة التدرج في النباتات قد انتهت الى ذوات الفلقتين ، وانها انتهت فى الحيوانات بذوات الفقار ، ثم بالبريمات وعلى رأسها الانسان ، اخذ العقل الانسانى سمته نحو التفكير ، كما هي عادته ، فيما يختفى وراء هذه السلسلة الطويلة من قصد ، وهل كانت متجهة بكل مافيها من الصور لان تنتهى بالانسان ، على أنه القصد الاخير منها ؟

هـذا هو الاشكال الجديد ، علاقة الانسان بالكون ، لا علاقته بواجب الوجود ، الذى ارتدت سلطته بنسبة اكتشاف العقل لسنن الطبيعة الى انه فرض عقلى ضرورى ، وأن سنن الكون أبدية سرمدية .

أما المدى الذى تبحث عنه الانسانية فينحصر الآن فى الغاية التى ترمى اليها سلسلة التدرج التى انتهت بالانسان : وماذا يكون اذا اظهرنا العلم بان الانسان فى فكرته الحديثة مخطىء خطأ يتساوى مع خطئه فى فكرته الاولى التى بشرت له بانه محور الكون وأنه سيد الوجود ؟ على ان في الفكرة الحديثة لنسبا أدنى إلى الفكرة القديمة . اما الثابت حتى اليوم فليس مما يرضى نزعة التفاؤل في مصير الانسان ولست ادرى لماذا لا يشارك الانسان الحيوانات فى نهاياتها المحزنة ، مادام يشاركها في بداياتها الجميلة ؟



(ب) من مقال بعنوان « الجماعة من الناس » . سلامه موسى .

لغة المقال عامية تقريباً . أما الافكار المبثوثة فيه فمسبوق بها الاستاذ سلامة موسى ، وضعها جوستاف لوبون في كتابه الذى ترجمه المرحوم فتحى زغلول بعنوان

«سوتيلوتر الامم» ولم يبق مما فى الكتاب من مبادىء سوى قشور لم تتناولها الابحاث الجديدة بالهدم والتحطيم . ومع هذا يقول الاستاذ :

« نجدد البحث فى هذا المقال بانتا نريدأن نثبت أن الانسان فيوقت اجتماعه يكون احط مما هو فى وقت أنفراده » .

ما لنا وللاساليب والتعبير فللكاتب اساليبه وتعبيراته . ولكنا نريد أن ننبه الاستاذ الى ان الشيء الذى يريد اثباته اليوم لقراء الهلال قد فرغ لوبون من اثباته منذ نصف قرن مضى فى الزمان !!



٢ — الجديد — مصر — (العدد ١)

من مقال بعنوان — «السدم» للدكتور على مصطفى مشرفه استاذ الرياضة التطبيقية بالجامعة المصرية .

نجل فى الاستاذ مشرفه علمه الواسع وأدبه الجم . غير أن العلم بالقواعد شيء وامكان نقلها من لغة الى لغة شيء آخر . فالاستاذ مهما كان متضلعا في علمه متبطسا فيه ، فانه لا يستطيع أن ينقل هذا العلم من اللغة التى تعلمه بها الى لغته الاصلية بسهولة . فان مهنة الترجمة مغايرة تماما لمهنة التدريس ،ولا تكاد تنزل عنها قدراً ، بل نظن أن المترجم أكثر مسؤولية من المعلم

سمعت مرة من احد كبار رجال التعليم انه من الممكن الاكتفاء بقليل من (الافندية) الذين يحررون الخطابات في وزارة المعارف ليقوموا بمهمة الترجمة العلمية . ويكاد يكون هذا القول مثالا لما يقوم في اذهان الكثيرين من رجال التعليم عندنا فيما هي الترجمة العلمية . والحق أن الترجمة العلمية مهنة لاتدرس ولكنها ملكة تزود المترجم بقدرة خاصة على ادراك المعانى على حقيقتها ، وعلى نقلها صحيحة الى لغة أخرى . وهذا مالايتيسر للكثيرين من الكتاب بل وللعدد الاكبر من الاساتذة . واكبر مثال على هذا مقال الاستاذ مشرفه الذى نشر في الجديد .

واليك امثال مما قال : جاء في ص ٢٠ مايلي :

« واول ذكر للسديم الاكبر في «برج الجبار» نجده في كتابات زاهب جزويتي سويسري اسمه كيساتوس عام ١٦٨٠». وقال في ص ٢١ «وفي عام ١٨٨٠ نجح هنري دريبر في الحصول على أول صورة فوتوغرافية للسديم الاكبر في برج الجبار» — وقال أيضاً في الصفحة عينها — « ثم أن كمن وروبرتس حصلا في سنة ١٨٨٨ لاول مرة على صورة ظاهرة فيها النظام اللولبي للسديم الاكبر في برج أندروميدا » —

والحقيقة أن الفرق كبير بين ما يسميه « برجا » وبين الحقيقة الفلكية والاصطلاحية . فاذا قلت «برج الجبار» اضفت الى البروج الاثنى عشر برجا جديدا غير معروف ، لافي الشرق ولافي الغرب . فالبرج هو مجموع النجوم الذي يكون عند الافق مدة شهر من الزمان حيث تغيب الشمس . وهذا الاسم هو الذي اطلقه عليه القدماء ، وقالوا ان الشمس تغيب في هذا البرج أوذاك بحسب غيابها في شهور السنة. وكانوا قد قسموا السنة الى اثنى عشر شهرا فقالوا ان البروج اثنا عشر حسب شهور السنة وسموها باسماء مختلفة وقد جمع بعضهم اسماءها العربية بقوله

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدي نزح الدلو بركة الحيتان

وكان القدماء قد انتبهوا الى أن موقع الشمس بين الكواكب يتغير من يوم الى آخر مدة السنة . ثم يعود في بداءة السنة التالية كما كان في بداءة التي قبلها وهلم جرا ، كأنها تنتقل في منطقة من الكواكب على مدار السنة أو كأن تلك المنطقة تدور حول الأرض دورة كاملة كل سنة فقسموا نجومها ١٢ قسما متساويا سموها منازل .فكل قسم منها يقابل ثلاثين يوماً وسموها بأسماء أكثرها من أسماء الحيوانات. ووصل هذا التقسيم وهذه الاسماء الى اليونان فالسريان فالعرب . واسم البرج في اللغة البابلية « منزلة » فلما انتقل هذا التقسيم الى اليونان سموا البرج « رودكانيموريا » أي جزء من اثنى عشر كما ورد في كلام أفلاطون . وسماها العبرانيون في التوراة «متسلوث» نقلا عن اللغة البابلية . والظاهر أن اليونان

ستعملوا أيضاً كلمة « برجس » للمنزلة من دائرة البروج ، فعربها السريان ومنهم نقلت الى العربية كما أثبته العالم فرنكل الالماني (راجع بسائط علم الفلك لصروف)

وجرى المحدثون على هذا النظام وعلى هذا التقسيم فالحمل عندهم Aries والثور Taurus والتوأمان أو الجوزاء Gemini والسرطان Cancer والأسد Leo والسنبلة أو العذراء Virgo والميزان Libra والعقرب Scorpio والرامي أو القوس Sagittarius والجدي Capricornus والدلو Aquarius والحوت أو السمكتان Pisces

اذن فالجبار ليس برجا بل هو مايسمى Constellation واصطلح على ترجمتها بكوكبة أي مجموع من النجوم السديمية .

أما كوكبة المرأة المسلسلة (Andromeda) فقد صورها الصوفي الفلكي العربي المعروف بصورة امرأة رافعة يديها كأنها خافت من أمرما . وفي الاطالس الاوربية بصورة امرأة متكئة على أحد الحوتين والسلاسل في يديها ورجليها أو في يديها فقط . وما دام العرب قد عرفوا هذه الكوكبة وسموها فلماذا لا نقول كوكبة المرأة المسلسلة بدل أندروميدا ؟

أما كوكبة الجبار فمعروفة في أوروبا باسم أوريون (Orion) وقد ذكرت في سفر أيوب حيث قيل في وصف الخالق (صانع النعش والجبار والثريا ومخادع الجنوب)

اذن فالفرق كبير بين البرج والكوكبة . وهذا ما كان من الواجب أن يلاحظه الاستاذ قبل أن يمضي في بحثه هذا .

***

٣ — مجلة المجلات الانجليزية : المستر ويكهام ستيد في كلام عن اليهود

لا مرية مطلقا في أن اليهود أكثر شعوب الارض بعدا عن مفهوم الناس في التاريخ الانساني . فانك اذا قرأت تاريخهم عجبت كيف أن الله ، اذا صحت الروايات التي نقلت الينا عنهم ، قد جعلهم شعبه المختار وأرسل اليهم نبيه موسى ليخرج بهم من أرض مصر الى أرض الميعاد فانك اذا اخذت الفكرة في شعب

الله المختار على أنه أرقى أمم الارض لم تستطع أن تستدل من تاريخ اليهود على ما يؤيد هذا التصور مطلقا. فان بنى اسرائيل قد تدللوا على موسى تدلل الصبيان والعجزة فقالوا له لن نصبر على طعام واحد فانزل عليهم مائدة. وقال لهم قاتلوا لتفوزوا بالنعائم فقالوا له اذهب أنت وأخوك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. وتركهم موسى برهة من الزمان فأضلهم السامرى وعبدوا ثوراً جسداً له خوار. وكأنى بهم وقد أوشكوا أن يطلبوا من موسى أن يدخلهم الجنة أحياء و بلا حساب.

واذا صحت هذه الصورة، وهي صورة لانخالها غير صحيحة، بل لامشاحة فى أنها من أصح الروايات التى تروى عن اليهود، عجبت كيف أن هذا الشعب هو الذى اختاره الله المحبوب والذى يخصه بعطفه و رعايته. غير أنك اذا رجعت عن التصور الاول الى فكرة أن الله ما اختار هذا الشعب إلا لضعفه واستكانته وذله وانكساره، استطعت أن تعرف لماذا اختار الله اليهود لينصرهم على المستبدين بهم. غير أنك لا تلبث أن تسكن الى هذه الفكرة حتى تعتورك فكرة أخرى توقعك فى مشكل أنكى من الاول. اذ لا بد لك من أن تتساءل كيف ان هذ الشعب الضعيف المستكين قد أصبح، بعد أن شتت شمله وحرم من أرضه المقدسة التى ظلت ميداناً لتناحر الشعوب خلال كل أدوار التاريخ من بعد أن خرب بيت المقدس، من أكثر الشعوب لحمة وأشدهم استمساكا بعرى الاتحاد القومى التى لم يعرف له نظير فى تاريخ شعب من شعوب الارض؟

يقول المؤلف الكبير هوستون ستيوارت تشمبرلن أن السبب فى ذلك كتاب التوراة و يقول كثير من المؤرخين ان السبب فيه غريزة الدفاع عن النفس في الأقليات. وعلى الأخص فى أقليات كاليهود لم تجد لها من نصير في أكثر البقاع التى فزعت اليها هربا من استبداد لحقها في غيرها

ولقد لقى اليهود من اضطهاد اصحاب الأقلام أكثر مما لقوا من اضطهاد أرباب السيف. بل حملوا من مخارق رجال الدين أكثر مما لقوا من استبداد رجال الدنيا. وفى معتقدى أن آخر مايرمون به من رذيلة عملهم على تحطيم النظام الاجتماعى الحاضر باستكشافهم لمبدأ الشيوعية أو البلشفية الذى يرميهم به مستر ويكهام ستيد

في مقاله القيم الذى تقرؤه فى مجلة المجلات الانجليزية . يقـول مستر ستيد Steed —وترجمة اسمه فى العربية حصان— ان اليهود يأتمرون بالعالم اليوم جزاء ماائتمر بهم العالم في العصور الأولى وأن نزعتهم الى جمع المال والحطام لم يكن لها من سبب الا أن يتقوا بها الظلم اذا حلت بهم الـكوارث ونزلت بهم الحادثات . أما وقـد استطاعوا اليوم أن يتبدلوا من هذه القوة المادية بقوة أدبية يستطيعون بها أن ينتقموا من النظام الاجتماعى فانهم يضحون بالوسيلة الاولى على أن يكون لهم القيادة اذا مابشروا بالوسيلة الثانية وهي الثورة العالمية في سبيل الشيوعية .

ولا جرم أن هذه الفكرة ذات آصرة بفكرة رجال الـكنيسة إذ يدعـون أن اليهود يذبحون أولاد النصارى . فقد اتخذت هذه الدعوى ذريعة للتنكيل باليهود انتقاماً منهم جزاء ماصلبوا المسيح على زعمهم . غير انى أصبحت لا أميل مع هذا الرأى وان كنت أخذت به يوماً من الايام . وأكبر سبب يجعلنى لا أرى رأى ستيد فى هذا الموضوع ان مجرد أن يكون ماركس ولنين وتروتسكي من اليهود لا يكفى لاقامة الحجة على مجموع اليهود ، ولا أستطيع أن آتخذ مجرد اشارات بسيطة فى كتابات دزرائيلي سبباً فى الاعتقاد بانه رمى الى هذه الفكرة التى أعتقد أنها قد تبعد عن عقول اليهود بقدر ماتبعد عنهم فـكرة الخروج على تقاليدهم .

وفضلا عن هذا فان اليهود ليس لهم مذهبا سياسيا يجعلهم يفكرون فى مثل هذه الانقلابات الثورية سعيا وراء أغراض عالمية. فاليهودى مصرى بين المصريين انجليزى بين الانجليز، فرنسوى بين الفرنسويين، حبشى بين الاحباش، سودانى بين السودانيين . وعندى أن هذه النزعة وحدها كافية لان تبعد عن ذهنية اليهود أكثر ما يحاول أن يعزوه اليهم الـكتاب من النقائص العمرانية .

فهرست

تابع الفهرست